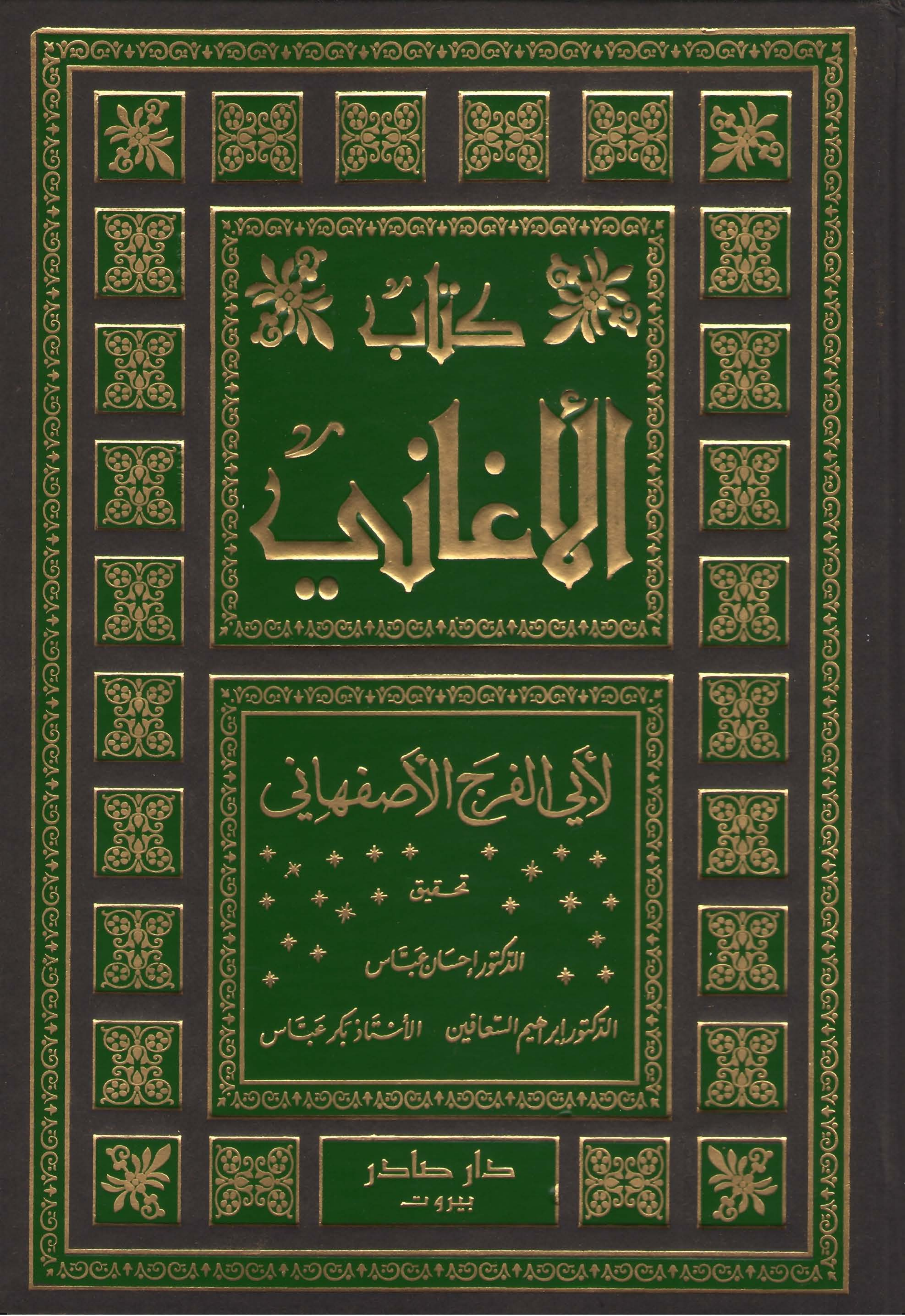


كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
تحقيق
الدكتور إحسان عباس
الدكتور إبراهيم السعافين
الأستاذ بكر عباس
دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين   الأستاذ بكر عباس

المجلد الخامس عشر

دار صادر

بيروت

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

بسم الله الرحمن الرحيم

صوت

وقال : [من المنسرح]

هَلْ في ادِّكار الحبيبِ من حَرَجِ ... أَمْ هَــلْ لهــمٍّ الفؤادِ مِن فَرَجِ
أم كيفَ أَنْسى رحيلَنا حُرُماً ... يــومَ حَلَلنا بالنَّخلِ من أَمِجِ[1]
يومَ يقولُ الرسولُ قــد أَذِنَتْ ... فائْــتِ على غير رِقْبَــةٍ فَلِجِ
أَقبلْتُ أَسعــى إلى رِحالِهــمُ ... في نَفحةٍ مِــن نسيمِها الأَرِجِ

الشعر لجعفر بن الزُّبير[2] ، والغناء للغَرِيض ، خفيفُ ثقيلٍ أَوّل ، بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ، عن إسحاق ، وذكر عَمرو بن بانةَ أنّه لدَحْمانَ في هذه الطريقة والمجرى . وذكره يونُس بغير طريقةٍ وقال : فيه لحنان : لابن سُريج والغَرِيض . وذكر الهشاميّ أنّ لحن ابنُ سُريج رملٌ بالوُسطى .

1 أَمج : موضع بين مكّة والمدينة .
2 تنسب هذه الأبيات إلى ابن قيس الرقيات (انظر ديوانه : 78) .

[276] ـ أخبار جعفر بن الزُّبير ونسبه

[نسبه]

جعفر بن الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلِد بنِ أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب . وأمّ جعفر بن الزُّبير زينب بنت بشر بن عبد عمرو ، من بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل .

[سليمان بن عبد الملك وفروض الأعطيات]

أخبرني الطُّوسيّ قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني مصعب بن عثمان قال : أخبرني جدّك عبد الله بن مُصعب عن أبي عثمان بن مصعب ، عن شعيب بن جعفر بن الزُّبير قال : فرضَ سليمانُ بن عبد الملك للناس في خلافته ، وعُرِض الفرضُ[1] . قال : وكان ابن حزمٍ في ذلك محسناً ، يَعْلَم الله إنّه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفَعَهم بذلك .

قال شُعيب بن جعفر بن الزُّبير : فقال لي سليمان بن عبد الملك : مَن أنتَ ؟ قلت : شعيب بن جعفر بن الزُّبير . فقال : ما فَعَل جعفر ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين على الكبَر والعيال . فقال : قُلْ له يحضُر الباب . فقال لجعفر ، احضُر الباب . فدعا المنذر بن عبيدة بن الزُّبير ، فرفع معه رقعةً وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز ، فيها قوله : [من الرجز]

يا عُمـرَ بن عمر بن الخطّابْ إنّ وقوفي من وراء الأبوابْ
يَعدِلُ عندي حَطْمَ بعضِ الأنيابْ[2]

قال : فلمّا قرأها عمر عَذَرَه عند سليمان ، فأمَر له سليمانُ بألفِ دينارٍ في دَينه ، وألفِ دينارٍ معونةً على عيالِه ، وبرقيقٍ من البِيض والسُّودان ، وكثيرٍ من طعام الجاري ، وأن يُدان من الصَّدقة بألفَي دينار . قال : فلمّا جاء ذلك إلى أبي قال : أُعطِيتُه من غير مسألة ؟ فقيل : نعم . قال : الحمد لله ، ما أسخى هذا الفتى ! ما كان أبوه سخيّاً ولا ابن سخيٍّ . ولكنّ هذا كأنّه من آل حرب . ثم قال : [من الطويل]

فما كنت دياناً فقد دِنت إذ بَدَتْ صُكـوكَ أميرِ المؤمنـين تـدورُ
بِوَصْلِ أولي الأرحامِ قَبْلَ سؤالِهم وذلـك أمـرٌ في الكـرامِ كثيرُ

قال بعض مَن روى هذا الخبر عن الزبير : الناس لا ينظرون في عَيب أنفسهم ، وما كان

1 أي الجند المفروض لهم .

2 يَعدِلُ في ل : بعدك .

لجعفرٍ أن يعيبَ أحداً بالبخل ؛ وما رئي في الناس أحدٌ أبخل منهم أهلِ البيتِ ولا من عبد الله بن الزّبير خاصة ، وما كان فيهم جوادٌ غيرَ مصعب .

قال الزّبير : حدَّثني عمّي ، قال : كان السلطان بالمدينة إذا جاء مال الصدقة أدانَ مَن أراد من قريش منه ، وكتب بذلك صَكّاً عليه ، فيستعبِدُهم به ، ويختلفون إليه ، ويديرونه ، فإذا غضب على أحدٍ منهم استخرَج ذلك منه ، حتى كان هارونُ الرشيدُ ، فكلَّمه عبدُ الله بن مصعب في صُكوكٍ بقيت من ذلك على غيرِ واحدٍ من قريش ؛ فأمر بها فخُرِّقت عنهم ، فذلك قولُ ابنِ الزّبير : [من الطويل]

فما كنتُ ديّاناً فقد دِنتُ إذ بَدَتْ　　صكـوكُ أمير المؤمنـين تـدورُ

قال الزّبير : وحدّثني عمّي مُصعبٌ قال : شهد جعفرُ بن الزّبير مع أخيه عبدِ الله حربَه ، واستعمله عبد الله على المدينة ، وقاتل يومَ قُتِل عبد الله بن الزّبير ، حتى جَمَد الدمُ على يده ؛ وفي ذلك يقول جعفر : [من الطويل]

لعمْرُكَ إنّي يـوم أجْلَـتْ ركائبي　　لأَطْيَبُ نفساً بالجِلادِ لدى الرُّكْنِ

ضنينٌ بِمَن خَلْفِي شحيحٌ بطاعتي　　طِـراد رجال لا مُطاردة الحُصْنِ[1]

الحصن : جمع حِصان ، يقول : هذا طرادُ القتال لا طراد الخيل في الميادين .

غـداةَ تحامَتْنـا تُجيبُ وغافِـقٌ　　وهَمْدانُ تبكي من مُطاردةِ الضُّبْنِ[2]

[عتابه أخاه عروة]

قال الزّبير : وحدّثني عمّي مصعبُ بن عثمان ؛ أنَّ جعفر بن الزّبير كانت بينه وبين أخيه عروةَ معاتبةٌ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

لا تَلحيَنّي يـا ابْنَ أُمِّـي فإنّني　　عدُوٌّ لِمَن عاديتَ يـا عُروَ جاهدُ

وفارقـتُ إخـواني الذيـن تَتابَعوا　　وفارقتُ عبدَ الله والمـوتُ عاندُ[3]

ولـولا يمـينٌ لا أزالُ أبرُّهـا　　لقـد جمعَتْنـا بالفِنـاء المقـاعدُ

[رثاء ولده]

قال الزّبير : أنشدتني عَمّتي أسماءُ بنت مصعبِ بن ثابتٍ ، لجعفرِ بن الزّبير ، وأنشدنيه غيرُها يرثي ابناً له : [من الطويل]

---

1 طِراد في ل : طريد . وهذا مثل .

2 تجيب : بطن من كندة . وغافق وهمدان : قبيلتان .

3 العاند : العاتي الشديد .

صوت

أَهاجَكَ بينٌ من حبيبٍ قد احتمَلْ نَعَمْ ففؤادي هائـمُ العقلِ مُخْتَبَلْ
وقالـوا صُخَيْرات اليمـام وقدَّموا أَوائِلَهم مـن آخرِ الليـلِ في الثَّقَلْ[1]
مررنَ على مـاءِ العُشَيرَةِ والهوى على مَلِلٍ يـا لَهفَ نفسي على مَلَلْ
فَتى السنِّ كهلُ الحِلـمِ يهتزُّ للندى أمرُّ من الدِّفْلى وأَحلى مـن العَسَلْ

في هذه الأبيات خفيف رمل بالبنصر ، نسبه يحيى المكّي إلى ابن سريج ، ونسبه الهشاميّ إلى الأبجر ، قال : ويقال إنه لابن سهيل .

[الشيخ الطروب]

فأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ وحدّثنيه محمد بن جعفر النحوي قال : حدّثنا محمد بن موسى قال : حدّثنا الخرّاز ، وخبره أتمّ ، قال[2] : اصطحب قوم في سفر ، ومعهم رجلٌ يغنّي ، وشيخٌ عليه أثر النُّسك والعبادة ، فكانوا يَشتَهونَ أن يغنّيهم الفتى ويَسْتحْيُون من الشّيخ ، إلى أن بلغوا إلى صُخَيرات اليمام ، فقال له المغنّي : أيّها الشيخ إنّ عليّ يميناً أن أُنشدَ شعراً إذا انتهيتُ إلى هذا الموضع ، وإنّي أهابُكَ وأستحي منك ؛ فإن رأيت أن تأذَنَ لِي في إنشادِهِ أو تتقدَّم حتّى أُوفِيَ بيميني ثم نلحقَ بك فافْعَلْ . قال : وما عليّ من إنشادك ؟ أَنشِدْ ما بدا لك . فاندفع يغنّي : [من الطويل]

وقالوا صُخَيْرات اليمام وقدَّموا أَوائِلَهم مـن آخرِ الليلِ في الثَّقَلْ
وردنَ على ماء العُشَيْرَةِ والهوى على مَلَلٍ يا لهف نفسي على مَلَلْ

فجعل الشيخُ يبكي أَحَرَّ بكاءٍ وأَشجاه ، فقالوا له : ما لكَ يا عمِّ تبكـي ؟ فقال : لا جُزِيتُمْ خيراً ؛ هذا معكم طُولَ هذا الطريق وأنتم تبخَلُونَ عليّ به أتفـرّج بـه ويقطع عنّي طريقي ؛ وأَتذكَّر أَيّامَ شبابي . فقالوا : لا والله ما كانَ يمنعُنا منه غيرُ هيبتك . قال : فأنتم إذاً معذورون . ثم أقبل عليه ؛ فقال : عُدْ فَدَيْتُك إلى ما كنتَ عليه . فلم يَزَلْ يغنّيهم طُولَ سفرِهم حتّى افترقوا .

قال الزُّبير : وأخبرني مصعب بن عثمان أنّ أُمّ عروة بنت جعفرِ بن الزُّبير أَنشدته لأَبيها جعفرٍ وكان يرقّصها بذلك : [من الرجز]

يـا حبّذا عُروةُ في الدَّمالِجِ أَحَبُّ كلِّ داخـلٍ وخارجِ

---

1 صخيرات اليمام والعشيرة وملل : مواضع بين مكة والمدينة .

2 اقتبس صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر (9 : 40) .

[قوله في غزو ابنه صالح أرض الروم]

قال : وأخبرتني أنّ أخاها صالحَ بنَ جعفرٍ غزا أرضَ الرّوم ، فقال فيه جعفر : [من الرجز]

قد راحَ يوم السبتِ حِينَ راحُوا مــع الجَمال والتُّقــى صَلاحُ

مِــنْ كلِّ حــيٍّ نَفَــرٌ سمــاحُ بيضُ الوجــوهِ عَرَبٌ صِحاحُ

وفزِعـــوا وأخـــذ السلاح وهـم إذا مــا كُـرِه الشِّياحُ[1]

مصاعبٌ يكرهها الجراحُ

قال الزُّبير : ولجعفر شعرٌ كثير قد نُحِلَ عمرَ بن أبي ربيعة ودَخَلَ في شعره . فأمّا الأبياتُ التي ذُكرتْ فيها الغِناءُ فمن الناسِ مَن يرويها لعمر بن أبي ربيعة ، ومنهم مَنْ يرويها للأحوص وللعَرْجيّ ؛ وقد أنشَدَنيها جماعةٌ من أصحابنا لجعفر بن الزّبير . وأخبرني بذلك الحِرْمِيُّ ، والطوسيُّ ، وحبيب بن نَصر المهلَّبيّ ، وذكر الأبيات . وأخبرنيه عمِّي عن ابن أبي سعد عن سعيد بن عمرو عن أمّ عروة بنت جعفر مثله . قال ابن أبي سعد : قال الحزاميّ : الناس يَروُونها للعَرْجيّ ، وأمُّ عروةَ أصْدَقُ .

أخبرني الطوسيّ قال حدّثنا الزُّبير قال : حدَّثني سعيد بن عمرو الزُّبيريّ قال : تزوّج جعفر بـن الزُّبير امرأة من خُزاعة وفيها يقول :

هل في ادّكارِ الحبيبِ من حَرَجِ

الأبيات . وزاد فيها بيتين وهما : [من المنسرح]

تُسفِرُ عن واضح إذا سَفَرتْ ليس بذي آمَـةٍ ولا سَمِجِ[2]

وسقط البيت الآخر من الأصل .

[وفاته]

قال الزُّبير في رواية الطُّوسيّ : حدّثني مصعب بن عثمان وعمّي مصعب قالا : كان جماعةٌ من قريش مُنتَحِينَ عن المدينة ، فصدر عن المدينة بَدَويٌ فسألوه : هل كان للمدينة خبر ؟ قال : نعم مات أبو الناس . قالوا : وأنَّى ذلك ؟ قال : شهده أهل المدينة جميعاً ؛ وبُكِيَ عليه من كلِّ دار . فقال القوم : هذا جعفر بن الزُّبير ، فجاءهم الخبر بَعْدُ أنَّ جعفرَ بن الزُّبير مات .

[زواج الحجّاج ببنت عبد الله بن جعفر]

أخبرني عمِّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني إبراهيم بن معاوية عن

1 الشياح : المقاتلة .

2 الآمة : العيب .

أبي محمد الأنصاريّ ، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه ؛ قال : لمّا تزوّج الحجّاجُ وهو أميرُ المدينة بنتَ عبدِ الله بن جعفرِ بن أبي طالب ، أتى رجلٌ سعيدَ بن المسيِّب فذكر له ذلك ، فقال : إنّي لأرجو أن لا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل ، وعسى الله ، فإن أباها لم يزوِّج إلاّ الدراهم . فلمّا بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرَدَ البريدَ إلى الحجّاج ، وكتب إليه يُغْلِظ له ويقصِّر به ، ويذكُر تجاوُزَه قدْرَه ، ويُقْسِمُ بالله لئن هو مَسَّها ليقطعن أحبَّ أعضائِهِ إليه ، ويأمُره بتسويغِ أبيها المهر ، وبتعجيل فراقها . ففَعَلَ ، فما بقي أحد فيه خير إلاّ سَرَّه ذلك .

وقال جعفر بن الزُّبير وكان شاعراً في هذه القصّة : [من الطويل]

وجدتُ أميرَ المؤمنينَ ابنَ يوسُفٍ ... حَمِيّاً من الأمر الذي جئتَ تَنْكَفُ[1]

ونبِّئتُ أنْ قد قالَ لمّا نكحتَها ... وجاءت به رسْلٌ تُخِبُّ وتُوجِفُ[2]

ستَعلَمُ أنّي قد أنِفتُ لما جَرى ... ومثلُكَ منه عَمْرَكَ اللهَ يُؤنفُ

ولولا انتكاسُ الدّهرِ ما نالَ مثلها ... رجاؤُك إذ لم يرجُ ذلك يُوسَفُ

أبِنتَ المصفَّى ذِي الجناحَينِ تبتَغِي ... لقد رُمْتَ خَطْباً قدرهُ ليس يُوصَفُ[3]

صوت

[من الطويل]

كأنْ لَم يكُنْ بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا ... أنيس ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ

بَلى نحنُ كنّا أهلها فأبادنا ... صروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ[4]

عروضه من الطويل . الشعر فيما ذكر ابنُ إسحاق صاحب المغازي لُمضاض بن عمرو الجرهميّ . وقال غيره : بل هو للحارث بن عمرو بن مضاض .

أخبرنا بذلك الجوهريُّ عن عُمَر بن شبة عن أبي غسان محمد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد . وقال عبد العزيز بن عمران : هو عمرو بن الحارث بن مضاض . والغناء ليحيى المكّي ، رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم الموصليّ ماخوريّ بالبنصر . وفيه لأهل مكّة لحنٌ قديم ذَكَرَه إبراهيمُ ولم يجنِّسْه .

---

1 ابن يوسف : منادى ، أي يا ابن يوسف . الحمي : الذي تأخذه الحمية . ونكف عن الشيء : عدل .

2 الخبب والأيجاف : ضربان من السير .

3 ذو الجناحين : جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

4 الجدود : الحظوظ .

[277] ـ ذكر خبر مُضاض بن عمرو[1]

[إسماعيل تزوج ابنته]

هو مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهميّ . وكان جدُّه مضاضٌ قد تزوّج ابنتَه رَعْلة ، إسماعيل بنَ إبراهيم خليلِ الرحمن ، فولدت له اثني عَشَر رجلاً أكبرُهم قَيذارُ ونابت . وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمرهُ بذلك لأنّه لما بنى مكّة وأنزلها ابنَه قدِم عليه قَدمةً من قَدَماتِهِ ، فسمع كلامَ العرب وقد كانت طائفةٌ من جرهم نزلت هنالك مع إسماعيل ، فأعجَبَتْه لغتُهم واستحسَنَها ، فأمر إسماعيل عليه السلام أن يتزوَّجَ إليهم ، فتزوّجَ بنتَ مضاض بن عمرو ، وكان سيِّدَهم .

[حرب جرهم وقطوراء]

فأخبرنا محمد بن جرير ، قال : حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق . وأخبرني محمد بن جعفرٍ النحويّ قال : حدّثنا إسحاق بن أحمد الخزاعيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله الأزرقيّ قال : حدّثني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساجٍ عن محمد ابن إسحاق . ورواية إسحاق بن أحمد أتمُّ . وقد جمعتها : أن نابتَ بن إسماعيلَ وليَ البيتَ بعد أبيه ثم توُفِّيَ ، فولِـيَ مكانه جدُّه لأُمّه مُضاضُ بن عمرو الجرهميّ ، فضمَّ ولدَ نابت بن إسماعيل إليه ، ونزلت جُرهمٌ مع مَلِكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكّة ، ونزلَتْ قَطُوراء مع ملكهم السَّمَيْدع أجيادَ ، أسفلَ مكّة . وكان هذان البطنانِ خرجا سَيّارةً من اليمن ، وكذلك كانوا لا يَخرُجون إلاّ مع ملكٍ يُملِّكونه عليهم . فلمّا رأوا مَكّةَ رأَوْا بلداً طيِّباً ، وماءً وشجراً ، فنزلا ورضي كلٌّ واحدٍ منهما بصاحبه ولم ينازعه . فكان مُضاض يَعْشِر[2] من جاء مكّةَ من أعلاها ، وكان السَّميدع يَعشِرَ مَن جاءها مِن أسفلها ومن كَداء ، لا يدخُل أحدُهما على صاحبه في أمره . ثم إن جرهماً وقَطُوراءَ بَغى كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه ، فتنافَسوا في المُلْك حتّى نَشِبت الحربُ بينهم ؛ وكانت ولايةُ البيت إلى مُضاضٍ دونَ السَّميدع . فخرجَ مضاضٌ من بطنِ قُعَيقِعان مع كتيبتِهِ في سلاحٍ شاك يتقعقع . فيقال : ما سميت قعَيْقِعان إلاّ بذلك ، وخرج السّميدع من شِعب أجيادَ ، في الخيل الجيادِ والرجال . ويقال : ما سميت أجياداً إلاّ بذلك ، حتى التَقوا بفاضح ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل السّميدع وفُضِحت قَطُوراء ، ويقال : ما سُمِّي فاضحاً إلاّ

1 أخبار مضاض بن عمرو وجرهم في كتاب التيجان لوهب بن منبه ، وأخبار ابن عبيد ، وانظر مروج الذهب للمسعودي 2 : 50–55 وأعلام الزركلي .

2 يعشر : يأخذ عشر الأموال .

بذلك ، ثم تداعى القومُ إلى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شِعباً بأعلى مكّة ، وهو الذي يقال له الآن شِعب ابنِ عامر فاصطلحوا هناك ، وسلَّموا الأمر إلى مضاض ؛ فلمّا اجتمع له أمرُ مكّة ، وصار مَلِكَها دونَ السَّميدع نَحَرَ للناس فطَبَخُوا هناك الجُزُر ، فأكلوا ، وسمِّي ذلك الموضع المطابخ . فيقال : إنّ هذا أوّلُ بَغْيٍ بمكّة . فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب : [من الطويل]

نحـــنُ قتلنـا سيِّدَ الحــيِّ عَنــوةً ... فأصبحَ منهـا وهــو حيرانُ مُوجَعُ

يعني أنّ الحيَّ أصبح حَيرانَ موجَعاً .

ومـا كان يَبغي أن يكونَ سَواؤنا ... بهـا مَلِكاً حتّـى أتانا السَّميدعُ[1]

فذاق وبـالاً حـين حاوَلَ مُلْكَنا ... وحـاول مِنّـا غُصَّـة تُتجرَّعُ[2]

ونحــنُ عمَرنـا البيتَ كُنّا وُلاتَه ... نُضارِب عنـه مَـنْ أتانا وندفعُ

وما كان يبغي ذاك في الناس غيرُنا ... ولم يَـكُ حــيٌّ قبلنا ثَـمَّ يمنعُ

وكُنّا ملوكاً في الدهورِ التي مَضَتْ ... ورِثْنا مُلــوكاً لا تُــرام فتُوضَعُ

[استخفاف جرهم بالبيت]

قال عثمان بن ساج في خبره : وحدّثني بعضُ أهلِ العِلم أنّ سيلاً جاءَ فدخل للبيتَ فانهدم ، فأعادته جرهم على بناء إبراهيم ، بناهُ لهم رجلٌ منهم يقال له أبو الجدرة واسمه عمر الجارود ، وسمِّي بنوه الجَدَرة . قال : ثم استخفّتْ جرهمٌ بحقِّ البيت ، وارتكبوا فيه أموراً عظاماً ، وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة ؛ وكان للبيت خِزانة ، وهي بئرٌ في بطنه ، يُلقى فيها الحَلْيُ والمتاع الذي يهدى له ، وهو يومئذٍ لا سَقْفَ عليه ؛ فتواعَدَ عليه خمسةٌ من جرهم أن يَسرِقُوا كلَّ ما فيـه ، فقـام على كلِّ زاويـة مـن البيت رجلٌ منهم واقتحم الخامس ، فجعل الله عزّ وجلّ أعلاه أسفلَه ، وسقط منكَّساً فهَلِكَ ، وفرّ الأربعة الآخرون .

قالوا : ودخل إسافٌ ونائلةٌ البيتَ ففجَرا فيه ، فمسَخَهما الله حَجَرين ، فأُخرِجا من البيت . وقيل أنّه لم يَفْجُر بها في البيت . ولكنّه قبّلها في البيت .

وذكر عثمان بن ساج عن أبي الزّناد ، أنّه إساف بن سهَيل ، وأنّها نائلة بنت عمرو بن ذئب . وقال غيره : إنّها نائلة بنت ذئب . فأُخرجا من الكعبة ، ونُصِبا ليعتبِر بهما مَن رآهما ، ويزدجرَ النّاسُ عن مِثْلِ ما ارتكَبا ، فلمّا غَلَبَتْ خُزاعةُ على مكّة ونَسِيَ حديثُهما ، حوَّلهما عَمرُو بن لحي بن كلابٍ بعد ذلك ؛ فجعلهما تجاهَ الكعبة يُذبَحُ عندَهما عند موضعِ زمزم .

---

1 سواؤنا : سوانا .

2 وحاول في ل : وعالج .

قالوا : فلمّا كثر بغيُ جرهمٍ بمكّة قام فيهم مُضاض بن عمرٍو بنِ الحارث بن مضاض فقال : يا قوم احذَرُوا البغيَ ، فإنّه لا بقاء لأهله ، وقَدْ رأيتم مَن كان قبلكم من العماليق استخفُّوا بالحَرَمِ ولَم يعظِّموه وتنازعوا بينَهم واختلفوا ، حتّى سلّطكم الله عليهم فاجتحتموهم[1] فتفرّقوا في البلاد ، فلا تستخفُّوا بحقِّ الحرمِ وحُرمةِ بيت الله ، ولا تظلموا مَنْ دخَله وجاءه معظِّماً لحُرماته ، أو خائفاً ، أو رغب في جواره ، فإنّكم إنْ فعلتم ذلكم تخوّفْتُ أن تخرجوا منه خروجَ ذُلٍّ وصَغار ، حتّى لا يقدرَ أحدٌ منكم أن يصلَ إلى الحرم ، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حِرزٌ وأمْن ، والطَّيرُ تأمَن فيه .

فقال قائلٍ منهم يقال له مجدع : ومن الذي يُخرجنا منه ؟ ألسنا أعزَّ العربِ وأكثَرَهم مالاً وسلاحاً ؟ فقال مضاض : إذا جاء الأمرُ بَطَلَ ما تذكرون ؛ فقد رأيتم ما صَنَعَ الله بالعماليق ! قالوا : وقد كانت العماليق بَغَتْ في الحرم ، فسلَّطَ الله عَزَّ وجلّ عليهم الذَرّ فأخرجهم منه ، ثم رموا بالجَدْبِ ، وبعث الغيث أمامهم فجعلوا يطلبونه فلا يجدونه ويكون أمامهم أبداً فيطلبونه ويساقون من خلفِهم حتّى ردَّهم الله إلى مساقط رؤوسهم ، ثم أرسَل عليهم الطوفان ـ قال : والطوفان : الموت ـ قال : فلمّا رأى مضاض بن عمرو بَغْيَهم ومُقامَهم عليه ، عَمَد إلى كنوز الكعبة ، وهي غزالانِ من ذهبٍ ، وأسيافٌ قَلَعية[2] ، فحفر لها ليلاً في موضع زمزم ، ودفنها . فبيناهمْ على ذلك إذ سارت القبائلُ من أهلِ مأرِب ، ومعهم طريفة الكاهنة ، حين خافوا سَيلَ العِرم ، وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلانَ بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان . فقالت لهم طرَيفة لمّا قاربوا مكّة : «وحَقٍّ ما أقول ، وما علّمني ما أقولُ إلاّ الحكيمُ المحكَّم ، ربُّ جميعِ الامَم من عَرَب وعَجَم» . قالوا لها : ما شأنُك يا طريفة ؟ قالت : «خُذُوا البعيرَ الشدقم[3] ، فخضبُوه بالدّم ، تكنْ لكم أرْضُ جُرهم ، جيرانِ بيتِه المحرَّم» . فلمّا انتهوْا إلى مكّة وأهلِها أرسلَ إليهم عمرٌو ابنهُ ثعلبة ، فقال لهم : يا قوم ، إنّا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزِلْ بلدةً إلاّ أفسحَ أهلُها لنا ، وتزحزحوا عَنّا ، فنقيم معهم حتّى نُرسِلَ رُوّاداً فيرتادوا لنا بلداً يَحمِلنا ، فافسَحُوا لنا في بلادكم حتّى نقيمَ قَدْرَ ما نستريح ، ونرسل رُوّادنا إلى الشّام وإلى الشرق ، فحيثُما بَلَغَنا أنّه أمْثَلُ لحِقنا به ، وأرجو أن يكون مُقامنا معكم يسيراً . فأبت ذلك جرهمٌ إباءً شديداً ، واستكبروا في أنفسهم ، وقالوا : لا والله ؛ ما

1 ل : فأخرجتموهم .
2 القلعيّة : نسبة إلى مرج القَلَعة وهو موضع بالبادية ، وقيل بل هو بلد بالهند تنسب إليه السيوف الجياد .
3 الشدقم : الواسع الشدق .

نحبُّ أن تنزِلوا معنا فتضيِّقوا علينا مَرابِعنا[1] ومَواردنا ، فارحَلوا عنّا حيثُ أحببتم ، فلا حاجةَ لنا بجوارِكم . فأرسلَ إليهم : إنّه لا بدّ من المقامِ بهذا البلدِ حولاً ، حتى ترجعِ إليَّ رسلي التي أرسلتُ ، فإن أنزلتموني طَوعاً نزلتُ وحمِدتُكم وآسَيتُكم[2] في الرِّعي والماء ، وإنْ أبيتم أقمتُ على كَرْهكم ثم لم تَرتَعوا معي إلاّ فَضْلاً ، ولم تشربوا إلاّ رَنْقا[3] ، وإنْ قاتلتموني قاتلتكم ، ثمّ إنْ ظَهَرتُ عليكم سَبَيْتُ النساء ، وقتلتُ الرجال ، ولم أترك منكم أحداً يَنزل الحرمَ أبداً ؛ فأبَتْ جرهمٌ أن تُنزِلَه طَوعاً وتَعَبَّتْ لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثةَ أيّامٍ أُفرِغَ عليهم فيها الصبرُ ، ومُنِعوا النصر[4] ، ثم انهزمَتْ جُرهمٌ فلم يُفلِتْ منهم إلاّ الشَّريد . وكان مُضاض بن عمرو قد اعتزلَ حربَهم ولم يُعِنْهم في ذلك ، وقال : قد كنتُ أُحذِّركم هذا . ثم رَحَلَ هو وولدُه وأهلُ بيته حتّى نزلوا قَنَوْنى[5] وما حولَه ، فبقايا جُرهم به إلى اليوم ، وفَنِيَ الباقون ؛ أفناهم السيفُ في تلك الحروب .

قالوا : فلمّا حازت خزاعةُ أَمرَ مكّةَ وصاروا أَهلَها ، جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حربَ جرهم وخُزاعة ، فلم يدخلوا في ذلك . فسألوهم السُّكنى معهم وحَولَهم فأذِنُوا لهم ؛ فلمّا رأى ذلك مضاضُ بن عمرٍو بن الحارث وقد كان أصابه من الصَّبابة إلى مكّةَ أمرٌ عظيم ، أرسل إلى خزاعةَ يستأذنها ، ومَتَّ[6] إليهم برأيه وتوريعه[7] قومه عن القتال ، وسوءِ العشْرة في الحرم ، واعتزالِه الحرب ، فأبَتْ خزاعةُ أن يُقرُّوهم وَنَفَوْهم عن الحرم كلِّه ، وقال عمرو بن لحي لقومه : من وجدَ منكم جرهميّاً قد قاربَ الحَرَمَ فدمُه هَدَر ! فنزعَتْ إبلٌ لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو ، مِنْ قَنَوْنى تريد مكّة ، فخرجَ في طلبها حتّى وجدَ أثرها قد دخلَتْ مكّة ، فمضى على الجِبال نحوَ أجياد ، حتّى ظهَرَ على أبي قُبَيس[8] يتبصّر الإبل في بطن وادي مكّة ، فأبصر الإبلَ تُنحَرُ وتؤكل ولا سبيلَ له إليها ، فخاف إن هبط الوادي أن يُقْتَل ، فولّى منصرِفاً إلى أهلِه وأنشأ يقول : [من الطويل]

كأنْ لم يكن بينَ الحَجُون إلى الصّفا … أَنيسٌ ولم يسمُرْ بمَكّةَ سامرُ

---

1 المرابع : جمع مربع ، وهو مكان الإقامة في الربيع .

2 آساه : ساواه .

3 رنق : كدر .

4 منعوا النصر : لم ينتصر أحد الطرفين على الآخر .

5 قنونى : من أودية السراة .

6 مت : توسل .

7 ورّعه : كفّه .

8 ظهر على أبي قبيس : علاه . وأبو قبيس : جبل بمكّة .

ولم يَتربَّعْ واسِطاً فَجُنوبَه ... إلى المنحَنى من ذي الأُراكة حاضرُ[1]

بَلى نحنُ كنّا أهلَها فأبادنا ... صروفُ اللّيالي والجدود العواثرُ

وأبدلَنا ربّي بها دارَ غُربةٍ ... بها الذئبُ يعوي والعدوُّ المخامرُ[2]

أقولُ إذا نام الخلي ولم أنَم ... أذا العرشِ لا يَبْعَدْ سُهيلٌ وعامرُ

قدْ ابدِلتُ منهم أوجُهاً لا أريدُها ... وحِمْيَرُ قد بُدّلتُها واليُحابِرُ[3]

فإن تَمِلِ الدُّنيا علينا بكَلّها ... ويُصبِحُ شرٌّ بيننا وتشاجُرُ[4]

فنحنُ ولاةُ البيتِ مِن بَعد نابتٍ ... نُمشّي بِهِ والخيرُ إذْ ذاكَ ظاهِرُ

وأنكحَ جدّي خَيْرَ شخصٍ علمتَهُ ... فأبناؤه مِنّا ونحنُ الأصاهرُ[5]

وأخرجَنا منها المليكُ بقدرةٍ ... كذلك ياللّناسِ تجري المقادِرُ

فصرنا أحاديثاً وكُنّا بغِبطةٍ ... كذلك عَضَّتنا السّنونَ الغوابرُ

وَسَحّتْ دموعُ العين تَبكِي لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ أَمْنٌ وفيها المشاعِرُ

ويا ليتَ شعري مَنْ بأجيادَ بعدَنا ... أقامَ بمُفْضى سَيلِه والظّواهِرُ

فبطنُ مِنًى أمسى كأنْ لَم يكنْ بِهِ ... مُضاضٌ ومن حَيّي عديٍّ عمائِرُ[6]

فهل فَرَجٌ آتٍ بشَيْءٍ نُحِبُّه ... وهل جَزَعٌ مُنْجِيكَ مِمّا تحاذِرُ

قالوا : وقال أيضاً : [من البسيط]

يا أيُّها الحيُّ سيرُوا إنّ قَصْرَكُم ... أن تُصبحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا[7]

إنّا كما أنتمُ كُنّا فغيَّرَنا ... دهرٌ بصَرفٍ كما صرنا تصيرونا[8]

أزجُوا المطيَّ وأرخُوا من أزِمَّتها ... قَبْلَ المماتِ وقَضُّوا ما تُقضُّونا

قد مال دهرٌ علينا ثمَّ أهلَكَنا ... بالبَغْي فيه فقد صرنا أفانينا

---

1 واسط وذو الأراكة : موضعان .

2 المخامر في ل : المحاصر . والمخامر : المستتر .

3 اليحابر : أبو قبيلة .

4 كلّها : ثقلها ، وفي رواية : بكلكل .

5 الأصاهر في ل : الأياصر .

6 العمائر : جمع عمارة ، وهي أصغر من القبيلة وأكبر من البطن .

7 قصركم : قصاراكم ، أي نهايتكم .

8 الصرف : واحد صروف الدهر ، وهي نوائبه .

كنّا زماناً ملــوكَ الناسِ قَبلكُــم نأوي بلاداً حرامــاً كان مسكونا

قال الأرزقيّ : فحدّثني محمد بن يحيى قال : حدّثني عبد العزيز بن عمران قال : وخرج أبو سلمة بن عبد الأسدِ المخزوميّ قُبيل الإسلام في نفرٍ من قريش يريدون اليمنَ ، فأصابهم عطشٌ شديد ببعضِ الطريق ، وأمسَوْا على غيرِ الطريق ، فتشاوروا جميعاً ، فقال لهم أبو سلمة : إنّي أرى ناقتي تُنازعني شِقّاً[1] ؛ أفلا أرسِلُها وأتبعها ؟ قالوا : فافعَلْ . فأرسل ناقته وتبعها فأضحَوْا على ماءٍ وحاضِرٍ[2] ، فاستقَوا وسَقَوا ؛ فإنّهم لَعَلى ذلك إذْ أقبلَ إليهم رجلٌ فقال : مَنِ القوم ؟ قالوا : من قريش . فرجَع إلى شجرةٍ أمام الماء فتكلَّمَ عندها بشيء ثم رجع إلينا ، فقال : أينطلق معي أحدُكم إلى رجل نَدْعوه . قال أبو سلمة : فانطلقتُ معه فوقَفَ بي تحتَ شجرةٍ ، فإذا وكر معلّقٌ فصوَّتَ : يا أبتِ ! فزعزع[3] شَيخٌ رأسَه ، فأجابه فقال : هذا الرجل . فقال لي : مِمّن الرجل ؟ قلت : من قريش . قال : من أيّها ؟ قلت : من بني مخزومٍ بن يَقَظة . قال : مِن أيِّهم ؟ قلت : أنا أبو سلمة بن عبدِ الأسد بنِ عبدِ الله بنِ عمرو بن مخزومٍ بن يقظة . قال : أيهات منك ! أنا ويَقظةُ سِنٌّ[4] ، أتدري من يقول : [من الطويل]

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يسمُـر بمكّـة سامـرُ

بَلى نحـنُ كنّـا أهلَهـا فأَبادَنـا صُروفُ الليالي والجدودُ العواثرُ

قلت : لا . قال : أنا قائلها ، أنا عمرو بن الحارث بنِ مضاض الجرهميّ . أتدرِي لِمَ سُمِّي أجيادُ أجياداً ؟ قلت : لا . قال : جادت بالدِّماء يوم التقينا نحن وقَطُوراء ؛ أتدري لِمَ سُمِّي قُعَيْقِعانُ ؟ قلت : لا . قال : لتقعقُع السلاحِ على ظهورِنا لمّا طلعنا عليهم منه .

وأخبرني بهذا الخبر الحِرْميُّ بن أبي العلاء ؛ قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدّثني إبراهيم بن المنذِر الحزاميّ ؛ قال : حدَّثنا عبد العزيز بن عمران ؛ قال حدَّثني راشد بن حفصِ بنِ عمر بنِ عبدِ عوف ، قال : قال أبو سلمة بن عوف : وخرجت في نفرٍ من قريشٍ يُريدون اليمن . وذكر الخبرَ مثلَ حديثِ الأزرقيّ . والله أعلم .

[تغريب ربيعة بن أميّة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا غسان بن عبد العزيزِ بن عبد الحميد أنّ ربيعة بن أُميّة بنِ خَلَفٍ كان قد أدْمَنَ الشرابَ ،

1 شق : جانب .
2 الحاضر : القوم المقيمون على الماء .
3 زعزع : حرّك .
4 أي في سن واحدة .

وشرب في شهر رمضان ، فضرَبه عمرُ رضي الله عنه وغرَّبه إلى ذِي المروةِ ، فلم يزل بها حتَّى تُوُفِّي واستخلِف عثمانُ رضي الله عنه ؛ فقيل له : قد توفِّي عمرُ واستخلِف عثمانُ فلو دَخلتَ المدينة ما ردَّك أَحد . قال : لا والله لا أدخل المدينة فتقولَ قريشٌ قد غرَّبه رجلٌ من بني عديِّ بنِ كعبٍ . فلحِق بالرُّوم وتنصَّرَ ، فكان قيصرُ يَحْبُوه ويُكرِمه ، فأَعقَبَ بها .

قال غسان : حدَّثني أبي قال : قدِم رسولُ يزيد بن معاوية على معاوية من بلادِ الرّومِ ؛ فقال له معاوية : هل كان للناسِ خبر ؟ قال : بينا نحن مُحاصِرون مدينةَ كذا وكذا إذْ سمِعنا رجلاً فصيحَ اللسانِ مُشرِفاً من بين شُرفتينِ من شُرَفِ الحِصن ، وهو يُنشد : [من الطويل]

كأنْ لَم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولَم يسمُر بمكّـةَ سامِـرُ

فقال معاوية : ويحكَ ، ذاك الربيعُ بن أُميّة يتغنّى بشعرِ عمرٍو بن الحارث بن مُضاضٍ الجرهميّ .

[ابن جامع يغني بشعر مضاض]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال ؛ حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : قال لي أبي : مُرْ بالدوابِّ تُسرَجْ سحراً حتّى نَغْدو إلى ابن جامعٍ نستقبلُه بالياسِريةِ[1] بسُحرةٍ لا تأخذْنا الشَّمس . قال : فأمرت بذلك . وركبنا في السحَر فأصبَحْنا دون الياسرية ، وقد طلعَتْ علينا الشَّمس . قال : فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مختضِبٌ وعلى رأسِه ولحيته خِرَقُ الخضابِ ، وإذا بِقدْرٍ تُطبخ في الشّمس ؛ فلمّا نظرَ إلينا رحَّبَ بنا ، وقام إلينا فسلَّم علينا ، ثم دعا بالماء فغسَل رأسه ولحيتَه ، ثم دعا بالغَداء فأُتِيَ بغدائه ، فغَرفَ لنا من تلك القِدْرِ التي في الشمس ؛ فتقزَّزْت وبَشِعتُ[2] من ذلك الطعامِ الذي طُبخ ، فأشار إليَّ أبى : بأنْ كُلْ . فأكلْنا حتّى فَرَغْنا من غَدائنا ، فلمّا غَسلْنا أيديَنا نادى ابنُ جامع : يا غلام هاتِ شرابنا ! فأتي بنبيذٍ في زُكْرةٍ[3] قد كانت الزُّكرة في الشمس ، فكرهت ذلك ، فأشار إليّ أبي ، أنْ لا تمتنعْ ؛ ثم أتَوا بقَدَح جَيشانيّ[4] مِلءِ الكفِّ ، فصُبَّ النبيذُ فيه وهو يُشبه ماءً قد أغلِيَ بالنار ، ثم غَنّى ابنُ جامع فقال : [من الطويل]

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولَمْ يسمُرْ بمكّـة سامِـرُ

---

1 الياسرية : قرية على نهر عيسى قريبة من بغداد . والسحرة : وقت السحر .
2 ل : فتقدمت وكشفت .
3 الزكرة : زق صغير للخمر .
4 جيشاني : نسبة إلى جيشان ، وهو مخلاف باليمن .

بَــلى نحــنُ كنّا أَهلَهــا فأزالَنــا ... صُروفُ الليــالي والجُدودُ العواثرُ

ثم غنّى ، للعرجيّ : [من البسيط]

صوت

لــو أنَّ سلمى رأَتْنا لا يَـراعَ لنا ... لَما هَبَطْنا جميعاً أَبْطُـن السوقِ[1]

وكَشْرَنا وكُبــولُ القَيـنِ تنكوُنا ... كالأُسدِ تَكشِرُ عن أنيابِها الرُّوقِ[2]

ثم تغنّى : [من الوافر]

صوت

أجــرَّرُ في الجوامع كُلَّ يــومٍ ... فيــا للهِ مَظْلِمَتــي وصَبْرِي

ثم أَمر بالرَّحيل . وقد غنّى هذه الثلاثة الأصوات . فقال لي أبي : يا بنيّ بشِعتَ لِما رأيتَ من طعامِ ابنِ جامع وشرابِه ، فعليَّ عِتقُ ما أَملِك إنْ لَم يكن شُربُ الدَمِ مع هذا طيِّباً . ثم قال : أسمِعتَ بنيَّ غِناءً قطُّ أَحسَن من هذا ؟ فقلت : لا واللهِ ما سمعتُ . قال : ثمّ خرج ابنُ جامع حتى نزلَ ببابِ أميرِ المؤمنين الرشيدِ ليلاً ، واجتمع المغنُّون على الباب ، وخرجَ الرسولُ إليهم فأذِنَ لهم ؛ والرشيدُ خلف السِّتارةِ ، فَغَنَّوْا إلى السَّحَر ؛ فأعطاهم أَلفَ دينارٍ إلاّ ابنَ جامع فلم يعطِهِ شيئاً ، وانصرفوا متوجعين له ، وعَرَضُوا عليه جميعاً فلم يقبل ؛ وانصرفوا ، فلمّا كان في الليلة الثانية دُعُوا فغنَّوا ساعةً ، ثم كُشِفت الستارة ، وغنّى ابن جامعٌ صوتاً عَرَّض فيه بحالِهِ وهو : [من الطويل]

صوت

تقولُ أَقِــمْ فينا فقيراً ومــا الذي ... تَـرى فيــه ليـلى أن أُقيمَ فقيرا

ذَريني أَمُتْ يا ليل أو أكسِبَ الغنى ... فإنّــــي أَرى غَيرَ الغنــيِّ حقيرا

يُدَفَّــع في النادي ويُرفَض قولــه ... وإن كان بــالرأي السَّديدِ جديرا

ويُلزَمُ مــا يَجني سواه وإن يُطِفْ ... بذنبٍ يكــن منــه الصغيرُ كبيرا

قالوا : فأعجَبَ الرّشيدَ ذلك الشعرُ واللحنُ فيه ، وأَمال رأسَه نحوه كالمستدعي له . وغنَّاه أيضاً : [من الطويل]

---

1 اليراع : الضعاف من الغنم وغيرها .

2 الكشر : بدو الأسنان في الفحل وغيره ، وكشر السبع عن نابه إذا هرّ الحراش وكشر فلان لفلان إذا تنمّر له وأوعده . والكبول : القيود . والقين : الحداد . وتنكوُنا : تجرحنا . والروق : جمع أروق وهو الذي طالت أسنانه العليا على السفلى .

صوت[1]

لئن مِصرُ فاتَتْنِي بما كنتُ أرتجِي وأخلَفَنِي منهـا الذي كنتُ آمُلُ[2]
فما كلُّ مـا يَخشى الفتى نازِلٌ بِهِ ولا كُلُّ مـا يرجو الفتى هو نائلُ
وواللهِ مـا فرّطت في وجـهِ حِيلةٍ ولكنَّ مـا قـد قَـدَّر اللهُ نازلُ
وقد يَسْلَم الإنسانُ من حيث يتّقِي ويُؤتى الفتى مِن أمنِـهِ وهو غافِلُ

ثم أُمروا بالانصراف فانصرفوا ، فلمّا بلغوا السِّتْرَ صاح به الخادم : يا قرشيُّ مكانَك . فوقَف مكانَه فخرج إليه بخِلَع وسبعةِ آلاف دينار ، وأُمِرَ إنْ شاء أن يقيم ، وإنْ شاء أن ينصرف .

[جرهمية تغنّي بشعر مضاض]

أُخبرني الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال : ذكر الكلبيّ عن أبيه : أنّ الناس بينا همُ في ليلةٍ مُقْمِرَةٍ في المسجد الحرام ، إذْ بصرُوا بشخصٍ قد أَقبلَ كأنَّ قامتَه رُمح ؛ فهَرَبوا من بين يديه وهابوه ؛ فأقبل حتى طاف بالبيت الحرامِ سبعاً ثم وقف فتمثَّل : [من الطويل]

كأنْ لَم يكُنْ بين الحَجون إلى الصَّفا أنيسٌ ولَـم يسمُرْ بمكّـةَ سامِـرُ

قال : فأتاه رجلٌ من أَهل مكّة ؛ فوقف بعيداً منه ثم قال : سألُتك بالذي خَلقكَ أجِنيٌّ أنتَ أم إنسيّ ؟ فقال : بل إنسيّ ، أنا امرأةٌ من جُرهمٍ ، كنّا سُكّانَ هذه الأرض وأهلَها ، فأزالَنا عنها هـذا الزّمـانُ الذي يُبلِي كُلَّ جديد ويغيِّره ! ثم انصرفَتْ خارجةً عن المسجدِ حتّى غابت عنهـم ، ورَجعوا إلى مواضعهم .

أُخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أَبي عن جدّي قال : قال لي يحيى بن خالدٍ يوماً : أُخبِرك برؤيا رأيتها ؟ قلت : خيراً رأيتَ . قال : رأيتُ كأنّي خرجتُ من داري راكِباً ، ثم التفتُّ يميناً وشِمالاً فلَم أَرَ معي أحداً ، حتّى صرت إلى الجسر ، فإذا بصائح يَصيح من ذلك الجانب : [من الطويل]

كأنْ لَم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا أَنيسٌ ولَـم يسمُرْ بمَكّـةَ سامِـرُ

فأجبتُه بقوله : [من الطويل]

بـلى نحـنُ كنّا أَهلَهـا فأبادَنا صُروفُ اللّيـالي والجدودُ العواثرُ

فانصرفتُ إلى الرشيد فغنَّيتُه الصوتَ ، وخبّرتُه الخبر ، فعجِبَ منه . وما مضَت الأيّام حتّى أوقعَ بهم .

---

1 الأبيات لأبي دهمان الغلابي كما جاء في البيان والتبيين 2 : 291 .

2 فاتتني في ل : عنتني .

صوت[1]

[من الخفيف]

شاقَنــي الزائراتُ قَصْرَ نُفَيْسٍ مُثْقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البُطونِ

يتربَّعنَـــه الربيــعَ ويَنْزِلْـــنَ إذا صِفْنَ منزلَ الماجِشونِ

يتربَّعْنَـه : يَنْزِلْنَـه في أيّام الربيع . يقال لمنزِل القومِ في أيّام الرّبيع : مُتَربَّعهم . قال الشاعر :

[من الطويل]

أَمِن آلِ ليلى بالمَــلا متربَّــعُ كما لاحَ وشمٌ في الذِّراعِ مُرجَّعُ[2]

[ألقاب سُكينة]

والماجِشونُ : رجلٌ من أهل المدينة يُروى عنه الحديث . والماجِشونُ لَقَبٌ لقَّبته به سُكينةُ بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عليهم السلام ، وهو اسمُ لونٍ من الصِّبغ أصفرَ تخالطُه حمرة ؛ وكذلك كان لونَه . ويقال : إنّها ما لَقَّبَتْ أحداً قطُّ بلقبٍ إلاّ لُصِقَ به .

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا مصعبٌ الزُّبيريُّ ، قال : حدَّثني ابن الماجشون ، قال : نظَرْت سُكينَةُ إلى أبي ، فقالت : كأنَّ هذا الرجلُ الماجشونُ ، وهو صِبغٌ أصفرُ تخالطه حُمرة ، فلُقِّب بذلك .

قال عبد العزيز : ونظرَتْ إلى رجلٍ من ولدِ عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه وكانت فيه غِلْظة ، فقالت : هذا الرجل في قريشٍ كالشِّيرَجِ في الأدهان ! فكان ذلك الرجلُ يسمَّى : فلانُ شِيرَجٍ حتّى مات .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لإبراهيم الموصِليّ . خفيف رمل مطلق في مجرى البِنصر ، وفيه لبصبص جاريةِ ابنِ نُفَيسٍ التي قِيل هذا الشعر فيها : رمل . وذكر حبش أن لها فيه أيضاً ثقيلَ أوّل بالوسطى .

---

1 لم نعثر على البيتين في ديوانه .

2 مرجع : وشم مرة بعد مرة .

[278] ـ ذكر أخبار بَصْبص جاريةِ ابن نُفَيسٍ[1] وأخبارها

كانت بصبصُ هذه جاريةً مولَّدة من مولَّدات المدينة ، حُلوَة الوجهِ ، حَسَنة الغِناء ، قد أخذَتْ عن الطبقةِ الأولى من المغنِّين ، وكان يحيى بن نُفَيْسٍ مولاها ، وقيل نفيس بن محمدٍ ، والأوّل أصحّ ، صاحبَ قِيانٍ يَغْشاه الأشراف ، ويسمعون غناءَ جواريهِ ، وله في ذلك قصصٌ نذكرها بعد ، وكانت بصبصُ هذه أنفَسَهنّ وأشدَّهنّ تقدّماً .

[والدة علية بنت المهدي]

وذكر ابن خُرداذبه : أنَّ المهديَّ اشتراها وهو وليُّ العهد سِرّاً من أبيه بسبعةَ عشرَ ألفَ دينار ، فولدت منه عُلَيّةَ بنتَ المهديّ .

وذكر غيرُه أنّ ابن خُرداذبه غَلِط في هذا ، وأنّ الذي صَحَّ أنّ المهديَّ اشترى بهذه الجملة جاريةً غيرَها ، وولدت عُلَيّة .

وذكر هارون بن محمدِ بنِ عبدِ الملك الزياتِ : أن ابن القداح حدّثه قال : كانت مكنونة جاريةُ المروانيّةِ ، وليست من آل مروان بن الحكم ؛ وهي زوجةُ الحسين بن عبد الله بن العبّاس ، أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهاً ، وكانت رَسحاء[2] ، وكان بعضُ مَن يُمازِحها يعبَثُ بها ، ويصيح : طَسْت طست ! وكانت حسنةَ الصَّدرِ والبطنِ ، وكانت تُوضِح بهما[3] ، وتقول : ولكن هذا ! فاشتريت للمهديّ في حياة أبيه بمائة ألفِ درهمٍ فغلبَتْ عليه ، حتّى كانت الخيزرانُ تقول : ما ملك أَمَةً أغلَظ عليّ منها . واستتر أمرُها على المنصور حتّى مات . وولدت من المهديّ عُلَيَّةَ بنت المهديّ .

والذي قال ابنُ خُرْداذبه غير مردودٍ إذا كان هذا صحيحاً .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بنِ إسحاق عن أبيه عن عُزَيرِ بنِ طلحة قال : اتَّعَدَ[4] محمد بن يحيى بن زيدِ بن عليّ بنِ الحسين ، وعبد الله بن يحيى بنِ عَبّادِ بن عبدِ الله بن الزُّبير ،

---

1 ضبط في معجم البلدان «نفيس» بفتح فكسر ، 5 : 297 .

2 رسحاء : ضئيلة العجز والفخذين .

3 توضح : تتباهى .

4 اتعد : تواعد .

وعبد الله بن مصعب الزُّبيريّ ، وأبو بكر بن محمدِ بنِ عثمان الربعيّ ، ويحيى[1] بن عقبة ، أن يأتوا بَصْبَص جاريةَ ابنِ نُفَيسٍ ، فعجِلَ محمد بن يحيى ، وكان من أصحاب عيسى بن موسى ، ليَخرُجَ إلى الكوفةِ ، فقال عبد الله بن مصعب : [من السريع]

أرائحٌ أنتَ أبا جعفرٍ ... من قبلِ أن تَسمع مِنْ بَصْبَصا
هيهاتَ أن تَسمع منها إذا ... جاوَزَت العِيسُ بِكَ الأعوصا[2]
فخُذْ عليها مجلسَيْ لذّةٍ ... ومجلساً مِنْ قَبلِ أن تَشْخَصا
أحلِفُ بالله يميناً ومَنْ ... يحلِفُ بالله فقد أَخْلَصا
لو أنَّها تدعُو إلى بَيْعةٍ ... بايعتُها ثمّ شققتُ العصا

قال : وفيها غِناء لبصبص . قال : فاشتراها سابق أبو غسّان مولى منيرة للمهديّ بسبعة عشر ألفَ دينار .

قال حمّاد : وحدَّثني أبي عن الزُّبير أنّ عبد الله بن مصعبٍ خاطب بهذا الشعرِ أبا جعفرٍ المنصورَ لمّا حجّ فاجتاز بالمدينة منصرفاً من الحجّ ، لا أبا جعفر محمد بن يحيى بنِ زيد .

أُخبرني إسماعيل بن يونُس الشِّيعيّ إجازة قال : حدّثنا عُمَر بن شبّة قال : حدَّثني محمد بن سلامٍ قال : حدَّثني موسى بن مِهْران قال : كانت بالمدينة قَينةٌ لآلِ نُفيسِ بن محمدٍ يقال لها بَصْبَص ، وكان مولاها صاحبَ قصرِ نُفَيسٍ الذي يقول فيه الشاعر : [من الخفيف]

شاقَني الزائراتُ قَصْرَ نُفيسٍ ... مُثقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البُطونِ

قال : وكان عبد اللهِ بنِ مصعَب بن ثابت بنِ عبد الله بن الزُّبير يأتيها ، فيسمعُ منها ، وكان يأتيها فِتْيانٌ من قريشٍ فيسْمَعون منها ، فقال عبد الله بن مصعب حين قدِم المنصور منصرفاً من الحجّ ومرَّ بالمدينةِ يذكر بصبص : [من السريع]

أراحِلٌ أنتَ أبا جعفرٍ ... مِن قبلِ أن تَسمع مِن بصبصا

وذكر الأبيات ، فبلغت أبا جعفرٍ ، فغضب فدعا بهِ ؛ فقال : أما إنّكم يا آلَ الزُّبيرِ قديماً ما قادتكم النساء ، وشَقَقتم مَعَهنَّ العصا ، حتّى صرتَ أنتَ آخرَ الحمقى تُبايع المغنّياتِ ، فدونكم يا آل الزُّبيرِ هذا المرتَعَ الوخيم .

قال : ثمّ بلغ أبا جعفرٍ بعد ذلك أنَّ عبد الله بن مصعبٍ قد اصطَبح مع بصبصَ وهي تغنّيه بشعره : [من السريع]

1 ل : يعلى .
2 الأعوص : موضع قرب المدينة .

صوت

إذا تمـــزَّزتُ صُراحيّــــةً كمثلِ ريحِ المسكِ أو أطيبُ[1]
ثـــم تَغَنَّـــى لِـــي بأهزاجِهِ زيـدٌ أخو الأنصار أو أشعَبُ
حسبتُ أنّـــي مالـكٌ جالسٌ حَفَّتْ بِـهِ الأملاك والموكِبُ
فـــلا أبالِـــي وإلـــهِ الـــوَرى أشرَّقَ العالَـمُ أم غَرَّبـــوا

الغناء لزيدٍ الأنصاريّ ، هزجٌ مطلقٌ في مَجرى الوسطى عن الهشاميّ وغيره ، وذكر غيرُه أنّه لأشعَبَ . فقال أبو جعفر : العالَمُ لا يبالون كيف أصبحتَ وكيف أمسيت .

[المنصور يجيز الحادي درهماً]

ثم قال أبو جعفرٍ : ولكنّ الذي يعجبني أن يَحدُوَ بي الحادِي الليلةَ بشعرِ طريفٍ العنبريّ ، فهو آلَفُ في سمعي من غناء بَصبصَ ، وأحرى أن يختاره أهلُ العقلِ . قال : فدعا فلاناً الحادِيَ ، قد ذكره وسقط اسمه ، وكان إذا حدا وضَعت الإبل رؤوسها[2] لصوتِه وإنقادَت انقياداً عجيباً ، فسأله المنصورُ : ما بلغَ من حُسن حُدائه ؟ قال : تُعطَّش الإبلُ ثلاثاً أو قال خمساً وتُدنى من الماء ، ثمّ أحدو فتتبع كلُّها صوتي ، ولا تقرَب الماء . فحُفِظَ الشعرُ ، وكان : [من الكامل]

إنّي وإن كان ابن عمّي كاشحاً لَمُزاحِـمٌ مِن دُونِـهِ ووَرائِهِ[3]
ومُمِدُّهُ نصرِي وإنْ كان امـرءاً متزحزِحـاً في أرضِهِ وسمائِهِ[4]
وأكونُ مـأوى سِرّه وأصونُه حتّى يَحِـقَّ عليّ يـومُ أدائِهِ
وإذا أتى مـن غَيبِـهِ بطَريفةٍ لَم أطَّلِـعْ مـاذا وراءَ خِبائِهِ
وإذا تَحيَّفتِ الحـوادثُ مالَـه قُرِنَتْ صحيحَتُنـا إلى جَربائِهِ
وإذا تَرَيَّشَ في غِنـاه وفَرتُـه وإذا تَصعلَكَ كنتُ من قرنائِهِ
وإذا غدا يومـاً ليركب مَركَباً صَعباً قعدتُ له على سِيسائِهِ[5]

فلمّا كان الليلُ حدا به الحادِي بهذه الأبيات ، فقال : هذا واللهِ أحَثُّ على المروءة وأشبه بأهلِ الأدَبِ من غِناء بَصبص . قال : فحدا به ليلته أجمع ، فلمّا أصبح قال : يا ربيعُ أعطِه

1 الصراحية : الخمر الخالصة .
2 وضعت رؤوسها : خفضتها .
3 كاشح : مضمر العداوة .
4 متزحزح : بعيد .
5 السيساء : الظهر .

درهماً . فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ حدوتُ بهشامِ بنِ عبدِ الملك ، فأَمَرَ لِي بعشرين ألف درهمٍ وتأمر أنت بدرهمٍ ! قال : إنّا لله ! ذكرتَ ما لم يجب أن تذكره ؛ ووصفتَ أنّ رجلاً ظالماً أخذ مالَ اللهِ من غير حِلِّه ؛ وأنفقَهُ في غير حقِّهِ ؛ يا ربيع اشدُد يديكَ به حتّى يردّ المال . فبكى الحادي ، وقال : يا أمير المؤمنين قد مضت لهذا السِّنون ، وقُضِيت به الديون ، وتمزّقَتْه النّفقاتُ ؛ ولا والذي أكرمَكَ بالخلافةِ ما بَقِيَ عندي منه شيء . فلَم يزلْ أهله وخاصّته يسألونه حتّى كفَّ عنه ، وشرَطَ عليه أن يحدوَ به ذاهِباً وراجعاً ، ولا يأخُذَ منه شيئاً .

[رهان بصبص على مزبد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة قال : حدَّثني القاسم بن زيدٍ المدينيّ قال : اجتمع ذاتَ يوم عند بصبصَ جارية ابنِ نُفَيسٍ عبد الله بن مصعب الزُّبيريّ ومحمد بن عيسى الجَعفريّ ، في أشراف من أهل المدينة ، فتذاكَروا مُزَبِّداً المدينيَّ صاحبَ النوادر وبُخْلَه ، فقالت بصبصُ : أنا آخذُ لكم منه درهماً . فقال لها مولاها : أنت حُرّةٌ لئن فعلتِ إنْ لم أشترِ لكِ مخنقة[1] بمائة دينارٍ وإنْ لَم أشترِ لك ثوبَ وشيٍ بما شئتِ ؛ وأجعَلْ لكِ مجلِساً بالعقيقِ أنْحَرُ لك فيهِ بَدَنة[2] لم تُقْتَبْ[3] ولَم تُركَب . فقالت : جيءْ به وارفَعْ عنّي الغَيرة . فقال : أنتِ حُرّة أنْ لو رَفَع برجلَيْكِ لأعنتهُ على ذلك . فقال عبد الله بن مصعب : فصلَّيت الغداةَ في مَسجدِ المدينةِ ، فإذا أنا به ، فقلت : أبا إسحاقَ ، أما تحبُّ أن ترى بَصبصَ جارية ابنِ نُفَيس ؟ فقال : امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً عليَّ فيها ، وإن لَم أكُنْ أسألُه أن يُرِينِيها منذُ سنة فما يَفعل . فقلت له : اليومَ إذا صلّيتَ العصر فَوافِنِي ههنا . قال : امرأته طالقٌ إن بَرِحْت من ههنا حتّى تجيءَ صلاةُ العصر . قال : فتصرَّفتُ في حوائجي حتّى كانت العصر ، ودخلْتُ المسجد فوجدتُه فيه ، فأخذتُ بيده وأتيتُهم به ، فأكلوا وشَرِبوا ، وتساكَرَ القومُ وتناوَموا ، فأقبلتْ بصبصُ على مُزَبِّدٍ ، فقالت : أبا إسحاق ، كأنَّ في نفسك تشتهي أن أُغَنِّيكَ الساعة : [من مجزوء الوافر]

لقَـد حَثُّوا الجِمالَ ليَهْـ ـرَبُوا منّـا فلَم يَئِلوا

فقال : زوجتُه طالقٌ إن لم تكوني تعلمين ما في اللَّوح المحفوظ ! قال : فغنَّتْه ساعةً ثم مكَثَتْ ساعةً فقالت : أبا إسحاق كأنَّ في نفسِكِ تَشتَهِي أن تقومَ من مجلسك فتجلسَ إلى جانبي فتقرُصَني قَرَصاتٍ ، وأُغَنِّيَك : [من البسيط]

1 مخنقة : قلادة .

2 البدنة : الواحدة من الإبل والبقر .

3 الأقتاب : وضع القتب على البعير ، وهو الرحل .

قالتْ وأبثثتها وجدي فبُحْتُ بهِ ... قد كنتَ قِدَماً تحبُّ السَّتْرَ فاستترِ
ألستَ تُبصِرُ مَن حَولي فقلتُ لها ... غَطّى هواكِ وما أُلقى على بصري

فقال : امرأته طالق إن لَم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسِبُ الأنفُس غداً ، وبأيِّ أرضٍ تموت ! فغنّته ثم قالت : بَرِحَ الخفاءُ[1] ، أنا أعلم أنّك تشتهي أن تقبّلني شَقَّ التِّين وأغنِّيَكَ هَزَجاً : [من الهزج]

أنـا أبصرتُ بالليـلِ ... غُلامـاً حَسَنَ الدَّلِّ
كغصنِ البان قد أصـ ... ـبَحَ مسقِيّاً من الطلِّ

لم يُذكَر صانعُه ، وهو هَزَجٌ على ما ذكر .

فقال : أنتِ نبيّةٌ مُرسَلة ! فقبّلها فغنّته ثم قالت : أبا إسحاق ، أرأيتَ أسْقَطَ مِن هؤلاء ! يَدْعُونَكَ ويُخرِجونني إليك ولا يشترون رَيحاناً بدرهم ، أي أبا إسحاق ؛ هلُمَّ درهماً نشتري به ريحاناً ! فوثَبَ وصاح : واحَرَباه ، أيْ زانيةُ ، أخطأتِ استُكِ الحُفرة[2] ، انقَطَعَ واللهِ عنك الوحي الذي كان يُوحى إليك ! وعَطعط القوم بها ، وعَلِموا أنَّ حيلتها لم تَنفُذْ عليه ، ثمّ خَرجوا فلَم يَعُدْ إليها ، وعاودَ القومُ مجلسَهم ، فكان أكثرَ شغلِهم فيه حديثُ مزبِّدٍ معها والضَّحِكِ منه .

[غزل ابن أبي الزوائد في بصبص]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملكِ الزيّات : أنشدني الزُّبير بن بكّار ، قال : أنشدني غُرَير بن طَلحة لابن أبي الزوائد ، وهو ابن ذي الزوائد ، في بصبص : [من السريع]

بَصْبَصُ أنتِ الشمسُ مُزدانـةً ... فـإنْ تبذَّلـتِ فأنـتِ الهلالْ
سُبحانَكَ اللّهـمَّ مـا هكـذا ... فيما مضى كان يكونُ الجَمالْ
إذا دَعَـتْ بالعُـود في مَشهدٍ ... وعاونَتْ يُمنى يَدَيهـا الشِّمالْ
غنَّـتْ غنـاءً يستفزُّ الفَتـى ... حِذقاً وزان الحِذقَ منها الدَّلالْ

قال هارون : قال الزُّبير : وأنشدَني غُرَير أيضاً لنفسه يهجو مولاها : [من البسيط]

يا ويحَ بصبصَ من يَحيى لقد رُزِقَتْ ... وجهاً قبيحاً وأنفاً من جَعاميسِ[3]

1 المثل «برح الخفاء» في مجمع الميداني 1 : 95 وجمهرة العسكري 1 : 27 و205 ومستقصى الزمخشري 2 : 7 وفصل المقال : 61 .
2 المثل «أخطأت استه الحفرة» في مجمع الميداني 1 : 245 .
3 الجعاميس : جمع جعموس ، وهو الرجيع .

يمُجُّ من فيهِ في فيها إذا هجعَت ريقـاً خبيثاً كأرواح الكرابيسِ[1]

[هوى محمد بن عيسى بها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني عمِّي قال : هَوِيَ محمدُ بن عيسى الجعفريُّ بصبصَ جارية ابنِ نُفَيس ، فهام بها وطال ذلك عليه فقال لصديق له : لقد شَغَلَتْني هذه عن صَنعتي وكلِّ أمري ، وقد وجدتُ مَسَّ السُلوِّ فاذهبْ بنا حتّى أُكاشفَها بذلك فأستريح . فأتياها فلمّا غنَّتْ لهما قال لها محمد بن عيسى : أتغنِّين : [من الوافر]

وكنتُ أُحبُّكم فسلوتُ عنكم عليكُـمُ في ديارِكُم السَّلامُ

فقالت : لا ولكنِّي أُغنِّي : [من الوافر]

تحمَّـلَ أهلُهـا عنهـا فبانـوا عَلى آثارِ مَـن ذهَـبَ العفاءُ[2]

فاستحيا وازدادَ بها كلَفاً ، ولها عِشْقاً ، فأطرَقَ ساعةً ثم قال : أتغنِّين : [من الطويل]

وأخضَعُ بالعُتبى إذا كنتُ مذنِباً وإن أذنبَتْ كنتُ الذي أتنصَّلُ

قالت : نعم وأُغنِّي أحسَنَ منه : [من الطويل]

فإن تُقْبِلوا بـالوُدِّ نقبلْ بمثلِهِ ونُنْزِلْكـم منّـا بأقـربِ مَنزِلِ

قال : فتقاطَعا في بيتين ، وتواصَلا في بيتين . وفي هذه الأبياتِ الأربعةِ غناءٌ كان محمد قريضٍ ، وذُكاءُ ، وغيرهما ممّن شاهدنا من الحُذَّاق يغنُّونَه في الابتداءين لحنينِ من الثقيل الأوّل ، وفي الجوابَينِ لحَنين من خفيف الثقيل ، ولا أعرف صانِعَهما .

[طرب أبي السائب لغنائها]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني هارون بن محمد بنِ عبدِ الملك قال : حدَّثني أبو أيّوب المدينيّ عن مُصعبٍ قال[3] : حضَرَ أبو السائبِ المخزوميّ مجلساً فيه بصبصُ جاريةُ يحيى بنِ نُفَيس ، فغنّت : [من المنسرح]

قلبـي حبيسٌ عليكِ موقـوفُ والعينُ عَبرى والدَّمعُ مذروفُ
والنَّفْسُ في حسرةٍ بغُصَّتِهـا قـد شَفَّ أرجاءَها التَّساويفُ
إن كُنتِ بالحسنِ قد وُصِفْتِ لنا فإنَّنـي بالهـوى لَموصُوفُ

---

1 أرواح : جمع ريح . والكرابيس : جمع كرباس ، وهو الكنيف .

2 البيت لزهير .

3 أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر (9 : 41) .

يا حسرتا حسرةً أموتُ بِهـا إن لَم يكنْ لِي لديك معروفُ

قال : فطرِب أبو السائبِ ونَعَر ، وقال : لا عَرَفَ الله قدْرَه إن لَم أعْرِفْ لَكَ معروفَكِ . ثم أخذ قِناعَها عن رأسِها وجعَلَه على رأسِهِ ، وجعل يَلطِمُ ويبكي ، ويقول لها : بأبي واللهِ أنتِ ، إنِّي لأرجو أن تكوني عندَ الله أفضلَ من الشُّهداء ، لِما تُولِيناهُ من السّرورِ ، وجعل يَصيح ، واغوثاه ! يا للهِ لِما يَلقى العاشقون .

[فتى ينسى أن يلبس نعله]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدَّثني أبو بكر العامريّ قال حدَّثني عمرو بن عبد الله البصريّ قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى عن عثمانَ بنِ محمد الليثيّ قال : كنت يوماً في مجلسِ ابن نُفَيسٍ ، فخرجَتْ إلينا جاريتُه بَصبص ، وكان في القوم فتًى يحبُّها ، فسألَتْهُ حاجة ، فقامَ ليأتيها بها ، فنسِيَ أن يَلبَس نَعلَه ، ومَشى حافياً ؛ فقالت : يا فلان ، نسيتَ نَعلك . فرجع فلبسها وقال : أنا والله كما قال الأوّل : [من الطويل]

وحُبُّكِ يُنسِيني عن الشَّيء في يدي ويَشْغَلُنـي عـن كلِّ شيءٍ أُحاوِلُهْ

فأجابته فقالت : [من الطويل]

وبِي مثلُ مـا تشكوه منِّي وإنَّني لأُشفِق من حُـبٍّ أَراكَ تزاولُـهْ

صوت

[من المنسرح]

يَشتاقُ قلبي إلى مليكـة لـو أمسَتْ قريبـاً مِمّـن يطالبُها
ما أحسَنَ الجِيدَ من مُلَيكة والـ ـلَّبَّاتِ إذ زانهـا تـرائبُها
يـا لَيْتَني ليلـةً إذا هجع الـ ـنَّاسُ ونـامَ الكلابُ صاحبُها
في ليلـةٍ لا يُرى بهـا أحـدٌ يَسعـى علينـا إلاّ كـواكبها

الشعر لأحيحة بن الجلاحِ ، والغناء لابن سريج . رملٌ بالخِنْصر في مجرى البِنصِر . وفيه لحنٌ لمالكٍ من رواية يونس .

[279] ـ ذكر أحيحة بن الجُلاح ونسبه وخبره[1]
والسبب الذي من أجله قال الشعر

[نسبه]

هو أُحيحة بن الجُلاح بن الحَريش بن جَحْجَبى بنِ كُلْفَة بن عوفِ بنِ عمرو بن عوفِ بنِ مالك بن الأوسِ . ويكنى أحيحةُ أبا عمرو .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّارٍ قال : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبدِ العزيزِ قال : ركِب الوليد بن عبدِ الملكِ إلى المساجد ، فأَبى مَسجِدَ العُصْبة[2] ، فلمّا صلَّى قال للأحوصِ : يا أحوَصُ أينَ الزَّوراء التي قال فيها صاحبُكم : [من البسيط]

إنِّي أُقِيمُ على الزَّوراء أعْمُرُها ... إنَّ الكريمَ على الإخوانِ ذُو المالِ
لها ثلاثُ بِئارٍ في جَوانِبِها ... في كلِّها عُقَبٌ تسقى بأقبالِ[3]
استغْنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذو نشبٍ ... من ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ

قال الزُّبير : العُقَب الذي في أوّل المالِ عند مَدخَلِ الماء ، والطلب الذي في آخره . قال : فأشار له الأحوص إليها وقال : ها هي تلك ، لو طَوَّلتَ لأشقَرِك هذا لجالَ عليها ، فقال الوليد : إنّ أبا عمرٍو كان يراه غنيّاً بها . فعَجب الناسُ يومئذٍ لعنايةِ الوليدِ بالعِلْم ، حتَّى علمَ أنّ كنية أحيحة أبو عمرٍو .

وفي بعض هذا الشعرِ غناء ، وهو : [من البسيط]

صوت

استَغْنِ أو مُتْ ولا يغررك ذُو نَشَبٍ ... من ابن عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ
يَلْوُونَ ما لهم عن حقِّ أقربِهمْ ... وعَنْ عشيرتِهم ؛ والحقُّ للوالي[4]

غَنَّاه الهُذَلي رَملاً بالوسطى من روايةِ الهشاميّ وعَمرِو بن بانة .

---

1 لأحيحة بن الجلاح ترجمة في خزانة البغدادي 3 : 357–359 وأنظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 9 : 721–723 وأعلام الزركلي . وهو قائل المثل : «إنّ البيع مرتخص وغال» في مجمع الميداني .

2 العصبة : دار بني جحجبى .

3 بئار : جمع بئر . وأقبال الجداول : رؤوسها وأوائلها .

4 يلوون : يجحدون .

[سبب قول أحيحة هذا الشعر]

وأمّا السَّببُ في قول أحيحةَ هذا الشعرَ فإنّ أحمد بن عبيدٍ المكتِّب ذكر أنّ محمد بن يزيدَ الكلبيّ حدّثه ، وحدّثه أيضاً هشامُ بن محمد عن الشَّرقيّ بن القَطاميّ قال هشام : وحدَّثني به أبي أيضاً .

قال : وحدَّثني رجلٌ من قريش عن أبي عبيدةَ بن عمَّارِ بن ياسرٍ ، قال : وحدَّثني عبد الرحمن بن سليمان الأنصاريّ ، قالوا جميعاً : أقبَلَ تبّعٌ الأخير وهو أبو كِربِ بن حسّان بن أسعد الحميريّ ، من اليمن سائراً يريد المشرق كما كانت التَّبابعة تفعل ، فمرّ بالمدينةِ فخلّفَ بها ابناً له ، ومضى حتّى قدم الشّامَ ، ثم سار من الشام حتّى قدِم العراقَ فنزل بالمشقّرِ[1] ، فقُتِل ابنه غِيلةً بالمدينة ، فبلغه وهو بالمشقَّر مقتلُ ابنِهِ ، فكرَّ راجعاً إلى المدينة وهو يقول : [من الكامل]

يـا ذا مُعاهِرَ مـا تَزالُ تَرُودُ رَمَـدٌ بعينكَ عادهـا أم عُودُ[2]
منعَ الرُّقادَ فما أغمِّضُ ساعةً نَبَـطٌ بيثربَ آمنـون قُعودُ
لا تَستقي بيدَيْكَ إنْ لم تلقها حَرْبـاً كأنَّ أشاءهـا مجرودُ[3]

ثم أقبلَ حتّى دخل المدينةَ وهو مُجمِعٌ على إخرابها وقطعِ نخلِها ، واستئصالِ أهلِها ، وسبي الذرِّية ؛ فنزل بسفح أُحُدٍ فاحتفر بها بئراً ، فهي البئرُ التي يقال لها إلى اليوم بئر المَلِك ، ثم أرسل إلى أشرافِ أهل المدينةِ ليأتوه فكان فيمن أرسَلَ إليه زيدٌ بن ضُبيعة بن زيد بن عمرو بنِ عوف ، وابن عمّه زيد بن أميّة بنِ زيدٍ ، وابن عمِّه زيد بن عبيدِ بنِ زيدٍ ، وكانوا يسمَّوْن الأزيادَ ، وأحيحةٌ بن الجلاحِ ؛ فلمّا جاء رسولُه قال الأزياد : إنّما أرسَلَ إلينا ليملِّكنا على أهلِ يثرب . فقال أحيحة : واللهِ ما دعاكم لخيرٍ ! وقال : [من الرمل]

ليتَ حَظِّي من أبي كربٍ أنْ يَـرُدَّ خَيْـرُهُ خَبَلَهْ

فذهبَتْ مثلاً[4] . وكان يقال : إنّ مع أحيحة تابعاً من الجنّ يُعلِمه الخَبَر لكثرةِ صوابِهِ ؛ لأنَّه كان لا يظُنُّ شيئاً فيخبر به قومَه إلاّ كان كما يقول . فخرجوا إليه ، وخرج أحيحةُ ومعه قَينةٌ له ، وخِباء وخمر ، فضَرب الخباءَ وجَعل فيه القينةَ والخمر ، ثم خرج حتّى استأذن على تُبّع ، فأذِن له ، وأجلسَه معه على زِرْبِيّةٍ[5] تحته ، وتحدَّث معه وسأله عن أموالِهِ بالمدينة ؛ فجعل

1 المشقر : حصن بالبحرين .
2 ذو معاهر : من أقيال اليمن .
3 الأشاء : صغار النخل . ومجرود : جرد عنه الخوص .
4 هذا المثل في مجمع الميداني 2 : 192 وفصل المقال : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 302 وجمهرة العسكري 1 : 484 .
5 الزربيّة : واحدة الزرابي ، وهي ما يتّكأ عليه .

يُخْبره عنها ، وجعل تُبَّع كلَّما أَخبره عن شيءٍ منها يقول : كلٌّ ذلك على هذه الزربيّة . يريد بذلك تُبَّعٌ قتلَ أُحيحة ، ففَطِنَ أحيحة أنّه يريد قتله ، فخرج من عندِه فدخَل خِباءَه ، فشرِب الخمرَ ، وقَرَضَ أبياتاً ، وأَمر القينةَ أن تغنّيه بها ، وجَعل تُبَّعٌ عليه حَرَساً ، وكانت قينته تُدعى مُليكةَ فقال : [من المنسرح]

يشتاقُ قلبي إلى مُلَيكة لـو ... أمسَتْ قريباً مِمّن يطالبُها

الأبيات . وزاد فيها ممّا ليس فيه غناء :

لِتبكِنِـــي قَينـــةٌ ومِزهرُهـــا ... ولتبكِنِـي قهـوةٌ وشاربُهـا

ولْتبكِنِـي ناقـةٌ إذا رُحِلَتْ ... وغابَ في سَرْدحٍ مَناكِبُها[1]

ولْتبْكِني عُصبةٌ إذا جُمِعَتْ ... لَم يعلم الناسُ ما عواقِبُها

فلَم تزل القينة تُغَنّيه بذلك يومه وعامّةَ ليلتِه ؛ فلمّا نامَ الحرّاس قال لها : إنّي ذاهب إلى أهلي فشُدّي عليك الخباءَ ، فإذا جاء رسولُ الملكِ فقولي له : هو نائم ؛ فإذا أَبَوْا إلاّ أن يُوقظوني فقولي : قد رَجع إلى أهلِهِ وأَرسَلَنِي إلى الملك برسالةٍ ؛ فإن ذهبوا بِك إليه فقولي له : يقول لَكَ أُحيحة : «أغدِر بقينةٍ أَو دَعْ»[2] . ثم انطلَقَ فتحصَّنَ في أُطُمِهِ الضَّحْيانِ ، وأرسل تُبَّعٌ من جَوفِ الليلِ إلى الأزيادِ فقتَلَهم على فَقارةٍ من فَقار تلك الحَرَّة . وأرسل إلى أُحيحة ليقتله ، فخرجتْ إليهم القينة ، فقالت : هو راقد . فانصرَفُوا وتردَّدُوا عليها مراراً ؛ كلَّ ذلك تقول : هو راقد . ثم عادوا فقالوا : لِتوقِظنَّه أو لندخُلَنَّ عليك . قالت : فإنّه قد رجع إلى أهلِهِ ، وأرسلني إلى الملك برسالةٍ . فذهبوا بها إلى الملكِ ، فلمّا دخلَتْ عليه سأَلها عنه ، فأَخبرته خبَرَه ، وقالت : يقول لك : «اغدِر بقَينةٍ أَو دَعْ» . فذهبتْ كلمةُ أُحيحة هذه مَثلاً ؛ فجرّدَ له كتيبةً من خيلِهِ ، ثم أرسلَهم في طلبِهِ فوجَدُوه قد تحصَّنَ في أُطُمِه ، فحاصروه ثلاثاً ؛ يقاتلُهم بالنّهار ويرميهم بالنبل والحجارة ، ويرمي إليهم بالليلِ بالتمر ، فلمّا مضت الثلاثُ رجعوا إلى تُبَّعٍ فقالوا : بَعَثْتَنا إلى رجـلٍ يقاتلنا بالنهارِ ، ويضيفنا بالليل ؟ فتركه ؛ وأَمرهم أَن يُحرِّقوا نخلَه . وشَبّت الحربُ بين أَهلِ المدينة : أَوْسِها وخَزْرجِها ويهودِها ، وبين تُبّع ، وتحصّنوا في الآطام . فخرج رجلٌ من أَصحابِ تُبّع حتى جاء بني عديّ بن النجّار ؛ وهم متحصِّنون في أطمِهم ، الذي كان في قِبلةِ مسجدِهم ، فدخـل حديقةً من حدائِقِهم ، فرقِيَ عِذْقاً منها يجدُّها ، فاطَّلَع إليهِ رجلٌ من بني عديّ بن النجارِ من الأطمِ يقال له أَحمر أَو صخر بن سليمان

---

1 السردح : الأرض اللينة المستوية .

2 هذا مثل .

من بني سَلمة ، فنزل إليهِ فضربَه بمنجل حتّى قتله ثم ألقاه في بئر ! وقال : جاءَنا يجدُّ نخلنا ، «إنّما النخل لِمَنْ أبَرَه»[1] ، فأرسَلها مثلاً . فلمّا انتهى ذلك إلى تُبَّع زاده حَنَقاً وجرَّدَ إلى بني النجّار جريدةً من خيلِهِ ، فقاتلهم بنو النجّار ، ورئيسُهم عمرو بن طَلّة[2] أخو بني معاوية بنِ مالِكِ بنِ النجّارِ ؛ وجاء بعضُ تلكَ الخيول إلى بني عَديّ وهم متحصّنون في أُطمِهم الذي في قِبلةِ مسجدِهم ، فرامَوْا بني عديٍّ بالنَّبل ، فجعلت نَبلُهم تقع في جدار الأُطم ، فكان على أطمِهم مثل الشَّعَرِ من النبلِ ، فسمّي ذلك الأطم الأشعر ، ولم تَزلْ بقايا النّبل فيه حتّى جاء الله عزّ وجلّ بالإسلام ، وجاء بعضُ جنودِهِ إلى بني الحارث بنِ الخزرج ، فجذَمُوا نخلَهم من أنصافِها ، فسمِّيت تلك النخلُ جُذْمان . وجدَعُوا هم فرساً لتبّع ، فكان تُبّع يقول : لقد صَنَع بي أهلُ يثربَ شيئاً ما صَنَعه بي أَحد ؛ قتلوا ابني وصاحبي ، وجَدَعوا فرسي ! قالوا : فبينا تُبَّعُ يريد إخرابَ المدينةِ ، وقتل المقاتِلة ، وَسبْيَ الذرِّيّة ، وقَطْعَ الأموالِ أتاه حَبرانِ من اليهودِ فقالا ، أيّها الملك انصرفْ عن هذهِ البلدةِ فإنّها محفوظة ، وإنّا نجد اسمها كثيراً في كتابنا ، وأنّها مُهاجرَ نبيٍّ من بني إسماعيل اسمهُ أحمد ، يخرج من هذا الحرم من نحو البيتِ الذي بمكّة ، تكون دارَه وقَرارَه ، ويَتْبعه أكثرُ أهلِها . فأعجبَه ما سمِع منهما ، وكفَّ عن الذي أراد بالمدينةِ وأهلِها ، وصَدَّق الحَبْرَينِ بما حدّثاه ، وانصرف تُبَّعٌ عمّا كان أراد بها ، وكفَّ عن حربهم ، وآمنهم حتّى دخلوا عسكره ، ودخَل جنْدُه المدينة ؛ فقال عمرو بن مالكِ بنِ النجّار ، يذكر شأن تُبّع ، ويمدح عمرو بن طَلَّة : [من المديد]

أصحا أمْ انتحى ذِكَرَهْ	أم قضى من لذّةٍ وَطَرَهْ
بعد ما وَلَّى الشباب وما	ذِكْرُهُ الشَّبابَ أو عُصُرَهْ[3]
إنّها حَربٌ يمانيّةٌ	مِثلها آتى الفتى عِبَرَهْ
سائِلي عِمْرانَ أو أَسَداً	إذْ أتَتْ تعدُو مع الزُّهَرَهْ
فَيْلَقٌ فيه أبو كَرِبٍ	سُبُعٌ أبدانُه ذَفِرَهْ
ثم قالوا مَنْ يؤمُّ بنا	أبنو عوفٍ أم النَّجرَهْ[4]
يا بَني النّجارِ إنّ لنا	فِيكُمُ ذَحْلاً وإنَّ تِرَهْ

1 هذا مثل .

2 ل : طلحة .

3 في رواية : ذكرت شبانه عصره .

4 النجرة : يعني بني النجار .

فتلقّتْهـم مُسايِفـةٌ   مَدُّهـا كالغَبْـيةِ النَّثِرَهْ[1]

الغَبْيَة : السحابة التي فيها مطر وبرق برعد .

فيهمُ عَمرو بـن طَلَّةَ لا   هُمَّ فامنَحْ قومَـه عُمُرَهْ
سَيِّـدٌ سامى الملوكَ ومَنْ   يَدْعُ عَمراً لا تَجِدْ قَدَرَهْ[2]

وقال في ذلك رجلٌ من اليهود : [من المتقارب]

تكلِّفنـي مِـن تكاليفهـا   نَخِيـلَ الأساويـفِ والمَصْنَعَهْ[3]
نخيـلاً حَمَتْها بنـو مالـكٍ   جُنـودَ أبـي كَـرِبَ المُفْظِعَهْ

وقال أُحيحة يرثي الأزياد الذين قَتَلَهم تُبّع : [من الوافر]

ألا يـا لهفَ نفسي أيَّ لهفِ   على أهـلِ الفقـارةِ أيَّ لهفِ
مَضَوا قَصْدَ السَّبيلِ وخَلّفوني   إلى خَلَفٍ مـن الأبرام خَلْفِ[4]
سُدًى لا يكتفـون ولا أَراهم   يُطيعُونَ امرءاً إن كان يكفي[5]

قالوا : فلمّا كَفَّ تُبّعٌ عن أهلِ المدينةِ اختلطوا بعسكره فبايَعُوه وخالطوهم . ثم إنَّ تبّعاً استَوبأ[6] بئرَه التي حَفَرها ، وشكا بَطْنَه عن مائها ؛ فدخلت عليه امرأةٌ من بني زُرَيقٍ يقال لها فَكِهةُ بنت زيدِ بنِ كلدة بن عامرِ بن زريقٍ ، وكانت ذاتَ جَلَدٍ وشرف في قومِها ، فشكا إليهـا وبأ بئرِه ، فانطلقتْ فأخذَتْ قِرَباً وحمارين حتّى استَقَتْ له من ماء رُومة ، فشربَه فأعجبَه ، وقال : زيديني من هذا الماء . فكانت تختلفُ إليهِ في كلِّ يوم بماء رُومة ، فلمّا حان رحيلُه دعاها ، فقال لها : يا فكهة ، إنّه ليس مَعَنا من الصفراء والبيضاء[7] شيء ، ولكنْ لكِ ما تركْنا من أزوادنا ومتاعِنا . فلمّا خرجَ تبّعٌ نقلت ما تركوه من أزوادِهِم ومتاعِهم ؛ فيقال إنّه لم تزل فكهةُ أكثرَ بني زُرَيقٍ مالاً حتّى جاء الإسلام .

قال : وخرج تبّعٌ يريد اليمن ومعه الحبرانِ اللذان نَهَياه عن المدينة ، فقال حين شَخِصَ من منزلِهِ : هذه قُباء الأرضِ . فسمِّيت قُباء . ومرّ بالجُرُف فقال : هذا جُرُف الأرضِ . فسمِّي

1 المسايف : الضارب بالسيف .
2 قدره : مثله وكفأه .
3 الأساويف والمصنعة : موضعان .
4 الأبرام : جمع برم ، وهو الجبان أو الذي لا يشارك في الميسر . والخلف : الأشرار .
5 سدى : همل .
6 استوبأ البئر : وجدها وخيمة .
7 أي الدنانير والدراهم .

الجُرُف ؛ وهو أرفعها . ومرّ بالعَرْصةِ وتسمَّى السليل فقال : هذه عَرْصة الأرض . ثم انحدر في العقيقِ فقال : هذا عقيقُ الأرض . فسمّي العقيق . ثم خرجَ يسير حتّى نزل البَقِيع ، فنزلَ على غديرِ ماءٍ يقال له بَراجمُ ، فشرِبَ منه شربة فدخلت في حَلْقِه عَلَقَةٌ فاشتكَى منها . فقال فيما ذكر أبو مسكين قوله : [من الكامل]

ولقد شربتُ على براجِمَ شَربةً كادت بباقيــةِ الحيــاة تُذِيعُ[1]

ثم مضى حتى إذا كان بحمدان جاءه نفرٌ من هُذَيل فقالوا له : اجعَلْ لنا جُعْلاً وندلُّك على بيتِ مالٍ فيه كنوزٌ من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفِضّة ، ليست لأهلِهِ مَنَعةٌ ولا شَرَف . فجعل لهم على ذلك جُعْلاً ؛ فقالوا له : هو البيت الذي تحجُّه العربُ بمكّة . وأرادوا بذلك هَلاكَه . فتوجَّه نحوَه فأخذَته ظُلمةٌ منعَته من السَّير ، فدعا الحَبرينِ فسألهما ، فقالا : هذا لِما أجمعْتَ عليه في هذا البيت ؛ واللهُ مانِعُه منك ، ولن تصل إليه ، فاحذَرْ أن يصيبك ما أصابَ مَن انتهك حُرماتِ الله ؛ وإنّما أراد القومُ الذين أمروك به هلاكَك ؛ لأنّه لم يَرُمْهُ أحدٌ قطُّ بشرٍّ إلاّ أهلكَه الله ، فأكرِمْه وطُفْ بِهِ ، واحلِقْ رأسَك عنده . فترَكَ الذي كان أجمعَ عليه ، وأمر بالهذليِّين فقطّع أيديَهم وأرجلَهم ، ثم خرجَ يسير حتّى أتى مكّة فنزل بالشِّعب من الأبطح ، وطاف بالبيت ، وحَلَقَ رأسه ، وكساه الخَصَف[2] .

قال هشامٌ : وحدَّثني ابنٌ لجرير بن يزيدَ البجَلي عن جعفرِ بنِ محمدٍ عن أبيهِ . قال هشام : وحدَّثني أبي عن صالح عن ابنِ عبّاس قال : لمّا أقبلَ تبّعٌ يريد هدْمَ البيتِ وصَرْفَ وجوهِ العربِ إلى اليمن ، بات صحيحاً فأصبح وقد سالَتْ عيناه على خدَّيه ، فبعَثَ إلى السَّحَرة[3] والكُهّان والمنجِّمين ، فقال : مالي ، فواللهِ لقد بتُّ ليلتي ما أجد شيئاً ، وقد صرت إلى ما تَرَون . فقالوا : حدّثْ نفسَك بخيرٍ . فَفَعَلَ فارتدَّ بصيراً ، وكسا البيت الخَصَف .

هذه رواية جعفرِ بن محمدٍ عن أبيه . وفي رواية ابنِ عبّاسٍ : فأُتي في المنامِ فقيل له : اكسُه أحسَنَ من هذا . فكساه الوصائلَ ، قال : وهي بُرود العَصْب ، سمِّيت الوصائل لأنّها كانت يُوصل بعضُها ببعضٍ ، قال : فأقام بمكّةَ ستّة أيّامٍ يُطعم الطعام ، وينحر في كلِّ يوم ألفَ بعيرٍ ، ثم سار إلى اليمن وهو يقول : [من الخفيف]

ونَحَرنــا بالشِّعبِ ستَّة آلا فٍ تَرى الناس نَحوهنّ وُرودا

---

1 تذيع : تذهب .

2 الخصف : ثياب غلاظ جدّاً .

3 ل : الحزاة .

وكسَونا البيتَ الذي حَرَّمَ اللَّـ ـهُ مُـلاءً معضَّدًا وبُرودا
وأقمنا بِهِ من الشَّهرِ سِتّاً وجعلنا لـه بـهِ إقليدا
ثم أُبْنا منه نؤمُّ سُهَيْلاً قد رفَعنا لواءنا المعقودا[1]

قال : وتهوّد تبّع وأهلُ اليمن بذينِك الحبرين .

[خلاف أُحيحة مع بني النجار]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال : أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حدَّثني أبو البَخْتريّ عن أبي إسحاق ، قال : أخبرني أيّوب بن عبد الرحمن : أنّ رجلاً من بني مازن بنِ النجار يقال له كعب بن عمرٍو ، تزوّج امرأةً من بني سالم بنِ عوفٍ فكان يختلف إليها . فقعَدَ له رهطٌ من بني جَحْجَبى بمرصَدٍ ، فضربوه حتّى قتلوه أو كادوا ، فأدركه القوافل فاستَنقذوه ، فلمّا بلغ ذلك أخاه عاصمَ بن عمرٍو خرج وخرج معه بنو النجار ، وخرج أُحيحة بن الجُلاح ببني عمرٍو بنِ عوفٍ ، فالتقَوا بالرُّحابة[2] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقَتل أخا عاصم يومئذٍ أُحيحة بن الجُلاح ، وكان يكنى أبا وحوحة ، فأصابَه في أصحابه حين انهزموا ، وطلبَ عاصمٌ أُحيحة حتّى انتهى إلى البيوتِ ، فأدركه عاصمٌ عند بابِ دارِهِ فزجَّه بالرّمح ، ودخلَ أُحيحة البابَ ، ووقع الرُّمح في الباب ، ورجع عاصمٌ وأصحابه فمكث أيّاماً . ثم إنّ عاصِماً طلبَ أُحيحة ليلاً ليقتله في داره ، فبلغ ذلك أُحيحة ، وقيل له إنّ عاصماً قد رئي البارحَة عند الضَّحيان والغابة[3] ــ وهي أرضٌ لأُحيحة ، والضَّحيان : أُطُم له ــ وكان أُحيحة إذ ذاك سيِّدَ قومِهِ من الأوسِ ، وكان رجلاً صنَعاً للمال[4] ، شحيحاً عليه ، يبيع بَيْعَ الربا بالمدينة ، حتّى كاد يُحيط بأموالهم ، وكان له تسعٌ وتسعون بعيراً كلُّها ينضَحُ عليها ، وكان له بالجُرُفِ أصوار[5] من نخلٍ قلَّ يومٌ يمرُّ به إلاّ يطَّلع فيه ؛ وكان له أُطُمانِ : أُطمٌ في قومه يقال له المستظلّ ، وهو الذي تحصَّن فيه حين قاتل تبّعاً أسعدَ أبا كربٍ الحميريّ ، وأُطُمه الضَّحيان بالعُصْبَةِ في أرضِهِ التي يقال لها الغابة[6] بَناه بحجارة سُودٍ وبَنى عليه نَبْرةً[7] بيضاءَ مثلَ الفِضّة ، ثم جعل عليها مِثلَها ، يراها الراكبُ من مسيرة يومٍ أو نحوه . وكانت الآطام هي عِزَّهم ومنعتهم

1 نؤم سهيلاً : نقصد اليمن .
2 الرحابة : موضع بالمدينة .
3 ل : العباية .
4 الصنع : الحاذق الماهر .
5 الأصوار : النخل الصغار ، جمع صور .
6 ل : العباية .
7 النبرة : كل شيء مرتفع فوق شيء .

وحُصونَهم التي يتحرّزون فيها من عدوِّهم . ويزعمون أنّه لمّا بَناه أشرف هو وغلامٌ له ، ثم قال : لقد بنيتُ حِصناً حصيناً ما بنى مثله رجلٌ من العرب أمنعُ ولا أكرمُ ، ولقد عَرَفتُ موضعَ حجرٍ منه لو نُزِع لوقع جميعاً ! فقال غلامُه : أنا أعرفه . فقال : فأرِنيه يا بُنيّ . قال : هو هذا ، وصرفَ إليه رأسه . فلمّا رأى أُحيحة أنّه قد عَرَفَه دفعَه من رأسِ الأُطُمِ فوقع على رأسِهِ فمات ، وإنّما قَتَله إرادةَ ألاّ يعرِف ذلك الحجرَ أحَدٌ . ولّما بناه قال : [من الرجز]

بنيتُ بعد مُستظَلٍّ ضاحيا بنيته بعُصْبةٍ من ماليا
والسرُّ مِمّا يتبع القواصيا أخشى رُكَيباً أو رُجَيلاً عاديا[1]

وكان أُحيحة إذا أمسى جلسَ بحذاء حِصنِهِ الضَّحيانِ ، ثم أرسل كِلاباً له تنبح دُونَه على مَن يأتيه مِمَّن لا يعرف ، حذراً أن يأتيه عدوٌّ يصيب مِنه غِرّة . فأقبل عاصم بن عمرٍو يريده في مجلِسِهِ ذلك ليقتلَه بأخيه ، وقد أخذ معه تمراً ، فلمّا نبحته الكلابُ حين دنا منه ألقى لها التَّمر فوقفَتْ ، فلمّا رآها أُحيحة قد سكَنَت حذِر فقامَ فدخلَ حِصنَه . ورماه عاصمٌ بسهمٍ فأحرزه منه الباب ، فوقع السَّهمُ بالباب ؛ فلمّا سمع أُحيحة وقْعَ السَّهم صرخَ في قومِه ، فخرج عاصم بن عمرو ، فأعجزَهم حتّى أتى قومَه . ثمّ إنّ أُحيحة جمع لبني النجّارِ ، فأراد أن يغترَّهم فواعدَهُم وقومَه لذلك ، وكانت عند أُحيحة سَلْمى بنت عمرٍو بن زيدِ بن لَبيد بن خِداشٍ إحدى نساءِ بني عديٍّ بن النجّارِ ، له منها عمرو بن أُحيحة ؛ وهي أُمُّ عبد المطّلب بن هاشم ، خلَفَ عليها هاشمٌ بعد أُحيحة ؛ وكانت امرأةً شريفة لا تَنكِح الرجالَ إلاّ وأمرُها بيدِها ، إذا كرِهتْ من رجلٍ شيئاً تركته .

فزعم ابنُ إسحاقَ أنّه حدَّثه أيّوبُ بن عبدِ الرحمنِ ، وهو أحد رهطِها ، قال : حدَّثني شيخٌ منّا أنَّ أُحيحة لمّا أجمعَ بالغارةِ على قومِها ومعها ابنها عَمرو بن أُحيحة ، وهو يومئذٍ فَطيمٌ أو دونَ الفطيم ، وهو مع أُحيحة في حِصْنِهِ عَمَدت إلى ابنها فربَطَته بخيطٍ ، حتّى إذا أوجعت الصبيَّ تركَتْهُ فبات يبكي ، وهي تَحمِله ؛ وبات أُحيحة معها ساهِراً ، يقول : ويحَك ما لابني ؟ فتقول : واللهِ ما أدري مالَه . حتّى إذا ذهبَ اللّيلُ أطلقت الخيطَ عن الصبيِّ فنام . وذكروا أنّها ربطت رأسَ ذكره ، فلمّا هدأ الصبيُّ قالت : وارأساه ! فقال : أُحيحة : هذا واللهِ ما لَقِيت من سهر هذه الليلة . فبات يعصِبُ لها رأسها ويقول : ليس بك بأس . حتّى إذا لم يبقَ من الليل إلاّ أقلّه قالت له : قُم فنَمْ ، فإنّي أجدُني صالحةً قد ذهب عنّي ما كنتُ أجده . وإنّما فعلَتْ به ذلك ليثقُلَ راسُه ، وليشتدَّ نومُه على طولِ السَّهَر . فلمّا نام قامت وأخذَتْ حبلاً

1 الركيب : مصغّر الراكب ، وهم الجماعة الراكبون . والرجيل : مصغّر الرَّجل ، وهم الجماعة الراجلون .

شديداً وأوثقته برأسِ الحِصنِ ، ثم تدلّت منه وانطلقت إلى قومِها ، فأنذرَتْهم وأخبرَتْهم بالذي أجمعَ هو وقومه من ذلك ، فحذِر القومُ وأعدُّوا واجتمعوا . فأقبلَ أُحيحة في قومِهِ فوجد القومَ على حذرٍ قد استعدُّوا ، فلم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ؛ ثم رجَع أُحيحة فرجَعوا عنه ، وقد فقَدَها أُحيحة حين أصبحَ ؛ فلمّا رأى القومَ على حذَرٍ قال : هذا عملُ سَلْمى ! خدعَتْني حتّى بلغَتْ ما أرادت . وسمّاها قومُها المتدلِّية ؛ لتدلِّيها من رأسِ الحصن . فقال في ذلك أُحيحة وذكَر ما صنعت به سَلْمى : [من الوافر]

تفهّمْ أيُّها الرَّجُلُ الجهولُ ... ولا يَذْهَبْ بِكَ الرأيُ الوبيلُ
فإنَّ الجهلَ مَحمَلُه خفيفٌ ... وإنَّ الحِلْمَ مَحمَلُه ثقيلُ

وفيها يقول :

لَعَمْرُ أبيكَ ما يُغني مَقامي ... من الفتيانِ رائحةٌ جَهولُ
نَؤُوم ما يقلِّصُ مستقِلاًّ ... على الغاياتِ مَضجعُه ثقيلُ
إذا باتت أعصِّبُها فنامت ... عَليَّ مكانَها الحُمَّى الشَّمولُ[1]
لعلَّ عِصابَها يَبغِيك حَرباً ... ويأتيهم بعورَتِكَ الدَّليلُ
وقد أعددتُ للحَدَثان عَقْلاً ... لَو انَّ المرء تنفعه العُقولُ[2]

وقال فيها وفيما صَنَعَتْ به : [من الخفيف]

أخلَق الرَّبعُ من سُعادَ فأمسى ... رَبعُه مُخلِقاً كدَرْسِ المُلاةِ[3]
بالِياً بعد حاضرٍ ذي أنيسٍ ... مِن سليمى إذْ تغتدِي كالمَهاةِ

وهي قصيدةٌ طويلة ، يقال إنّ في هذين البيتين منها غناء .

[مساومة في درعه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين : أنَّ قيسَ بن زهير بن جَذِيمة أتى أُحيحة بن الجُلاح لمّا وقَع الشرُّ بينه وبين بني عامر ؛ وخرج إلى المدينة ليتجهَّز ، بعثَ إليهم حين قتل خالدُ بن جعفرٍ زُهيرَ بن جَذيمة ، فقال قيس لأُحيحة : يا أبا عمرو ، نُبِّئت أنّ عندك دِرعاً ليس بيثرب درعٌ مثلها ؛ فإن كنت فُضُلاً فبِعْنيها ، أو فَهَبْها لِي . فقال : يا أخا بني عَبْس ، ليس مثلي يبيع السلاح ولا يَفضُل عنه ، ولولا أنّي أكره أن

1 الحمى الشمول : الحمى الباردة التي تسبب القشعريرة .
2 العقول : جمع عقل ، وهو الحصن .
3 الملاة : مخفّف الملاءة .

أستليم[1] إلى بني عامر لوهبتُها لك ، ولحملتك على سوابِقِ خيلي ، ولكن اشتَرِها يا أبا أيّوب ، فإنّ البَيع مُرتَخَصٌ وغالٍ[2] فأرسلها مثلاً . فقال له قيس : فما تكرهُ من استِلامتك إلى بني عامر ؟ قال : كيف لا أكره ذلك وخالدُ بن جعفر الذي يقول : [من الطويل]

إذا ما أردْتَ العزَّ في آل يثربٍ فنادِ بصوت يا أُحيحة تُمنَعِ
رأيت أبا عمرٍو أُحيحةَ جارُه يبيت قَرِيرَ العين غيرَ مروَّعِ
ومَن يأتِهِ مِن خائفٍ يَنْسَ خوفَه ومَن يأتِهِ من جائعِ الجَوْفِ يشبعِ
فضائلُ كانت للجلاحِ قديمةً وأكرِمْ بفخرٍ من خصالكَ الأربعِ

فقال قيس : وما عليكَ بعد ذلك من لَوم . فلَها عنه ثمّ عاودَه فساومه ، فغضب أُحيحة وقال له : بِتْ عندي . فباتَ عنده ، فلمّا شرب تغنّى أُحيحة وقيسٌ يسمع : [من الوافر]

ألا يا قيسُ لا تَسُمَنَّ دِرعِي فما مثلي يُساوَم بالدُّروعِ
فلولا خَلَّةٌ لأبي جُوَيٍّ وأنّي لستُ عنها بالنَّزوعِ
لأُبتَ بمثلها عَشْرٍ وطِرفٍ لَحُوق الإطْلِ جَيّاشٍ تَليعِ[3]
ولكنْ سَمٌّ ما أُحببت فيها فليس بمنكَرٍ غَبْنُ البيوعِ
فما هِبةُ الدُّروع أخا بغيضٍ ولا الخيلِ السَّوابِقِ بالبديعِ[4]

وقال : فأمسك بعد ذلك عن مُساومَته .

[إسحاق الموصليّ يسأل حفيد معبد]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أخي أحمد بن عليّ عن عافية بن شبيب ، قال : حدَّثني أبو جعفرٍ الأسديّ ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعيّ إجازة ، عن عُمَر بن شَبَّة عن إسحاق قال : دعاني الفضلُ بن الرَّبيع يوماً فأتيتُه ، فإذا عنده شيخٌ حجازيٌّ حسَنُ الوجه والهيئة ، فقال لي : أتعرف هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا ابن أُنيسَة بنت مَعْبد ، فسَلْه عمّا أحببتَ من غناء جدِّه . فقلت : يا أخا أهل الحجاز ، كم غِناءُ جدِّك ؟ قال ستُّون صوتاً . ثم غنّاني : [من المنسرح]

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكة والـ ـلَّبَّاتِ إذ زانَها ترائبُها

1 أستليم : آتي ما أُلام عليه .
2 المثل «إن البيع مرتخص وغال» في مجمع الميداني 1 : 19 والدرة الفاخرة : 162 .
3 اللحوق : الضامر . والإطل : الخاصرة . والتليع : الطويل العنق .
4 بغيض : قبيلة قيس بن زهير . والبديع : المبتدع .

قال : فغنّاه أحسن غِناءٍ في الأرض ، ولم آخُذْه منه اتّكالاً على قدرتي عليه . واضطرب الأمر على الفَضْل وصار إلى التغيُّب ، وشخَص الشيخُ إلى المدينة ، فبقِيتُ أنشُد الشِّعر وأسأل عنه مَشايخ المغنِّين ، وعجائز المغنّيات ، فلا اجد أحداً يَعرفه ، حتّى قدِمتُ البصرةَ ، وكنتُ آتي جزيرَتها في القيظ فأبيتُ بها ثم أُبْكُر بالغداة إلى منزِلي . فإنّي لَداخِلٌ يوماً إذا بامرأتين نبيلتين ، قد قامتا فأخذَتا بلجام حمارِي ، فقلت لهما : مَه ! قال أبو زيد في خبره : فقالت إحداهما : كيف عشقُك اليوم لـ «ما أحسَنَ الجِيد من مُليكةَ» وشَغفُك به ، فقد بلَغني أنّك كنت تطلبه من كلِّ أَحد ؟ وقد كنتُ رأيتك في مَجلس الفضل وقد استخفَّك الطَّربُ لهذا الصوت حتّى صفَّقت . قال : فقلت لها : أَشدُّ والله ما كنت عشقاً له ، وقد أُلهبتِ بذكرِكِ إيّاه في قلبي جَمْراً ، ولقد طلبتُه ببغداد كلِّها فلَم أَجِدْ أحداً يُسْمِعُنيه . قالت : أفتحبُّ أن أُغنِّيك إيّاه . قلت : نعم . فغنّته والله أحسَنَ مِمَّا سَمعتُه قديماً بصوتٍ خافض . فنزلتُ إليها فقبَّلْتُ يديها ورجليها وقلتُ : جَعَلني الله فِداكِ ، لو شئتِ لِصرتِ معي إلى منزِلي . قالت : أصنع ماذا ؟ قلتُ : أغنّيكِ وتغنّيني يومَنا إلى الليل . قالت : أنت والله أطْفَسُ[1] من أن تفعل ذاك ، وإنّما هو عَرَضٌ ، ولكنّي أُغنيك حتّى تأخُذه . فقلت : بأبي أنتِ وأُمّي ، وجعلني الله فداكِ مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا وهبة جارية محمّد بن عمران القَرَويّ ، التي يقول فيها قُرُّوج الرّفاء الطَّلْحي : [من البسيط]

صوت

يا وَهبُ لم يَبْقَ لِي شيء أُسَرُّ بِهِ ... إلاّ الجلوسُ فَتسقِيني وأُسقيكِ
وتُمزجينَ بريقٍ منـكِ لِي قَدَحاً ... كأنّ فيه رضابَ المِسْكِ من فِيكِ
يا أَطيبَ النّاسِ ريقـاً غيرَ مُختَبَرٍ ... إلاّ شهادةَ أَطرافِ المَساويكِ[2]
قد زُرتنا زورةً في الدّهـرِ واحدةً ... ثنِّي ولا تجعلِيهـا بيضةَ الدِّيكِ[3]
ما نلتُ منك سِوى شيءٍ أُسَرُّ بِهِ ... ولستُ أبصر شيئاً مـن مَساويكِ
قالت مُلِكتَ ولم تَمْلِكْ فقُلت لها ... مـا كلُّ مالكةٍ تُـزري بمملوكِ

قال أبو زيد خاصّةً : قال إسحاق : وأَنْشدتْنِيه وغنّتني فيه بصوتٍ مليح قد صنعَتْه فيه ، ثم

---

1 ل : أنفس . وأطفس : أقذر .

2 هذا البيت ينسب أيضاً إلى بشار .

3 المثل «كانت بيضة الديك» في مجمع الميداني 2 : 131 ومستقصى الزمخشري 2 : 211 وفصل المقال : 437 ، ويضرب للندرة .

صارت إليَّ بعد ذلك ، وكانت من أحسن الناس غِناء ، وأحسنهم روايةً . فما كانت تفوق فيه من صَنعتها سائرَ الناسِ صوتُها ، وهو : [من المنسرح]

صوت

لا بُدَّ من سَكرةٍ على طربِ لعلَّ رَوْحاً يُدالُ من كَرَبِ[1]
فَعاطِنِيها صفراءَ صافيةً تَضحكُ من لؤلؤ على ذَهَبِ

قال : ولها فيه عملٌ فاضل . ومن صنعتها قوله : [من مجزوء الكامل]

صوت

الكأسُ بعد الكأس قد تُصبي لَكَ الرجلَ الحليما
وتُقَرِّب النسَبَ البعيدَ وتبسُط الوجهَ الشَّتيما[2]

قال : ومِمّا برَّزَت فيه من صنعتها : [من الخفيف]

صوت

هاتِها سُكَّرِيَّةً كشُعاعِ الشَّمْسِ لا قَرقَفاً ولا خَنْدَريسا[3]
في رُبى يخلَع الولِيُّ عليها ما يحيِّي بِهِ الجليسُ الجَليسا[4]
فَلِنُوَّارِها نسيمٌ إذا ما حَرَّكته الرِّياح ردّ النُّفوسا

صوت

[من البسيط]

أَمْسى لسَلاَّمَة الزَّرقاءِ في كَبِدِي صَدْعٌ مقيمٌ طَوالَ الدَّهرِ والأَبَدِ
لا يستطيعُ صَناعُ القومِ يَشْعَبُه وكيف يُشعَب صَدعُ الحبِّ في الكبِدِ
إلاّ بوَصْلِ التي من حبِّها انصدعَتْ تلك الصُّدوعُ من الأسقامِ والكَمَدِ

الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفيّ ، أحد بني زُهْرة من قريش . ولحنه من خفيف الثَّقيل الأوّل بالبنصر .

وسَلاّمة الزرقاء هذه جارية ابنِ رامِين ، وكانت إحدى القينات المُحْسِنات .

1 الروح : الراحة . ويدال : يبدل .
2 الشتيم : القبيح .
3 القرقف : التي ترعد شاربها . والخندريس : المعتقة .
4 الولي : المطر المتوالي . ما يحيي به الجليسُ الجليسَ : الزهر .

[280] ـ ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات ، ذكر أنَّ أبا أيّوب المدينيّ حدّثه عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال : كان محمد بن الأشعث القرشيّ ثم الزهريّ كاتباً ، وكان من فتيان أهل الكوفة وظُرفائهم وأدبائهم ، وكان يقول الشعرَ ويتغنّى فيه . فمن ذلك قولُه في زرقاءِ جارية بن رامينَ ، وكان يألفها : [من البسيط]

أُمسي لسَلاّمة الزَّرقاء في كبِدِي

وذكر الأبيات .

قال : ومن شعره فيها يخاطب مولاها وقد كان حَجّ وأخرج معه جواريَه كلَّهنّ ، هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم . وهذا الشعر الثاني لإسماعيلَ بن عَمّارٍ الأسديّ ، وقد ذكرت أخبارَه في موضع آخر .

صوت

[من مجزوء الرجز]

أيَّةُ حالٍ يا ابنَ رامِيْن حالُ المحبِّينَ المساكِينْ
تركتَهمْ موتى ولَم يَتْلَفوا قد جُرِّعوا منك الأَمَرِّينْ

ويروى : «تركْتَهُمْ مَوْتى وما مَوَّتوا» ، وجدتُه بخطِّ حَمّادٍ .

وسِرْتَ في رَكْبٍ على طِيّةٍ ركبِ تَهامٍ ويَمانِينْ
يا راعيَ الذَّودِ لقد رُعْتَهم ويلَكَ من رَوْع المحبِّينْ
فرَّقتَ جمعاً لا يُرى مثلُهم بين دُروب الرُّوم والصِّينْ

الغناء لمحمد بن الأشعث نشيد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها ، عن ابن المكّي وغيره .

قال : ودخل ابنُ الأشعث يوماً على ابن رامينَ فخرجت إليه الزَّرقاء ، فبينما هو يُلقِي عليها إذْ بَصُرَ بوصيفةٍ من وصائفهم فأعجبته ، فقال شعراً في وقتِهِ ، وتغنّى فيه ، فأخذته منه الزرقاء ، وهو قوله : [من الخفيف]

صوت

قل لأختي التي أُحبُّ رضاها أنتِ لِي فاعلميه رُكنٌ شديدُ

إنَّ لِي حاجــةً إليكِ فقولِي : بين أُذْنِـي وعاتِقي مــا تريدُ

يعني قولي : ما تريد في عنقي حتّى أفعَلَه . ففطِنت الزّرقاء للذي أراد ، فوهَبتْ له الوصيفَة ، فخرج بها .

الغناء فيه رمل بالوسطى . ذكر عَمرو بن بانة أنّه لابنُ سريج ، وقد وَهِمَ في ذلك ، بل الغناء لمحمّد بن الأشعث لا يُشَكُّ فيه .

قال هارون : وحدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال : وحدَّثني أبو عبد الله الأسَكّ أمير المغنّين أن محمد بن الأشعث الزهري ، وهشام بن محمد بن أبي عثمان السُّلَميّ اجتمَعا عند ابن رامين ، وكان هشامٌ قد أنفق في منزله مالاً عظيماً ، وكان يقال لأبيه بِسِيارْدِرَمْ ، وتفسيره بالعربية : الكثير الدراهم ، فقال محمد بن الأشعث : يا هشام قُلْ ما تشاء . قال : [من الخفيف]

قل لأختي التي أُحبُّ رِضاها أنتِ لِي فاعلميهِ ركنٌ شديدُ

وأشار بذلك إلى سَلاّمة الزّرقاء . قالت وقد سمعَتْ : فقل . فقال : [من الخفيف]

إنّ لِـي حاجةً إليكِ فقولي بين أُذْنِي وعاتِقِي مــا تريدُ

ففطنت الزّرقاء للذي أراد ، فقالت : بين أُذْنِي وعاتِقِي ما تريد ، فما هو ؟ قال : وصيفتِك هذه ، فإنّها قد أعجبتني . قالت : هي لك . فأخذها فما ردَّ ذلك ابنُ رامينَ ولا تكلَّمَ فيه .

وهذا الشعر والغناء فيه لمحمّد بن الأشعث .

[قاطع ابن رامين ومال إلى سحيقة]

قال هارون : وحدَّثني أبو أيّوب عن أحمد بن إبراهيم قال : ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن زيد التميميّ ، أنّ محمـد بن الأشعث كان ملازماً لابن رامينَ ولجاريته سَلاَّمة الزّرقاء ، فشُهِر بذلك ، وكان رجلاً قَصَّافاً[1] فلامَه قومُه في فعله فلم يحفِلْ بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم ، حتّى رأى بعضَ ما كرِه في منزل ابن رامين ، فمال إلى سَحِيقة جارية زُريق بن منيح ، مولى عيسى بن موسى . وكان زُريقٌ شيخاً سخيّاً كريماً نبيلاً يجتمع إليه أشْرافُ الكوفة من كلِّ حيّ ، وكان الغالبُ على منزله رجلاً من ولد القاسم بن عبد الغفّار العجليّ ، كغَلبة محمد بن الأشعث على منزل ابنِ رامين ، فتواصَلا على ملازمة بيت زُرَيق . ففي ذلك يقول محمد بن الأشعث : [من الخفيف]

يـا ابن رامينَ بُحْتَ بالتَّصريح في هَـوايَ سَحِيقةَ ابنِ منيحِ
قَينــةٌ عَـفَّـةٌ ومولًـى كريـمٌ ونديــمٌ مـن اللُّبابِ الصَّريحِ

1 قصاف : كثير اللهو واللعب على الطعام .

رَبَعــيٌّ مهــذَّبٌ أرْيَحِــيٌّ يَشتري الحمدَ بالفَعال الرَّبيحِ[1]
نحنُ منه في كلِّ ما تشتهي الأنـ ـفُسُ مـن لـذّةٍ وعيشٍ نجيحِ
عندَ قَرْمٍ من هاشم في ذُراها وغنـاءٍ مـن الغـزالِ المليحِ
في سُرورٍ وفي نعيم مُقيـم قـد أمِنّـا من كلِّ أمرٍ قبيحِ
فاسلُ عنّـا كما سلونـاكَ إنّي غيرُ سالٍ عن ذاتِ نَفْسي ورُوحي
حافِظٌ منك كلَّ ما كنت قد ضـ ـيَّعْتَ مِمّا عصيتُ فيه نصيحي
فالقِلى ما حييتَ منّي لكَ الدَّهـ ـرَ بـوُدٌّ لُمْنِيتي ممنـوحِ
يا ابنَ رامينَ فالزمَنْ مسجدَ الحـ ـيِّ وطُولَ الصَّلاة والتَّسبيحِ

قال عمرو بن نوفل : فلم يَدعِ ابنُ رامين شريفاً بالكوفة إلاَّ تحمَّلَ به على ابن الأشعث وأن يَرضى عنه ، ويعاودَ زيارتَه ، فلم يَفْعَل ، حتّى تحمَّلَ عليه بالجَحْوانيِّ ، وهو محمد بن بشر بن جَحْوان الأسديّ ، وكان يومئذٍ على الكوفة ، فكلّمهُ فرضيَ عنه ورجع إلى زيارتِهِ ، ولم يقطع منزلَ زُرَيق ، وقال في سحيقة : [من الوافر]

سحيقة أنـتِ واحـدة القيانِ فما لـكِ مُشْبهٌ فيهنّ ثانِ
فَضَلتِ على القيانِ بِفَضلِ حِذقٍ فحُزتِ على المدى قَصَبَ الرِّهانِ
سجدنَ لـكِ القيـانُ مكفِّراتٍ كما سجَـدَ المجـوسُ لمرزُبانِ
ولا سِيَمـا إذا غنِّيـتِ صوتـاً وحرّكـتِ المَثالـث والمثاني
شرِبتُ الخمرَ حتّى خلتُ أنّي أبـو قابـوسَ أو عَبْـدُ المَدانِ
فإعمالُ اليَسارِ على المَـلاوِي ومِـن يُمنـاكِ ترجمةُ البيانِ[2]

[حيلة سلامة على روح بن حاتم]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان ، عن حمّاد عن أبيه قال : كان روح بن حاتم المهلبيّ كثير الغِشْيان لمنزل ابن رامِينَ ، وكان يختلف إلى الزَّرْقاء جاريةِ ابن رامين ، وكان يهواها محمدُ بن جَميلٍ وتهواه ، فقال لها : إنَّ رَوح بن حاتم قد ثَقُلَ علينا . قالت : فما أصنع ، قد غَمَرَ مولاي بِبِرِّه ! فقال : احتالي له . فبات عندهم رَوحٌ ليلةً ، فأخذتْ سراويلَه وهو نائمٌ فغسلَتْه ، فلمّا أصبحَ سأل عنه فقالت : غَسَلْناه . ففطِنَ أنّه أحدَثَ فيه فاحتِيجَ إلى غَسْلِهِ ، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها ، وخلا وجهُها لابن جميل .

---

1 ربعي : نسبة إلى ربيعة .

2 الملاوي : ملاوي العود التي تشد بها الأوتار .

[جواري ابن رامين]

قال هارون : وأخبرني حمّاد عن أبيه قال : ابن رامين اسمه عبد الملك بن رامين ، مولى عبد الملك بن بشر بن مَرْوان . وجواريه سَعْدة ، ورُبَيْحة ، وسَلاّمة الزرقاء . وفيهن يقول إسماعيل بن عمّار الأسديّ وأنشدناه الحِرْمِيّ عن الزُّبير عن عمِّهِ ، وروايته أتمُّ[1] : [من البسيط]

هَل مِن شفاءٍ لقلبٍ لَجَّ مَحزونِ صَبا ، وصبٌّ إلى رِيم ابن رامينِ
إلى رُبَيحــة إنَّ اللهَ فضَّلَهــا بحُسنِهــا وسَمــاعٍ ذي أفــانينِ[2]
نَعَمْ شفاؤك منهــا أن تقولَ لَها قَتلتِني يــومَ دَيرِ اللُّجِّ فاحيِيني[3]
أنتِ الطبيبُ لداءٍ قــد تَلبَّسَ بِي من الجَوى فانفُثي في فِيَّ وارقيني
نفسي تأبَّى لكــمْ إلاّ طَواعِيــة وأنْـتِ تَحمَيْنَ أنفــاً أن تُطيعيني[4]
فتلك قسمةُ ضِيزى قد سمعتُ بها وأنتِ تتلينها مــا ذاكِ في الدينِ[5]
مــا عائِذُ اللهِ لي إلفٌ ولا وطنٌ ولا ابنُ رامينَ ، لولا ما يمنِّيني[6]
يا ربٌّ ما لابن رامينٍ ، لــه بقرٌ عِيــنٌ وليس لنــا غيرُ البــراذينِ
لــو شئتَ أعطيتَه مــالاً على قدَرٍ يرضى بِهِ منكَ غيرَ الخُرَّدِ العِينِ
لِعائِــذِ اللهِ بيتٌ مــا مررتُ بِــهِ إلاَّ وُجِئْــتُ على قلبــي بِسِكِّينِ[7]
يا سَعدةُ القينةُ البيضاءُ ، أنتِ لَنا أُنسٌ لأنَّكِ في دارِ ابــن رامينِ
لا تَحْسَبِنَّ بياضَ الجِصِّ يؤنسني وأنتِ كنتِ كمثلِ الخَزِّ في اللينِ
لولا رُبَيحة ما استأنستُ ما عَمَدت نفسي إليكِ ولَوْ مُثِّلتِ في طِينِ
لَم أنْسَ سَعْدَة والزّرقــاءَ يومَهما باللُّجِّ شرقيَّــهُ فــوقَ الدَّكاكينِ
تُغنِّيــانِ ابــنَ رامــينٍ ضَحاءَهمــا بالمسجحــيِّ وتشبيــبِ المحِبِّينِ[8]

1 سبق أن وردت هذه القصيدة في ترجمة إسماعيل بن عمار في الجزء الحادي عشر ، ص 245 .
2 أفانين : ضروب .
3 دير اللج : بالحيرة .
4 تحمين أنفاً : تأنفين .
5 القسمة الضيزى : الجائرة .
6 عائذ الله : حي من العرب .
7 وجأه : ضربه .
8 المسجحي : الغناء المنسوب إلى ابن مسجح .

فما دَعوتُ بِـهِ من عيش مَمْلكةٍ ولَم نَعِشْ يومَنـا عيشَ المساكِينِ
أذاكَ أنْعَـمُ أم يـومٌ ظَلِلتُ بِـهِ منعَّـمَ العيشِ في بُستـانِ شُورينِ
يشوي لنا الشَّيخ شُورِينٌ دواجِنَه بالجَرْدَنـاجِ وسحـاجِ الشقابينِ[1]
نُسْقـى شرابـاً لعمـرانٍ يعتِّقه يُمسي الأَصحّـاءُ منـه كالمجانينِ

يعني عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله .

إذا ذكرنا صلاةً بَعدما فَرَطَتْ قُمْنا إليها بِـلا عقـلٍ ولا دينِ[2]
نمشي إليها بِطـاءً لا حَـراكَ بِنا كأنَّ أرجلَنا تُقْلَعـنَ مـن طينِ
نمشي وأرجلُنا عوجٌ مطارِحُها مَشيَ الإوَزِّ التي تأتي من الصينِ
أو مَشْيَ عُميانِ دَيرٍ لا دليـلَ لهم إلاّ العصيُّ ، إلى عِيـدِ السَّعانينِ

وقال فيه أيضاً : [من الخفيف]

لابن رامينَ خُـرَّدٌ كمها الرَّمْـ ـلِ حِسانٌ وليس لِي غير بَغْلِ
ربِّ فَضَّلتَـه عليَّ ولَـوْ شئـ ـتَ لفضَّلتني عليـه بفَضْلِ

قال حمّاد : وأخبرني أبي قال : حدَّثني السَّكونيّ ، أنَّ جعفر بن سليمان اشترى رُبَيحة بمائة ألف درهم ، واشترى صالحُ بن عليٍّ سَعْدة بتسعين ألف درهم ، واشترى مَعْن بن زائدة الزرقاء .

قال مؤلّف هذا الكتاب : هذا خطأ ، الزّرقاء اشتراها جعفر بن سليمان ، ولعلَّ مَعْناً اشترى غيرَها .

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الحسَن الشيبانيّ ، عن عبد الملك بن ثوبان قال : قال إسماعيل بن عمّار : كنت أختلف إلى منزل ابن رامينَ فأسمع جاريتيه : الزرقاء وسَعْدة ، وكانت سَعدة أظرَفَ من الزَّرقاء ، فأُعجِبْتُ بِها وعَلمتْ ذلك منِّي ؛ وكانت سَعدة كاتبةً ، فكتبتُ إليها أشكو ما ألقى بها ، فوعدتني فكتبتُ إليها رقعةً مع بعض خَدَمِهم : [من البسيط]

يا ربِّ إنّ ابن رامينٍ له بَقَرٌ عِينٌ وليس لنا غيرُ البراذينِ

---

1 بالجردناج : أي مُتَبَّلاً بالأفاويه . والشقابين : جمع شقبان وهو نوع من الطير .
2 فرطت : سبقت .

وذكر الأبيات الماضية . قال : فجاءني الخادم وقال : ما زالت تقرأ رُقعتك وتضحك من قولك .
[من البسيط]

فإن تجودِي بذاكِ الشيءِ أَحْيَ بِهِ وإنْ بخِلتِ بِهِ عنّي فزنّيني

وكتبت إليّ : «حاشاك من أن أزنّيك ، ولكنّي أسير إليك فأُغنّيك وأُلَهّيك وأُرضيكِ» . وصارت إليّ فأرضتني بعدَ ذلك .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، عن الحسين بن محمد الحرّانيّ ، وأخبرني الجوهريّ عن عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه : أنّ جعفر بن سليمان اشترى الزّرقاءَ صاحبة ابن رامينَ بثمانين ألف درهم ، وستَرها عن أبيه ، وأبوه يومئذٍ على البصرة في خلافة المنصور ، وقد تحرّك في تلك الأيّام عبدُ الله بن علي ، فهَجَمَ عليهما يوماً سليمان بن عليّ فأخفيا العُودَ تحتَ السَّرير ودخَل ، فقال له : ويحكَ نحن على هذه الحالِ نتوقّع الصيلم[1] وأنتَ تشتري جاريةً بثمانين ألفَ درهم !؟ وأظهرَ له غضباً عليه وتسخُّطاً لما فَعَل ؛ فغمز خادماً كان على رأسِهِ فأخرجها إلى سليمان ، فأكبَّتْ على رأسه فقبَّلته ، ودعَتْ له ، وكانت عاقلةً مقبولةً متكلِّمة ، فأعجبه ما رأى منها ، وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك .

قال : ولمّا مضت لها مُدّةٌ عند جعفرٍ سألها يوماً : هل ظفِرَ منك أحدٌ مِمّن كان يهواكِ بخلوةٍ أو قُبْلَة ؟ فخشيت أن يبلُغه شيءٌ كانت فعلَتْه بحضرةِ جماعةٍ أو يكونُ قد بلغه ، فقالت : لا والله إلاّ يزيد بن عون العِبـاديُّ الصَّيرفيّ ؛ فإنـه قبَّلني قُبلةً وقذف في فِيَّ لؤلؤةً بعتها بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفرٌ يحتال له ويطلبه حتّى وقع في يده ، فضربَهُ بالسِّياط حتّى مات .

[استقبال سلامة الزّرقاء ليزيد بن عون]

قال هارون : وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال . حدَّثني أبو عوف الدَّوسيّ ، عن عبد الرحمن بن مُقَرِّنٍ قال : كتبتُ إلى ابن رامينَ أستأذنه في إتيانه ، فكتب إليّ : «قد سبقَكَ رَوحُ بن حاتم ، فإن كنتَ لا تحتشِمُ منه فَرُحْ . فَرُحْتُ ، فكنّا كأنّنا فرسا رِهان ، والتقينا فعانقني وقال لي : أنّى تريد ؟ قلت : حيثُ أردتَ . قال : فالحمد لله . فدخلنا فخرجَت الزّرقاءُ في إزارٍ ورداءٍ قُوهِيَّين[2] مورَّدين ، كأنَّ الشمس طالعةٌ من بين رأسها وكتِفيها ، فغنّتْنا ساعةً ثم جاء الخادم الذي يأذَن لها ، وكان الإذْن عليها دونَ مولاها ،

---

1 الصيلم : الداهية .

2 القوهي : ضرب من الثياب ، منسوبة إلى قوهستان .

فقام دونَ الباب وهي تغنّي ، حتّى إذا قطَعَتْ نظرَتْ إليه فقالت : مَن ؟ فقال : يزيد بن عَون العباديُّ الصَّيرفيّ ، الملقّب بالماجن ، عَلى الباب . فقالت : أدخِلْه . فلمّا استقبَلَها كفَّرَ[1] ثم أقعى بين يديها . قال : فوجَدَتْ[2] والله له ورأيتُ أثَرَ ذلك ، وتنوَّقَتْ تنوُّقاً[3] خلافَ ما كانتِ تَفعلُ بنا . فأدخلَ يَده في ثوبه فأخرج لؤلؤتين وقال : انظري يا زَرقاء جُعِلت فداكِ ! ثم حَلَف أنّه نَقَدَ فيهما بالأمس أربعين ألف درهم . فقالت : فما أصنع بذلك ؟ قال : أردت أن تعلمي . فغنَّتْ صوتاً ثم قالت : يا ماجِنُ هَبْهما لِي ويحك . قال : إن شئتِ واللهِ فعلتُ . قالت : قد شئتُ . قال : واليمينُ التي حلفتُ بها لازمةٌ لِي إنْ أخذتهما إلاّ بشفتيك من شَفَتيَّ . قال : فذهب رَوْحٌ يتسرَّع إليه ، فقالت له : أَلَكَ في بيت القوم حاجة ؟ قال : نعم . فقلت : إنّما يتكسَّبون مِمّا ترى . وقام ابن رامينَ فقال : ضَعْ لِي يا غلامُ ماء . ثم خَرج عنا فقالت : هاتهما . فمشى على ركبتيه وكفَّيه وهما بين شفَتَيه . فقال : هاكِ . فلمّا ذهبَتْ بشفتيها جعل يصدُّ عنها يميناً وشمالاً ليستكثر منها ، فغمزَتْ جاريةً على رأسها فخرجتْ كأنّها تريد حاجة ، ثم عطفَتْ عليه ، فلمّا دنا منها وذهب ليزُوغَ دفَعْت مَنكِبيه وأمسكَتْهما حتّى أخذت الزَّرقاءُ اللؤلؤتين بشفتَيها من فمه ، ورَشَح جَبينُها حياءً منّا . ثم تجلَّدَتْ علينا فأقبلَتْ عليه فقالت له : «المغبونُ في استِهِ عُوْد» فقال : أمّا أنا فما أبالِي ، لا يزال طِيبُ هذه الرائحةِ في أنفِي وفَمِي أبداً ما حَيِيت .

[سعدة تعبث بثياب الزائرين]

قال هارون : وحدّثني ابن النطّاح عن المدائنيّ ، عن علي بن أبي سليمان ، عن أبي عبد الله القرشيّ ، عن أبي زاهر بن أبي الصباح ، قال : أتيتُ منزلَ ابن رامينَ مع رجلٍ من قريش ، فأخرج الزّرقاءَ ، وسَعْدَة ، فقام القرشيُّ ليبول وترك مُطرَفه[4] ، فلبِسَتْه سَعدةُ وخرجَتْ ، فرجعَ القرشيُّ وعليها المُطْرف قد خاطته فصار دِرعاً[5] ، فقالت : أرأيتم أسرعَ مِن هـذا؟ صار المُطرف درعاً ! فقال القرشيُّ : هو لكِ . قال : وعليَّ طيلسانٌ مثنيّ ، فأردت أن أبول فلففته وقُمت ، فقالت سَعدة : دَع طَيلسانك . فقلت : لا أدَعهُ ، أخافُ أن يتحوّل مطرَفاً .

---

1 كفّر : قام بأحد تعابير التعظيم كالإنحناء أو الركوع . . . إلخ .
2 وجدت : لحقها الوجد .
3 تنوقت : تأنقت .
4 المطرف : ثوب من خزّ مخطّط .
5 الدرع : القميص .

[دراج ابن المقفّع]

وحدَّثني قبيصة بن معاوية قال : قال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : شرِبتْ زرقاءُ ابن رامينَ دواءً فأهدى لها ابن المقفّع ألف دُرّاجة على جمل قُراسيّ[1] .

[أب يتخوّف على ابنه من عشقه الزّرقاء]

قال هارون : وحدَّثني حماد عن أبيه : أنّ محمدَ بن جميلٍ كان يتعشّق الزّرقاءَ ، وكان أبوه جميلٌ يغدو كلَّ يوم يسأل مَن يَقْدَم عن ابنه محمّد ، إلى أنْ مرَّ بهِ صديقٌ له يكنى أبا ياسرٍ ، فسأله عنه فقال له أبو ياسر : تركتُه أعظَمَ النّاس قَدْراً ، يعامل الخليفةَ كلَّ يوم في خَراجه ، فيحتاج إليه ولدُه ، وصاحبُ شرطته ، وصاحبُ حرسه ، وخَدَمُهُ . فقال له : يا أخي : فكيف بهذه الجارية التي قد شُهِر بها ؟ فقال له الرجل : لا تهتمَّ بها ، قد مازحَهُ أمير المؤمنين فيها ، وخاطَبَه بشعرٍ قيل فيه . قال : وما هو ؟ قال : [من السريع]

وابنُ جميـلٍ فاعلموا عاجـلاً ... لا بــدّ موقوف على مَسْطَبَهْ
يُوقَــف في زرقــاءَ مشهــورةٍ ... تُجيد ضَرب العُود والعَرطَبَهْ[2]

فقال جميل : والله ما بي من هذا الأمر إلاّ أنّي أتخوَّفُ أن يكون قد شُهِر بها هذه الشُّهرةَ ولَم يَنِكها .

قال هارون : وأُحسب هذه القصّة لزرقاءِ الزّرادِ ، لا زرقاءِ ابن رامين .

[منافسة في تقديم الألطاف للزّرقاء]

قال هارون : وحدّثني أبو أيوب قال : حدّثني محمد بن سلام ، قال : اجتمع عند ابن رامين معنُ بن زائدة ، ورَوْح بن حاتم ، وابن المقفّع ، فلمّا تغنَّت الزّرقاءُ وسَعدة ، بعثَ معنٌ إليها بَدْرةً فصُبَّت بين يديها ، فبعثَ روح إليها أخرى فصُبَّت بين يديها ، ولم يكن عند ابن المقفَّع دراهم فبعثَ فجاء بصَكٍّ ضيعته وقال : هذه عُهدةُ ضَيعتي خُذِيها ، فأمّا الدَّراهم فما عندي منها شيء .

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا فضلٌ اليزيديُّ قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : قال سليمان الخشَّاب : دخلتُ منزلَ ابن رامينَ فرأيتُ الزّرقاءَ جاريتَه وهِي وصيفةٌ ، حين شالَ نهودُها ثوبَها عن صدرها ، لها شاربٌ كأنَّه خُطَّ بمسك ، يلحَظُه الطّرف ، ويقصُرُ عنه الوصف ، وابن الأشعثِ الكوفيُّ يلْقِي عليها ، والغناء له : [من مجزوء الرجز]

1 جمل قراسي : ضخم شديد .
2 العرطبة : العود أو الطنبور .

أيّةُ حالٍ يا ابنَ رامِينَ ... حال المحبّين المساكِينْ
تركتَهم موتى وما موّتوا ... قد جُرّعوا منكَ الأَمَرّينْ
وسِرتُ في رَكْبٍ على طِيَّةٍ ... ركبِ تهامٍ ويَمانِينْ
يا راعِيَ الذَّود لقد رُعْتنا ... ويلَكَ من رَوعِ المحبّينْ
فرّقتَ جمعاً لا يُرى مثلُهم ... فَجَّعتهم بالرَّبرب العِينْ

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني هارون بن محمد الزيّات قال : قال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل : كان ابن رامِينَ مولى الزّرقاء أجلَّ مُقَيِّنٍ بالكوفة وأكبَرَهم ، ورامين أبوه مولى بِشر بن مروان .

[ابن الأشعث يعلّم الغناء]

قال هارون : فحدّثني سليمان المدينيّ قال : قال حمّاد بن إسحاق قال أبي : قال مُعاذ بن الطَّبيب : أتيتُ ابن رامينَ وعنده جواريه : الزَّرقاء وصواحباتها ، وعندهنّ فتى حسنُ الوجهِ نظيفُ الثِّياب ، عَطِر الرّيح ، يُلقِي عليهنّ ، فسألتُ عنه فقيل لي : هذا محمد بن الأشعث بن فجوة الزُّهريّ . فمضيتُ به إلى منزلي وسألته المقام ففعلَ ، وأتيتُه بطعام وشَراب وغنّيتُه أصواتاً من غِناء أهل الحجاز ، فسألني أن ألقيَها عليه ، فقلتُ : نَعَم وكرامةً وحبّاً ، على أن تلقِيَ عليّ أصواتاً من صنعتك ألتذّ بها ، وأقطعُ طريقي بروايتها ، وأطرِف أهلَ بلدي بها . ففعلتُ وفعلَ ، فكان مِمّا أخذْته عنه من صنعته : [من الرمل]

صوت

صاحِ إنّي عادَ لي ما ذَهَبا ... مِن هوًى هاجَ لقلبي طَرَبا
أذكَرَتْني الشَّوق سَلاّمةُ أن ... لَم أكُنْ قضَّيت منها أرَبا
وإذا ما لامَ فيها لائِمٌ ... زاد في قلبي لحبّي عجبا
مِن ذَواتِ الدَّلِّ لو دَبَّ على ... جِلدها الذَّرُّ لأبدى نَدَبا

الغناء لمحمد بن الأشعث ، ثقيلٌ عن الهِشامِيّ . وفيه ليونس خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة ، في مَجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر أحمد بن عبيد أنَّ فيه لحناً من الثقيل الثاني لا يدرى لَمن هو ؟

قال : ومنها : [من الطويل]

صوت

لِذِكْرِ الحبيبِ النَّازحِ المتعتِّبِ ... طرِبتُ ومَن يَعْرِضْ له الشَّوق يطربِ

لحنه رمل . وقال منها : [من الطويل]

صوت

خليليَّ عُوجا ساعةً ثم سلِّما على زَينبٍ سَقْياً ورَعياً لزينبِ

لحنه رمل . وقال منها : [من مجزوء الكامل]

صوت

رَحُبَت بلادُكِ يا أُمامهْ وسَلِمتِ ما سَجَعَت حَمامَهْ

وسقى ديارَكِ كلّما حنَّت إلى السُّقيا غَمامَهْ

إنِّي وإن أقصَيتِني سَفَهاً أُحبُّ لكِ الكرامَهْ

وأرى أُمورَكِ طاعةً مفروضةً حتّى القيامَهْ

لحنه خفيفُ رملٍ . قال : ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

ما بالمَغاني مِن أحَدْ إلاّ حماماتٌ فُرُدْ[1]

أضحت خَلاءً دُرَّساً للرِّيح فيها مُطَّرِدْ

عهدِي بِها فيما مَضى ينتابها بِيضٌ خُرُدْ[2]

فاستبدلَت وَحشاً بهم والوُرق تدعو والصُّرَدْ[3]

لحنه هزج . قال : ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

ليتَ مَن طَيَّرَ نومي ردَّ في عيني المناما

أو شَفى جسماً سقيماً زاده الهجرُ سَقاما

نظرَتْ عيني إليها نَظرةً هاجت غَراما

تركَتْ قلبي حزيناً بهواها مُستَهاما

لحنه رمل .

قال ابن الطبيب : وأخذتُ منه مع هذه أصواتاً كثيرة ، ورأيتُ النّاسَ بعد ذلك ينسبونها إلى قُدماءِ المغنِّين .

1 فرد : فريدات .

2 خرد : جمع خريدة وهي البكر أو الحيية .

3 الصرد : طائر أبقع يصطاد صغار العصافير .

قال هارون : وحدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حدَّثني إسماعيل بن جَعفر بن سليمان : أنَّ الزَّرقاء صاحبة ابن رامينَ صارت إلى أبيه ، وكان يقال لها أُمّ عثمان . وأنّ رُبَيحة جاريـةَ ابنِ رامينَ صارت إلى محمد بن سليمان ، وكانت حَظِيَّةً عنده . قال إسماعيل : فأتى سليمانُ بن عليّ ابنَه جعفراً فأخـرج إليـه الزَّرقاءَ ، فقال لها سليمان : غَنِّيني . قالت : أيَّ شيءٍ تحبُّ ؟ قال : غَنِّيني : [من الهزج]

إذا مـــا أُمُّ عبدِ اللَّـــهِ لَم تَحْلُل بِواديهِ
ولَم تَشفِ سقيماً هَيَّـــجَ الحُـــزن دواعيــهِ

فقالت : فَدَيتك ، قد ترك الناسُ هذا منذ زمان . ثم غنَّته إيّاه .

قال إسماعيل : قد ماتَ سليمانُ منذ ثلاثٍ وسبعين سنة ، وينبغي أن يكون رأي الزّرقاءَ قبل موته بسنتين أو ثلاثٍ . قال : وقالت هي : قد تَرك الناس هذا منذُ زمانٍ . فهذا من أقدم ما يكون من الغناء .

[شعر في جواري ابن رامين]

قال هارون : وقال شُراعة بن الزَّندَبُوذ : [من البسيط]

قالوا شُراعَةُ عِنِّـــينٌ فقلتُ لهـم اللهُ يعلـــمُ أنِّـــي غير عِنِّـــينِ
فإنْ أبيتم وقلتـم مثـلَ قولِهـــم فأقْحِمونِـــيَ في دارِ ابـنِ رامـينِ
ثم انظروا كيفَ طعني عند مُعتَرَكِي في حِرِ مَنْ كنتُ أرميها وتَرميني

قال هارون : وحدَّثني أبو أيّوب المدينيّ ، عن أحمد بن إبراهيم قال : قال بعض المدنيِّين : أتيتُ منزلَ ابن رامينَ ، فوجدتُه عندهُ جاريةً قد رفع ثديُها قميصاً ، لها شاربٌ أخضرُ ممتدٌّ على شفتيها امتدادَ الطِّراز ، كأنّما خُطَّت طُرَّتُها وحاجباها بقَلَم ، لا يلحقُها في ضربٍ من ضُروبِ حُسنها وصفُ واصف ، فسألتُ عن اسمها فقيل : هذه الزَّرقاء .

نسبة الصوت الذي في الخبر

صوت[1]

[من الهزج]

إذا مـــا أُمُّ عبد اللَّـــهِ لم تَحْلُلْ بواديهِ
ولَمْ تَشفِ سقيماً هـــيَّجَ الحـزنُ دواعيهِ

1 انظر شعر النعمان بن بشر (د . يحيى الجبوري ـ بغداد) : 162-164 .

غَـزالٌ راعَــه القَنَّــا ... صُ تحميــه صياصيهِ[1]

عرفتُ الرَّبع بالإكليـ ... ـــلِ عَفَّتــه سوافيهِ[2]

بجـوٍّ ناعِــمِ الحَـوذا ... نِ مُلتـــفٍّ رَوابيهِ[3]

ومـا ذِكري حبيباً و ... قليـــلاً مـــا أُواتيـهِ

كذِي الخمرِ تَمنَّاهـا ... وقَــد أَسْرفَ ساقِيهِ

ذكر الزُّبير بن بَكّارٍ أنّ الشِّعرَ لعديّ بن نوفل ، وقيل إنّه للنُّعمان بن بشيرٍ الأنصاريّ وذاك أصحُّ .

وقد أخرجتُ أخبارَ النُّعمان فيه مفردةً في موضع آخر ، وذكرتُ القصيدة بأسرها . ورواها ابنُ الأعرابيّ وأبو عمرو الشيبانيّ للنُّعمان ، ولم يذكر أنّها لعديٍّ غير الزُّبير بن بكّار .

والغناء فيما ذكر عمرو بن بانة لمَعْبدٍ ، خفيفُ رملٍ بالوُسطى . وذكر إسحاقُ أنّ فيه خفيفَ رملٍ بالسبّابة في مَجرى البِنصر ، يمانٍ . وفيه للغريض ثَقيلٌ أوّل بالوُسطى عن الهشاميّ ، في الأوّل والثاني والرابع والخامس .

1 الصياصي : الحصون .

2 الإكليل : موضع . والسوافي : الرياح التي تسفي التراب .

3 الجو : المنخفض من الأرض . الحوذان : نبت نوره أصفر .

[281] ـ نسب عديّ بن نَوْفل وخبره

[نسبه]

هو عدِيُّ بن نوفلٍ بن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ . وأُمّه آمنةُ بنت جابر بن سفيان ، أختُ تأبَّطَ شرّاً .

وكان عمر بن الخطّاب رضوان الله عليه استعمَلَه ، أو عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فيما أَخبرنا به الطُّوسيُّ عن الزُّبير بن بكّار ، على حَضرَمَوْت .

قال الزُّبير : ودارُ عديٍّ بن نوفلٍ بين المسجد والسُّوق معروفة ، وفيها يقول إسماعيل بن يسار النَّسائيّ : [من الخفيف]

إنَّ مَمْشاكِ نحــوَ دارِ عــديٍّ ... كان للقلب شِقــوةً وفُتونــا

إذْ تراءت على البـلاطِ فلمَّــا ... واجَهْتها كالشَّمْسِ تُعشي العُيونا

قال هارونُ قِفْ فيـا ليتَ أنِّي ... كنتُ طاوعتُ ساعةً هارونا

وقد قيل إنّ هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة[1] .

[نشوز امرأته]

قال الزُّبير : كان تحتَ عدِيّ بن نوفلٍ أُمُّ عبد الله بنت أبي البَخْترِيّ بن هاشم بن الحارث بن أَسدِ بن عبد العُزّى ، فغاب مدّةً وكتب إليها أن تَشخَص إليه ، فلَم تَفعلْ ، فكتبَ إليها قولَه : [من الهزج]

إذا مـا أُمُّ عبد اللَّـ ... ـهِ لَم تَحلل بواديه

وذكر البيتين فقط ، فقال لها أخوها الأسودُ بن أبي البَخْتريّ ، وهما لأبٍ وأمّ ، أمُّهما عاتكة بنت أُميّة بن الحارث بن أَسَد بن عبد العُزّى : قد بلغ الأمرُ هذا من ابن عَمّك . فاشخَصي إليه .

1 الأبيات، في ديوان عمر (صادر) : 431 .

صوت

[من المتقارب]

أعينيَّ جُــودا ولا تَجمُدا ألا تبكيــانِ لصَخْرِ النَّدى

ألا تبكِيانِ الجرِيَّ الجميلَ ألا تبكيانِ الفَتى السيِّدا

الشعر للخنساء بنت عمرٍو بن الشَّريد ، ترثي أُخاها صخراً ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، ثقيلٌ أوّل مطلق في مَجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيه لابن سُريج خفيفُ رملٍ بالوُسطى ، عن عمرو ، والهشاميّ ، وحَبَش .

[282] ـ نسب الخنساء وخبرها[1] وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية

[نسب الخنساء]

هي الخنساء بنت عَمرو بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر . واسمُها تماضر .

[شعر دريد بن الصمة فيها]

والخنساء لقبٌ غَلَبَ عليها ، وفيها يقول دُريد بن الصِّمَّة ، وكان خَطَبها فردّته ، وكان رآها تَهْنأ بعيراً[2] : [من الكامل]

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعُوا صَحبِي ... وقِفُوا فإنَّ وقوفَكم حسبي

أخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم ... وأَصابَه تَبْلٌ من الحُبِّ[3]

ما إن رأيتُ ولا سمِعتُ بِهِ ... كاليومِ طالي أينُقٍ جُربِ

متبذِّلاً تبدو محاسنُه ... يضع الهِناءَ مواضِعَ النُّقْبِ

قال أبو عبيدة ومحمّد بن سلاّم : لمّا خطبها دُريدٌ بعثت خادماً لها وقالتْ : انظري إليه إذا بالَ ، فإن كان بولُه يَخرِق الأرض ويخدُّ فيها ففيه بقيّة ، وإن كان بولُه يَسيح على وجهها فلا بقيّةَ فيه . فرجعَتْ إليها وأخبرَتْها ، فقالت : لا بَقِيّة في هذا . فأرسلَتْ إليه : ما كنتُ لأَدَعَ بني عمِّي وهم مثلُ عوالِي الرّماح ، وأتزوَّجَ شيخاً ! فقال[4] : [من الوافر]

وقاكِ اللهُ يا ابنةَ آلِ عمرو ... مِن الفتيانِ أشباهِي ونَفْسي

وقالت إنّني شيخٌ كبيرٌ ... وما نَبّأتها أنّي ابنُ أُمْسِ

---

1 ترجمة الخنساء في الشعر والشعراء : 260–264 وشرح شواهد المغني : 89 وخزانة البغدادي 1 : 433–438 وكتب الصحابة وراجع بروكلمان 1 : 164–165 وقد طبع ديوانها مرات عديدة وآخرها بشرح ثعلب تحقيق د . أنور أبو سويلم (ط . دار عمار) وفيه تخريج كثير واستقصاء للروايات .

2 ديوان دريد : 34 .

3 التبل : السقام .

4 ديوان دريد : 82 .

فـلا تلِدِي ولا يَنكحْكِ مثلي إذا مـا ليلـة طَرَقَتْ بِنَحْسِ
تريـدُ شَرَنْبَثَ القدمـين شَثْناً يُباشِر بـالعَشيَّة كلَّ كِرسِ[1]

فقالت الخنساء تُجيبه[2] : [من الوافر]

مَعَـاذَ اللهِ ينكِحُنِي حَبَرْكـى يُقال أَبـوه من جُشَمَ بنِ بَكرِ[3]
ولَو أصبحتُ في جُشَم هَدِيّاً إذاً أَصبحتُ في دَنَس وفقـرِ

وهذا الشعر[4] ترثي به أخاها صخراً وقتله زيدُ بن ثَورٍ الأسديّ يوم ذي الأَثْل .

[مقتل صخر]

أخبرنا بالسببِ في ذلك محمد بن الحسن بن دُريد ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة ، وأضفتُ إليه روايةَ الأثرم عن أَبي عبيدة قال[5] : غزا صَخْر بن عمرو ، وأَنس بن عَبّاسٍ الرِّعْلِيُّ في بني سُلَيم ، بني أسد بن خزيمة ، قال أبو عبيدة : وزعم السُّلَميّ أنّ هذا اليوم يقال له يوم الكُلاب ويومُ ذي الأَثْل ، في بني عوفٍ وبني خُفاف . وكانا متسانِدين ، وعلى بني خُفافٍ صخرُ بن عمرٍو الشَّريديّ ، وعلى بني عوفٍ أنسُ بن عبّاس . قال : فأَصابوا في بني أَسدِ بن خزيمة غنائِمَ وسَبْياً ، وأَخذ صخرٌ يومئذٍ بُدَيلَة امرأةٌ . قال : وأصابت صخراً يومئذٍ طعنةٌ ، طعنه رجلٌ يقال له ربيعة بن ثَور ، ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفَه حَلَقاً من الدِّرع فاندملَ عليه حتّى شُقَّ عنه بعد سنين ، وكان سبب موته .

قال أبو عبيدة : وقال غيره : بل وردَ هو وبلعاءُ بن قيسٍ الكنانيّ . قال : وكانا أَجملَ رجلين في العرب . قال : فشرِبا عند يهوديٍّ خمّارٍ كان بالمدينة . قال : فحسدَهما لِما رأى من جماهما وهيأتهما ، وقـال : إنّي لأحسد العربَ أن يكون فيهم مثلُ هذين ! فسقاهما شَربةً جَوِيا منها[6] . قال : فمرَّ بصخرٍ طبيبٌ بعد ما طال مرضُه ، فأَراه ما به ، فقال : أَشُقُّ عنك فتُفيق . قال : فعمَد إلى شِفارٍ فجعل يَحميها ثم يشقُّ بها عنه ، فلَم يَنْشَبْ أن مات .

قال أَبو عبيدة : وأمّا أَبو بلال بن سهم فإنّه قال : اكتَسح صخرٌ أَموال بني أسدٍ وسَبى

---

1 شرنبث القدمين : غليظهما . والشثن : الغليظ . والكرس : أبوال الغنم وأبعارها .

2 ديوانها : 372 وفيه : .

معـاذ الله يرضعنـي حبركـى قصير الشبر من جسم بن بكر

3 الحبركى : الطويل الظهر القصير الرجلين .

4 يعني الشعر الذي فيه الغناء .

5 انظر أيام العرب في الجاهلية : 399 .

6 جوي : أصابه الجوى ، وهو السل وتطاول المرض ودار في الصدر .

نساءَهـم ، فأتاهـم الصَّريخُ فتبِعوه فتلاحَقُوا بذات الأثْل ، فاقتتلوا قتالاً شدِيداً ، فطعن ربيعةُ بن ثورٍ الأسديُّ صخراً في جَنْبه ؛ وفات القومَ فلَم يُقْعَص[1] وجَوِي منها ، ومرِض قريباً من حولٍ ، حتّى ملَّه أهله . قال : فسمع صخرٌ امرأةً وهي تسأل سَلمى امرأةَ صخر : كيف بَعلُك ؟ فقالت سلمى : لا حيٌّ فيُرجى ، ولا مَيْت فيُنعى[2] ، لقِينا منه الأمَرَّين !

قال : وزعم آخر أنّ التي قالت هذه المقالةَ بُديلةُ الأسديّة التي كان سباها من بني أسد فاتَّخذَها لنفسه . فأُنشدَ هذا البيت[3] : [من الطويل]

ألا تلكُمُ عِرسي بُدَيلةُ أوجَسَتْ … فِراقي ومَلَّت مَضجَعِي ومكانِي

وأمّا أبو بلال بن سهم فزَعم أنّ صخراً حين سمع مقالَةَ سَلْمى امرأته قال : [من الطويل]

أرى أُمَّ صخرٍ لا تملُّ عيادتي … ومَلَّتْ سُلَيْمى مَضجعِي ومَكانِي
وما كنتُ أخشى أن أكونَ جِنازةً … عليـكِ ومَـن يغتـرُّ بـالحَدَثانِ
أَهُمُّ بأمـر الحَـزْمِ لو أستطيعُه … وقـد حِيلَ بـين العَيرِ والنَّزَوانِ[4]
لَعَمري لقد نَبَّهتِ مَن كان نائماً … وأسمعتِ مَـن كانـت لـهُ أُذُنانِ
ولَلموتُ خيرٌ مـن حيـاةٍ كأنَّها … مَحَلَّـةُ يعسوب بـرأسِ سنانِ
وأيُّ امرىءٍ ساوى بـأُمٍّ حليلةً … فـلا عـاشَ إلاّ في شَقاً وهَوانِ

فلمّا طال عليه البلاءُ وقد نتأت قطعةٌ مثل اللِّبْد في جنبه في موضع الطَّعنة ، قالوا له : لو قطعتَها لرَجونا أن تبرأ . فقال : شأنَكم . فأشفقَ عليه بعضُهم فنهاهم ، فأبى وقال : الموتُ أهوَنُ عليَّ مِمّا أنا فيه ! فأحمَوْا له شَفرةً ثم قطعوها فيَئسَ من نفسه .

قـال : وسمع صخرٌ أختَـه الخنساءَ تقـول : كيـف كان صبرُه ؟ فقـال صخرٌ في ذلـك : [من الطويل]

أجارَتنـا إنّ الخطـوبَ تنُـوب … على النّاس ، كلَّ المخطئين تُصِيبُ
فإن تسأليني هَـلْ صبرتَ فإنّني … صَبـورٌ على رَيْبِ الزّمانِ صَليبُ
كأنّي وقـد أدنَـوْا إليَّ شِفارَهم … من الصَّبرِ دامِي الصَّفْحتين رَكوبُ

1 لم يقعص : لم يمت مكانه .
2 المثل «لاحي فيرجى ولا ميت فينسى» في مجمع الميداني 2 : 241 .
3 انظر ديوان الخنساء : 362 .
4 المثل «قد حيل بين العير والنزوان» في مجمع الميداني 2 : 96 وجمهرة العسكري 1 : 371 والدرة الفاخرة 2 : 20 .

أجارَتنــا لستُ الغــداةَ بظاعــنٍ ولكنْ مقيــمٌ مــا أقــامَ عسيبُ

عن أبي عبيدة : عَسيبٌ : جبلٌ بأرض بني سُلَيم إلى جنب المدينة ، فقبرُه هناك مَعْلَم .

وقال أبو عبيدة : فمات فدُفِنَ هناك ، فقبره قريبٌ من عَسيب .

[مراثي الخنساء في صخر]

فقالت الخنساء ترثيه[1] : [من المتقارب]

ألا مــا لعينِكَ أم مالَهــا لقد أخضَل الدَّمعُ سِرْبالَها

ابعدَ ابنِ عمرٍو من آل الشَّريـ ـدِ حَلَّتْ بِهِ الأرض أثقالَها

فإن تَـكُ مُـرَّةُ أَودَتْ بِهِ فقــد كان يُكثِـر تَقتـالَها

سأحملُ نفسي على خُطّـةٍ فإمّــا عليهــا وإمّــا لها

فإنْ تصبر النّفسُ تلقَ السُّرورَ وإنْ تجزع النفسُ أشقى لها

غنّى فيه ابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبِنصِر .

قال السُّلميّ : ليست هذه في صخر ، هذه إنّما رثت بها معاويةَ أخاها ، وبنو مُرّة قتلَته .

ولكنّها قالت في صخر[2] : [من البسيط]

قَــذًى بعَينِـكَ أم بالعَيْنِ عُــوّارُ أم أقفَرَتْ إذْ خلَتْ من أهلِها الدّارُ

تبكي لصخرٍ ، هي العَبْرى وقد ثَكِلَتْ ودونَه مــن جَديــد التُّرب أستارُ

لا بُــدَّ مــن مِيتةٍ في صَرفِها غِيَرٌ والدَّهــرُ في صَرفِـهِ حَولٌ وأطوارُ

يــا صخرُ وَرّادَ مـاءٍ قــد تناذَرَه أهــلُ المــوارِدِ ما في وِرده عارُ

مَشْيَ السبنتى إلى هيجاءَ مُعضِلَةٍ لــه سلاحــانِ أنيــابٌ وأظفارُ[3]

فمــا عَجُــولٌ على بَــوٍّ تُطيفُ بِهِ لهــا حنينـانِ إصغــارٌ وإكْبارُ[4]

ترتَعُ مـا رتَعتْ حتّى إذا ادَّكَرَتْ فإنّمــا هِــيَ إقبــالٌ وإدبارُ

لا تَسمَنُ الدَّهرَ في أرضٍ وإنْ رتَعَت فإنّمــا هِـي تَحنـانٌ وتَسجارُ[5]

---

1 ديوانها : 78 .

2 ديوانها : 378 ورواية المطلع فيه :

ما هــاج حزنك أم بالعين عــوار أم ذرّفت أم خلت من أهلها الدار

3 السبنتى : النمر والجرىء .

4 أي بصوت خفيف ومرتفع .

5 التسجار : مد الناقة صوتها في الحنين .

يومــاً بأوجَدَ منّـي يومَ فارقَني صخـرٌ وللدَّهرِ إحـلاءٌ وإمرارُ
فـإنّ صخـــراً لوالينـا وسيِّدُنـا وإنّ صخــراً إذا نَشتُو لنحّــارُ
وإنْ صخـراً لتأتـمُّ الهـداةُ بِـهِ كأنّــه عَلَــمٌ في رأسِهِ نــارُ

غنّى في هذين البيتين الأوّلين ابنُ سُريج ، من رواية يونس : [من البسيط]

لَم تَرْأَهُ جارةٌ يمشي بساحَتِها لِريبةٍ حـين يُخلِي بيتَه الجارُ
ولا تــراهُ وما في البيت يأكلُه لكنّــه بـارزٌ بالصَّحْنِ مِهمارُ[1]
مثـلُ الرُّدَينـيِّ لَم تنفَدْ شبيبتُهُ كأنّــه تحتَ طَيِّ البُرد أُسوارُ
في جوفِ رمسٍ مُقيم قد تضمَّنَه في رِمسِهِ مُقْمَطِرَّاتٌ وأَحجارُ
طَلْق اليدين بِفعلِ الخير ذو فَجَرٍ ضَخْم الدَّسيعة بالخيراتِ أمّارُ
ورُفقــةٍ حــارَ هاديهم بمهلِكةٍ كأنَّ ظلمتَها في الطَّخْيـةِ القارُ

عروضه ثانٍ من البسيط .

العُوّار والعائر : وجَع ، وهو مثل الرمد . وذَرَّفَتْ : قطرَت قطراً متتابعاً لا يبلغ أن يكون سَيلاً . والعَبْرى ، يقال امرأة عَبْرى وعابِرٌ . والعَبرة : سُخنة العين . والولَه : ما يصيب الرجلَ والمرأة من شدّة الجزَع على الولد . حَوْل وأطوار ، أي تحوُّلٌ وتقلُّبٌ وتصرُّفٌ . قد تناذَرَه ، أي أنذر بعضُهم بعضاً هَوْلَه وصعوبته . ويروى : «تبادره» . وقولها «ما في وِرده عار» أرادت ما في ترك وِرده عار ، أي لا يُعيَّر أحدٌ إنْ عجز عنه من صعوبةِ وِرده . العَجُول : الثَّكول . والبَوُّ : أن يُنحَر ولدُ الناقة ويؤخَذ جلدُه فيُحشى ويُدنى من أُمِّه فترأَمَه . إحلاءٌ وإمرار ، يقال : ما أَحلى ولا أَمَرَّ ، أي ما أَتى بحلوةٍ ولا مُرّةٍ . والمعنى أنّ الدَّهرَ يأتي بالمشقّة والمحنة . «كأنّه علَمٌ في رأسِهِ نار» أي إنّه مشهور . والعَلَم : الجبل ، وجمعه أعلام . «كأنّه تحتَ طيِّ البُرد أُسوار» ، أي من لطافة بَطنِهِ وَهَيفِهِ شبيه أسوارٍ من ذهب . والرديني : الرمح منسوب إلى رُدَينة : امرأةٍ كانت تقوِّم الرماح . أي هو معصوب البدَن ليس بمهبَّج منحَلٍّ . وهذا كلّه من انتفاخ الجلد والسِّمَن والاسترخاء . وقال أبو عمرو : مُقْمطِرّات : صخورٌ عظام . والأحجار صِغار . ذو فَجَرٍ : يتفجّر بالمعروف . والدَّسيعة : العطاء . الطخية ، من الطخّاء ، وهو الغيم الرقيق الذي يُواري النُّجومَ فيتحيَّرُ الهادي .

وقالت الخنساء أيضاً ترثي صخراً[2] : [من الوافر]

---

1 مهمار : يكثر لأضيافه .

2 ديوانها : 278 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

بكت عيني وعاودَهــا قَذاها بعُــوّارٍ فَمـا تَقضِـي كَراها
على صَخْرٍ وأيُّ فتًى كصخرٍ إذا مـا النابُ لَم تَرأَمْ طَلاها[1]

الطلا : الولد ، أي لم تعطف عليه من الجدب .

فتــى الفتيانِ مـا بلغوا مَداها ولا يُكدِي إذا بلغت كُداها[2]
لئن جزِعت بنو عمـرٍو عليـه لقــد رُزِئت بنو عمـرٍو فتاها
حلفت بربّ صهب معملات إلى البيـت المحـرم فنهــاها[3]

غنّى في هذه الأبيات ابنُ جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر حبشٌ أنّ له أيضاً فيه خفيف رمل بالبنصر .

لــه كـفّ يشقّ بهـا بخلب وأخرى ما يجف ثرى نداها[4]
ترى الشمّ الجَحاجحَ من سُليم وقــد بَلَّـتْ مدامِعُها لِحاها

إذا وُصِف السيد بالشمم فإنّه لا يدنو لدناءة ، ولا يضع لها أُنفَه .

وخَيلٍ قد كففتَ بجَوْل خيلٍ فدارَتْ بـين كبشَيها رحاها[5]

وجَول خيلٍ : جَوَلان . ويقال : قطعةُ خيلٍ تجول ، أي تذهب وتجيء .

ترفّـع فَضـلَ سابغـةٍ دِلاصٍ على خَيفانـةٍ خِفـقٍ حَشاها[6]
وتسعى حينَ تشتجرُ العوالِي بكأسِ الموتِ ساعةَ مُصطلاها
محافَظَـةً ومَحمِيَــةً إذا مــا نَبا بالقومِ مـن جَزعٍ لَظاها[7]
فتتركُها قــد اشتجرتْ بطعنٍ تضمَّنه ، إذا اختلفت ، كُلاها
هُنالك لـو نزلتَ بآل صخـرٍ قَرى الأَضيافَ سُخناً من ذُراها[8]

---

1 الناب : الناقة المسنة .

2 يكدي : يبخل عند السؤال . والكدية : الأرض الصلبة . أي إذا أجدبوا وأعسروا .

3 الصهب : الإبل في ألوانها صهبة ، أي بياض مختلط بحمرة . والمعملات : التي تعمل في السير .

4 رواية الديوان :

لــه كـف يشدّ بهـا وكفّ تجود فما يجف ثرى نداها

5 الكبش : الرئيس .

6 الخيفانة : الفرس الخفيفة السريعة .

7 المحمية : الحمية والأنفة .

8 الذرى : أسنمة النوق . وفي الديوان «شحماً من ذراها» .

فمن للضَّيفِ إن هبّت شَمالٌ مُزعزِعةٌ يجاوبُها صَداها
وألجأ بردُها الأشْوالَ حُدْباً إلى الحَجَراتِ بارزةً كُلاها[1]
أمطعِمَكم وحامِلَكم تَركْتُمْ لدى غَبراءَ منهدمٍ رَجاها
لَيَبكِ عليك قومُكَ للمعالي وللهيجاء إنّك ما فتاها[2]
وقد فَوَّزْتَ طَلْعَةَ فاستراحَتْ فليت الخيلَ فارِسُها يراها[3]

وقال خُفافَ بن عُميرٍ يرثي صخراً ومعاوية ابنَيْ عمرو ، ورجالاً منهم أُصيبوا[4] : [من الوافر]

تطاول همُّه بِبِراقِ سُعرٍ لذِكراهُمْ وأيُّ أوانِ ذِكرٍ[5]
كأنّ النارَ تُخرِجها ثيابي وتَدخلُ بعد نومِ الناسِ صدري
لَباتت تضربُ الأمثالَ عندي على نابٍ شَرِبْتُ بها وبَكْرٍ[6]
وتَنْسى من أُفارقُ غيرَ قالٍ وأصبر عنهمُ منْ آل عمرو
وهل تدرين أنْ ما رُبَّ خرقٍ رُزئتُ مبرّأ بقِصاصِ وترِ[7]
أخِي ثقة إذا الضَّرَّاءُ نابت وأهلِ حِباء أُضيافٍ ونحرِ
كصخرٍ للسَّرِيَّةِ غادروه بذِروة أو معاويةَ بن عمرو[8]
ومَيْتٍ بالجَنابِ أَثَلَّ عرشي كصخرٍ أو كعمرٍو أو كبشرِ[9]
وآخرَ بالنواصِفِ من هدامٍ فقد أُودى وربٌّ أبيك صَبري[10]
فلم أرَ مثلَهم حَيّاً لَقاحاً أقاموا بين قاصيَةٍ وحَجْرِ[11]

---

1 الأشوال : النوق التي خفّ لبنها . حدب : مقوسات الظهر من الهزال . والحجرات : خطائر الإبل .

2 ما فتاها : ما زائدة .

3 طلعة : اسم فرسه . وفوزت : أهلكتها حزناً .

4 ديوان خفاف بن ندبة رقم 5 ص 49 .

5 سعر : جبل . والبراق : الحجارة والرمل .

6 شربت بها : بعتها وشربت بثمنها .

7 الخرق : الفتى الكريم السخي .

8 ذروة : موضع .

9 الجناب : موضع .

10 النواصف : موضع .

11 الحي اللقاح : الذين لم يدينوا للملوك ولم يصبهم سباء .

أشدَّ على صُروف الدَّهرِ إدّاً وآمَرَ منهم فيها بِصَبْرِ[1]
وأكرَم ، حين ضَنَّ الناسُ ، خِيَما وأحمد شِيمةً ونَشِيلَ قِدرِ[2]
إذا الحسناء لم ترحَضْ يَدَيْها ولم يُقصَر لها بَصَرٌ بستْرِ
قَرَوْا أضيافَهم رُبَحاً بِبُحٍّ تجيءُ بعبقريِّ الوَدقِ سُمرِ[3]
رماح مثقّفٍ حَملتْ نِصالاً يَلُحْنَ كأنّهُنّ نجومُ فجرِ
جَلاها الصَّيقَلون فأخلَصُوها مواضِيَ كلُّها يَفْرى ببتْرِ
همُ الأيسارُ إن قَحَطت جُمادى بكلِّ صَبير سارِيةٍ وقَطرِ[4]
يَصُدّونَ المغيرةَ عن هَواها بطعنٍ يَفلِقُ الهاماتِ شَزرِ[5]
تعلَّمَ أنّ خيرَ الناسِ طُرّاً لولِدانٍ ، غداةَ الريح ، غُبرِ
وأرملةٍ ومُعترٍّ مُسيفٍ عديم المال ، عِجزةُ أُمِّ صخرِ[6]

ومِمّا رثت به الخنساء صخراً وغُنِّيَ فيه[7] : [من المتقارب]

صوت

أعَينيَّ جُودا ولا تَجمُدا ألا تبكيانِ لصخرِ النَّدى
ألا تَبكيانِ الجريءَ الجميلَ ألا تبكيان الفتى السيِّدا
طويلُ النِّجادِ رفيعُ العِما دِ ساد عشيرتَه أمْرَدا
إذا القومُ مَدُّوا بأيديهمُ إلى المجدِ مَدَّ إليهِ يدا
فنالَ الذي فوقَ أيديهمُ من المجدِ ثمَّ مضى مُصْعِدا
يحمِّلُه القومُ ما عالَهم وإن كان أصغرَهمْ مَولِدا

1 الإد : الداهية .
2 الخيم : الطبع .
3 الربح : الفصيل أو الشحم . والبح : قداح الميسر . ولعلّه يقصد ما يربحونه بالميسر .
4 الأيسار : جمع يَسَر وهم الذين يقتمسون بالميسر . والصبير : السحاب .
5 المغيرة : الخيل المغيرة . والطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .
6 المعتر : المعترض للمعروف . والمسيف : الفقير المعدم . والعجزة : آخر الأولاد .
7 ديوانها : 142 مع اختلاف في الرواية والترتيب .

تَـرى المجـدَ يهوي إلى بيته ... يرى أفضلَ المجدَ أن يُحمدا[1]

وإن ذُكِـرَ المجـدُ ألفيتَـه ... تـأزَّرَ بالمجـدِ ثـمَّ ارتـدى

[خبر مقتل معاوية بن عمرو]

ونذكر الآنَ هاهنا خبرَ مقتلِ معاوية بن عمرو أخيهما ، إذْ كانت أخبارهما وأخبارها يدعو بعضُها إلى بعض .

قال أبو عبيدة : حدَّثني أبو بلال بن سهم بن عبّاس بن مرداس بن أبي عامر بـن حارثـة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سليم بن منصور قـال : غـزا معاوية بن عمرو ، أخو خنساء ، بني مرّة بن سعد بن ذبيان وبني فزارة ، ومعه خُفاف بن عمير بن الحارث ، وأمّه «نُدبة» سوداء ، وإليها ينسب ، فاعتوره هاشمٌ ودريد ابنا حَرملة المرّيّان . قال ابن الكلبيّ : وحرملة هو حرملة بن الأسعر بن إياس بن مُرَيطة بن ضَمرة بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان . قال أبو عبيدة : فاستطردَ له أحدُهما ثم وقف ، وشدَّ عليه الآخرُ فقتلَه ، فلمّا تنادَوْا : قُتِلَ معاوية ! قال خُفاف : قتلني الله إنْ رِمتُ حتّى أثأرَ بِهِ ! فشدَّ على مالك بن حِمارٍ الشمخيّ ، وكان سيّد بني شَمْخ بن فزارة ، فقتله . قال : وهو مالك بن حمـار بن حزن بن عمرو بن جابر بن عَقيل بن هلال بن مازن بن فزارة . فقال خفاف في ذلك : [من الطويل]

فإنْ تَكُ خيلي قد أُصيبَ صميمُها ... فعَمْـداً على عَـينٍ تيمّمتُ مالِكا

يعني مالك بن حمار الشَّمْخِيّ .

قال أبو عبيدة : فأجمل أبو بِلالٍ الحديث . قال : وأمّا غيره فذكر أنّ معاوية وافى عكاظَ في موسم من مواسم العرب ، فبينا هو يمشي بسُوق عُكاظ ، إذ لقيَ أسماءَ المرّيّة ، وكانت جَميلةً ، وزعم أنّها كانت بغيّاً ؛ فدعاها إلى نفسه فامتنعَتْ عليه وقالت : أمَا علمتَ أنّي عند سيِّد العرب هاشم بن حَرمَلَة ؟! فقال : أما والله لأقارعنّه عَنْكِ . قالت : شأنَكَ وشأنَه . فرجعَتْ إلى هاشم فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له ، فقال هاشم : فلَعمرِي لا يَرِيم أبياتَنا حتّى ننظر ما يكون من جَهده . قال : فلمّا خرجَ الشهرُ الحرام وتراجَعَ النّاس عن عكاظ ، خرج معاويةُ بن عمرٍو غازِياً يريد بني مُرّة وبني فزارة ، في فرسانِ أصحابِهِ من بني سُلَيم ، حتى إذا كان بمكانٍ يُدعى الحَوْزة أو الجَوْزة ، والشكّ من أبي عبيدة ، دَوَّمَتْ[2] عليه طيرٌ وسَنَح له ظبيٌ ، فتطيَّر منهما ورجَعَ في أصحابِهِ . وبلغ ذلك هاشمَ بن حَرملة فقال : ما مَنَعه

1 هذا البيت والذي بعده لم يردا في متن الديوان .

2 دوّمت : حلقت .

من الإقدام إلاّ الجُبن ! قال : فلمّا كانت السنة المقبلة غزاهم ، حتّى إذا كان في ذلك المكان سنح له ظبي وغراب فتطيّر فرجع ، ومضى أصحابُه وتخلّف في تسعةَ عشر فارساً منهم لا يُريدون قِتالاً ، إنّما تخلّفَ عن عُظْم الجيش راجعاً إلى بلادِهِ . فوردوا ماء وإذا عليه بيتُ شعر ، فصاحوا بأهله فخرجَتْ إليهم امرأةٌ فقالوا : ما أنتِ ؟ مِمّن أنتِ ؟ قالت : امرأةٌ من جُهينة ، أحلاف لبني سهم بن مُرّة بن غطفان . فوردوا الماءَ يَسقُون ، فانسلّتْ فأتت هاشِمَ بن حَرملَة ، فأخبرته أنّهم غير بعيد ، وعَرَّفته عِدَّتَهم وقالت : لا أرى إلاّ معاوية في القوم . فقال : يا لَكاع ، أمعاويةَ في تسعةَ عشر رجلاً ، شبَّهتِ أو أبطَلْتِ . قالت : بل قلتُ الحقَّ ، ولئن شئتَ لأصِفَنَّهمُ لكَ رجلاً رجلاً . قال : هاتِي .

قالت : رأيت فيهم شابّاً عظيم الجُمَّة ، جبهتُه قد خرجَتْ من تحت مِغفره ، صبيحَ الوجه ، عظيمَ البطن ، على فرسٍ غرَّاء . قال : نعم هذه صفتُه . يعني معاويةَ وفرسَه الشَّمَّاء .

قالت : ورأيتُ رجلاً شديد الأُدْمة شاعراً يُنشِدهم . قال : ذلِكِ خُفاف بن عمير .

قالت : ورأيتُ رجلاً ليس يبرح وَسْطَهم ، إذا نادَوْه رفَعوا أصواتهم . قال : ذاكِ عبّاسٌ الأصمّ .

قالت : ورأيتُ رجلاً طويلاً يكنّونه أبا حبيب ، ورأيتُهم أشدَّ شيءٍ له توقيراً . قال : ذاكِ نُبَيشة بن حبيب .

قالت : ورأيت شابّاً جميلاً له وَفرةٌ حسنَة . قال : ذاكِ العبّاس بن مِرداس السُّلَميّ .

قالت : ورأيتُ شيخاً له ضَفيرتان ، فسمعته يقولُ لمعاوية : بأبي أنتَ أطلتَ الوقوف ! قال : ذاكِ عبد العُزّى زوج الخنساء أُختِ معاوية .

قال : فنادى هاشمٌ في قومه وخرج ، وزعم المريُّ أنّه لم يخرج إليهم إلاّ في مثل عِدّتهم من بني مرّة . قال : فلم يشعر السُّلميّون حتّى طلعوا عليهم ؛ فثاروا إليهم فلقُوهم فقال لهم خُفاف : لا تنازلُوهم رجلاً رجلاً ؛ فإنَّ خيلَهم تثبُت للطِّراد وتحمل ثِقْل السلاح ، وخيلَكم قد أَمَنَّها[1] الغزوُ وأصابها الحَفا .

قال : فاقتتلوا ساعةً وانفرد هاشم ودريدٌ ابنا حرملة المريان لمعاوية ، فاستطرد له أحدُهما فشدَّ عليه معاويةُ وشَغَله ، واغترَّهُ الآخَرُ فطعنه فقتَله . واختلفوا أيُّهما استطرد له وأيّهما قتله ، وكانت بالذي استطرد له طعنةٌ طعنَهُ إيّاها معاوية . ويقال : هو هاشم . وقال آخرون : بل دريد أخو هاشم .

---

1 أمنّها : ذهب بمنّتها ، أي أضعفها وأعياها .

قال : وشدّ خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد علي مالك بن حمار سيِّدِ بني شَمْخ بن فَزارة فقتله . وقال خفاف في ذلك وهو ابن نُدبة ، وهي أَمَةٌ سوداءُ كانت سباها الحارث بن الشريد حين أُغار على بني الحارث بن كعب فوهبها لابنه عُمير فولدت له خفافاً . ويقال في نُدبة إنّها ابنة الشيطان بن بنان ، من بني الحارث بن كعب . فقال[1] : [من الطويل]

أَقولُ لـــه والرّمحُ يأطِـرُ مَتْنَهُ ... تأمَّـلْ خُفافـاً إنّني أنا ذلكا[2]

وقفتُ له جَلْوى وقد خامَ صُحبتي ... لأبنِـيَ مجـداً أو لأثأر هالكا[3]

لدُن ذرّ قرنُ الشَّمس حين رأيتُهم ... سراعـاً على خيلٍ تـؤمُّ المسالِكا

فلمّـا رأيتُ القـوم لا وُدَّ بينهمْ ... شَرِيجَيْنِ شَتَّى طالِبـاً ومُواشِكا[4]

تيمّمتُ كبشَ القـومِ حتّى عرفتُه ... وجانَبتُ شُبّانَ الرِّجالِ الصَّعالِكا

فجادت لـهُ يُمنى يَـدَيَّ بطعنةٍ ... كسَتْ متنَهُ من أسودِ اللَّونِ حالِكا

أنا الفارسُ الحامِي الحقيقةِ والذي ... بِـهِ أُدْرِكُ الأَبطال قِدمـاً كذلكا

فـإنْ يَنـجُ منهـا هاشمٌ فبطعنةٍ ... كَسَتْه نجيعاً من دمِ الجوفِ صائِكا[5]

[مراثي الخنساء في معاوية]

وقالت الخنساء ترثي أَخاها معاوية[6] : [من الطويل]

أَلا لا أرى في الناس مثلَ معاويهْ ... إذا طَرَقَتْ إحـدى الليالي بداهيَهْ

بداهيةٍ يُصغِي الكلابَ حسيسُها ... وتُخرِج مـن سِرٍّ النجـيِّ عَلانيَهْ[7]

أَلا لا أرى كفارسِ الوَرْدِ فارساً ... إذا مـا عَلَتْـهُ جُـرْأَةٌ وغَلابِيَهْ[8]

وكان لِزازَ الحربِ عنـد شُبوبها ... إذا شَمَّرت عن ساقها وهي ذاكيَهْ

وقَوّادَ خيـلٍ نحـوَ أُخرى كأنّها ... سَعـالٍ وعِقبـانٌ عليها زَبانِيَهْ[9]

1 ديوان خفاف : 64–69 .
2 يأطره : يعطفه ويثنيه .
3 جلوى : اسم فرسه ، وفي رواية : علوى . وخام : جبن ونكص .
4 شريجان : قسمان . المواشك : المسرع .
5 الدم الصائك : الجامد واللازق .
6 ديوانها : 58 مع اختلاف كبير في الرواية والترتيب .
7 يصغي : يجعلها تنتبه وتصغي . والنجي : المتناجون .
8 الورد : فرسه . وفي الديوان : الجون . والغلابية : القهر والغلبة .
9 السعالي : جمع سعلاة ، وهي الغول .

بلينا وما تبلى تَعارُ وما تُرى … على حدث الأيّامِ إلاّ كما هيَهْ[1]

فأقسمْتُ لا ينفكُّ دمعِي وعَولتي … عليكَ بحزنٍ ما دَعا اللهَ داعيَهْ

وقالت الخنساء في كلمة أُخرى ترثيه أيضاً : [من المتقارب]

ألا ما لعينيكِ أمْ ما لَها … لقد أخضَلَ الدّمعُ سربالَها

أبعد ابنِ عمرٍو منَ آل الشريـ … ـدِ حَلّت به الأرضُ أثقالها

وأقسمتُ آسى على هالك … وأسألُ نائحةً مالَها

لتأتِ المنيّة ـ بعد الفتى … المغادَر بالمحو ـ أذلالها

سأحملُ نفسي على آلة … فإمّا عليها وإمّا لها

هممت بنفسي كل الهموم … فأولى لنفسي أولى لها

وخيل تكدّس مشي الوعو … لِ نازلتَ يوم الكريهة أبطالها

نُهينُ النفوسَ وهُون النّفو … سِ يوم الكريهة أبقى لها

ورجراجةٍ فوقَها بيضُها … عليها المضاعَفُ زِفْنا لها[2]

ككِرفئةِ الغَيثِ ذات الصَّبيـ … ـرِ تَرمي السحابَ ويَرمي لها

وقافيةٍ مثل حدِّ السِّنا … ن تبقى ويَهلِكُ مَن قالها

نطقتَ ابن عَمرو فسهَّلتَها … ولَم يَنطِق الناسُ أمثالَها

فإن تكُ مُرَّةُ أودَتْ بِهِ … فقد كان يُكثر تَقتالها

فزالَ الكواكِبُ مِن فَقدِهِ … وجُلِّلت الشمسُ أجلالَها

وداهيةٍ جَرَّها جارمٌ … تُبيل الحَواصنَ أحبالها[3]

كفاها ابنُ عمرٍو ولَم يَستَعِنْ … ولَوْ كان غيرُكَ أدنى لَها

وليس بأولى ولكنّه … سيَكفِي العشيرةَ ما عالَها

بمعتَرَكٍ ضَيِّقٍ بينَه … تجُرُّ المنيّةُ أذيالَها

وبيضٍ مَنعتَ غداةَ الصّبا … حِ تكشف للرَّوع أذيالها

1 تعار : اسم جبال .

2 الرجراجة : الكتيبة . زفنا : أسرعنا .

3 الحواصن من النساء : الحبالى . والأحبال : حمل النساء . أي أنّ الداهية تجعل الحبالى يسقطن حملهنّ من الفزع .

ومُعمَلــةٍ سُقتَهــا قاعــداً فأعلمــت بـالسيف أغفـالَها
وناجيـــةٍ كأتــانِ الثَّميــ ــلِ غادرت بـالخَلِّ أوصالَها
إلى مَلِــكٍ لا إلى سُوقــة وذلــك مــا كان إعمـالَها
وتمنح خيلَــكَ أرضَ العدوِّ وتَنبِــذُ بالغَــزْوِ أطفالَهـا
ونَـوحٍ بعثــتَ كمثـل الإرا خِ آنستِ العِــينُ أسبالَهـا[1]

التفسير عن أبي عبيدة : قوله حلَّت به الأرض ، قال بعضهم : حلّت من الحلية أي زيَّنت بهِ الأرضُ موتاها ، حين دفن بها . وقال بعضهم : حَلَّت من حللت الشيء . والمعنى ألقت مَراسِيها ، كأنّه كان ثِقْلاً عليها . قال : اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر ، كما قال جرير : [من الوافر]

ألستم خيرَ مَــن ركِب المطايا وأندى العالَمِين بطــونَ راحِ

قال : جوابُ «أبْعَد» في «آسى» أي أبعد ابنِ عمرو آسى وأسأل نائحةً مالها . وقال أبو عبيدة : هذا البيت لميّة ضِرار بن عَمرٍو الضَّبّيّة ترثي أخاها . قال أبو الحسن الأثرم : سمعت أبا عمرو الشيبانيّ يقول : أمور الناس جاريةٌ على أذلالها ، أي على مسالكها ، واحدها ذِلّ . آلة : حالة . تقول : فإمّا أنّ أموت وإمّا أن أنجو . ولَو قالت على آلَّةٍ لَم تنج ؛ لأنّ الألّة هي الحَرْبَة .

همت بنفسي ، قال أبو عبيدة : هذا توعد . قال الأصمعيّ : «كلّ الهموم» . قال الأثرم : كأنّها أرادت أن تقتل نفسَها .

أبو عبيدة ؛ التكدّس : التتابع ، يتبع بعضها بعضاً ، أي يغزو ويجاهد في الغزو ، كما تتوقّل الوعولُ في الجبال ؛ عن أبي عبيدة . قال الأصمعيّ : التكدُّس : أن تحرِّك مناكبَها إذا مشَتْ وكأنّها تنصبُّ إلى بين يديها ، وإنّما وصفَتْها بهذا . تقول : لا تسرع إلى الحرب ، ولكنْ تمشي إليها رويداً . وهذا أثبتُ له من أن يلقاها وهو يركض . ويقال : جاء فلان يتكدَّس ، وهي مشيةٌ من مَشي الغِلاظ القِصار . وقال أبو زياد الكلابيّ : الكُداس : عُطاس الضأن . قال السُّلَميّ : التكدُّس : تكدّس الأوعال ، وهو التقحُّم . والتكدّس هو أن يرمي بنفسه رمياً شديداً في جريه . نُهِين النّفوس ، تريد غداةَ الكريهة . وقولها : «أبقى لها» لأنّها إذا تذامرت[2]

1 النوح : جماعة النائحات . والإراخ : البقر . وآنست : أبصرت . العين : الواسعة العيون . والأسبال : جمع سَبَل ، وهو المطر .

2 تذامر القوم : تحاضوا وحثّ بعضهم بعضاً على القتال .

وغشيت القِتال كان أُسلَم لها من الانهزام . كقول بِشر بنِ أبي خازم : [من الوافر]

ولا يُنجي مـن الغَمَـرات إلاَّ　　بَـراكاءُ القِتــال أو الفِـرارُ[1]

قال بعضهم : أبقى لَها في الذِّكر وحُسن القول . والرجراجة : التي تتمخَّض من كثرتها . وقال الأصمعيّ : الكِرفِئة ، وجمعها كِرفِئ : قِطعٌ من السحاب بعضها فوقَ بعض . وقوله : «ترمي السحاب» أي تنضمُّ إليه وتتَّصل به . ويرمي لها ، أي ينضمُّ إليها السَّحاب حتى يستوِي . مثل حدِّ السنان ، لأنّها ماضية . سَهَّلتَها : جئتَ بها سهلة . وجُلِّلت الشمس ، أي كُسِفَت الشمسُ وصار عليها مثل الجُلّ . تُبيل الحواصن ، وهي الحوامِلُ من النِّساء ، أولادَها من شدّة الفزع . أي ما كان وَلِيَها ولا دَنا إليها ، ولكنّه يكفِي القريب والبعيد . ما عالها ، قال أبو عمرو : عالَها : غلبها . وقال أبو عبيدة : يقال إنَّه ليعولني ما عالَكَ ، أي يغمُّني ما غمّك . ويقال : افعلْ كذا وكذا ولا يَعُلْكَ أن تأتِيَ غيرَه ، أي لا يُعْجِزْك . ويقال : قد يعولك أن تفعَل كذا ، أي قد دنا لك أن تفعل ذاك . وأنشد : [من الرجز]

ضرباً كما تَكَدَّسُ الوُعولُ　　يَعُـول أن أُنبِطَهـا يَعُولُ

أي قد دنا ذلك . ويقال : عال كذا وكذا منك ، أي دنا منك . ويروى : «وليس بأدنى ولكنّه» . وقولها معملة : إبل . وقولها : قاعداً ، أي على فرسك . قال النابغة[2] : [من الطويل]

قُعوداً على آل الوجيهِ ولاحقٍ

والأغفال : ما لا سِمةَ عليها ، واحدها غُفل . والأتان : الصخرة . والثمِيل : بقيّة الماء في الصخرة . والخَلُّ : الطريق في الرمل . يقول : أعيَتْ فتركتَها هنالك . ويروى :

غادرتَ بالنَّخْل أوصالهـا

قال الأصمعيّ : ناجية : سريعة . ويروى : «إلى ملك وإلى شانيء» . تقول : تقود خيلك إلى ملك أو عدوّ . ويروى : «ما كان إكلالها» ما صلة . الإراخ : بقر الوحش . تقول : خَرجت من بيوتهن كما خرجت هذه البقرُ من كُنُسها فرَحاً بالمطر . ومثله في الفرح بالمطر لابنِ الأحمرِ قولُه : [من البسيط]

ماريّــةٌ لُؤلُؤانُ اللــونِ أوردَها　　طَلٌّ وبَنَّسَ عنها فَرقَـدٌ خَصِرُ[3]

---

1 براكاء القتال : مداومة القتال على الركب .

2 صدر بيت عجزه : يقيمون حولياتها بالمقارع

3 المارية : البقرة الوحشية . ولؤلؤان اللون : براقة اللون . وبنّس : تأخّر . وفرقد : ابنها . والخصر : الذي لحقه البرد .

أي قَوّى أنفسَها المطرُ ، لمّا رأته . ومثله[1] : [من الوافر]

أَلا هَلَكَ امــرؤٌ قامَــتْ عليه بجَنْبِ عُنيزَةَ البقَــرُ الهجودُ

أي لَم يَقَرْنَ في البيوت فتستُرَهنَّ البيوت ، بَل هُنَّ ظَواهرُ . وإنّما شبه اجتماعَ هؤلاء النّساء باجتماع العِين وخُروجِهنّ للمطر . قال : وبَقَر الوحش تفرح بالمطر .

[رثاء دريد لمعاوية]

وقال دُريدٌ يرثي معاوية أخا الخنساء ، لمّا قتلته بنو مرّة[2] : [من الوافر]

أَلا بَكرتْ تلومُ بغيرِ قَــدْرِ فقد أَحْفَيتني ودخلتِ سِتري[3]
فإنْ لَم تَترُكِي عَذلِي سَفاهاً تَلُمْــكِ عليَّ نفسُكِ أيَّ عَصرِ
أَسَرَّكِ أن يكونَ الدَّهــرَ هذا عليَّ بشَرِّهِ يغــدو ويسري
وألاّ تُرزئَـــي نفساً ومــالاً يضرُّك هُلكُه في طُولِ عمري
فقد كذَبَتْكِ نفسُك فاكذبيها فإنْ جزَعٌ وإن إجمالُ صبرِ
وإنَّ الرزء يــومَ وقفتُ أدعو فلَم أُسمِع معاويــةَ بنَ عمرِو
رأيت مكانَــه فعَرضتُ بَدْءاً وأيُّ مَقِيــلِ رُزْءٍ يا ابنَ بكرِ
إلى إرَمٍ وأحجــارٍ وصِيــرِ وأغصانٍ من السَّلَماتِ سُمرِ

صِيَر ، الواحدة صِيرة ، وهي حظيرة الغنم . وقوله : وأغصان من السلمات ، أي أُلقِيتْ على قبرهِ .

وبُنيــان القبــور أتــى عليهــا طَوالُ الدَّهر مــن سنة وشهرِ
ولَــوْ أَسمعتِــه لَسَرى حثيثاً سَريعَ السَّعي أو لأتاكِ يجري
بِشكّةِ حــازمٍ لا عيــبَ فيــه إذا لبِسَ الكُماةُ جلــودَ نُمْرِ

أي كأنَّ ألوانَهم ألوانُ النمور ، سوادٌ وبياض من السلاح . عن أبي عبيدة .

فإمَّا تمسِ في جَــدَثٍ مقيماً بمَسْهَكةٍ مــن الأرواحِ قفرِ[4]
فعَــزَّ عليَّ هُلكُكَ يا ابنَ عمرٍو وما لي عنكَ مــن عَزْمٍ وصبرِ

---

1 البيت لامرأة من بني حنيفة (المفضلية رقم 69) .

2 ديوان ابن دريد : 68–70 وانظر ترجمة دريد .

3 أحفاه : ألحّ عليه في المسألة .

4 المسهكة : ممر الريح . ويقال مسهكت الريح ، أي مرّت مرّاً شديداً .

قال أبو الحسن الأثرم : فلمّا دخل الشهر الحرام ـ فيما ذكر أبو عبيدة عن أبي بِلال بن سَهم ـ من السَّنَة المقبلة ، خرجَ صخرُ بن عمرو حتّى أتى بني مرّة بن عوف بن ذبيان ، فوقف على ابنَيْ حرملة ، فإذا أحدُهما به طعنةٌ في عَضُده ـ قال : لم يسمِّه أبو بلال بن سهم . فأمّا خُفاف بن عُمير فزعم في كلمته تلك أنَّ المطعون هاشم ـ فقال : أيُّكما قَتل أخي معاويةَ ؟ فسكتا فلَم يُحيرا إليه شيئاً ، فقال الصَّحيح للجريح : ما لكَ لا تُجيبه ؟ فقال : وقفتُ له فطعَنَني هذه الطعنة في عضدي ، وشدَّ أخي عليه فقتلَه ، فأيَّنا قَتلتَ أدركتَ ثارَك ، إلاَّ أنا لم نَسْلُبْ أخاك . قال : فما فعلَتْ فرسُه الشَّمَّاء ؟ قال : ها هي تلك خُذْها . فردّها عليه فأخذَها ورجع ، فلمّا أتى صخرٌ قومه قالوا له : اهجُهُم . قال : إنَّ ما بيننا أجلُّ من القَذَع ، ولَو لَم أكفُفْ نفسي إلاّ رغبةً عن الخَنا لفعلت .

وقال صخرٌ في ذلك : [من الطويل]

وعاذلــة هَبَّــتْ بليــل تلومنــي ... ألا لا تلوميني كَفـى اللومَ ما بِيا

قال : أراد تباكره باللّوم ، ولَم يرِد الليلَ نفسه ، إنّما أراد عَجَلَتَها عليه باللّوم ، كما قال النمر بن تَولب العُكْليّ :

بَكَــرتْ باللَّــوم تلحانا

وقال غيره : تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفِعل المكارم ، والأضياف ، والنظرِ في الحَمالات وأُمورِ قومه ، لأنّه قِوامهم : [من الطويل]

تقـولُ ألا تهجــو فَوارسَ هاشم ... وما لِــيَ إذْ أهجوهُمُ ثـمّ ماليا

أبى الشتمَ أنّي قد أصابوا كريمتي ... وأنْ ليس إهداءُ الخَنا من شمالِيا

[أي من شمائلي . ويروى : «من فِعاليا»] .

إذا ذُكِــر الإخــوانُ رقرقتُ عبرةً ... وحيَّيــتُ رمساً عنـد لِيَّــة ثاويا[1]

إذا مــا امــرؤٌ أهدى لميتٍ تحيّةً ... فحيّـاكَ ربُّ النّــاس عنّـي معاوِيا

وهــوّنَ وجدِي أنّني لَـم أقلْ لَهُ ... كذبــتَ ولَـم أبخلْ عليـهِ بمالِيا

فنعمَ الفتـى أدَّى ابن صِرمةَ بـزّه ... إذا الفحلُ أضحى أحدبَ الظّهرِ عارِيا

قال أبو عبيدة : ثم زاد فيها بيتا بعد أن أوقَعَ بهم ، فقال :

وذي إخــوة قطّعتُ أقرانَ بينِهم ... كما تَرَكوني واحــداً لا أخا لِيا[2]

1 لِيّة : موضع بالطائف .

2 أقران بينهم : الحبال التي تصل بينهم .

[غزو صخر لبني مرّة]

قال أبو عبيدة : فلمّا كان في العام المقبل غَزاهم وهو على فَرسه الشَّمَّاء ، فقال : إنِّي أَخاف أن يعرفوني ويعرفوا غُرَّةَ الشَّمّاء ، فيتأهَّبوا . قال : فحمَّمَ[1] غُرَّتها . قال : فلمّا أشرفَتْ على أدنى الحيِّ رأوها . فقالت فتاةٌ منهم : هذه واللهِ الشَّمّاء ! فنظروا فقالوا : الشَّمّاء غَرّاءُ وهذه بَهيم ! فلَم يشعروا إلاّ والخيل دوائسُ ، فاقتتلوا فقَتل صخر دريداً ، وأَصاب بني مرّةَ فقال : [من الكامل]

ولقد قتلتُكُمُ ثُناءَ ومَوحَداً وتركتَ مُرّةَ مثلَ أمسِ المُدْبِرِ

قال الأثرم : مثنى وثناء لا ينوّنان . قال ابن عَنَمة الضَّبّيّ : [من الكامل]

يُباعُونَ بالنِّغْرانِ مَثنى ومَوحَدا

لا ينوّنان لأنّهما مِمّا صُرِف عن جهته ، والوجه أن يقول : اثنين اثنين . وكذلك ثُلاث ورُباع . قال صخر الغيّ : [من الوافر]

مَنَتْ لَكَ أَنْ تلاقيَنِي المَنايا أُحادَ أُحادَ في الشهر الحلالِ

قال : ولا تجاوز العرب الرُّباع ، غير أنَّ الكميت قال : [من المتقارب]

فلم يستريثوكَ حتّى رميـ ـتَ فوقَ الرجالِ خِصالاً عُشارا[2]

* * *

ولقد دفعتُ إلى دُريدَ بطعنةٍ نجلاءَ تُزغِل مثلَ عَطِّ المنحَرِ[3]

تُزغِل : تخرج الدم قِطَعاً قطعاً . قال : والزُّغلة : الدُّفعة الواحدة من الدم والبول . قال :

فأزغلَتْ في الحلْقِ إزْغالةً[4]

وقال صخر أيضاً فيمن قتل من بني مُرّة : [من الوافر]

قتلتُ الخالِدَينِ بِهِ وبشراً وعمراً يوم حَوْزَةَ وابنَ بشرِ
ومِن شَمْخٍ قتلتُ رجالَ صِدقٍ ومن بدر فقد أوفيت نذري[5]
ومُرّةُ قد صَبَحناها المنايا فروَّيْنا الأسنّةَ ، غيرَ فخرِ
ومِن أَفناء ثعلبةَ بنِ سعدٍ قَتلت وما أبيئهمُ بوِترِ

---

1 حمم : سوّد .
2 يستريثوك : لم يجدوك رائثاً ، أي بطيئاً . ورميت : زدت .
3 العط : الشق .
4 البيت لابن أحمر ، وعجزه : لم تخطىء الجيد ولم تشفتر
5 شمخ وبدر : قبيلتان .

ولكنّـا نُريـد هـلاكَ قـومٍ فنقتلُهـم ونشرِيهـمْ بكَسرِ[1]

وقال صخر أيضاً : [من الطويل]

أَلا لا أُرى مستعتِبَ الدَّهر مُعْتَبا ولا آخِـذٌ منـه الرّضا إنْ تَغَضَّبا

وذي إخوةٍ قطَّعتُ أَقـرانَ بينِهم إذا ما النُّفوسُ صِرنَ حَسرى ولُغَّبا[2]

أَقول لرمسٍ بـين أَجـراعِ بيشةٍ سقاكَ الغـوادِي الوابـلَ المتحلِّبا

لَنِعمَ الفتـى أَدّى ابنُ صِرمَـةَ بَزَّه إذا الفحلُ أَمسى عاريَ الظهرِ أَحدبا

[لقاء قيس بن الأصور لهاشم بن حرملة]

قال أبو عبيدة : ثم إنّ هاشم بن حرملة خرجَ غازياً ، فلمّا كان ببلاد جُشَم بن بكر بن هَوازن نزل منزلاً وأخذ صُفناً[3] وخلا لحاجته بين شَجَر ، ورأى غَفلتَه قيسُ بن الأَصْوَر الجَشميّ فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ! لا وأَلَتْ نفسي إن وأل[4] ! فلمّا قعَد على حاجته تقتَّرَ[5] له بين الشَّجر ، حتّى إذا كان خلفَه أرسل إليه مِعبَلةً[6] فقتله .

[ثناء الخنساء على قاتل أخيها]

فقالت الخنساء في ذلك ، قال ابن الكلبيّ : وهي الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن شَريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصيَّةَ بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُليم : [من الوافر]

فِدًى للفارسِ الجشَميّ نفسي وأُفديهِ بمَن لِـي مِـن حَميمِ

أفدِّيـهِ بجُـلّ بنـي سُلَيـم بظاعِنِهـم وبـالأَنَس المُقيمِ

كما مـن هاشمٍ أقـررتُ عيني وكانت لا تَنـام ولا تُنيـمُ[7]

[صفة هاشم بن حرملة]

قال أبو عبيدة : وكان هاشمُ بن حرملة بن صِرمة بن مُرّة أسود[8] العرب وأشدَّهم ، وله يقول الشاعر : [من الرجز]

1 نشريهم بكسر : نبيعهم بأرخص الأثمان .

2 حسرى : معيية . واللغب : جمع لاغب ، وهو المتعب .

3 الصفن : مثل الدلو أو الركوة يتوضأ فيه .

4 وأل : نجا .

5 تقتر : تهيأ للقتال .

6 المعبلة : نصل طويل عريض .

7 المثل «السليم لا ينام ولا ينيم» في مجمع الميداني 1 : 339 . وفي البيت إقواء .

8 أسود : من السيادة .

أَحيا أَباه هاشمُ بن حَرمَله ... يوم الهَباتَين ويوم اليَعْمَلَهْ[1]
يقتلُ ذا الذنبِ ومن لا ذنبَ له ... إذِ الملوكُ حولَه مُغربلَهْ[2]
وسيفُه للوالدات مثكلَهْ

حدَّثني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : حدَّثنا الكسروي عن الأصمعيّ قال : مررت بأعرابيٍّ وهو يَخْضِد شجرةً وقد أعجبته سماحتُها ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

لو كنتِ إنساناً لكنتِ حاتماً ... أو الغلامَ الجُشَمِيَّ هاشما

قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أوَلا تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هو الذي يقول : [من الطويل]

وعاذلةٍ هَبَّتْ بليلٍ تلومُني ... كأنّي إذا أنفقتُ مالي أُضيمها
دعِيني فإنّ الجود لن يتلِفَ الفتى ... ولن يُخْلدَ النَّفسَ اللئيمةَ لُومُها
وتُذكَر أخلاقُ الفتى ، وعظامُهُ ... مفرَّقةٌ في القبر بادٍ رميمُها
سَلِي كلّ قيسٍ هل أُباري خيارَها ... ويُعرِض عنِّي وغْدُها ولئيمُها
وتذكرُ فِتيانِيَّتي وتكرمي ... إذا ذُمَّ فِتيانيُّها وكريمُها[3]

قلت : لا أعرفه . قال : لا عرفت ، هو الذي يقول فيه الشاعر :

أحيا أباه هاشمُ بن حَرمله ... يقتُل ذا الذنب ومَن لا ذنبَ لَهْ
تَرى الملوكَ حولَهُ مُغربَلَهْ

مضى الحديث .

1 الهباتان واليعملة : موضعان . وكان في كل منهما يوم من أيام العرب .
2 مغربلة : مقتولون .
3 فتيانيتي : من الفتوة ، وهي السخاء والكرم .

283 ـ [خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن الحكم]

صوت[1]

[من البسيط]

تأبّد الرّبعُ من سَلْمى بأحفار وأقفرتْ من سُلَيمى دِمنةُ الدّارِ
وقد تَحُلُّ بها سَلمى تحدّثني تَساقُطَ الحَلي حاجاتي وأسراري

الشعر للأخطل ، والغناء لعمرَ الواديّ ، هزج بالسبابة في مجرى الوسطى ، وفيهما رمل بالبنصر يقال إنّه لابن جامع ويقال إنّه لغيره ، وفيهما خفيف رمل بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه لحكم . وذكر حبش أنّ فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . ومِمّا يغنّى فيه من هذه القصيدة : [من البسيط]

وشاربٍ مُرْبحٍ بالكأس نادَمَني لا بالحَصُور ولا فيها بَسآرِ[2]
نازعتُه طيِّبَ الراحِ الشَّمولِ وقد صاح الدَّجاجُ وحانت وَقعةُ الساري[3]
لما أتَوها بمصباحٍ ومِبزلهمْ سَمَتْ إليهم سموَّ الأبجلِ الضاري[4]

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج خفيف رملٍ بالبِنصر عن الهشاميّ . وذكر غيره أنّها للدّلال . ومنها : [من البسيط]

فردٌ تغنّيه ذِبّانُ الرّياضِ كما غَنّى الغُواةُ بصَنْجٍ عند أُسوارِ[5]

---

1 ديوان الأخطل (الصالحاني) : 112–120 .

2 المربح : الذي يربح صاحب الخمر . والحصور : البخيل . والسآر : الذي يترك فضلة في القدح . ويروى «بسوار» ، وهو المعربد .

3 وقعة الساري : وقت غروب النجوم .

4 بمصباح : يريد أنهم بذلوها ليلاً . والمبزل : الحديدة التي يفتح بها الدن . الأبجل : عرق . والضاري : الذي يتدفق منه الدم .

5 فرد : منفرد ، وهو الثور في أبيات سابقة . والأسوار : قائد الفرس .

كأنّـه مـن نَدى القُرَّاص مُغتمرٌ　　بالوَرْسِ أو خارجٌ من بيت عَطّارِ[1]

غنّاه ابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأوسط ، من الثقيل الأوّل ، بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر الهشاميّ أنّ لمالكٍ فيه ثقيلاً أوّلاً . ووافقه يونُس في نسبته إلى مالك ، ولحكم في قوله :

فـردٌ تغنّيـهِ ذِبّانُ الرّياضِ كما

وبعده قوله : [من البسيط]

صَهباء قد عَنَسَتْ من طُولِ ما حُبِست　　في مُخدَع بـين جنّـاتٍ وأنهارِ

خفيف ثقيل بالبنصر . ومنها :

لسَكّنتنـي قـريشٌ في ظِلالهـمُ　　ومَوّلتنـي قـريشٌ بعـد إقتـارِ
قـومٌ إذا حاربـوا شَدُّوا مآزرَهم　　عن النِّساء ولـو باتَـتْ بأطهارِ

ليونس فيها لحن من كتابه ولم يجنّسه .

وهذه القصيدة مدح بها الأخطل يزيدَ بن معاوية لمّا مَنَع من قَطْع لسانه حين هجا الأنصار ، وكان يزيدُ هو الذي أمَرَه بهجائهم . فقيل : إنّ السبب في ذلك كان تشبُّب عبدِ الرحمن بن حسّان برملةَ بنتِ معاوية ، وقيل بل حَمِيَ لعبد الرحمن بن الحكم .

[تشبيب عبد الرحمن بن حسان برملة]

أخبرني الجوهريّ قال : حدَّثنا عُمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو يحيى الزُّهريّ قال : حدَّثني ابن أبي زريق قال : شَبَّبَ عبدُ الرّحمن بن حسّانَ برملةَ بنت معاوية فقال[2] : [من الخفيف]

رَمْلَ هـل تذكرين يومَ غزال　　إذْ قطعنا مَسيرنـا بالتّمنّي
إذْ تقولين عمرَكَ الله هل شَي　　ءٌ وإنْ جَلَّ سوف يُسليكَ عنّي
أَمْ هَلُ اطمِعتُ منكمُ بابن حَسّا　　ن كما قـد أراكَ أُطعِمتَ منّي

قال : فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضِب ، فدخلَ على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى إلى هذا العِلجِ من أهلِ يثرب ، يتهكّم بأعراضنا ويشبِّب بنسائنا ؟ قال : ومَن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسان ، وأنشده ما قال ؛ فقال : يا يزيد ليست العقوبةُ من أحدٍ أقبحَ منها من ذوي القُدرة ، ولكن أمهِلْ حتّى يَقدَمَ وفدُ الأنصار ثمّ ذكّرني . قال : فلمّا قدِموا أذكره به ، فلمّا دخلوا عليه قال : يا عبدَ الرّحمن ، ألَم يبلغني أنّك تشبّب برملةَ بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو

1 القراص : نبت . والورس : نبت أصفر . ومغتمر : مطلي .
2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 59 .

علمتُ أنّ أحداً أشرِّف به شعري أشرفَ منها لذكرتُه . قال : وأين أنت عن أختها هند ؟ قال : وإنَّ لها لأُختاً ؟ قال : نعم . قال : وإنّما أراد معاوية أن يشبِّب بهما جميعاً فيُكذِبَ نفسَه . قال : فلَم يَرضَ يزيدُ ما كان من معاوية في ذلك : أن يشبِّب بهما جميعاً ؛ فأرسل إلى كعب بن جُعَيل فقال : اهج الأنصار . فقال : أُفرَق من أمير المؤمنين ؛ ولكنْ أدلّك على الشاعر الكافر الماهر .

[هجاء الأخطل للأنصار]

قال : ومن هو ؟ الأخطل . قال : فدعا به فقال : اهجُ الأنصار . قال : أفْرَقُ من أمير المؤمنين ! فقال : لا تَخَفْ شيئاً ؛ أنا لَكَ بذلك . قال : فهجاهم فقال : [من الكامل]

وإذا نسَبْتَ ابنَ الفُريعةِ خِلتَه ... كالجحش بين حِمارةٍ وحمارِ

لَعَنَ الإلهُ من اليهودِ عِصابةً ... بالجزْع بين صُليصِلٍ وصِرارِ[1]

قومٌ إذا هَدَرَ العصيرُ رأيتَهم ... حُمراً عيونهمُ من المُصطارِ[2]

خلُّوا المكارمَ لستمُ مِن أهلها ... وخُذوا مساحِيَكم بني النجّارِ[3]

إنّ الفوارس يَعلمون ظهورَكم ... أولادَ كلِّ مقبَّحٍ أكّارِ[4]

ذَهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا ... واللؤمُ تحتَ عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بن بَشير فدخلَ على معاوية فحسر عن رأسه عمامتَه ، وقال : يا أمير المؤمنين : أترى لؤماً ؟ قال : لا بلْ أرى كرَماً وخيراً ، ما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أنّ اللؤمَ تحت عمائمنا . قال : أوَفعَل ؟ قال : نعم . قال : لك لسانُه . وكتب فيه أن يؤتى به . فلمّا أتى به سأل الرسولَ ليدخلَ إلى يزيد أوّلاً ، فأدخله عليه ، فقال : هذا الذي كنتُ أخاف . قال : لا تخَفْ شيئاً . ودخل على معاوية فقال : علامَ أُرسِلَ إلى هذا الرجلِ وهو يَرمِي من وراء جمرتنا ؟ قال : هجا الأنصار . قال : ومن زعم ذلك ؟ قال : النعمان بن بشير . قال : لا تقبلْ قوله عليه وهو يدَّعي لنفسه ، ولكن تَدْعوه بالبيِّنة ، فإن ثَبَّتَ شيئاً أخذتَه به له . فدعاه بالبينة فلم يأتِ بها ، فخلَّى سبيلَه . فقال الأخطل[5] : [من الطويل]

وإنّي غداةَ استعبَرَتْ أمُّ مالكٍ ... لَراضٍ من السُّلطان أن يتهدّدا

1 صليصل وصرار : يشير إلى موضعين بالمدينة .

2 المصطار : الخمر الحامضة .

3 المساحي : جمع مسحاة ، وهي المجرفة من الحديد . أي أنهم أهل زراعة .

4 أكار : حراث .

5 ديوان الأخطل : 90-96 .

ولَـوْلا يزيــدُ ابنُ الملـوك وسعيُـه تجلَّلتُ حِدبـــاراً مــن الشّرّ أنكدا[1]
فكــم أنقذَتْنِي مِــن خُطـوبٍ حبالُهُ وخرساءَ لَـو يرمى بهـا الفيل بَلَّدا[2]
ودافع عنِّــي يــومَ جِلِّــقَ غَمـرةً وهَمّــاً يُنسِّينــي السُّلافَ المبـرّدا
وبــاتَ نجيّــاً في دمشق لحيّــةٍ إذا هــمّ لم يُنــمِ السليمَ فأقصدا[3]
يُخافِتــه طَــوراً وطَـوراً إذا رأى مِــن الوجـه إقبـالاً ألحَّ وأجهدا
وأطفأتَ عنِّــي نــارَ نُعمانَ بعدما أعــدَّ لأمــرٍ فاجــرٍ وتجـرّدا
ولّمــا رأى النُّعمانُ دوني ابنَ حُـرّةٍ طَوى الكشحَ إذْ لَم يستطعني وعَرّدا[4]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال : شبَّب عبد الرحمن بن حسّان بأخت معاوية ، فغضب يزيدُ فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، اقتلْ عبدَ الرّحمن بن حسّان . قال : ولِمَ ؟ قال : شبَّب بعمَّتي . قال : وما قال ؟ قال قال[5] : [من الخفيف]

طال ليــلي وبــتُّ كالمحزونِ ومللــت الثَّـواءَ في جَيرونِ

قال معاوية : يا بُنيَّ وما علينا من طُولِ ليلِهِ وحزنِهِ أبعده الله ؟ قال : إنّه يقول :

فلذاكَ اغتربتُ بــالشام حتَّى ظَنَّ أهلِـي مرجَّماتِ الظنونِ

قال : يا بنيّ ، وما علينا من ظَنّ أهله ؟ قال : إنّه يقول :

هــي زهراءُ مثــلُ لؤلؤةِ الغـ ـوَّاصِ مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ

قال : صدق يا بنيّ . قال : إنّه يقول :

وإذا مــا نسبتَهــا لَم تجِدْهــا في سناءٍ مــن المكــارمِ دُونِ

قال : صَدَقَ يا بنيّ ، هي هكذا . قال : إنّه يقول :

ثم خاصرتُها إلى القُبَّة الخضـ ـراء تمشي في مَرمرٍ مَسنونِ[6]

1 الحدبار : الناقة العجفاء الهزيلة .
2 الخرساء : الداهية . وبلّد : لصق بالأرض ممّا دهاه .
3 السليم : الملدوغ . لم ينم : لم ينج . أقصدت الحية : لدغت فقتلت .
4 طوى الكشح : أضمر العداوة ولم ينطق . وعرد : هرب .
5 تقدّمت هذه الأبيات في ترجمة أبي دهبل منسوبة إليه في المجلد السابع ، ص 93 . وانظر شعر عبد الرحمن : 59–60 .
6 المسنون : المملس .

خاصرتُها : أخذتُ بخَصْرها وأخذَتْ بخصري . قال : ولا كلُّ هذا يا بني ! ثم ضحك وقال : أنشدني ما قال أيضاً . فأنشده قوله : [من الخفيف]

قُبّة من مَراجلٍ نَصَبوها عند خدِّ الشتاء في قَيطونِ
عَن يساري إذا دخلتُ من البا بِ وإن كنتُ خارجاً فيميني
تجعل النَّدَّ والأُلُوَّةَ والعُو دَ صِلاءً لَها على الكانونِ[1]
وقِبابٌ قد أُشْرِجَتْ وبيوتٌ نُطِّقت بالريحانِ والزَّرَجُونِ[2]

قال : يا بني ، ليس يجبُ القتل في هذا ، والعقوبةُ دون القتل ، ولكِنّا نكُفُّه بالصلة له والتجاوز .

نسبة ما في هذه الأبيات من الغناء

صوت

[من الخفيف]

هِيَ زهراءُ مثل لؤلؤة الغـ ـوّاص مِيزَتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا ما نسبتَها لَم تجدْها في سناءٍ من المَكارِمِ دُونِ

نسخت من كتاب ابن النطاح : وذكر الهيثم بن عديّ عن ابن دأب قال : حدَّثنا شُعيب بن صفوان أنّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يشبِّب بابنة معاوية ، ويذكُرها في شعره ، فقال الناس لمعاوية : لو جعلْتَه نَكالاً ؟ فقال : لا ، ولكن أُداويهِ بغير ذلك . فأَذِن له وكان يدخل عليه في أُخريات النّاس ، ثمّ أَجلسه على سريره معه ، وأَقبلَ عليه بوجهه وحديثه ثم قال : ابنتي الأُخرى عاتبةٌ عليك . قال : في أيِّ شيء ؟ قال : في مِدحتك أُختَها وتركِكَ إيّاها . قال : فلها العُتْبى وكرامة ، أنا ذاكرها وممتدِحُها . فلمّا فعلَ وبلغ ذلك الناس قالوا : قد كنّا نرى أنّ نسيب بن حسّان بابنةِ معاويةَ لشيء ، فإذا هو عَنْ رأيِ معاويةَ وأمره . وعلم مَن كان يعرف أنّه ليس له بِنْتٌ أُخرى ، إنّه إنّما خدَعه ليشبِّب بها ، ولا أَصل لها فيعلم الناس أنّه كذب على الأولى لما ذكر الثانية .

وقد قيل في حمل يزيدَ بن معاوية الأخطلَ على هجاء الأنصار : إنّه فعلَ ذلك تعصُّباً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أُميّة ، أخي مروانَ بن الحَكَم في مهاجاته عبدَ الرحمن ، وغضباً له ، لّما استعلاه ابن حسّان في الهجاء .

---

1 الألوة : ضرب من البخور .

2 أشرجت : شدّت أجزاؤها بالعرى والحبال . ونطقت : جعل لها نطاق . والزرجون : الكرم أو أعواده .

ذكر خبرهما في التهاجي والسبب في ذلك

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا أبو سعيد السكري . قال : حدَّثنا أبو غَسّانَ دماذ ، عن أبي عبيدة قال : أخبرني أبو الخطّاب الأنصاريّ قال : كان عبد الرحمن بن حسّان خليلاً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص مخالطاً له ، فقيل له : إن ابنَ حسانَ يَخلُفُك في أهلك . فراسَلَ امرأةَ ابن حسّان فأخبرتْ بذلك زوجَها وقالت : أرسَلَ إليّ : إنّي أُحبُّك حبّاً أُراه قاتلي ؛ فأرسل ابنُ حسّانَ إلى امرأة ابن الحكم وكانت تواصلُه وقال للرسول : إذهب إليها وقُل لها : إنّ امرأتي تزورُ أهلَها اليومَ فزُوريني حتّى نخلوَ . فزارتْه فقعَدَ معها ساعةً ثم قال لها : قد واللهِ جاءت امرأتي . فأدخلها بيتاً إلى جَنْبِهِ وأَمَرَ امرأتَه فأرسلت إلى عبد الرّحمنِ بن الحَكَم : إنّك ذكرتَ حبَّكَ إيّايَ وقد وقعَ ذلك في قلبي ، وإنّ ابن حسّان قد خرجَ اليوم إلى ضَيعته فهلمَّ فتهيَّأ ثمَّ أقبِلْ . فإنّه لقاعِدٌ معها إذْ قالت له : قد جاء ابنُ حسّان فادخُلْ هذا البيت فإنّه لا يشعر بك . فأدخلته البيتَ الذي فيه امرأتُه ، فلمّا رآها أيقنَ بالسَّوأة ووقَعَ الشرُّ بينهما ، وهجا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه .

قال أبو عبيدة : هذه رواية أبي الخطّاب الأنصاريّ ، وأمّا قريش فإنّهم يزعُمون أنّ امرأة ابن حسّان كانت تحبُّ عبدَ الرحمن وتدعوه إلى نفسها فيأبى ذلك ، حفظاً لِما بينه وبين زوجها ، وبَلَغَ ذلك ابنَ حسّانَ فراسلَ امرأة ابن الحَكَم حتّى فضحها ، وبلغ ذلك ابنَ الحكم وقيل له . إنّكَ إذا أتيت ضَيعتَك أرسلَتْ إلى ابن حسّانَ فكان معها . فأمر ابنُ الحَكَم أهلَه فقال : عالجوا سُفرةً حتّى أُطالِعَ مالِي بمكان كذا وكذا . فخرج وبعثت امرأتُه إلى ابن حسّانَ فجاء كما كان يفعل ، ورجع ابنُ الحَكَم حين ظَنَّ أنّ ابن حسّانَ قد صار عندها ، فاستفتح فقالت : ابنُ الحَكَم والله ! وخبّأته خلفها في بيت ، ودخل عبدُ الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسّان : إنّه قد وقَعَتْ لك في قلبي مِقَة[1] ، فأقبلي إليّ الساعةَ . فتهيّأتْ وأقبلَتْ حتّى دخلت عليه ، فوضعت ثيابَها وزوجُها ينظر فقال لها : قد كنتِ أكثرتِ الإرسال إليَّ فما شأنك ؟ قالت : إنّي والله هالكةٌ من حبِّك . قال : وزوجها يسمع ، وإنّما أراد أن يُعلِمه أنّها قد كانت ترسل إليه ويأبى عليها . وزعم أنّها هي التي قالت لابن الحكم إنّ ابن حسّان يخلفُكَ في أهلك . فلمّا فرغَ من كلامه وأسمعه زوجَها قال لها : قد جاءت امرأتي . وأدخلها البيتَ الذي فيه ابن حسّان ، فلمّا جمعهما في مكانٍ واحد خرجَ عنهما ، فخرجا وطلّقَ امرأته .

---

1 مقة : حب .

أُخبرني ابن دريد قال : أُخبرني الرياشيّ قال : حدَّثنا ابن بكير عن هشامِ بن الكلبيّ عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : رأيت مروانَ بن الحَكَم يطوف بالبيت ويقول : اللهمّ أذهِبْ عنّي الشِّعر ! وأخوه عبد الرحمن يقول : اللهمّ إنّي أسألك ما استعاذَ منه ! فذهب الشعر عن مروان ، وقاله عبد الرحمن .

وأمّا هشام بن الكلبيّ فإنّه حدَّث عن خالدٍ وإسحاقَ ابني سعيد بن العاصي ، أنّ سبب التهاجي بينهما أنّهما خرجا إلى الصيد بأكلبٍ لهما في إمارة مَرْوان ، فقال ابن الحَكَم لابن حسّان : [من الكامل]

ازجُر كلابك إنّها قَلَطيّةٌ بُقْعٌ ومثلُ كلابكم لم تَصْطَدِ[1]

فردّ عليه ابنُ حسّان[2] : [من الكامل]

مَن كان يأكلُ من فَريسةِ صيدِهِ فالتَّمْرُ يُغنينا عن المتصيَّدِ[3]
إنّا أناس ربِّقون وإنّكم ككلابكم في الوَلْغ والمترَدَّدِ[4]
حُزْناكُمُ للضَّبِّ تحترشُونه والريفِ ، نمنعُكم بكلّ مهنَّدِ[5]

ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضان ، فقال عبد الرحمن بن الحكَم في قصيدة : [من البسيط]

ومثلُ أُمِّك أُمُّ العبدِ قد ضُرِبت عندي ولي بفِنائي مِزهرٌ جَرِمُ[6]
وأنتَ عند ذُناباها تُعاونها على القُدورِ تَحسَّى خاثر البُرَمِ[7]

فنقضها عبد الرحمن بن حسّان عليه بقصيدته التي يقول فيها[8] : [من البسيط]

يا أيُّها الرّاكِبُ المُزْجي مَطيَّته إذا عرَضْت فسائِل عن بني الحَكَمِ
القائلين إذا لاقَوْا عدوَّهمُ فِرُّوا فكُرُّوا على النِّسوانِ والنَّعَمِ
كَم من أُمينٍ نَصيح الجيب قال لكمْ ألاَّ نهيتمْ أَخاكم يا بني الحَكَمِ

1 الكلاب القلطية : القصيرة المجتمعة . والبقع : التي يتراوح فيها السواد والبياض .
2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 22 .
3 المتصيد : ما يصاد .
4 الربق : الذي على الريق لم يفطر .
5 احتراش الضب : صيده .
6 الجرم : الصافي الصوت .
7 الخاثر : الغليظ .
8 شعر عبد الرحمن بن حسان : 53 عن الأغاني .

عَن رجـــلٍ لا بَغيضٍ في عشيرتِهِ ولا ذليـــلٍ قصيرِ البـاعِ مُعتصِمِ

وقال ابن حسّان[1] : [من البسيط]

صار الذليـل عزيـزاً والعزيزُ بِهِ ذُلٌّ وصارَ فُـروع النـاس أذنابا

إنِّـي لملتمسٌ حتّـى يبِينَ لكـمْ فيكمْ متـى كنتـمُ للنّاسِ أربابا

فارْقَوْا على ظلعكم ثم انظروا وسلُوا عَنّا وعنكمْ قديـمَ العلم نَسّابا[2]

فسوفَ يضحك أو تعتاده ذِكَـرٌ يا بـؤسَ للدَّهـرِ للإنسان رَيّابا

ولهما نقائضُ كثيرة لا معنى لذكر جميعِها هاهنا .

[عقاب معاوية لهما]

قال دماذ : وحدَّثني أبو عبيدة عن أبي الخطّاب قال : لمّا كثُر التهاجي بينهما وأفحشا كتب معاويةُ يومئذٍ وهو الخليفة ، إلى سعيد بنُ العاص وهو عاملُه على المدينة ، أن يجلِد كلَّ واحدٍ منهما مائة سوط . قال : وكان ابنُ حسّانَ صديقاً لسعيد ، وما مَدَحَ أحداً قطّ غيرَه ، فكرِه أن يضربَه أو يضرب ابن عمِّه ، فأمسكَ عنهما ؛ ولِيَ مروانُ فلمّا قـدِم أخـذَ ابن حسّان فضربَه مائةَ سوط ولَم يَضرب أخاه ، فكتب ابنُ حسّان إلى النّعمان بن بَشيرٍ وهو بالشام ، وكان كبيراً مكيناً عند معاوية[3] : [من الخفيف]

ليتَ شِعري أغائبٌ أنتَ بالشا مِ خليـلي أم راقِـدٌ نَعْمانُ

أيّةً مـا يكنْ فقد يرجع الغا ئب يومـاً ويُوقَـظ الوسنانُ

إنّ عَمـراً وعامـراً أبوَينـا وحراماً قِدماً على العهدَ كانوا

أفَهُمْ مانِعُوك أمْ قِلّـة الكُـ ـتّابِ أم أنتَ عاتِبٌ غضبانُ

أم جفاءٌ أم أعوزَتكَ القراطيـ ـسُ أم أمرِي بـه عليكَ هوانُ

يومَ أنبئتَ أنَّ ساقـيَّ رُضَّتْ وأتاكُـمْ بذلـك الرُّكبانُ

ثمَّ قالوا إنّ ابنَ عمِّك في بَلْـ ـوى أُمورٍ أتى بهـا الحَدَثانُ

فتَئطُّ الأرحامُ والودُّ والصُّحـ ـبةُ فيمـا أتـى بهِ الحدثانُ[4]

1 شعر عبد الرحمن بن حسان : 15 .

2 المثل «أرق على ظلعك» في مجمع الميداني 1 : 293 وفصل المقال : 456 ومستقصى الزمخشري 1 : 142 ومعناه أن يتكلف المرء ما لا يطيق .

3 شعر عبد الرحمن بن حسان : 56–58 .

4 تئط : تحنّ .

إنّما الرّمح فاعلمنّ قَناةٌ أو كبعض العيدانِ لولا السِّنانُ

وهي قصيدة طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّك أمرتَ سعيداً أن يضرب ابنَ حسّان وابن الحكَم مائةً مائة فلم يفعَلْ ، ثم وَلَّيتَ مَروانَ فضربَ ابنَ حسّانَ ولَم يَضرب أخاه . قال : فتريد ماذا ؟ قال : أن تكتبَ إليه بمثل ما كتبتَ إلى سعيد . فكتب معاوية يعزم عليه أن يضربَ أخاه مائة ، وبعثَ إلى ابن حسّانَ بحُلّة . فلمّا قدِم الكتابُ على مروانَ بعث إلى ابن حسان : إنّي مُخرِجك ، وإنّما أنا مثلُ والدك ، وما كان ما كان منّي إليك إلاّ على سبيل التأديب لك . واعتذر إليه ، فقال ابن حسّان : ما بدا له في هذا إلاّ لشيءٍ قد جاءه . وأبى أن يَقبلَ منه ، فأبلغ الرسولُ ذلك مروانَ فوجَّهه إليه بالحُلَّة فرمى بها في الحُشّ . فقيل له : حُلّة أميرِ المؤمنين وترمي بِها في الحُشّ ؟ قال : نعم وما أصنعُ بِها ! وجاءه قومُه فأخبروه الخبر ، فقال : قد علمت أنّه لَم يفعل ما فعل إلاّ لأمرٍ قد حَدَث . فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا ، قد أبى أن يعفوَ فهلُمَّ أخاك . فبعث مَروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يَطلبوا إليه أن يضربَه خمسين فإنّه ضعيف . فطلبوا إليه فأجابَهم ، فأخرجه فضربَه خمسين . فلقِيَ ابنَ حسّان بعضُ مَن كان لا يهوى ما تَرَكَ من ذلك ، فقال له : أضرَبَكَ مائةً ويضربُه خمسين ، بئس ما صنعتَ إذْ وهبتَها له . قال : إنّه عبدٌ وإنّما ضربه ما يُضرَب العبدُ نِصفَ ما يُضرَب الحُرّ ! فحُمِل هذا الكلام حتّى شاع بالمدينة وبلغ ابنَ الحكَم فشقَّ عليه . فأتى أخاه مروان فخبَّره الخبر وقال : فضحتني ، لا حاجةَ لِي فيما تركت فهلمَّ فاقتصَّ . فضربَ ابنَ الحكَم خمسين أخرى ، فقال عبد الرّحمن يهجو ابن الحكَم[1] : [من الكامل]

دَعْ ذا وعَدِّ قريضَ شعرِك في امرئٍ يَهذِي ويُنشِد شعرَه كالفاخرِ
عُثمانُ عمُّكمُ ولستمْ مِثلَه وبنو أُميّةَ منكم كالآمِرِ
وبنو أبيهِ سَخيفةٌ أحلامُهُمْ فُحُشُ النّفوسِ لدى الجليسِ الزّائرِ
أحياؤهم عارٌ على أمواتهم والميّتونَ مَسبَّةٌ للغابرِ
همْ ينظرونَ إذا مَددتَ إليهمُ نظرَ التّيوس إلى شِفارِ الجازرِ
خُزْرَ العيونِ منكّسي أذقانِهم نظرَ الذّليلِ إلى العزيزِ القاهرِ

فقال ابن الحكَم : [من الوافر]

1 شعر عبد الرحمن بن حسان : 24–26 عن الأغاني .

لقد أَبقى بنو مروانَ خزياً ... مُبيناً عارُه لبني سَوادِ
أَطافَ بِهِ صَبيحٌ في مشيدٍ ... ونادى دَعوة : يا ابْنَيْ سُعادِ
«لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ... ولكن لا حياة لِمَن تنادِي»

[أبو واسع ينتصر لابن الحَكَم]

قال أبو عبيدة : فاعتَنَّ[1] أَبو واسع أَحدُ بني الأسعر من بني أَسَد بن خُزَيمة ، لابن حَسّان دون ابنِ الحَكَم ، فهجاه وعيَّره بضرب ابن المعطلِ أباه حسّانَ على رأسِهِ ، وعيَّرهم بأكل الخُصى ، فقال : [من الوافر]

إنَّ ابنَ المعطَّلِ من سُلَيم ... أَذَلَّ قِيادَ رأسِكَ بالخِطامِ
عَمِدتَ إلى الخُصى فأَكلتَ منها ... لقد أخطأتَ فاكهةَ الطّعامِ
وما للجارِ حينَ يَحلُّ فيكمْ ... لديكم يا بني النجّارِ حامِ
يَظلُّ الجار مفترشاً يديهِ ... مخافَتكم لدى مَلَثِ الظَّلامِ[2]
وينظُر نظرةً في مِذروَيهِ ... وأُخرى في استِهِ والطَّرفُ سامِ[3]

[مصرع أبو واسع]

قال : فلمّا عَمَّ بني النجّار بالهِجاء ولا ذنبَ لهم دَعَوُا الله عزّ وجلّ عليه ، فخرجَ من المدينة يريد أهلَه فعرَضَ له الأسدُ فقَضْقضه[4] ، فقال ابنُ حسّان في ذلك[5] : [من السريع]

أبلغْ بني الأسعر إن جئتَهم ... ما بالُ أَبناء بني واسعِ
والليث يعلوهُ بأنيابه ... معتفِراً في دمه الناقِعِ
إذ تركوهُ وهو يَدعوهمُ ... بالنَّسب الدّانِي وبالشاسعِ
لا يرفَع الرحمنُ مصروعَكم ... ولا يُوهِّي قوّةَ الصّارِعِ

فقالت له امرأته : ما دعا أحدٌ قبلك للأسدِ بخيرٍ قطّ . قال : ولا نَصَرَ أحداً كما نصرني .

[دعوة مسكين الدارمي]

وقال ابن الكلبيّ : كان الأخطلُ ومسكينٌ الدارميُّ صديقين لابن الحَكَم ، فاستعان بهما

---

1 اعتن : اعترض .
2 ملث الظلام : اختلاطه .
3 المذروان : فرعا الأليتين .
4 قضقضه : كسره وحطّمه .
5 شعر عبد الرحمن بن حسان : 20–21 . وفيه «أبلغ بني الأشتر» .

على ابن حسّان ، فهجاه الأخطل ، وقال له مسكين : ما كنتُ لأُهجوَ أحداً أو أُعذِرَ إليه[1] .
فكتب إليه مِسكينٌ بقصيدته اللاميّة يدعوه إلى المفاخرة والمنافرة ، فقال في أوّلها : [من الوافر]

أَلا إنَّ الشّبابَ ثيــابُ لُبسٍ   ومـا الأَمـوالُ إلاّ كالظِّــلالِ

فإن يبـلَ الشّابُ فكلُّ شيءٍ   سمعتَ بِــهِ سوى الرّحمنِ بالِ

وهي طويلةٌ جدّاً ، يفخرَ فيها بمآثر بني تميم . فأَجابه ابن حسّان فقال[2] : [من الوافر]

أتاني عنك يــا مسكينُ قــولٌ   بذلتُ النِّصفَ فيــه غيرَ آلِ[3]

دعــوت إلى التناضُل غيرَ قَحْمٍ   ولا غُمــرٍ يَطير لدى النضالِ[4]

وهي أطول من قصيدة مسكين . ثم انقطع التناضُل بينهما .

[هجاء الأخطل للأنصار]

قال دماذ : فحدَّثني أُبو عبيدة قال : حدَّثني أُبو حيّة النميريّ قال : حدَّثني الفرزدق قال : كُنّا في ضيافةِ معاوية ، ومعنا كعبُ بن جُعَيل التَّغلبيّ ، فحدَّثني أنّ يزيد بن معاوية قال له : إنّ ابن حسّان فضحَ عبدَ الرّحمن بن الحَكَم وغلَبه ، وفضحنا ، فاهجُ الأنصار . قال : فقلت له : أرادّي أنت في الشرك ؟ أأهجو قوماً نصروا رسولَ الله ﷺ وآله وآوَوْه ؟ ولكنّي أَدلُّكَ على غلامٍ منّا نصرانيٌّ لا يبالي أن يهجوَهم ، كأنّ لسانَه لسانُ ثور . قال : مَن هو ؟ قلت : الأخطل . فدعاه وأمره بهجائهم ، فقال : على أن تمنعَني ؟ قال : نعم .

قال أبو عبيدة : إنّ معاويَة دسَّ إلى كعبٍ وأمره بهجائهم ، فدلَّه على الأَخطل ، فقال الأخطل قصيدتَه التي هجا فيها الأنصار ، وقد مضت ومضى خبرُها وخبر النعمان بن بشير .

وزاد أبـو عبيـدة عمّـن روينـا ذلـكَ عنه : أنّ النّعمـان بـن بشيرٍ ردَّ على الأخطـل فقـال : [من الكامل]

أَبلِغ قبائــلَ تغلــبَ ابنةِ وائلٍ   مَن بالفرات وجانِبِ الثَّرثارِ[5]

فاللؤمُ بين أنوفِ تغلــبَ بَيِّنٌ   كالرَّقْمِ فــوقَ ذراعِ كلِّ حمارِ

1 أعذر إليه : أجعله موضع عذر .
2 شعر عبد الرحمن بن حسان : 35 .
3 النصف : الأنصاف . غير آل : غير مقصر أو تارك .
4 القحم : الهرم المهزول . والغمر : الجاهل الغرّ .
5 شعر النُعمان بن بشير : 148 .

قال : فخافه الأخطلُ أن يهجوَه ، فقال فيه[1] : [من الوافر]

عذرت بني الفُرَيعة أن هَجَوني ... فما بالي وبالُ بني بشيرِ
أُفيحِجُ من بني النجّارِ شَثْنٌ ... شديدُ القُصْرَيَيْنِ من السُّحورِ[2]

ولم يرد على هذين البيتين شيئاً في ذِكرِه .

قال أبو عبيدة في خبره أيضاً : إنّ الأنصار لمّا استعدَوْا عليه معاوية قال لهم : لكم لسانُه إلاّ أن يكون ابني يزيدُ قد أجاره . ودسَّ إلى يزيد من وقته : إنّي قد قلتُ للقوم كيت وكيت فأجِرْه . فأجاره ، فقال يزيد بن معاوية في إجارته إيّاه : [من الطويل]

دعا الأخطلُ الملهوف بالشَّرِّ دعوةً ... فأيَّ مجيبٍ كنتُ لمّا دعانِيا
ففرّجَ عنه مَشهدَ القوم مشهدي ... وألسِنَةَ الواشين عنه لسانيا

صوت[3]

[من الخفيف]

كان لِي يا شُقير حبُّكِ حَيْنا ... كاد يقضي عليَّ لمّا التقينا
يعلمُ الله أنّكم لو نأيتُمْ ... أو قَرُبْتم أحبُّ شيء إلينا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، ولحنها ثاني ثقيل بالوسطى ، وجعلت مكان «يا شقير» : «يا يزيد» . وفي هذا الشعر للهذلي خفيف ثقيل أوّل مطلق بالوسطى . وزعم عمرو بن بانة أنّه للأبجر . وقال الهشاميّ : لحن الأبجر ثقيل أوّلٍ بالبنصر . وفيه للدارميّ وابن فروخ خفيف ثقيل ، ولحن الدارميّ فيهما مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق .

1 ديوان الأخطل رقم 98 ، ص 151–152 ، (طبعة دار صادر) .
2 الأفيحج : تصغير أفحج ، وهو الذي تتدانى قدماه ويتباعد عقباه . والشثن : الغليظ . والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين . والسحور : جمع سَحَر ، وهي الرئة .
3 ديوان عمر : 436 .

[284] ـ أخبار حَبابة

كانت حَبابة مولَّدة من مولدات المدينة ، لرجل من أهلها يعرف بابن رُمّانة ، وقيل ابن مِينا . وهو خَرَّجها وأدَّبها . وقيل : بل كانت لآل لاحق المكّيّين . وكانت حلوة جميلةَ الوجه ظريفةً حسنةَ الغناء ، طيِّبة الصوت ، ضاربةً بالعود . وأخذت الغناء عن ابن سريج ، وابن مُحرز ، ومالك ، ومعبد ، وعن جميلةَ وعزَّةَ الميلاء . وكانت تسمَّى العالية ، فسمّاها يزيد لمّا اشتراها حَبابَة . وقيل : إنّها كانت لرجل يعرف بابن مينا .

[يزيد يشتري حبابة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : حدَّثني حاتم بن قبيصة قال : وكانت حبابة لرجلٍ يدْعى ابنَ مينا ، فأُدخِلت على يزيد بن عبدِ الملك في إزارٍ له ذَنَبانِ ، وبيدها دفّ تَرمي به وتتلقّاه ، وتتغنَّى : [من المنسرح]

ما أَحسنَ الجيد من مُلَيكةَ واللبّـ ـاتِ إذْ زانَهـا تـرائبُها

يـا ليتني ليلـة إذا هجع النّـ ـاسُ ونام الكلاب صاحبُها

في ليلـةٍ لا يُـرى بهـا أَحدٌ يسعـى علينـا إلاّ كـواكبها

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية ، فلمّا كان بعد ما وليَ يزيدُ اشتراها .

وروى حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جرير المدينـيّ ، ورواه الزُّبير بن بكّار عن إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال : قال لي يزيد بن عبد الملك : ما تقَرُّ عيني بِما أوتيتُ من الخلافـة حتّى أشتريَ سَلاّمـة جارية مُصعب بن سهيل الزّهريّ ، وحَبابةَ جاريةَ لاحقٍ المكّيّة . فأرسلَ فاشتُرِيتا له ، فلمّا اجتمَعَتا عندَه قال : أنا الآنَ كما قال القائل[1] : [من الطويل]

فألقَتْ عصاها واستقرَّت بها النّوى كما قَـرَّ عينـاً بالإيـاب المسافرُ

قال إسحاق : وحدَّثني أبو أيّوب عن عَباية قال : كانت حبابة لآل رمّانة ، ومنهم ابتيعت ليزيد .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار قال : أخبرني محمد بن سلمة عن ابن مافِنَّةَ عن شيخ من أهل ذي خُشُب[2] قال :

1 هو معقر بن حمار البارقي .

2 ذو خشب : واد قرب المدينة .

خرجنا نريد ذا خُشب ونحن مُشاةٌ ، فإذا قبّةٌ فيها جارية ، وإذا هي تغنّي : [من مجزوء الرمل]

سلكوا بطنَ مَحِيصٍ ثم ولَّوْا راجعينا[1]
أورثوني حِينَ ولَّوْا طُولَ حُزنٍ وأنينا

قال : فسرنا معها حتّى أتينا ذا خُشب ، فخرج رجل معها ، فسألناه ، وإذا هي حَبابةُ جارية يزيد ، فلمّا صارت إلى يزيد أخبَرَتْهُ بِنا ، فكتبَ إلى والي المدينة يعطي كلَّ واحدٍ منّا ألفَ درهمٍ ألف درهم .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني إسحاق عن المدائنيّ . وروى هذا الخبر حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ ، وخبرهُ أتمّ : أنّ حَبابة كانت تسمى العالية ، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة ، فقدّم يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان فتزوّج سَعْدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ، على عشرين ألف دينار ، وربيحة بنت محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك ، واشترى العالية بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجُرنَّ عليه . فبلغ يزيدَ قولُ سليمان فاستقال مولى حبابة ، ثم اشتراها بعد ذلك رجلٌ من أهل إفريقية ، فلمّا وليَ يزيدُ اشترتها سَعدة امرأتُه وعلمتْ أنّه لا بدّ طالبها ومشتريها ؛ فلمّا حصلت عندها قالت له : هل بقي عليك من الدُّنيا شيء لم تنله ؟ فقال : نعم ، العالية . فقالت : هذه هي ، وهي لك . فسمَّاها حبابة ، وعظم قدر سَعدة عنده . ويقال إنّها أخذَتْ عليها قبل أن تهبها له أن توطِّىء لابنها عنده في ولاية العهد وتحضِرها ما تحبّ إذا حضرت .

وقيل إنّ أمّ الحجّاج أمّ الوليد بن يزيد هي التي ابتاعتها له ، وأخذت عليها ذلك ، فوفَتْ لها بذلك . هكذا ذكر الزّبير فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد ، عنه عن عمّه . قال : ومَن زعم أنّ سعدة اشترتها فقد أخطأ .

قال المدائنيّ : ثم خطب يزيدُ إلى أخيها خالدٍ بنتَ أخ له ، فقال : أما يكفيه أنّ سَعدة عنده حتّى يخطب إلى بناتِ أخي ؟ وبلغ يزيدَ فغضب ، فقدم عليه خالدٌ يسترضيه ، فبينا هو في فُسطاطه إذ أتته جاريةٌ لحبابة في خدَمِها فقالت له : أمُّ داود تقرأ عليك السلام وتقول لك : قد كلّمتُ أميرَ المؤمنين فرضِيَ عنك . فالتفتَ فقال : مَن أمّ داود ؟ فأخبره مَن معه أنّها حبابة ، وذكر له قدرَها ومكانها من يزيد . فرفع رأسَه إلى الجارية فقال : قُولي لها : إنَّ الرّضا عنّي بسبب لستِ بِهِ . فشكت ذاك إلى يزيد فغضب ، وأرسل إلى خالد فلم يعلم بشيء حتى أتاه رسولُ حَبابة به فيمن معه من الأعوان ، فاقتلعوا فُسطاطَه وقَلَعوا أطنابه ، حتى سقَط عليهِ

1 محيص : موضع بالمدينة .

وعلى أصحابه ، فقال : ويلكم ما هذا ؟

قالوا : رُسُل حبابة ، هذا ما صنعتَ بنفسك . فقال : ما لها أخزاها الله ، ما أشبه رضاها بغضبها !

[شعر الحارث بن خالد في حبابة]

قال إسحاق : وحدَّثني محمد بن سلام عن يونس بن حبيب ، أنّ يزيد بن عبد الملك اشترى حبابة ، وكان اسمها العالية ، بأربعة آلاف دينار ، فلمّا خرج بها قال الحارث بن خالد فيها[1] : [من الكامل]

ظَعن الأميرُ بأحسنِ الخلقِ وغدَوْا بلُبِّك مطلِعَ الشرقِ
مَرَّت على قَرَن يُقاد بها تعدو أمامَ بَراذنٍ زُرقِ
فظلِلتُ كالمقمور مُهْجَتَه هذا الجنونُ وليس بالعشقِ[2]
يا ظبيةً عبِقَ العبيرُ بها عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ

وغنّته حبابة في الشعر ، وبلغ يزيد فسألها عنه فأخبرته ، فقال لها : غنِّيني به . فغنّته فأجادت وأطربته ، فقال إسحاق : ولعمري إنّه من جيد غنائها .

قال أبو الفرج الأصفهانيّ : هذا غلط مِمّن رواه في أبيات الحارث بن خالد ؛ لأنّه قالها في عائشة بنت طلحة ، لمّا تزوّجها مصعب بن الزّبير وخرج بها . وفي أبياته يقول : [من الكامل]

في البيت ذي الحَسَب الرفيع ومِن أهل التُّقى والبِرِّ والصِّدقِ

وقد شُرِح ذلك في أخبار عائشة بنت طلحة .

قال إسحاق : وأخبرني الزُّبيريّ أنّ يزيد اشتراها وهو أمير ، فلمّا أراد الخروج بها قال الحارث بن خالدٍ فيها[3] : [من البسيط]

قد سُلَّ جسمي وقد أُودى بهِ سَقَمٌ من أَجل حَيٍّ جلَوْا عن بلدةِ الحَرَمِ
يحنُّ قلبي إليها حين أذكُرها وما تذكّرتِ شوقاً آب من أمَمِ[4]
إلاّ حنيناً إليها إنّها رشأ كالشَّمس رُودٌ ثَقالٌ سهلة الشِّيَمِ[5]

1 شعر الحارث بن خالد : 75–76 .
2 المقمور : المغلوب في القمار .
3 شعر الحارث بن خالد : 98–99 .
4 أمم : قرب .
5 الرود : الشابة الحسنة .

فضَّلها اللهُ ربُّ الناس إذ خُلِقت على النساء منَ اهل الحزم والكرمِ

وقال فيها الشعراء فأكثروا ، وغنّى في أشعارهم المغنّون من أهل مكّة والمدينة ، وبلغ ذلك يزيدَ فاستشنعه ، فقال : هذا قَبلَ رحلتِنا وقد هَمَمنا ، فكيف لو ارتحلنا ؟ ! وتذكر القومُ شدّة الفراق ، وبلغه أيضاً أن سليمانَ قد تكلّم في ذلك ، فردّها ، ولَمْ تزلْ في قلبه حتّى مَلَكَ ، فاشترتها سعدة امرأته العثمانية ، ووهبتها له .

[منزلتها عند يزيد]

أخبرني ابن عمّار قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني إسحاق قال : حدَّثني أبو ذُفافة المنهال بن عبد الملك ، عن مروان بن بشر بن أبي سارَةَ مولى الوليد بن يزيد ، قال : أوّل ما ارتفعت به منزلةُ حبابة عند يزيد أنّه أقبل يوماً إلى البيت الذي هي فيه ، فقام من وراء الستر فسمعها تترنّم وتغنّي وتقول : [من الخفيف]

كان لِي يــا يزيدُ حبُّكَ حَينا كاد يقضي عــليَّ لمــا التقينا

والشعر كان «يا شُقير» ، فرفع الستر فوجدَها مضطجعةً مُقْبِلة على الجدار ، فعلِم أنّها لَم تَعلمْ به ولَم يكـن ذاكَ لمكانـه ، فـألقى نفسَه عليها وحَرَّكت منه .

قال المدائنيّ : غلبت حبابة على يزيد ، وتَبَنَّى بِها عمر بن هبيرة فعلت منزلته ، حتى كان يدخُل على يزيـد في أيِّ وقـت شاء . وحسَد ناسٌ مـن بني أُميّة مَسلمة بن عبد الملك على ولايته ، وقدَحوا فيه عند يزيد ، وقالوا : إنّ مسلمة إنّ اقتطِع الخراج لم يحسُن يا أمير المؤمنين أن تَفتِشه أو تكشفه عن شيء ، لسِنِهِ وحَقِّه ، وقد علمتُ أنّ أمير المؤمنين لم يُدخل أحداً من أهل بيته في الخراج . فوَقَر ذلك في قلب يزيد ، وعزَم على عزله ، وعمل ابنُ هبيرة في ولاية العراق من قبل حَبابـة ، فعمِلت لـه في ذلك . وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوةٌ ، وكانا يتنازعان ويتحاسدان . فقيل للقعقاع لقد : نزل ابن هبيرة من أمير المؤمنين منزلةً ، إنّه لصاحِب العراقِ غداً . ومن يطيق ابن هبيرة ! حبابة بالليل ، وهداياه بالنهار ، مع أنّه وإن بَلَغَ فإنّه رجلٌ من بني سُكين . فلم تزل حبابة تعمل له حتى وليها .

حدَّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدث بهذا الحديث ، فحفِظته ولَم أحفظ إسناده . وحدَّثنا محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثني أحمد بن زهير قال : حدَّثنا مصعب الزُّبيريّ ، عن مصعب بن عثمان ، وقد جمعت روايتيهما قالا : أراد يزيدُ بن عبد الملك أن يتشبَّه بعمر بن عبد العزيز وقال : بماذا صار عمر أَرْجى [1] لربّه جلّ وعزّ منّي ؟ فشقّ ذلك على حبابة ؟ فأرسلت إلى الأحوص .

1 أرجى : أخوف .

[مسلمة ويزيد]

هكذا في رواية وكيع ، وأمّا عمر بن شبة فإنّه ذكر أنّ مسلمة أقبلَ على يزيد يلُومه في الإلحاح على الغناء والشُّرب ، وقال له : إنّك وَلِيت بعقب عمر بن عبد العزيز وعَدلِهِ ، وقد تشاغَلَت بهذه الأمّة عن النظر في الأمور ، والوفُود ببابك ، وأصحابُ الظُّلامات يصيحون[1] ، وأنت غافل عنهم . فقال : صدقتَ والله ، وأعتَبَه وهمَّ بتركِ الشُّرب ، ولم يدخل على حبابة أيّاماً ، فدَسَّت حَبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتاً في ذلك وقالت له : إن رددته عن رأيه فلك ألفُ دينار . فدخل الأحوص إلى يزيد ، فاستأذَنَ في الإنشاد ، فأذِن له .

قال إسحاق في خبره : فقال الأحوص[2] : [من الطويل]

صوت

أَلا لا تلُمْــه اليــومَ أن يتبلَّــدا ... فقــد غُلِــب المحـزونُ أن يتجلَّدا

بكيتُ الصِّبا جَهدي فمَن شاء لامني ... ومَن شاء آسى في البكاء وأَسْعَدا

وإنّي وإنْ فُنِّدتُ في طلب الغنى ... لأَعلَمُ أنّي لستُ في الحبِّ أَوحدا[3]

إذا أنْتَ لم تعشِق ولَم تَدْرِ ما الهوى ... فكن حجراً من يابس الصخرِ جلمدا

فما العيشُ إلاّ مــا تَــلَذُّ وتشتهِي ... وإنْ لامَ فيــه ذو الشَّنانِ وفَنّدا[4]

الغناء لمعبد ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر ، وفيه رمل للغريض . ويقال إنّه لحبابة .

قال : ومكث جُمعةً لا يرى حَبابة ولا يدعو بها . فلمّا كان يومُ الجمعة قالت لبعض جواريها : إذا خرجَ أميرُ المؤمنين إلى الصلاة فأعلِميني . فلمّا أراد الخروجَ أعلَمَتْها ، فتلقّته والعودُ في يدها ، فغنّت البيت الأوّل ، فغطّى وجهه وقال : مَهْ لا تفعلي . ثم غنّت : [من الطويل]

وما العيشُ إلاّ ما تَلَذُّ وتشتهي

فعدل إليها وقال : صدقتِ والله ، فَقَبَح الله مَن لامني فيكِ ، يا غلام مُرْ مسلمةَ أن يصلِّيَ بالناس . وأقام معها يشربُ وتغنّيه ، وعاد إلى حاله .

وقال عمر بن شبّة في حديثه : فقال يزيد : صدقتِ والله ، فعلى مسلمةَ لعنةُ الله ! وعاودَ

---

1 ل : يضجون .

2 ديوان الأحوص : 56–58 .

3 التفنيد : التكذيب وتخطئة الرأي .

4 الشنان : الشنآن ، العداوة والبغضاء .

ما كان فيه ، ثم قال لها : مَن يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص . فأُحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها ، وأوّلها قوله[1] : [من البسيط]

يا مُوقِــد النّــار بالعَلياء من إضم   أوقِدْ فقد هجتَ شوقاً غير منصرمِ[2]

وهي طويلة . فقال له يزيد : ارفع حوائجك . فكتب إليه في نحوٍ من أربعين ألفَ درهم من دَينٍ وغيره ، فأمر له بها .

وقال مصعب في خبره : بل استأذن الأحوص على يزيد ، فأذِن له ، فاستأذن في الإنشاد ، فقال : ليس هذا وقتك . فلم يزل به حتى أذِن له . فأنشده هذه الأبيات ، فلمّا سمعها وثَبَ حتّى دخل على حَبابة وهو يتمثّل : [من الطويل]

وما العيش إلاّ ما تلَذُّ وتشتهي   وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنانِ وفَنّدا

فقالت له : ما ردّكَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أبياتٌ أنشَدنيها الأحوص ، فسلي ما شئت . قالت : ألف دينار تُعطيها الأحوص . فأعطاه ألف دينار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من البسيط]

يا مُوقِدَ النّار بالعَلْياء مــن إضَم   أوقِدْ فقد هِجتَ شوقاً غيرَ منْصرمِ

يا مُوقِدَ النّار أوقِدهــا فــإن لهــا   سَناً يَهيج فــؤادَ العاشِقِ السّدمِ

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، عن يونس وإسحاق وعمرو . وذكر حَبَش أن فيه خفيف ثقيلٍ آخر لابن جامع .

[مولى خراسانيّ يعظ يزيد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني علي بن القاسم بن بشير قال : لّما غلبَ يزيدُ بن عبد الملك أهلَه وأبى أن يسمعَ منهم كلَّموا مولًى له خراسانيّاً ذا قَدْر عندهم ، وكانت فيه لُكنة ، فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عمّا قد ألحَّ عليه من السَّماع للغِناء والشراب . فقال له يزيد : فإنّي أُحضِرك هذا الأمرَ الذي تنهى عنه ، فإن نهيتَني عنه بعد ما تَبلوه وتحضُره انتهيتُ ، وإنّي مخبر جوارِيَّ أنّك عمٌّ من عُمومتي ، فإيّاك أن تتكلّم فيعلمْنَ

1 ديوان الأحوص : 202 .

2 إضم : واد في الحجاز .

أنّي كاذب ، وأنّك لست بعمّي . ثم أدخله عليهنّ فغنّين ، والشيخُ يسمع ولا يقول شيئاً ، حتّى غنّين : [من الطويل]

وقــد كنتُ آتيكم بعِلّةِ غيركم فأفنيتُ عِلاتــي فكيف أقــولُ

فطرِب الشيخ وقال : لا فَيف ، جعلني الله فِداكنّ ! يريد : لا كيف . فعلمن أنّه ليس عمَّه ، وقمن إليه بعيدانهنّ ليضْرِبْنه بِها ، حتّى حجزهنّ يزيدُ عنه . ثم قال له بعدما انقضى أمرُهنّ : ما تقول الآنَ ، أدعُ هذا أم لا ؟ قال : لا تدعه !

[حبابة تعزل وتستعمل]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني خالد بن يزيد بن بحر الخزاعيّ الأسلميّ ، عن محمد بن سَلَمة ، عن أبيه عن حمادِ الراوية قال : كانت حَبابة فائقةً في الجمالِ والحسن ، وكان يزيدُ لها عاشقاً ، فقال لها يوماً : قد استخلفتُك على ما وردَ عليّ ، ونصبتُ لذلك مولايَ فلاناً فاستخلِفيهِ لأقيم معكِ أيّاماً وأستمتِع بك . قالت : فإنّي قد عزلتُه . فغضب عليها وقال : قد استعملتُه وتعزلينه . وخرجَ من عندها مغضَباً ، فلمّا ارتفع النّهار وطال عليه هَجرُها دعا خَصيّاً له وقال : انطلقْ فانظر أيَّ شيء تصنع حَبابة ؟ فانطلق الخادم ثم أتاه ، فقال : رأيتها مؤتزرة بإزار خَلوقيّ قد جعلَتْ له ذَنَبين وهي تلعبُ بلُعَبِها . فقال : ويحكَ احتلْ لها حتّى تمرّ بها عليّ . فانطلق الخادمُ إليها فلاعبَها ساعة ، ثم استلبَ لُعبة من لعبها وخرجَ ، فجعلت تُحضِر في أثره ، فمرّت بيزيدَ فوثب وهو يقول : قد عزلتُه ! وهي تقول : قد استعملته ! فعزل مولاه وولاّه وهو لا يدري . فمكث معها خالياً أيّاماً حتّى دخل عليه أخوه مَسلمة فلامه ، وقال : ضيعتَ حوائج النّاس واحتجبتَ عنهم ، أترى هذا مستقيماً لك ؟! وهي تسمعُ مقالته ، فغنّت لما خرج : [من الطويل]

ألا لا تلمْهُ اليومَ أن يتبلّدا

فذكرت الأبيات . فطربَ وقال : قاتلَكِ الله أبيتِ إلاّ أن ترديني إليكِ . وعاد إلى ما كان عليه .

أخبرني إسماعيل قال : حدَّثني عمِّي قال : حدّثني إسحاق قال : حدَّثني الهيثم بن عديّ ، عن صالح بن حسّان قال : قال مسلمة ليزيد : تركتَ الظُّهور وشهودَ الجمعة الجامعة ، وقعدتَ في منزلك مع هذهِ الإماء ! وبلغ ذلك حبابة وسلامة فقالتا للأحوص : قل في ذلك شعراً . فقال : [من الطويل]

وما العيشُ إلاّ مــا تَلــذُّ وتَشتهي وإنْ لامَ فيــه ذو الشَّنــانِ وفنّدا

بكيتُ الصِّبا جَهدِي فمَن شاء لامَني ومَن شاء آسى في البكـاءِ وأسعدا

وإنّي وإن أُغرقتُ في طَلَب الصِّبا ... لأَعلمُ أنّي لستُ في الحبِّ أَوحدا
إذا كنتَ عِزْهاةً عن اللَّهو والصِّبا ... فكُن حجراً من يابس الصّخرِ جَلمدا[1]

قال : فغنتنا يزيد فيه ، فلما فرغتا ضرب بخيزرانته الأرض وقال : صدقتما فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به . قال : وطرب يزيد فقال : هاتيا . فغنّتاه من هذه القصيدة : [من الطويل]

وعَهدِي بِها صفراءَ رُودًا كأنّما ... نضا عَرَقٌ منها على اللون مُجسَدا[2]
مهفهفة الأعلى وأسفل خلقِها ... جرى لحمُه ما دونَ أن يتخددا[3]
من المدمَجات اللحمِ جَدلاً كأنّها ... عِنانُ صَناعٍ مدمجُ الفتل محصَدا[4]
كأنّ ذكيَّ المسك بادٍ وقد بدت ... وريحَ خُزامى طَلّةٍ تنفح النّدى[5]

فطرِب يزيدُ وأخذ فيه من الشراب قدرَه الذي كان يطرب منه ويسرُّه ، ولم تَرَه أظهر شيئاً ممّا كان يفعله عند طربه ، فغنّته : [من الطويل]

أَلا لا تَلمْه اليومَ أن يتبلّدا ... فقد غُلِب المحزونُ أن يتجلّدا
نظرتُ رجاء بالموقّر أن أرى ... أَكارِيس يحتلُّون خاخاً فمنشدا[6]
فأوفيتُ في نَشْزٍ من الأرض يافع ... وقد تُسعِف الأيفاعُ مَن كان مُقصَدا[7]

فلمّا غنّته بهذا طرب طرَبه الذي تعهّده ، وجعل يدور ويَصيح : الدُّخن بالنّوى ، والسمَك في بيطار جِنان[8] . وشقّ حلّته وقال لها : أتأذنين أن أطير ؟ قالت : وإلى مَن تَدَع النّاس ؟ قال : إليك .

قال : وغنّته سَلاّمةُ من هذه القصيدة : [من الطويل]

فقلتُ أَلا يا ليت أسماءَ أصقَبتْ ... وهل قولُ ليتٍ جامعٌ ما تبدّدا[9]
وإنّي لأهواها وأَهوى لِقاءها ... كما يشتهي الصادِي الشرابَ المبرَّدا

---

1 العزهاة : المنقبض المعرض عن اللهو والغناء .
2 مجسد : مصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران .
3 مهفهفة : ضامرة .
4 محصد : مفتول . والعنان : الحبل .
5 طلة : التي أصابها الطلّ ، وهو الندى .
6 الموقر : وخاخ ومنشد : مواضع . والأكاريس : جمع كِرس ، وهو الجماعة من الناس .
7 والمقصد : الذي رمي فأصيب .
8 كلام لا معنى له .
9 أصقبت : دنت .

علاقَــة حبٌّ لَجَّ في سَنَن الصِّبا فأَبــلى ومــا يــزداد إلاّ تجدُّدا
سُهــوبٌ وأَعلام تخــال سرابَها إذا استَنّ في القَيْظِ المُلاءَ المعضَّدا[1]

قال : وغنّته حَبابة منها أيضاً :

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والذي أَقَــرّت لــه بالملك كَهلاً وأَمردا
وليس عطاءٌ كان منــه بمانــع وإن جَلَّ من أَضعاف أَضعافه غدا
أهانَ تِــلاد المــالِ في الحمد إنّه إمامُ هدًى يجري على مــا تعوَّدا
تــردَّى بمجــدٍ مــن أَبيهِ وأُمِّهِ وقــد أورثــا بنيانَ مجد مشيَّدا

فقال لها يزيد : ويحكِ يا حبابة ، ومن مِن قريش هذا ؟ قالت : أَنت . قال : ومَن يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يا أمير المؤمنين . وقالت سلامة : فليسمع أميرُ المؤمنين باقي ثنائه عليه فيها . ثم اندفعت فغنّته : [من الطويل]

ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مُخْلِدا مــن النّاس إنساناً لكنتَ المخلَّدا
فأقسمُ لا أنفكّ ما عِشتُ شاكِراً لنعماكَ مــا طــارَ الحمامُ وغَرّدا

[قضاء معبد بتفضيل حبابة]

أخبرني إسماعيل قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : علي بن الجعد قال : حدَّثني أبو يعقوب الخُرَيمي ، عن أبي بكر بن عَيّاش : أنّ حَبابة وسَلاّمة اختلفا في صوت معبد : [من الوافر]

أَلا حــيِّ الدّيــار بسَعد إنّي أُحِبُّ لحبِّ فاطمة الديارا

فبعثَ يزيد إلى معبد فأتي به ، فسأل : لِمَ بَعَث إليه ؟ فأُخبر ، فقال : لأيّتهما المنزلة عند أمير المؤمنين ؟ فقيل : لحبابة . فلمّا عَرضَتا عليه الصوت قضى لحبابة ، فقالت سلامة : والله ما قَضى إلاّ للمنزلة ، وإنّه ليعلم أنّ الصوابَ ما غنّيت ، ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صِلته لأنّ له عليَّ حقّاً . قال : قد أذنت . فكان ما وصلَتْه به أكثر من حبابة .

نسبة هذا الصوت

[من الوافر]

أَلا حَــيِّ الديــارَ بسَعدَ إنّي أحــبُّ لحــبِّ فاطمــةَ الديارا
إذا مــا حَلَّ أَهلكِ يــا سليمى بدارة صُلصلٍ شَحَطوا مَزارا[2]

الشعر لجرير ، والغناء لابن مُحرِز ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر .

---

1 واستن : أسرع . المعضدا في ل : المعمدا .

2 دارة صلصل : موضع . وشحطوا : بعدوا .

[بين الفرزدق والأحوص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : نزل الفرزدق على الأحوص حين قدِم المدينة فقال له الأحوص : ما تشتهي ؟ قال : شِواءٌ وطِلاء[1] وغِناء . قال : ذلكَ لك . ومضى به إلى قَينةٍ بالمدينة فغنّته : [من الوافر]

أَلا حَـيٍّ الدّيـار بسعدَ إنّـي أُحبُّ لحـبِّ فاطمـةَ الديارا

أَرادَ الظاعنـون ليحزنُونـي فهاجُوا صَدعَ قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق : ما أَرقَّ أَشعاركم يا أَهلَ الحجاز وأَملَحها ! قال : أو ما تدري لِمَن هذا الشعر ؟ فقال : لا والله . قال : هو لجرير ، يَهجوك به . فقال : ويل ابنِ المراغة ما كان أحوجَه مع عفافِهِ إلى صلابةِ شعرِي ، وأحوجَني مع شهواتِي إلى رقّة شعره .

وقد روى صالح بن حسّان أنّ الصوت الذي اختلفت فيه حبابة وسلامة هو : [من الكامل]

وترى لها دَلاًّ إذا نطقَتْ بِـهِ تركَتْ بنـاتِ فُـؤادِهِ صُعْرا[2]

ذكر ذلك حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ : أنّهما اختلفتا في هذا الصوت بين يَدَيْ يزيد ، فقال لهما : من أينَ جاء اختلافُكما ، والصوت لمعبد ومنه أخذتماه ؟ فقالت هذه : هكذا أخذته ، وقالت الأخرى ، هكذا أخذته . فقال يزيد : قد اختلفتما ومعبدٌ حيٌّ بعد ؟ فكتَب إلى عاملهِ بالمدينة يأمره بحمله إليه .

ثم ذكر باقِيَ الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عيّاش .

قال صالح بن حَسّان : فلمّا دخل مَعبَدٌ إليه لَم يسأله عن الصوت ، ولكنّه أَمَره أن يغنّي ، فغنّاه فقال : [من الطويل]

فيا عَـزّ إنْ واشٍ وَشى بِيَ عندَكم فلا تكرِميــه أن تقولِي لــه أهلا

فاستحسنه وطرب ثم قال : إنّ هاتين اختلفَتا في صوتٍ لك فاقضِ بينهما . فقال لحبابة : غَنِّي . فغنَّت ، وقال لسلامة : غنّي . فغنّت ، وقال : الصواب ما قالت حبابة . فقالت سلاّمة : والله يا ابنَ الفاعلة إنّك لتعلمُ أنّ الصواب ما قلت ، ولكنّك سألت أيّتهما آثَرُ عند أمير المؤمنين فقيل لك حبابة ، فاتّبعتَ هواه ورِضاهَ ! فضحِكَ يزيدُ وطرب ، وأخذ وِسادةً فصيَّرها على رأسه ، وقام يَدُور في الدار ويرقص ويصيح : «السمك الطريّ أربعة أرطال ، عند بيطار من خيان» حتى دار الدارَ كلَّها ثم رجع فجلس مجلسه وقال

---

1 الطلاء : الخمر .

2 صعر : مائلات .

شعراً ، وأمر معبداً أن يغنّي فيه ، فغنّى فيه وهو : [من البسيط]

أبلغَ حَبابة أسْقى ربعَهــا المطرُ ... ما للفؤادِ سِوى ذكراكُم وطرُ

إنْ سار صحبِيَ لَم أمْلِكْ تذكُّرَكم ... أو عَرَّسوا فهمومُ النَّفسِ والسَّهرُ

فاستحسنه وطرب . هكذا ذكر إسحاق في الخبر . وغيره يذكر أنّ الصنعة فيه لحبابة ، ويزعم ابنُ خُرداذبه أنّ الصنعة فيه ليزيد . وليس كما ذكر ، وإنّما أراد أن يوالِي بين الخلفاء في الصنعة ، فذكره على غير تحصيل ، والصحيح أنّه لمعبد .

قال معبد : فسُرَّ يزيدُ لّما غنّيته في هذين البيتين ، وكسانِي ووصلني ، ثم لما انصرَمَ مجلسه انصرفتُ إلى منزلي الذي أُنزِلتُه ، فإذا ألطاف من سَلاّمة قد سبقت ألطافَ حَبابة ، وبعثت إليّ : إنّي قد عذرتُك فيما فعلتَ ، ولكنْ كان الحقُّ أولى بك . فلم أزَلْ في ألطافهما جميعاً حتى أذِن لِي يزيد ، فرجعتُ إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه معبد الذي أوّله

فيا عَزَّ إنْ واشٍ وشَى بِي عندَكم

صوت[1]

[من الطويل]

أَلَمْ يأنِ لِي يا قلبُ أن أتركَ الجهلا ... وأنْ يُحدث الشيبُ المِلِمُّ لِيَ العقلا

على حين صار الرأسُ منّي كأنّما ... عَلَت فوقَـه نَدّافةُ العُطُبِ الغزلا[2]

فيا عــزَّ إن واشٍ وشَى بِيَ عندَكم ... فــلا تُكرمِيهِ أنْ تقولِـي لــه أهلا

كما لــو وَشى واشٍ بودِّك عندنا ... لقلْنا تزحزَحْ لا قَريباً ولا سَهلا

فأهلاً وسهلاً بالذي شَدَّ وصلنا ... ولا مرحباً بالقائلِ اصرِم لها حبلا

الشعر لكثيّر ، والغناء لحنين ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر ابن المكّيّ وعمرو والهشاميّ أنّه لمعبد . وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى ابن سريج ، وليس بصحيح ، ويقال إنّه لمعبد .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثتني ظبيةُ قالت : أنشدَتْ حبابةُ يوماً يزيدَ بن عبد الملك : [من الوافر]

---

1 ديوان كثيّر : 383 .

2 العطب : القطن .

لعمركَ إنّني لأُحِبُّ سَلْعاً لرؤيتها ومَنْ بجَنوب سَلعِ

ثم تنفّستْ تنفّساً شديداً فقال لها : ما لكِ ، أنتِ في ذمّة أبي ، لئن شئتِ لأنقلنّه إليكِ حجراً حجراً . قالت : وما أصنع به : ليس إيّاه أردتُ ، إنّما أردت صاحبَه . وربّما قالت : ساكِنَه ، والله أعلم .

نسبة هذا الصوت

[من الوافر]

لعمركَ إنّني لأُحِبُّ سَلعا لرؤيتها ومَن بجنوبِ سَلْعِ
تقَرُّ بقُربها عيني وإنّي لأخشى أن تكونَ تريدُ فجعي
حلفتُ بربٍّ مكّةَ والهدايا وايدي السّابحاتِ غداةَ جَمعِ[1]
لأنتِ على التنائي فاعلميهِ أحبُّ إليَّ مِن بصري وسمعِي

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى ، ممّا لا شكّ فيه من غنائه .

قال الزّبير : وحدّثتني ظَبيةُ أنّ يزيد قال لحبابة وسَلاّمة : أيّتُكما غَنّتْني ما في نفسي فَلَها حُكمها . فغنّت سلاّمة فلم تُصِب ما في نفسه ، وغنّته حبابة : [من الخفيف]

حِلَقٌ من بني كِنانةَ حَوْلي بِفِلَسطِين يُسرِعونَ الرّكوبا

فأصابت ما في نفسه فقال : احتكمي . فقالت : سلامةُ ، تهبُها لِي ومالَها . قال : اطلبي غيرَها . فأَبَتْ ، فقال : أنتِ أولى بِها ومالِها . فلقيت سَلاّمة من ذلك أمراً عظيماً ، فقالت لها حبابة : لا ترين إلاّ خيراً ! فجاء يزيدُ فسألها أن تبيعَه إيّاها بحكمها ، فقالت : أُشهِدَكَ أنّها حرّة ، واخطُبْها إليَّ الآنَ حتّى أزوّجكَ مولاتِي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثني إسحاق عن المدائنيّ بنحوِ هذه القصّة . وقال فيها : فجزعت سَلاّمة ، فقالت لها : لا تجزعي فإنّما ألاعِبه .

نسبة هذا الصوت

[من الخفيف]

حِلَقٌ من بني كِنانة حَولي بفلسطين يُسرِعون الرّكوبا
هَزِئتْ أن رأت مشيبِيَ عِرْسي لا تلُومِي ذوائبي أن تَشيبا

الشعر لابن قيس الرقيات ، والغناء لابن سريج ، ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 جمع : المزدلفة .

[اعتراف حبابة بفضل سلاّمة]

قال حمّاد بن إسحاق : حدَّثني أبي عن المدائنيّ ، وأيّوب بن عباية قالا : كانت سَلاّمة المتقدّمة منهما في الغناء ، وكانت حبابة تنظرُ إليها بتلك العين ، فلمّا حَظِيت عند يزيد ترفّعت عليها فقالت لها سلاّمة : ويحكِ أينَ تأديب الغناء وحقُّ التعليم ؟ أنسيتِ قولَ جميلة لك : خذي أحكامَ ما أُطارِحكِ إيّاه من سلاّمة ؟ ! فلن تزالي بخيرٍ ما بقيتُ لكِ وكان أمركما مؤتلفاً . قالت : صدقتِ يا خليلتي ، والله لا عدتُ إلى شيءٍ تكرهينه . فما عادت بعد ذلك لها إلى مكروه . وماتت حبابة وعاشت سَلاّمة بعدها دهراً .

قال المدائنيّ : فرأى يزيدُ يوماً حَبابةَ جالسةً فقال : ما لكِ ؟ فقالت : أنتظر سلامة . قال : تحبِّين أن أَهبَها لك ؟ قالت : لا والله ، ما أحبّ أن تهب لِي أُختي .

قال المدائنيّ : وكانت حبابة إذا غنّت وطرِب يزيدُ قال لها : أَطير ؟ فتقول له : فإلى مَن تَدعُ الناس ؟ فيقول : إليك : والله تعالى أَعلم .

[وساطة حبابة للبيذق الأنصاري]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أيّوب بن عَباية ، أنّ البيذق الأنصاريّ القارىء كان يَعرف حبابة ويدخُل عليها بالحجاز ، فلمّا صارت إلى يزيد بنِ عبد الملك وارتفعَ أمرُها عنده ، خرجَ إليها يتعرّضُ لمعروفها ويستميحها ، فذكرته ليزيدَ وأخبرتْه بحسن صوته . قال : فدعاني يزيدُ ليلةً فدخلتُ عليه وهو على فُرُش مُشرِفة قد ذَهَبَ فيها إلى قريبٍ من ثدييه ، وإذا حَبابة على فُرش أُخَر مرتفعة ، وهي دونَه ، فسلّمتْ فردّ السلام ، وقالت حبابة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبي ، وأشارت إليَّ بالجلوس ، فجلست وقالت لِي حَبابةُ : اقرأ يا أبتِ . فقرأتُ فنظرتُ إلى دموعه تَنْحدِر ، ثم قالت : إيهِ يا أَبَتِ حدِّثْ أمير المؤمنين ، وأشارتْ إليَّ أن غنِّهِ . فاندفعتُ في صوت ابن سُرَيج : [من مجزوء الخفيف]

من لصبّ مفنَّـــدِ   هائم القلب مُقْصَدِ

فطَرِب والله يزيدُ فحذَفني بمُدهُنٍ فيه فصوصٌ من ياقوتٍ وزبرجد ، فضربَ صَدري ، فأشارت إليّ حَبابة : أن خُذْه . فأخذتُه فأدخلتُه كمي ، فقال : يا حَبابةُ ألا ترين ما صنعَ بنا أبوك ، أخذ مُدهُننا فأدخلَه في كُمّه ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ما أحوجَه واللهِ إليه ! ثم خرجتُ من عنده فأمر لِي بمائةِ[1] دينارٍ .

1 ل : بمائتي .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

مــن لصــبٍّ مُفَنَّدِ هائم القلــبِ مُقصَدِ
أنتِ زوَّدتــه الضَّنى بِئسَ زادُ المـــزوَّدِ
ولَو انّــي لا أرتجيـ ـيك لقد خَفَّ عوَّدِي
ثاويــاً تحتَ تُربةٍ رهــنَ رمسٍ بفَدفدِ
غيرَ أنِّــي أعلِّـل النـ ـفسَ باليــومِ أو غدِ

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان . وذكر الزُّبير بن بكّار أنّه لجعفر بن الزُّبير ، والغناء لابن سريج ، خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى .

[أطرب من يزيد]

وقال حمّاد : حدَّثني أبي عن مخلد بن خِداش وغيرِه ، أنّ حبابة غنّت يزيد صوتاً لابن سريج ، وهو قوله : [من المنسرح]

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكةَ والـ ـلَّبَّـاتِ إذْ زانَهـــا ترائبُهـا

فطرب يزيد وقال : هل رأيتِ أحداً أطرب منّي ؟ قلت : نعم ، ابن الطَّيّار معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحّاك فحمِل إليه ، فلمّا قدِم أرسلَتْ إليه حبابةُ : إنّما بعثَ إليكَ لكذا وكذا ، وأخبرَتْه ، فإذا دخلتَ عليه فلا تظهرنّ طرباً حتّى أُغنّيه الصوت الذي غنَّيته . فقال : سوأةٌ على كبر سنّي ؟ فدعا به يزيدُ وهو على طِنفسة خزّ ، ووُضِع لمعاوية مثلُها ، فجاءوا بجامَين فيهما مسكٌ فوضعت إحداهما بين يَديْ يزيد والأُخرى بين يَدَيْ معاوية ، فقال : فلم أدرِ كيف أصنع . فقلت : انظر كيف يصنعُ فاصنعْ مثلَه . فكان يقلّبه فيفوحُ ريحه وأفعلُ مثل ذلك ، فدعا بحبابة فغنَّتْ ، فلمّا غنّت ذلك الصوتَ أخذ معاويةُ الوسادة فوضَعها على رأسه وقام يدورُ وينادي : «الدُّخْن بالنوى» يعني اللُّوبيا . قال : فأمر له بصِلاتٍ عدّةَ دَفعات إلى أن خرج ، فكان مبلغُها ثمانيةَ آلافِ دينار .

[اختبار طرب مولى حبابة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : أخبرني الزُّبير بن أبي بكر ، عن ظَبية : أنّ حَبابة غنَّتْ يوماً بين يدي يزيدَ فطرِب ثم قال لها : هل رأيتِ قطُّ أطربَ منّي ؟ قالت : نعم ، مولاي الذي باعني . فغاظه ذلك فكتبَ في حَملِهِ مقيَّداً ، فلمّا عرف خبره أمر بإدخالِهِ إليه ، فأُدخِل يرسُف في قَيدِه ، وأمرها فغنّتْ بَغتةً : [من المتقارب]

تُشِطُّ غـداً دارُ جيرانِنا   ولَلدّارُ بعـد غـدٍ أبعدُ

فوثَب حتّى ألقى نفسَه على الشمعة فأحرقَ لحيتَه ، وجعَل يصيح : الحريقُ يا أولاد الزّنا ! فضحِكَ يزيد وقال : لعمري إنَّ هذا لأطربُ الناسِ ! فأمر بحلِّ قيودِه ، وَوَصَلَه بألفِ دينار ، ووصلته حبابةُ ، وردّه إلى المدينة .

[يزيد وأم عوف]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال إسحاق : كان يزيدُ بن عبد الملك قبلَ أن تُفضيَ إليه الخلافةُ ، تختلف إليه مغنّيةٌ طاعِنةٌ في السِّنِّ تدعى أُمَّ عَوف ، وكانت مُحسنة ، فكانَ يختار عليها : [من البسيط]

متـى أُجِرْ خائفاً تَسرحْ مطِيَّتُه   وإن أُخِف آمِناً تنبو بـه الدّارُ[1]

سِيروا إليَّ وأرخوا من أعنَّتِكم   إنّي لكلِّ امرىءٍ من وِترِهِ جارُ

فذكرها يزيدُ يوماً لحبابة ، وقد كانت أخذَتْ عنها فلم تقدر أن تَطعن عليها إلاّ بالسنّ ، فغنّت : [من الطويل]

أبى القلـبُ إلاّ أُمَّ عوفٍ وحبَّها   عجوزاً ومن يُحبِب عجوزاً يفنَّدِ[2]

فضحِك وقال : لَمن هذا الغناء ؟ فقالت : لمالك . فكان إذا جلسَ معها للشُّرب يقول : غنّيني صوتَ مالكٍ في أُمّ عوف .

[شرقت بحبة رمّان فماتت]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدَّثني عمر بن شبّة قـال : حدَّثني عبد الله بن أحمد بن الحارث العَدويّ قال : حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال : حدَّثني أبو غانم الأزديّ قال : نزل يزيدُ بن عبد الملك ببيتِ رأسٍ بالشام ، ومعه حَبابة فقال : زعموا أنّه لا تصفو لأحدٍ عِيشةٌ يوماً إلى الليلِ إلاّ يكدرها شيءٌ عليه ، وسأجرِّب ذلك . ثم قال لَمن معه : إذا كان غداً فلا تُخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب . وخلا هو وحَبابة فأُتيا بِما يأكلان ، فأكلَتْ رُمّانةً فشرِقت بحبّةٍ منها فماتت ، فأقام لا يَدفنها ثلاثاً حتّى تغيّرت وأنتنت ، وهـو يَشمُّها ويرشُفها ، فعاتبه على ذلك ذَوُو قرابته وصديقه ، وعابوا عليه ما يصنع ، وقالوا : قد صارت جيفةً بين يديك ! حتّى أذِن لهم في غسلها ودَفْنها ، وأَمَرَ فأُخرِجَتْ في نِطع ، وخرج معها لا يتكلّم حتّى جلس على قَبرِها ، فلمّا دُفِنت قال : أصبحتُ والله كما قال كُثَيِّر[3] : [من الطويل]

1 تنبو في ل : تُغلَقْ .

2 من الحماسة 543 وذكر التبريزي أنها لأبي الأسود الدؤلي . وفيها «أم عمرو» .

3 ديوان كثير : 435 .

فإن يسلُ عنكِ القلبُ أو يدعِ الصِّبا فباليأس يَسلو عنكِ لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ مِنَ اجلك : هذا هامة اليومِ أو غدِ[1]

فما أَقام إلاّ خمسَ عشرةَ ليلةً حتّى دُفِن إلى جنبها .

أَخبرني أَحمد قال : حدَّثني عمر قال : حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : حدَّثني الفضل بن الرَّبيع عن أَبيه عن إبراهيم بن جبلة بن مَخرمة عن أبيه أنّ مسلمةَ بن عبدِ الملك قال : ماتت حَبابة فجزِع عليها يزيد ، فجعلْتُ أؤسِّيه وأُعزِّيه ، وهو ضاربٌ بذَقَنِهِ على صدره ما يكلِّمني حتّى دفَنَها ورَجع ، فلمّا بلغ إلى بابه التفتَ إليَّ وقال : [من الطويل]

فإنْ تسلُ عنكِ النَّفسُ أو تدعِ الصِّبا فباليأس تَسلو عنكِ لا بالتجلُّدِ

ثم دخل بيتَه فمكثَ أربعين يوماً ثم هلك .

قال : وجزِع عليها في بعض أيّامه فقال : أنبِشُوها حتّى أنظرَ إليها . فقيل : تصير حديثاً !! فرجع فلم ينبشها .

وقد روى المدائنيّ أنّه اشتاق إليها بعدَ ثلاثةِ أيّام من دفنه إيّاها ، فقال : لا بدّ من أن تُنبَش . فنُبِشت وكُشِف له عن وجهِها وقد تغيّر تغيُّراً قبيحاً فقيل له : يا أُمير المؤمنين ، اتّقِ الله ، أَلا ترى كيفَ قد صارت ؟ فقال : ما رأيتُها قطُّ ! أحسَن منها اليومَ ، أخرِجوها . فجاءه مسلمةُ ووجوهُ أَهله ، فلم يزالوا به حتّى أزالوه عن ذلك ودَفنوها ، وانصرف فكمِد كمداً شديداً حتّى مات ، فدُفِن إلى جانبها .

[صلاة الجنازة]

قال إسحاق : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الشفافي عن العبّاس بن محمد ، أنّ يزيد بن عبد الملك أرادَ الصلاةَ على حبابة ، فكلَّمه مَسلمةُ في أن لا يخرج وقال : أنا أكفيك الصلاةَ عليها . فتخلَّفَ يزيدُ ومضى مَسلَمة ، حتّى إذا مضى الناسُ انصرفَ مسلمةُ وأَمر مَن صلّى عليها .

وروى الزُّبير ، عن مصعب بن عثمان ، عن عبد الله بن عروة بن الزُّبير قال : خرجت مع أبي إلى الشام في زمن يزيدَ بن عبد الملك ، فلمّا ماتت حَبابةُ وأخرجت لَم يستطع يزيدُ الركوب من الجزع ولا المشي ، فحُمِل على مِنبرٍ على رقاب الرجال . فلمّا دُفِنت قال : لم أُصلِّ عليها ، انبِشوا عنها . فقال له مسلمة : نَشَدتك اللهَ يا أُمير المؤمنين ، إنّما هي أَمَةٌ من الإماء ، وقد واراها الثّرى ! فلَم يأذن للناس بعدَ حبابةَ إلاّ مرّةً واحدة . قال : فوالله ما

1 المثل «هامة اليوم أو غد» في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري 2 : 389 .

استتمّ دخولُ الناسِ حتى قال الحاجب : أُجِيزُوا رحمكم الله . ولَم ينشَب يزيدُ أن مات كمدا .

أُخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني إسحاق قال حدَّثني ابن أبي الحويرث الثقفيّ ، قال : لمّا ماتت حَبابةُ جزع عليها يزيدُ جزعاً شديداً ، فضمَّ جُويريّة لها كانت تخدُمها إليه ، فكانت تحدِّثه وتُؤنسه ، فبينا هو يوماً يدور في قصره إذْ قال لها : هذا الموضع الذي كنّا فيه . فتمثَّلَتْ : [من الطويل]

كَفى حَزَناً للهائم الصبِّ أن يَرى مَنــازِلَ مَـن يهوى معطَّلــة قَفرا

فبكى حتّى كاد يموت . ثم لم تزل تلك الجويرية معه يتذكّر بها حبابة حتّى مات .

صوت

[من الطويل]

أيدعونني شيخاً وقد عِشتُ حِقبةً وهنّ من الأزواجِ نحـوي نوازِعُ

وما شابَ رأسي من سِنِينَ تَتابَعَتْ عــليَّ ولكــنْ شيّبَتْــه الوقائِــعُ

الشعر لأبي الطّفيلِ صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، عن عمرو وغيره .

[285] ـ أخبار أبي الطفيل ونسبه[1]

[نسبه]

هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير بن جابر بن حُمَيس بن جُدَيٍّ بر سعد بن لَيث بن بكر بن عبد مناةَ بن كنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار .

[صحبته وتشيّعه]

وله صحبةٌ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ورواية عنه . وعُمِّر بعده عُمراً طويلاً ؛ وكان مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ورَوى عنه أيضاً ، وكان من وجوه شيعته ، وله منه مَحَلٌّ خاصّ يستغني بشهرته عن ذكره . ثم خرج طالباً بدمِ الحسين بن عليّ عليهما السلام ، مع المختارِ بن أبي عُبيد ، وكان معه حتّى قتِل وأفلتَ هو ، وعمِّر أيضاً بعد ذلك .

[رأى الرسول في حجّة الوداع]

حدَّثني أحمد بن الجعد قال حدَّثنا محمد بن يوسف بن أسوار الجمحيّ بمكّة ، قال : حدَّثنا يزيد بن أبي حَكيم قال : حدَّثني يزيد بن مُلَيل ، عن أبي الطُّفيل أنّه رأى النبيَّ ﷺ في حَجّة الوداع يَطُوف بالبيت الحرام على ناقته ، ويَستلم الرُّكن بمِحجنِه .

أخبرناه محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا الرياشي قال : حدَّثنا أبو عاصم عن معروف بن خرّبوذ عن أبي الطُّفيل بمثله ، وزاد فيه : «ثم يقبل المحجن» .

[علي يجيب أسئلة]

حدَّثني أبو عبيد الله الصيرفيّ قال : حدَّثنا الفضل بن الحسن المصري قال : حدَّثنا أبو نعيم عن بَسّامِ الصَّيرفيّ عن أبي الطُّفيل قال : سمعتُ عليّاً عليه السلامُ يخطب فقال : سَلُوني قبل أن تفقِدوني . فقام إليه ابن الكوّاء ، فقال : ما ﴿الذَّاريات ذروًا﴾ ؟ قال : الرياح . قال : فـ﴿ـالجاريات يُسْرًا﴾ ؟ قال : السُّفن . قال : فـ﴿ـالحاملات وِقْراً﴾ ؟ قال : السحاب . قال : فـ﴿ـالمقسِّمات أمرًا﴾ ؟ قال : الملائكة . قال : فمن ﴿الذين بَدَّلوا نِعمةَ الله كُفْراً﴾ ؟ قال : الأفجرانِ من قريشٍ : بنو أُميَّة وبنو مخزوم . قال : فما كان ذُو القرنين ، أنبياً أم ملكاً ؟ قال : كان

1 لأبي الطفيل ترجمة في خزانة البغدادي 4 : 40–44 وتهذيب ابن عساكر 7 : 200 والإصابة ، وانظر أعلام الزركلي .

عبداً مؤمناً ، أو قال صالحاً ، أُحبَّ اللهَ وأَحبَّه ، ضُرِب ضربةً على قرنِهِ الأيمنِ فمات ، ثم بُعِث وضُرِب ضربةً على قرنِهِ الأيسرِ فمات . وفيكم مثله .

وكتب إليّ إسماعيل بن محمد المريّ الكوفيّ يذكر أنّ أبا نعيم حدّثه بذلك عن بسامٍ . وذكر مثله .

[تقديم شعره]

أُخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : بلَغني أنّ بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زُنَيم : أنشِدْني أفضلَ شعرٍ قالته كنانة . فأنشده قصيدةَ أبي الطُّفيل : [من الطويل]

أَيَدْعُونني شيخاً وقد عِشتُ برهةً ... وهنَّ من الأَزواجِ نَحــوِي نوازعُ

فقال له بشر : صدقتَ هذا أشعر شعرائكم . قال : وقال له الحجّاج أيضاً : أنشدني قولَ شاعركم : «أيدعونني شيخاً» ، فأنشده إيّاه فقال : قاتله الله مُنافِقاً ، ما أشعره !

[محاورة معاوية له]

حدَّثني أَحمد بن عيسى العجليّ الكوفي ، المعروف بابن أبي موسى ، قال : حدَّثنا الحسين بن نصر بن مُزاحم قال : حدَّثني أبي قال حدَّثني عمرو بن شمر عن جابرٍ الجُعفى قال : سمعت ابن حِذْيمٍ الناجيّ يقول : لمّا استقامَ لمعاوية أمرُه لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من لقاء أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، فلم يزل يكاتبُه ويَلطُف له حتّى أتاه ، فلمّا قدِم عليه جعلَ يسائله عن أمر الجاهلية ، ودخل عليه عَمرو بن العاص ونفرٌ معه ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟ هذا خليل أبي الحَسَن . ثم قال : يا أبا الطُّفيل ما بَلَغَ من حبِّك لعليّ ؟ قال حبُّ أُمِّ موسى لموسى . قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال : بكاء العجوز الثَّكلى والشَّيخِ الرقوب[1] ، وإلى الله أَشكو التقصير . قال معاوية : إنّ أصحابي هؤلاءِ لو سُئِلوا عنّي ما قالوا فيّ ما قلتَ في صاحبك . قالوا : إذاً والله ما نقولُ الباطل . قال لهم معاوية : لا والله ولا الحقَّ تقولون . ثم قال معاوية : وهو الذي يقول : [من الطويل]

إلى رجَبِ السَّبعِينَ تعترِفونني ... مع السيف في حَوّاءَ جَمٍّ عديدُها[2]

رَجوفٍ كمتنِ الطَّود فيها معاشرٌ ... كغُلْبِ السِّباعِ نُمرُها وأسودُها[3]

كُهولٌ وشبّان وساداتُ معشرٍ ... على الخيلِ فُرسانٌ قليلٌ صدودها

1 الرقوب : الذي مات ولده .

2 حواء : سوداء ، وهو يصف كتيبة .

3 رجوف : تضطرب لكثرتها . الغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة .

كأنَّ شعــاع الشَّمس تحــتَ لوائِها ... إذا طَلعت أعشى العيــونَ حديدُها
يَمُورون مَــوْرَ الرِّيحِ إمّــا ذُهِلتُم ... وزَلّــت بأكفــالِ الرّجــالِ لبودُها[1]
شِعارهُــم سِيما النبــيِّ ، ورايــةٌ ... بهــا انتقــمَ الرحمــنُ مِمّن يَكيدُها
تَخطُّفُهــم إيّاكُــم عنــدَ ذكرِهِــم ... كخَطف ضَوارِي الطَّير طيراً تصيدُها[2]

فقال معاويةُ لجلسائه : أعَرَفتموه ؟ قالوا : نعم ، هذا أفحشُ شاعرٍ وألأم جليس . فقال معاوية : يا أبا الطُّفيل أتعرفهم ؟ فقال : ما أعرِفُهم بخيرٍ ، ولا أبعدهم من شرّ . قال : وقام خُزيمة الأسديُّ فأجابه فقال : [من الطويل]

إلى رجبٍ أو غُــرّةِ الشهرِ بعده ... تصبِّحكم حُمــرُ المنايــا وسودُها
ثمانون ألفاً دِيــنُ عثمانَ دينُهــم ... كتائبُ فيهــا جبرَئيــلُ يقودُها
فمَن عاشَ منكم عاش عبداً ومَن يمت ... ففي النارِ سُقياهُ هنــاكَ صديدُها

[يخرج ابن الحنفية من الحبس]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث قال : حدَّثنا المدائنيّ عن أبي مِخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق ، قال : لمّا رجعَ محمد بن الحنفية من الشام حبسَه ابن الزُّبير في سِجنِ عارم ، فخرج إليه جيشٌ من الكوفة عليهم أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، حتى أتوا سجنَ عارمٍ فكسروه وأخرجُوه ، فكتب ابنُ الزُّبير إلى أخيه مُصعب : أن يسيِّرَ نساءَ كلِّ مَن خرج لذلك . فأخرج مصعبٌ نساءهم وأخرج فيهن أُمَّ الطُّفيل امرأةَ أبي الطُّفيل ، وابناً له صغيراً يقال له يحيى ، فقال أبو الطُّفيل في ذلك : [من المتقارب]

إن يَــكُ سيَّرهــا مصعبٌ ... فإنّــي إلى مصعبٍ مذنِبُ
أقــودُ الكتيبــةَ مستلئمــا ... كأنّــي أخــو عُرّةٍ أجربُ[3]
عــليَّ دِلاصٌ تخيّرتُهــا ... وفي الكفِّ ذو رونقٍ مقضبُ
سعرت عليهم مع الساعرين ... نــاراً إذا خمدت تنقبُ
فلــو أن يحْيــى بــه قوة ... فيغدو مع القوم أو يركبُ
ولكن يحيى كفرخ العقاب ... والوكــر مستضعف أزغبُ

---

1 زل لبودها : كناية عن اشتداد المعركة واضطرابها .
2 طيراً في ل : صيداً .
3 العرة : الجرب .

[تشيّع أبي الطُّفيل]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا محمد بن حميد الرّازي قال : حدَّثنا سَلَمة بن الفضل عن فِطر بن خليفة قال : سمعت أبا الطُّفيل يقول : لم يبق من الشِّيعة غيري . ثم تمثَّل : [من الطويل]

وخُلّفتُ سهماً في الكنانة واحداً سيُرمى بهِ أو يكسرِ السهمَ كاسرهُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو عاصم قال : حدَّثني شيخٌ من بني تيم اللات قال : كان أبو الطُّفيل مع المختار في القصر ، فرَمى بنفسه قبل أن يُؤخَذ وقال : [من الطويل]

ولمّا رأيت البابَ قد حِيلَ دونه تكسَّرت باسمِ الله فيمن تكسَّرا

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن شداد النُّشابيّ قال : حدَّثني المفضّل بن غسّان قال : حدَّثني عيسى بن واضح ، عن سليم بن مسلم المكيّ ، عن ابن جُريج عن عطاء قال : دخل عبد الله بن صفوانَ على عبدِ الله بن الزُّبير ، وهو يومئذٍ بمكّة ، فقال : أصبحتُ كما قال الشاعر[1] : [من البسيط]

فإنْ تصبكَ من الأيّامِ جائحةٌ لا أبكِ منكَ على دُنيا ولا دِينِ

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عبّاس يفقّه النّاس ، وعبيد الله أخوه يُطعم النّاس ، فما بَقّيا لك ؟ فأحفَظَه ذلك فأرسَلَ صاحبَ شُرطته عبد الله بن مطيع فقال له : انطلِق إلى ابنَيْ عبّاسٍ فقل لهما : أعمَدْتُما إلى رايةٍ تُرابيّة[2] قد وضَعَها الله فنصبتماها ، بدِّدا عنّي جَمْعَكما ومن ضَوى[3] إليكما مِن ضُلاّل أهل العراق ، وإلاّ فعلتُ وفعلت ! فقال ابن عبّاس : قل لابن الزُّبير : يقول لك ابن عبّاس : ثكِلَتْك أمُّك ، والله ما يأتينا من النّاس غيرُ رجلين : طالبِ فقهٍ أو طالِبِ فَضل ، فأيَّ هذين تمنَع ؟ فأنشأ أبو الطُّفيلْ عامرُ بن واثلة يقول : [من البسيط]

لا دَرّ درُّ الليالي كيف تُضحِكنا منها خطوب أعاجيبٌ وتبكينا

ومثلُ ما تحدِث الأيّامُ من غِيَرٍ يا ابنَ الزُّبير عن الدُّنيا يُسلِّينا

كنّا نجيءُ ابنَ عبّاسٍ فيُقبِسنا عِلماً ويُكسِبنا أجراً ويَهدينا

1 ذو الاصبع العدواني (المفضليات) .

2 نسبة إلى أبي تراب ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

3 ضوى : انضم .

ولا يـزالُ عبيـدُ اللهُ مترعَـةً جِفانُه مُطعِمـاً ضَيفـاً ومسكينا
فالبِرُّ والدِّيـنُ والدُّنيـا بدارِهمـا ننال منهـا الذي نبغـي إذا شِينا
إنّ النبيّ هـو النّور الذي كُشِفَت بِـهِ عَمايـاتُ باقينـا وماضينا
ورهطُـه عِصمـةٌ في ديننا ولهمْ فضلٌ علينـا وحـقٌّ واجبٌ فينا
ولستَ فاعلمْهُ أولى منهمُ رحِماً يـا ابنَ الزُّبير ولا أُولى بِـهِ دِينا
ففيـمَ تَمنعُهـمْ عَنّـا وتمنعنـا منهـم ، وتؤذيهـمُ فينا وتؤذينا
لن يؤتي اللهُ مَـنْ أخزى ببغضهم في الدِّين عِزّاً ولا في الأرضِ تمكينا

[بكاؤه على ابنه]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني بعض أصحابنا : أنّ أبا الطُّفيلْ عامر بن واثلة دُعِي في مأدُبةٍ ، فغنَّت فيها قينةٌ قولَه يرثي ابنه : [من البسيط]

خَلَّـى طفيـلٌ عليَّ الهـمَّ وانشعبا وهـدَّ ذلك ركنـي هَـدَّةً عجبا

فبَكى حتّى كاد يموت .

وقد أُخبرني بهذا الخبر عمِّي عن طلحة بن عبد الله الطلحيّ ، عن أحمد بن إبراهيم : أنَّ أبا الطُّفيل دُعِي إلى وليمةٍ فغنّت قينة عندهم : [من البسيط]

خَلَّى عـليَّ طُفيـلُ الهمَّ وانشعبا وهــدَّ ذلك ركنـي هدَّةً عَجبا
وابنَـيْ سُميّـةَ لا أنساهما أبداً فيمن نَسيت وكلٌّ كان لِي وصَبا

فجعل يَنْشِج ويقول : هاه هاه طُفيل ! ويبكي حتّى سقط على وجهه ميتا .

وأُخبرني محمد بن مزيد قال : حدّثنا حمّاد عن أبيه بخبر أبي الطُّفيل هذا ، فذكر مثل ما مضى ، وزاد في الأبيات : [من البسيط]

فاملِكْ عـزاءَكَ إنْ رزءٌ بليتَ بِهِ فلنْ يـردَّ بكاءُ المرء مـا ذهبا
وليس يَشفِي حزيناً مِـن تذكُّره إلاّ البكاءُ إذا مـا ناحَ وانتحبا
فإذْ سلكتَ سبيلاً كنتَ سالكَها ولا مَحالـةَ أن يأتـي الذي كُتِبا
فمـا لبطنك مـن ريٍّ ولا شِبَـع ولا ظَلِلْـتَ بباقـي العيش مُرْتغِبا

[غناء طويس بشعره]

وقال حمّاد بن إسحاق حدَّثني أبي قال : حدَّثني أبو عبد الله الجمحيّ عن أبيه قال : بينا فتيةٌ من قريش ببطنِ محسِّر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار ، إذْ أقبلَ طُويسٌ وعليه قميص

قُوهيٌّ وحِبرَة قد ارتَدى بها ، وهو يَخطِر في مِشيتِه ، فسلَّم ثم جلس ، فقال له القومُ : يا أبا عبدِ المنعم ، لو غَنّيتنا ؟ قال : نَعَمْ وكرامةً أغنِّيكم بشعرِ شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ ، من شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وصاحِبِ رايته ، أدركَ الجاهلية والإسلام ، وكان سيّدَ قومه وشاعرَهم . قالوا : ومَن ذاك يا أبا عبد المنعم فَدَتك أنفُسنا ؟ قال : ذلك أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، ثمَّ اندفع فغنّى : [من الطويل]

أيَدعونني شيخاً وقد عِشتُ حِقبةً وهُنَّ من الأزواجِ نَحوِي نوازعُ

فطرِب القومُ وقالوا : ما سمعنا قطُّ غناءً أحسنَ من هذا .

وهذا الخبر يدلُّ على أنّ فيه لحناً ولكنّه ليس يُعرف .

صوت[1]

[من الخفيف]

لِمَــن الدّارُ أقفـرت بِمَعـانِ بين شاطى اليَرموك فالصَّمّانِ
فالقُرَيّات مــن بلاس فـدارَ يّـا فسَكّاءَ فالقُصورِ الدوانِي[2]
ذاك مغنًى لآل جفنةَ في الدَّهـ ـرِ وحـقٌّ تصرُّفُ الأزمانِ
صلوات المسيحِ في ذلك الديـ ـرِ دعاءُ القِسِّيسِ والرُّهبانِ

الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لحُنَين بن بَلوعٍ ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى .

وهذا الصوت من صُدور الأغاني ومختارها ، وكان إسحاق يقدِّمه ويفضِّله . ووجدتُ في بعض كتبه بخطّه قال : الصَّيحة التي في لحن حنين : [من الخفيف]

لِمَـن الدّارُ أقفـرت بِمَعانِ

أُخرجَت من الصّدر ، ثم من الحلق ، ثم من الأنف ، ثم من الجبهة ، ثم نُبِرَت فأخرِجت من القِحف ، ثم نُوّنت مردودةً إلى الأنف ، ثم قُطِعَت .

وفي هذه الأبيات وأبياتٍ غيرها من القصيدة ألحانٌ لجماعةٍ اشتركوا فيها ، واختلف أيضاً مؤلّفو الأغاني في ترتيبها ونسبةِ بعضِها مع بعضٍ إلى صاحبها الذي صنعها ، فذكرتْ هاهنا على ذلك وشَرحِ ما قالوه فيها . فمنها : [من الخفيف]

1 ديوان حسان : 255 وفيه «فالخمان» .
2 جميع ما ذكر أسماء مواضع أو بلاد .

صوت

قــد عفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ   فالحوانِــي فجانِــبُ الجَولانِ
فحِمــى جاسم فأبنيــةُ الصُّفَّـ   ـرِ مغنــى قنابــلٍ وهجانِ[1]
فالقُريات مــن بَلاسَ فــدارَ   يّـا فسَكّاء فالقصور الدَّواني
قد دنا الفِصح فالولائدُ يَنظِمـ   ـن سِراعــاً أكِلَّــةَ المَرْجانِ
يتبارَيــنَ في الدّعــاء إلى اللّـ   ـهِ وكلٌّ الدّعــاء للشيطانِ
ذاك مغنًى لآل جفنةَ في الدّهـ   ـرِ وحَــقٌّ تصــرُّف الأزمانِ
صلواتُ المسيحِ في ذلك الدَّيـ   ـرِ دعاءُ القسِّيس والرُّهبانِ
قــد أراني هُناك حقَّ مَكينٍ   عند ذي التاج مَقعدِي ومكاني

ذكر عمرو بن بانة أنّ لابن محرز في الأوّل من هذه الأبيات والرّابع خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

وذكر عليّ بن يحيى أنّ لابن سريج في الرابع والخامس رملاً بالوسطى ، وأنّ لمعبدٍ فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيفَ ثقيل ، ولمحمد بن إسحاق بنُ برثع[2] ثقيلَ أوّل في الرابع والثامن .

وذكر الهشاميّ أنَّ في الأوّل لمالك خفيفَ ثقيل ، ووافقه حبش . وذكر حبشٌ أنّ لمعبد في الأوّل والثاني والرابع ثقيلاً أوّل بالبنصر .

---

1 القنابل : جماعات الخيل والناس ، واحدتها قَنبل وقَنبلة .

2 ل : بزبع .

[286] ـ أخبار حسّان وجَبَلة بن الأيْهَم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا : حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني هارون بن عبد الله الزّهري قال : حدَّثني يوسف بن الماجِشُون عن أبيه قال : قال حسّان بن ثابت : أتيتُ جبلةَ بن الأيهم الغَسّانيّ وقد مدحتُه ، فأذِن لِي فجلستُ بين يديه ، وعن يمينه رجلٌ له ضفيرتانِ ، وعن يساره رجلٌ لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أمّا هذا فأعرفه ، وهو النابغة ، وأمّا هذا فلا أعرفه . قال : فهو عَلقمة بن عَبَدة ، فإن شئتَ استنشدتَهما وسمعتَ منهما ، ثم إنْ شئتَ أن تُنشِد بعدهما أنشدتَ ، وإن شئتَ أن تسكتَ سكتَّ . قلت : فذاك . قال : فأنشده النابغة : [من الطويل]

كِلِيني لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ ... وليلٍ أُقاسيهِ بطيءِ الكواكِبِ

قال : فذهبَ نِصفي . ثم قال لعلقمة : أنشدْ . فأنشَدَ : [من الطويل]

طَحا بك قلبٌ في الحسانِ طروبُ ... بُعيدَ الشباب عصرَ حانَ مشيبُ[1]

فذهب نصفي الآخر فقال لي : أنت أعلم ، الآنَ إن شئت أن تنشِدَ بعدهما أنشدتَ ، وإن شئت أن تسكت سكتَّ . فتشدّدتُ ثم قلت : لا بل ، أُنشِد . قال : هات . فأنشدتُه[2] : [من الكامل]

لله دَرُّ عصابةٍ نادمتُها ... يوماً بجلِّق في الزَّمانِ الأوّلِ

أولادِ جَفنة عندَ قبر أبيهم ... قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ[3]

يَسقُون مَن وَرَد البريصَ عليهم ... كأساً تُصفَّق بالرحيق السلسلِ[4]

يُغشَونَ حتّى ما تهرُّ كلابُهم ... لا يسألون عن السَّوادِ المقبلِ

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم ... شمُّ الأنوفِ من الطّرازِ الأوّلِ

فقال لي : ادنُهْ ادنهْ ، لعمري ما أنتَ بدونهما . ثم أمر لِي بثلثمائة دينار ، وعشرةِ أقمصةٍ لها جيبٌ واحد ، وقال : هذا لك عندنا في كلِّ عام .

---

1 طحا : ألقى .

2 ديوان حسان : 74-75 .

3 أولاد في ل : أبناء . الكريم في ل : الجواد .

4 البريص : نهر بدمشق .

وقد ذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ هذه القصة لحسّانَ ووصفها وقال : إنّما فضَّله عمرو بن الحارث الأعرج ، ومدحه بالقصيدة اللامية . وأتى بالقصّة أتمَّ من هذه الرواية .

قال أبو عمرو : قال حسان بن ثابت : قدمتُ على عمرٍو بن الحارث فاعتاصَ عليَّ الوصولُ إليه ، فقلتُ للحاجب بعد مدّة : إنْ أذنتَ لي عليه وإلاّ هجوتُ اليمنُ كلّها ثم انقلبتُ عنكم . فأذِن لي فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغةَ وهو جالسٌ عن يمينه ، وعلقمةَ بن عَبَدة وهو جالسٌ عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفُرَيعة ، قد عرَفتُ عِيصَك[1] ونَسَبك في غَسّان فارجعْ فإنّي باعثٌ إليك بِصلِة سَنيّة ، ولا أحتاجُ إلى الشعر ، فإنّي أخاف عليك هذين السَّبُعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحاك ، وفضيحتُك فضيحتي ، وأنتَ والله لا تحسنُ أن تقول : [من الطويل]

رِقـاق النِّعال طيِّبٌ حجزاتهمْ يُحَيَّون بالريحانِ يوم السَّباسِبِ

فأَبيتُ وقلت : لا بدّ منه . فقال : ذاك إلى عَمَّيك . فقلت لهما : بحقِّ الملكِ إلاّ قدّمتماني عليكما . فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحارث : هاتِ يا ابن الفُريعة . فأنشأت : [من الكامل]

أسأَلْت رسمَ الدَّارِ أم لَم تسألِ بَيْنَ الحوانِي فالبُضَيع فحَوملِ[2]

فقال : فلم يزل عمرو بن الحارث يَزْحل[3] عن موضعه سُروراً حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيكَ الشِّعرُ ، لا ما تُعلِّلاني به منذُ اليوم ! هذه والله البتّارة[4] التي قد بَتَرت المدائح ، أحسنتَ يا ابن الفريعة ، هات له يا غلامُ ألفَ دينار مرجوحة وهي التي في كلِّ دينار عشرةُ دنانير . فأُعطِيتُ ذلك ثم قال : لك عليَّ في كلّ سنةٍ مثلُها .

ثم أقبلَ على النابغة فقال : قم يا زيادُ فهاتِ الثَّناءَ المسجوع . فقام النابغة فقال : ألا أنعم صباحاً أيُّها المَلِك المبارَك ، السَّماء غِطاؤك ، والأرض وِطاؤك ، ووالديّ فداؤك ، والعربُ وِقاؤك ، والعجم حِماؤك ، والحكماء جُلساؤك ، والمَداره سُمّارك ، والمقاول إخوانك[5] ، والعقل شِعارُك ، والحلم دِثارك ، والسكينة مِهادُك ، والوَقار غِشاؤك ، والبِرُّ وِسادك ، والصِّدق رداؤك ، واليُمْن حِذاؤك ، والسَّخاء ظِهارتك ، والحَمِيّة بِطانتُك ، والعَلا عَلايتك[6] ، وأكرم الأحياء أحياؤك ، وأشرفُ الأجدادِ أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ،

---

1 العيص : الأصل .
2 فالبضيع في ل : فالنصيع .
3 زحل : تنحى وتباعد .
4 ل : البتاتة .
5 المقاول : جمع مقول وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى .
6 العلاية : الموضع المرتفع .

وأسْرى الأخوالِ أخوالك ، وأعفُّ النساء حلائلك ، وأفخر الشبّان أبناؤك ، وأطهر الأمّهات أمّهاتك ، وأعلى البنيان بُنيانك ، وأعذَبُ المياه أمواهُك ، وأفْيَح الداراتِ داراتك[1] ، وأنزه الحدائقِ حدائقُك ، وأرفع اللباس لباسُك ، قد حالفَ الإضريجُ[2] عاتقَيك ، ولاءم المِسكُ مَسْكَك[3] ، وجاوَرَ العنبر ترائبك ، وصاحَبَ النعيمُ جسدَك . العسجدُ آنيتك ، واللُّجَين صِحافُك ، والعَصْب مَناديلك ، والحُوَّارى[4] طعامُك ، والشُّهد إدامُك ، واللذات غذاؤك ، والخُرطوم[5] شَرابك ، والأبكار مُستراحك ، والأشراف مَناصفك[6] ، والخير بفنائك ، والشرُّ بساحة أعدائك ، والنّصر مَنُوطٌ بلوائك ، والخِذلان مع ألوية حُسّادك ، والبِرّ فِعلُك ، قد طحطح[7] عدوَّك غضبك ، وهزم مقانبهم مشهدُك ؛ وسارَ في الناس عدلُك ، وشَسَع[8] بالنصر ذكرك ، وسكَّن قوارعَ الأعداء ظفرك . الذّهبُ عطاؤك ، والدّواة رمزك ، والأوراق لحظُك وإطراقك ، وألف دينارٍ مرجوحةٍ إنماؤك . أيفاخرك المنذرُ اللخميّ ، فوالله لَقفاكَ خيرٌ من وجهه ، ولِشمالك خيرٌ من يمينه ، ولأخمَصُك خيرٌ من رأسه ، ولخطَاؤك خير من صوابه ، ولصمتُك خيرٌ من كلامه ، ولأمّك خير من أبيه ، ولخدَمك خيرٌ من قومِه . فهبْ لِي أسارى قومي ، واسْتَرهن بذلك شكري ؛ فإنّك من أشراف قحطان ، وأنا من سَرَوات عدنان .

فرفع عمرٌو رأسَه إلى جاريةٍ كانت قائمةً على رأسه وقال : بمِثل هذا فليُثْنَ على الملوك ، ومِثلُ ابن الفُريعة فليمدحْهم ! وأطلق له أسرى قومه .

وذكر ابن الكلبيّ هذه القصّة نحوَ هذا وقال : فقال له عمرو : اجعَل المفاضلةَ بيني وبين المنذر شعراً فإنّه أسْيَر[9] . فقال : [من المتقارب]

ونُبِّئـت أن أبـا منـذرٍ يُسامِيك للحـدَث الأكبرِ
فَذَالك أحسنُ مـن وجههِ وأُمّـكَ خيرٌ مـن المنذرِ

---

1 أفيح : أوسَع .
2 الإضريج : ضرب من الأكسية أصفر ، أو هو الخزّ الأحمر .
3 المَسك : الجلد .
4 الحوارى : الدقيق الأبيض .
5 الخرطوم : الخمر القوية .
6 المناصف : جمع منصف ، وهو الخادم .
7 طحطح : بدّد وفرّق .
8 شسع : ذاع .
9 أسير : أكثر سيراً بين الناس .

ويُسراك أجْوَدُ من كفّه الـ ـيمينِ فقُـولا لـه أخْرِ

وقد ذكر المدائنيّ أنّ هذه الأبيات والسجعَ الذي قبلها لحسان ، وهذا أصحّ .

[قدوم جبلة بن الأيهم على عمر]

قال أبو عمرو الشيباني : لمّا أسلم جَبَلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جَفنة ، كتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القُدوم عليه ، فأَذِنَ له عمر . فخرج إليه في خَمسمائة من أهل بيته ، من عَكٍّ وغسّان ، حتّى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عُمر يُعْلمه بقدومه ، فسُرّ عمر رضوان الله عليه ، وأمر الناسَ باستقباله ، وبعث إليه بأنزالٍ[1] ، وأمر جبلةُ مائتي رجلٍ من أصحابه فلبِسوا الدِّيباج والحرير ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضّة ، ولبس جبلةُ تاجَه وفيه قُرطا مارية ، وهي جدّته ، ودخل المدينة ، فلم يبقَ بها بكرٌ ولا عانِسٌ إلاّ تبرّجت وخرجَتْ تنظر إليه وإلى زِيّه ، فلمّا انتهى إلى عُمر رحَّبَ به وألطفَه وأدنى مجلسَه ؛ ثم أراد عمرُ الحجَّ فخرج معه جبلةُ ، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم ، إذ وطىء إزارَه رجلٌ من بني فزارة فانحلّ ، فرفع جبلةُ يَدَه فهشم أنفَ الفزاريّ ، فاستعدى عليه عمرَ رضوان الله عليه ، فبعثَ إلى جبلة فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نَعَمْ يا أمير المؤمنين ، إنّه تعمّدَ حلَّ إزاري ، ولولا حُرمة الكعبة لضربتُ بين عينيه بالسَّيف ! فقال له عمر : قد أقررت فإمّا أنْ رضيَ الرجلُ وإمّا أن أقيدَه منك . قال جبلة : ماذا تصنع بِي ؟ قال : آمُر بهشْم أنفك كما فعلتَ . قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ، وهو سُوقةٌ وأنا ملك ؟ قال : إنّ الإسلام جَمَعك وإيّاه ، فلستَ تفضُله بشيءٍ إلاّ بالتُّقى والعافية !! قال جبلة : قد ظننتُ يا أمير المؤمنين أنّي أكون في الإسلام أعزَّ منّي في الجاهلية . قال عمر : دَعْ عنك فإنّك إن لم تُرضِ الرجلَ أقدتهُ منك . قال : إذاً أتنصَّر . قال : إنْ تنصّرتَ ضربتُ عنقك ، لأنّك قد أسلمت ، فإن ارتددتَ قتلتُك . فلمّا رأى جبلةُ الصِّدقَ من عمر قال : أنا ناظرٌ في هذا ليلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حيٍّ هذا وحيٍّ هذا خلقٌ كثير ، حتى كادت تكون بينهم فتنة ، فلمّا أمسَوْا أذِن له عمر في الانصراف ، حتّى إذا نام الناس وهدأوا تحمل جبلةُ بخيله ورَواحله إلى الشام ، فأصبحتْ مكّةُ وهي منهم بَلاقع ، فلمّا انتهى إلى الشام تحمل في خمسمائةِ رجل من قومه حتّى أتى القُسطنطينية ، فدخل إلى هِرَقل ، فتنصّر هو وقومه ؛ فسُرَّ هرَقلُ بذلك جدّاً وظنّ أنّه فتحٌ من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيثُ شاء ، وأَجرى عليه من النُّزل ما شاء ، وجعلَه من محدِّثيه وسُمّاره . هكذا ذكر أبو عمرو الشيبانيّ .

وذكر ابن الكلبيّ أنّ الفزاريَّ لمّا وطىء إزارَ جبلة لطم جبلةَ كما لطمه ، فوثبت غسّان

1 أنزال : جمع نُزُل ، وهو ما يهيأ للضيف .

فهشموا أنفَه وأَتَوا به عمر ، ثم ذكر باقي الخبر نحو ما ذكرناه .

وذكر الزُّبير بن بكّار فيما أخبرنا به الحِرْميّ بن أبي العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدّثه عن أبيه : أنّ جبلةَ قدم على عمر رضي الله عنه في ألفٍ من أهل بيته فأسلم . قال : وجرى بينه وبين رجلٍ من أهل المدينة يوماً كلامٌ ، فسبَّ المديني فردّ عليه ؛ فلطمه جبلة فلطمه المديني ، فوثَب عليه أصحابُه فقال : دَعُوه حتّى أسألَ صاحبه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره فقال : إنّك فعلتَ بهِ فِعلاً ففعَل بك مثلَه . قال : أَوَ ليس عندك من الأمر إلاّ ما أرى . قال : لا فما الأمر عندكَ يا جبلة ؟ قال : من سَبَّنا ضربناه ، ومَن ضَرَبَنا قتلناه . قال : إنّما أُنزِل القرآن بالقصاص . فغضِب وخرج بمَن معه ودخلَ أرض الرّوم فتنصَّر ، ثم ندم وقال :

تنصَّرتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ

وذكر الأبيات ، وزاد فيها بعد : [من الطويل]

ويا ليــتَ لي بالشام أدنى معيشة ... أُجالسُ قومِي ذاهبَ السمعِ والبصَرْ

أدين بما دانوا بــه مــن شريعةٍ ... وقد يحبس العَود الضَّجور على الدَّبرْ[1]

[دعوة معاوية وعمر جبلة بن الأيهم للرجوع إلى الإسلام]

وذكر باقي خبره فيما وجّه به إلى حسّان مثله ، وزاد فيه : أنّ معاوية لّما وليَ بعثَ إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ، ووعده إقطاع الغُوطة بأسْرها ، فأبى ولم يقبل . ثم إنّ عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتبَ إلى هرقل يدعوه إلى الله جلّ وعزّ وإلى الإسلام ، ووجّه إليه رجلاً من أصحابه ، وهو جَثّامة بنُ مساحِق الكنانيّ ، فلمّا انتهى إليه الرجُل بكتاب عمرَ أجاب إلى كلِّ شيءٍ سوى الإسلام ، فلمّا أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل : هل رأيتَ ابن عمِّك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا ؟ قال : لا . قال : فالقَه . قال الرجل : فتوجهتُ إليه فلمّا انتهيت إلى بابه رأيتُ من البهجة والحسن والسرور ما لم أرَ مثله ببابِ هرقل ؛ فلمّا أُدخِلت عليه إذا هو في بهوٍ عظيم ، وفيه من التصاوير ما لا أحسِن وصفَه ، وإذا هو جالس على سريرٍ من قَوارير ، قوائمه أربعةُ أُسْدٍ من ذهب وإذا هو رجلٌ أصهب ذو سبالٍ وعُثنون ؛ وقد أَمر بمجلِسه فاستُقبِل به وجه الشمس ، فما بينَ يديه من آنية الذهب والفضّة يلوح ، فما رأيتُ أحسنَ منه . فلمّا سلمتُ ردَّ السلام ورحّب بِي ، وألطَفني ولامني على تركي النزول عنده ، ثم أَقعدني على شيءٍ لم أثبته ، فإذا هو كرسيٌّ من ذَهب ، فانحدرت عنه فقال : ما لكَ ؟ فقلت : إن رسول الله ﷺ نَهى عن هذا . فقال جبلة أيضاً مثلَ قولِي في النبيّ ﷺ حين ذكرته ، وصلّى عليه . ثم قال : يا هذا إنّك إذا

1 العود : المسن من الإبل .

طهَّرتَ قلبك لم يَضِركَ ما لبسته ولا ما جلست عليه . ثم سألنـي عن الناس وألحفَ في السؤال عن عمر ، ثم جعل يفكِّر حتى رأيت الحزنَ في وجهه ؛ فقلتُ : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟ قال : أبعدَ الذي قد كان ؟ قلت : قد ارتدّ الأشعثُ بن قيس ومنعَهُم الزكاةَ وضربهم بالسّيف ثم رجع إلى الإسلام . فتحدّثْنا ملِيّاً ثم أومأ إلى غلامٍ على رأسِهِ فولّى يُحْضِر ، فما كان إلاّ هنيهةً حتى أقبلت الأخْونـةُ يحملهـا الرجال فوضِعت ، وجيء بخوان من ذهبٍ فوضِع أمامي فاستعفيتُ منه ، فوضع أمامي خُوانُ خَلَنج[1] وجاماتُ قوارير[2] ، وأديرت الخمر فاستعفيت منها ، فلمّا فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب به خَمساً عدداً . ثم أومأ إلى غلامٍ فولّى يُحضر ، فما شعرتُ إلاّ بعشْر جَوارٍ يتكسَّرن في الحَلْي ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمسٌ عن شِمالِه ، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائي ، فإذا أنا بعشرٍ أفضلَ من الأوّلِ عليهن الوشيُ والحَلْي ؛ فقعد خمسٌ عن يمينه وخمس عن شماله ؛ وأقبلت جاريةٌ على رأسها طائر أبيض كأنّه لؤلؤة ، مؤدَّب ، وفي يدها اليمنى جامٌ فيه مِسك وعنبر قد خُلِطا وأنعِم سحقُهما ، وفي اليسرى جامٌ فيه ماء ورد ، فألقت الطائر في مـاء الورد ، فتمعَّك بَين جناحيه وظهره وبطنه ، ثم أخرجْته فألقته في جام المسكِ والعنبر ، فتمعَّك فيها حتى لم يدَعْ فيها شيئاً ، ثم نَفَّرته فسقط على تاج جَبَلة ، ثم رفرف ونفض ريشَه فما بَقِي عليه شيء إلاّ سَقط على رأس جبلة ، ثم قال للجواري : أطرِبْنني . فخفَقْن بعيدانهنّ يغنين : [من الكامل]

لله درُّ عصابـــةٍ نادمتُهـــــم	يومـاً بجلِّق في الزمان الأوّلِ
بِيض الوجوه كريمةٍ أحسابُهم	شُمٌّ الأُنوف من الطِّرازِ الأوّلِ
يُغشَونَ حتّى مـا تهرُّ كلابهم	لا يسألون عن السَّواد المقبل

فاستهلَّ واشتبشر وطرِب ثم قال : زِدنني . فاندفَعن يغنين : [من الخفيف]

لِمَـــن الدارُ أقفــرَتْ بمَعانِ	بين شاطِي اليرموك فالصَّمَّانِ
فحِمـى جاسم فأبنيـة الصُّفَّـ	ـرِ مَغنـى قنابـلٍ وهجانِ
فالقُرياتِ مـن بَـلاس فدارَ	يّـا فَسَكّاءَ فالقصورِ الدواني
ذاكَ مغنًّى لآل جفنـة في الدَّ	ارِ وحـقٌّ تعاقُـب الأزمانِ
قد دنا الفِصح فالولائد يَنظِمـ	ـنَ سِراعـاً أكِلّـةَ المَرْجانِ

1 الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأواني .

2 قوارير : من الزجاج .

لم يُعلَّلْـنَ بـالمغافير والصّمـ ـغ ولا نَقْفِ حَنظل الشّريانِ
قـد أُراني هناكَ حقّـاً مكينا عند ذي التاج مَقعدي ومكاني

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا . قال : هذه منازلُنا في مُلكنا بأكناف دمشق ، وهذا شعر ابنِ الفُريعة حسّانَ بن ثابت ، شاعرِ رسول الله ﷺ . قلت : أما إنّه مضرورُ البصرِ كبير السنّ . قال : يا جاريةُ هاتي . فأتته بخمسمائةِ دينارٍ وخمسة أثوابٍ من الدِّيباج ، فقال : ادفعْ هذا إلى حسانَ وأقرئه منّي السلام . ثم أرادني على مثلها ، فأبيتُ فبكى ، ثم قال لجواريه : إبكينني . فوضعن عِيدانَهنَّ وأنشأن يقلن : [من الطويل]

تنصَّرَتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ وما كان فيها لو صَبرتُ لها ضَرَرْ
تكنَّفني فيهـا لَجـاجٌ ونَخوةٌ وبِعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعوَرْ
فيـا ليـتَ أُمّـي لم تلِدْني وليتني رجعتُ إلى القول الذي قال لِي عمرْ
ويا ليتنـي أرعـى المخاضَ بقفرةٍ وكنتُ أسيراً في ربيعـةَ أو مُضرْ
ويـا ليت لي بالشأم أدنى معيشةٍ أُجالسُ قومِي ذاهبَ السَّمعِ والبصرْ

ثم بكى وبكيتُ معه حتّى رأيت دموعَه تجول على لحيته كأنّها اللؤلؤ ، ثمّ سلَّمت عليه وانصرفت ، فلمّا قدِمتُ على عمرَ سألني عن هِرَقْل وجَبَلة ، فقصصتُ عليه القصّة من أوّلها إلى آخرها ، فقال : أوَ رأيتَ جبلة يشرب الخمر ؟ قلت : نعم . قال : أبعده الله ، تعجَّلَ فانيةً اشتراها بباقية ، فما رَبحتْ تجارته ، فهل سَرَّح معك شيئاً ؟ قلت : سَرَّح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسةَ أثواب ديباج . فقال : هاتها . وبعثَ إلى حسانّ فأقبل يقودُه قائده حتّى دنا فسلّم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي لأجد أرواحَ آلِ جفنة . فقال عمر رضي الله عنه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رَغْم أنفه ، وأتاك بمعونة . فانصرفَ عنه وهو يقول[1] : [من الكامل]

إنَّ ابنَ جفنةَ من بقيّة مَعشرٍ لَـم يَغذُهـم آباؤهـم باللُّومِ
لم يَنسني بالشّأم إذ هـو ربُّها كَـلاَّ ولا متنصِّـراً بالرّومِ
يُعطِي الجزيل ولا يَراه عنده إلاَّ كبعض عطيّـةِ المـذمومِ
وأتيتُـه يومـاً فقرَّب مجلسي وسقى فروَّاني مـن الخُرطومِ

فقال له رجلٌ في مجلس عمر : أتذكر قوماً كانوا ملوكاً فأبادهم الله وأفناهم ؟ ! فقال : ممّن الرّجل ؟ قال : مُزَنِيٌّ . قال : أَما والله لولا سوابقُ قومِك مع رسول الله ﷺ لطَوّقتُك طَوقَ الحمامة . وقال : ما كان خليلي ليُخِلّ بِي ، فما قال لك ؟ قال : قال إنْ وجدتَه حيّاً فادفعها

1 ديوان حسان : 439 .

إليه ، وإن وجدتَه ميّتاً فاطرح الثيابَ على قبره ، وابتعْ بهذه الدنانير بُدْناً فانحرها على قبره . فقال حسان : ليتَك وجدتني ميّتاً ففعلتَ ذلك بي ؟

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير قال : قال لي عبد الرحمن بن عبد الله الزُّبيريّ : قال الرسولُ الذي بعثَ به إلى جبلة . ثم ذكر قصته مع الجارية التي جاءت بالجامَين والطائر الذي تمعَّك فيهما ، وذكر قولَ حسان : [من الكامل]

إن ابــنَ جفنةَ من بقية معشرٍ

ولم يذكر غير ذلك . هكذا روى أبو عمرو في هذا الخبر .

[رسول معاوية وجبلة]

وقد أخبرني به أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال عبد الله بن مَسعدة الفزاريّ : وجَّهني معاويةُ إلى ملك الروم ، فدخلتُ عليه ، فإذا عنده رجلٌ على سرير من ذهب دونَ مجلسه ، فكلَّمني بالعربية فقلت : مَن أنتَ يا عبد الله ؟ قال : أنا رجلٌ غلَب عليه الشَّقاء ، أنا جبلة بن الأيْهَم ، إذا صرتُ إلى منزلي فألقَني . فلمّا انصرفَ وانصرفتُ أتيتُه في داره فألفيته على شرابه ، وعنده قَينتانِ تغنّيانه بشعر حسّان بن ثابت : [من الخفيف]

قــد عَفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ فالجوابــي فجانب الجَوْلانِ

وذكر الأبيات . فلمّا فَرغَتا من غنائِهما أقبل عليّ ثم قال : ما فعل حسّانُ بن ثابت ؟ قلت : شيخٌ كبير قد عَمِي . فدعا بألف دينار فدفَعها إليَّ ، وأمرني أن أدفعَها إليه ثم قال : أترى صاحبك يَفِي لي إن خرجتُ إليه ؟ قال : قلت قل ما شئت أعرضْه عليه . قال : يُعطيني الثنيّة فإنّها كانت منازلَنا ، وعشرين قريةً من الغُوطة منها داريّا وسَكّاء ، ويفرضُ لجماعتنا ويحسِنُ جوائزَنا . قال : قلت أُبلِغهُ . فلمّا قدِمتُ على معاوية قال : ودِدتُ أنّك أجبتَه إلى ما سأَلَ فأجزته له . وكتب إليه معاوية يُعطيه ذلك ، فوجَده قد مات .

قال : وقدِمتُ المدينةَ فدخلت مسجد رسول الله ﷺ ، فلقيتُ حسانَ فقلت : يا أبا الوليد ، صديقُك جَبَلة يقرأ عليك السلام . فقال : هات ما معك . قلت : وما عِلمُك أنَّ معي شيئاً ، قال : ما أرسل إليَّ بالسَّلام قطّ إلاّ ومعَه شيء . قال : فدفعت إليه المال .

أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال : حدَّثنا عبد الله بن مُسلم قال : حدَّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، عن أهل المدينة قالوا : بعث جبلةُ إلى حسّانَ بخمسمائة دينارٍ وكُسًى وقال للرسول : إنْ وجدتَه قد مات فابسُط هذه الثيابَ على قبره . فجاء فوجدهُ حيّاً ، فأخبره فقال : لوددت أنّكَ وجدتَني ميتاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الطويل]

تنصَّرتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضَرَرْ

الأبيات الخمسة .

الشعر لجبلة بن الأيهم ، والغناء لعريب نصب خفيف ، وبسيط رملٍ بالوسطى ، ومنها :

صوت

[من الكامل]

إنّ ابن جفنةَ من بقيةِ معشرٍ لم يَغذُهم آباؤهم باللُّومِ

الأبيات الأربعة . الشعر لحسّان بن ثابت ، والغناء لعريب ، هزج بالبنصر .

[حديث حسان مع الحارث بن أبي شمر]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا عمِّي يوسف بن محمد قال : حدَّثني عمِّي إسماعيل بن أبي محمد قال : قال الواقديّ : حدَّثني محمد بن صالح قال : كان حسّان بن ثابت يَغدُو[1] على جبلة بن الأيهم سنةً ويقيم سنةً في أهله ، فقال : لو وفدتُ على الحارث بن أبي شمر الغَسّانيّ ، فإنّ له قرابةً ورحِماً بصاحبي ، وهو أبذلُ الناس للمعروف ، وقد يَئس منّي أن أفِدَ عليه ، لما يَعرِف من انقطاعي إلى جَبَلة .

قال : فخرجتُ في السنة التي كنت أُقيم فيها بالمدينة ، حتى قدمت على الحارث وقد هيّأتُ له مديحاً ، فقال لي حاجبُه ، وكان لي ناصحاً : إنّ الملك قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يدعُك حتّى تذكر جبلة ، فإيّاك أن تقعَ فيه فإنّه إنّما يختبرك ، وإن رآك قد وقعتَ فيه زهِدَ فيك ؛ وإن رآكَ تذكر محاسنَه ثَقُل عليه فلا تبتدىء بذكره ، وإن سألَكَ عنه فلا تُطنِب في الثناء عليه ولا تَعِبْه ، امسحْ ذكره مَسْحاً ، وجاوزْه إلى غيره ، فإنّ صاحبك ، يعني جبلةَ ، أشدُّ إغضاءً عن هذا مِن هذا ، أي أشدُّ تغافلاً وأقلُّ حَفْلاً به ، وذلك أنّ صاحبك أعقلُ مِن هذا وأبين ، وليس لهذا بيان ، فإذا دخلتَ عليه فسوف يدعوك إلى الطعام ، وهو رجلٌ يثقُل عليه أن يؤكل طعامُه ولا يبالي الدرهمَ والدينار ، ويثقل عليه أن يشرب شرابُه أيضاً ؛ فإذا وُضِع طعامُه فلا تضَعْ يدك حتّى يدعوَك ، وإذا دعاك فأصِبْ من طعامِهِ بعضَ الإصابة . قال : فشكرتُ لحاجبه ما أمرني به .

قال : ثم دخلتُ عليه فسألني عن البلاد وعن الناس ، وعن عَيشنا بالحجاز ، وعن رجالِ يهودَ ، وكيف ما بَيْننا من تلك الحروب . فكلَّ ذلك أُخبره حتّى انتهى إلى ذكر جبلة ، فقال :

---

1 ل : يفد .

كيف تجدُ جبلة ، فقد انقطَعْتَ إليه وتركتَنا ؟ فقلت : إنّما جبلة منك وأنت منه . فلم أجْرِ إلى مدح ولا عيب ، وجاز ذلك إلى غيره ثم قال : الغَداء . فأُتِي بالغَداء ، ووُضِع الطعام ، فوضعَ يدَه فأكلَ أكلاً شديداً ، وإذا رجلٌ جَبّار ، فقال بعد ساعة : ادنُ فأصِبْ مِن هذا . فدنوتُ فخطّطتُ تخطيطاً ، فأُتِيَ بطعام كثير ، ثم رُفِع الطعام وجاء وُصفاءُ كثيرٌ عددهم ، معهم الأباريقُ فيها ألوانُ الأشربة . ومعهم مناديلُ اللّين فقاموا على رؤوسنا ، ودعا أصحابَ برابِطَ من الرّوم فأجلسَهم وشرِب فألَهَوْه ، وقام الساقي على رأسي فقال : اشربْ . فأبيتُ حتى قال هو : اشربْ . فشرِبت ، فلمّا أخَذَ فينا الشرابُ أنشدتُه شعراً فأعجبه ولذَّ به ، فأقمتُ عنده أيّاماً فقال لي حاجبه : إنّ له صديقاً هو أخفُّ الناس عليه ، وهُو جاءٍ ، فإذا هو جاءَ جفاكَ وخلص به ، وقد ذُكِر قدومه ؛ فاستأذِنْه قبل أن يقدم عليه ، فإنّه قبيحٌ أن يجفوكَ بعد الإكرام ، والإذنُ اليوم أحسن . قلت : ومن هو ؟ قال : نابغة بني ذبيان . فقلت للحارث : إنْ رأى الملكُ أن يأذن لي في الانصراف إلى أهلي فَعل . قال : قد أذنتُ لك وأمرتُ لك بخمسمائة دينار وكُسًى وحُمْلان . فقبضتُها وقدم النابغةُ وخرجتُ إلى أهلي .

صوت [1]

[من الطويل]

ألا إنّ ليلى العامريّــة أصبحَتْ	على النأي منّي ذنــبَ غيريَ تنقِمُ
وما ذاك من شيءٍ أكونُ اجترمتُه	إليها فتجزيني بــه حيــثُ أعلمُ
ولكنّ إنساناً إذا مــلَّ صاحبــاً	وحاول صَرماً لم يــزل يتجرّم [2]
وما زال بي ما يُحدِث النأيُ والذي	أُعالــج حتّى كدت بالعيش أبْرَمُ
وما زال بِي الكتمانُ حتّى كأنّني	برجعِ جَوابِ السائلي عنك أُعجمُ
لأسلمَ من قــول الوُشاة وتسلمي	سَلِمْتِ وهل حيّ من الناس يسلمُ

عروضه من الطويل . الشعر لنُصَيب ، ومن الناس من يروي الثلاثة الأبياتِ الأوّل للمجنون . والغناء لبديح مولى عبد الله بن جعفر رحمهما الله .

وفي الأبيات الأوّل منها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش . وذكره حمّاد بن إسحاقَ ولم يجنّسه . وفيه لابن سُريج هزج خفيف بالبنصر في مجراها عن إسحاق في البيتين الأخيرين . وفيه لمعبد في البيتين الأوّلين خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 الأبيات في ديوان نصيب : 123 والثلاثة الأولى منها في ديوان مجنون ليلى أيضاً .

2 يتجرم عليه : يدّعي عليه ذنباً لم يفعله .

[287] ـ خبر بُديح في هذا الصوت وغيره

[صنعة بديح]

بُديح مولى عبد الله بن جعفر ، وكان يقال له بديح المليح . وله صنعة يسيرة وإنّما كان يغنّي أغاني غيرِه مثل سائب خاثرٍ ، ونَشيط ، وطُوَيس ، وهذه الطبقة . وقد روى بُديح الحديثَ عن عبد الله بن جعفر .

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا العبّاس بن محمد الدُّوري قال : حدَّثنا أبو عاصم النَّبيل عن جُويرية بنِ أسماء ، عن عيسى بن عمر بن موسى ، عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال : لما قدِم يحيى بن الحكم المدينةَ دخل إليه عبدُ الله بن جعفر في جماعةٍ فقال له يحيى : جئتَني بأوباشٍ من أوباش خَبِثة ؟ فقال عبد الله : سمّاها رسول الله ﷺ طِيبةَ وتسمِّيها أنت خبِثة ؟!

[رقية بديح لعبد الملك بن مروان]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : قال داود بن جميل حدَّثني من سمع هذا الحديث من ابن العتبيّ يذكره عن أبيه قال : دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوّه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أدخلتَ عليك من يُؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار ؟ قال : لستُ صاحبَ هزل ، والجِدّ مع عِلَّتي أحْجى بي . قال : وما علّتكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : هاجَ بي عِرق النَّسا في ليلتي هذه ، فبلغَ مني . قال : فإنّ بُديحاً مولاي أرقى الناسِ منه . فوجَّه إليه عبد الملك فلمّا مضى الرسول سُقِط في يَدَيْ ابن جعفر وقال : كِذبةٌ قبيحة عندَ خليفة . فما كان بأسرعَ من أن طلع بديح فقال : كيف رُقيتك من عِرق النَّسا . قال : أرقى الخلقِ يا أمير المؤمنين . قال : فسُرِّي عن عبد الله لأنّ بُديحاً كان صاحبَ فكاهةٍ يُعرف بها ؛ فمدَّ رجلَه فتَفَل عليها ورقاها مِراراً ، فقال عبد الملك : الله أكبر ، وجدتُ والله خِفّاً ، يا غلامُ ادعُ فلانة حتّى تكتبَ الرُّقية ، فإنّا لا نَأمَنُ هَيْجَها بالليل فلا نَدْعو بُديحاً . فلمّا جاءت الجاريةُ قال بديح : يا أمير المؤمنين ، امرأتُه الطلاقُ إن كتَبْتُها حتى تعجِّل حِبائي . فأمَر بأربعة آلاف درهم فلمّا صار المالُ بين يديه قال : وامرأته الطلاقُ إن كتَبْتُها أو يصير المال إلى منزلي . فأمر به فحُمِل إلى منزله ، فلمّا أحرزه قال : يا أمير المؤمنين ، امرأتُه الطلاق إن كنتُ قرأت على رجلك إلاّ أبياتَ نصيب : [من الطويل]

ألا إنَّ ليلى العامريّةَ أصبحَتْ ... على النأي منّي ذنبَ غيري تَنقِمُ

وذكر الأبيات وزاد فيها :

وما زلتُ أستصفي لكِ الودَّ أبتغي مُحاسَنةً حتَّى كأنّي مُجرمُ

قال : ويلكَ ما تقول ؟ قال امرأتُه الطلاق إنْ كان رقاك إلاّ بما قال . قال : فاكتمْها عليّ . قال : وكيف ذاكَ وقد سارت بها البُردُ إلى أخيك بمصر ؟ ! فطفق عبد الملك ضاحِكاً يفحَص برجليه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني الأصمعيّ عن المنتجع النَّبهانيّ ، عن أبيه بهذا الخبر مثل الذي قبله . وزاد في الشعر : [من الطويل]

فلا تصرِميني حينَ لا لِيَ مرجعٌ ورائي ولا لي عنكمُ متقدّم

وقال فيه : فسكَن ما كان يجدُه عبد الملك ، وأمر لبُديح بأربعة آلاف درهم ، فقال ابن جعفر لبديح : ما سمعتُ هذا الغناءَ منكَ مذْ ملكتُك ! فقال : هذا من نُتَف سائب خاثر .

أخبرني إسماعيل قال حدَّثنا عمر قال حدَّثني القاسم بن محمد بن عباد عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزناد عن نافع ، أراه نافع الخير مولى ابن جعفر ، بهذا الخبر مثلَه ، وزاد فيه أنّ بُديحاً رفع صوتَه يغنّيه به لّما قال له أن يكتبَ الرقية . وزاد فيه : فجعل عبدُ الملك يقول : مهلاً يا بُديح . فقال : إنّما رقيتك كما عُلِّمتُ يا أمير المؤمنين .

أخبرني إسماعيل قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو سَلمة الغِفاريّ عن عبد الله بن عِمران بن أبي فَروة قال : كان ابن جعفر يحبُّ أن يُسمعَ عبدَ الملك غناء بُديح ، فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبدُ الملك رُكبته فقال له ابنُ جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لي مولًى كانت أمّه بربريّة ، وكانت تَرقي من هذه العلّة ، وقد أخذَ ذلك عنها . قال : فادعُ به . فدُعِي بُديح ، فجعل يتفُل على ركبة عبد الملك ويُهمهِم ، ثم قال : قُم يا أمير المؤمنين جعلني الله فِداك . فقام عبد الملك لا يجدُ شيئاً . فقال عبد الله : يا أميرَ المؤمنين مولاك لا بدَّ له من صلة . قال : حتّى تكتب رُقيتَه . ثم أمر جاريةً له فكتبَتْ :

بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم . قال : كيف تكون ويلكَ رقيةٌ ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : فهو ذاك . قال : فاكتبيها على ما فيها . فأملى عليها : [من الطويل]

ديارَ سُليمى بين عَيقة فالمُهدِي سُقيتِ ، وإن لَم تَنطقي ، سَبَل الرعدِ

ثم قال له ابن جعفر : لو سمعتَه منه . قال : أوَيُجيد ؟ قال : نعم . قال : هات . فما برح والله حتّى أفرغَها في مسامعه .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال حدَّثني عمّي عبيد الله قال : حدَّثني سليمان بن أبي شَيخ قال : كنّا عند أبي نعيم الفَضل بن دُكَين فجاءه رجل فقال : يا أبا نُعيم ، إنّ الناس

يزعمُون أنّك رافضيّ . قال : فأطرق ساعةً ثم رفع رأسَه وهو يبكي وقال : يا هذا أصبحتُ فيكم كما قال نُصيب : [من الطويل]

وما زال بي الكِتمان حتّى كأنني برَجعِ جوابِ السَّائلي عنكِ أعجمُ
لأسلمَ من قول الوشاةِ وتَسلمي سَلمتِ وهل حيٌّ من الناس يسلمُ

صوت[1]

[من الرمل]

يا غرابَ البينِ أسمعتَ فقُلْ إنّما تنطق شيئاً قد فُعِلْ
إنَّ للخيرِ وللشرّ مَدًى لِكلا ذَينِكَ وقتٌ وأَجَلْ[2]
كلُّ بؤسٍ ونعيمٍ زائلٌ وبناتُ الدهرِ يَلعبنَ بكلّ
والعطِيّاتُ خِساسٌ بينهم وسواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومقِلّ

الشعر لعبد الله بن الزِّبَعرى السهميّ ، يقوله في غَزاة أحد ، وهو يومئذٍ مشرك . والغناء لابن سُريج خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبِنصر ، عن عمرو على مذهب إسحاق . وفيه لحنٌ لابن مُسْجع من رواية حماد عن أبيه في كتاب ابن مسجح .

1 شعر ابن الزبعرى : 41-43 .
2 مجموع شعره : «وجه وقبل» .

[288] ـ نسب ابن الزِّبعرى وأَخبارُه وقصّة غَزْوة أُحُد[1]

[نسبه]

هو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

[يهجو المسلمين ويمدحهم]

وهو أَحدُ شعراءِ قريشٍ المعدودين . وكان يهجو المسلمين ويحرِّض عليهم كفارَ قريش في شعره ، ثم أسلَم بعد ذلك فقبِل النبيُّ ﷺ إسلامَه وأَمَّنه يومَ الفتح .

وهذه الأبياتُ يقولُها ابنُ الزِّبعرى في غزوة أُحُد .

[غزوة أُحُد]

حدَّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبريّ قال حدَّثنا ابن حميد قال : حدَّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق قال حدَّثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهريّ ، ومحمد بن يحيى بن حيان ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث ، فقد اجتمع حديثُهم كلُّهم فيما سُقت من الحديث عن يوم أُحُد . قالوا : لمّا أصيبت قريشٌ ، أو مَن قاله منهم يومَ بدرٍ من كفّار قريش ، من أصحاب القَلِيب ، فرجعَ فَلُّهم[2] إلى مكّة ، ورجع أبو سفيانَ بن حرب بِعيرِه ، مشى عبد الله بن أَبي ربيعة ، وعكرُمة بن أبي جَهلٍ ، وصَفْوان بن أُميّة ، في رجالٍ من قريش ، مِمّن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومَن كان له في تلك العير من قريش تجارة ؛ فقال أبو سفيان : يا معشَر قريش ، إنَّ محمداً قد وَتَركم وقتلَ خيارَكم ، فأعينونا بهذا المال على حَربه ، لعلَّنا أن ندرك ثأراً مِمّن أُصيبَ منّا . ففعلوا ، فاجتمعتْ قريش لحرب رسول الله ﷺ ، حينَ فعل ذلك أبو سفيانَ وأصحاب العير بأحابيشها[3] ومَن أطاعها من قبائل

---

1 لعبد الله بن الزبعرى ترجمة في طبقات ابن سلام : 435-444 والمؤتلف والمختلف : 194 وسمط اللآلي : 387 ، 833 وشرح شواهد المغني 1 : 391 وقد جمع شعره د . يحيى الجبوري ، بيروت .

2 الفلّ : الجماعة المنهزمة .

3 أحابيش قريش : قوم من قريش وكنانة وخزيمة وخزاعة اجتمعوا في الحبشي ، وهو جبل بأسفل مكّة وتحالفوا بالله أنهم يد واحدة ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا الحبشي .

كِنانة وأهل تهامة ، وكلُّ أولئك قد استغوَوْا[1] على حرب رسول الله ﷺ . وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ قد منَّ عليه رسولُ الله ﷺ يومَ بدر ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول الله ، إنِّي فقيرٌ ذو عيال وحاجةٍ قد عرفْتَها ، فامنُنْ عليّ صلّى الله عليك . فمنّ عليه رسول الله ﷺ ؛ فقال صفوان بن أُميّة : يا أبا عزّة ، إنّك امرؤٌ شاعر فاخرجْ معنا فأعِنّا بنفسك . فقال : إن محمداً قد منّ عليّ ، فلا أريد أن أظاهِرَ عليه . فقال : بلى فأعِنّا بنفسك ، ولك الله إن رجعتَ أن أعينَك ، وإن أصبتَ أن أجعل بناتِك مع بناتي ، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسر أو يسر . فخرج أبو عزّة يسير في تِهامة ويدعو بني كنانة ، وخرج مُسافع بن عَبْدة بن وهب بن حُذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كنانة يحرِّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، ودعا جُبير بن مُطعِم غلاماً يقال له وحشيّ ، وكان حبشيّاً يَقذِف بحربةٍ له قَذْفَ الحبشة ، قلّما يخطىء بها فقال : اخرجْ مع الناس ، فإن أنت قَتلتَ عمَّ محمدٍ بعمي طُعَيمة بن عديّ فأنت عتيق . وخرجت قريشٌ بحدِّها وأحابيشها ومَن معها من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا بالظُّعُن التماسَ الحفيظة ، ولئلاّ يفرّوا . وخرج أبو سفيانَ بن حربٍ وهو قائد الناس ، معه هندُ بنت عتبة بن ربيعة ، وخرج عِكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة ، بأم حكيم وخرج صَفْوان بن أميّة بن خَلَف ببرزةَ ، وقيل ببَرَّةَ من قول أبي جعفر ، بنت مسعود بن عمرو بن عُمير الثقفية ، وهي أمّ عبد الله بن صَفْوان . وخرج عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبدُ الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بسُلافة بنت سعدِ بن سُهيل ، وهي أمّ بني طَلْحة : مُسافع ، والجُلاس ، وكلاب ، قُتلوا يومئذٍ وأَبوهم . وخرجت خُناسُ بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بني مالك بن حِسل مع ابنها أبي عَزّة بن عمير ، وهي أُمّ مصعب بن عمير . وخرجت عمرة بنت عَلقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة .

وكانت هندُ بنت عتبة بن ربيعة إذا مرّتْ بوحشيّ أو مرّ بها قالت : إيه أبا دَسْمة اشتَفِ . فنزلوا ببطن السَّبخة من قَناةٍ على شفير الوادي ممّا يلي المدينة . فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله ﷺ للمسلمين : «إنّي قد رأيتُ بقراً تُذبَح فأوّلتها خَيْراً ، ورأيتُ في ذُباب سيفي ثَلْماً ، ورأيت أنّي أَدخلتُ يدي في دِرعٍ حصينة ، وهي المدينة ؛ فإنْ رأيتم أن تُقِيموا بالمدينة وَتَدعوهم حيث نزلوا فإنْ أقاموا أقاموا بشرِّ مُقام ، وإن هم دَخلوا علينا فيها قاتلناهم» .

ونزلت قريشٌ منزلَها من أُحد يوم الأربعاء ، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم

1 يستغوي : يستغيث .

الجمعة ، وراح رسولُ الله ﷺ حينَ صلَّى الجمعة فأصبح بالشِّعب من أحد ، فالتَقوا يومَ السبت للنصف من شوال . وكان رأيُ عبدِ الله بن أُبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يَرى رأيَه في ذلك : أن لا يخرج إليهم ، وكان رسولُ الله ﷺ يكره الخروجَ من المدينة . فقال رجالٌ من المسلمين ، مِمّن أكرم الله جلَّ ثناؤه بالشهادةَ يوم أُحد وغيرُهم ممّن فاته بدر وحضوره : يا رسولَ الله صلّى الله عليك اخرجْ بنا إلى أعدائنا لا يَرَون أنا جَبُنّا عنهم وضَعُفنا . فقال عبد الله بن أبيّ بن سلول : يا رسولَ الله أقمْ بالمدينة ، ولا تخرجْ إليهم ، فوالله ما خرجْنا منها إلى عدوٍّ قطّ إلاّ أصابَ منّا ، ولا يدخلُها علينا إلاّ أصبنا منهم ، فدَعْهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشَرِّ مجلِس ، وإن دخلُوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساءُ والصِّبيان بالحجارة من فوق رؤوسهم ، وإن رجعوا رجَعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل برسول الله ﷺ الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء العدوّ ، حتّى دخل رسول الله ﷺ فلبِس لأمتَه ، وذلك يومَ الجمعة ، حين فرغَ رسول الله ﷺ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بني النجّار فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناسُ : وقالوا استكرَهْنا رسولَ الله ﷺ ولم يكن ذلك لنا ! فخرجَ رسول الله ﷺ عليهم فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكنْ ذلك لنا ، فإن شئتَ فاقعدْ صلّى الله عليك . فقال عليه السلام : «ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمتَه أن يضعَها حتّى يقاتل» قال : فخرج رسول الله ﷺ في ألفِ رجلٍ من أصحابه ، حتّى إذا كانوا بالشوط ، بين أحد والمدينة ، انخزلَ عنه عبد الله بن أبيّ بن سَلول بثلث الناس ، وقال : أطاعَهم فخرجَ وعصاني ، والله ما ندري علامَ نقتلُ أنفسَنا هاهنا أيُّها الناس . فرجع بمِن اتَّبعه من الناس مِن قومه ، من أهل النِّفاق والرَّيب ، واتَّبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حرامَ أحد بني سلمة يقول : يا قوم أذكّركم اللهَ أن تخذلُوا نبيَّكم وقومَكم عندما حضر من عدوّهم . فقالوا : لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكنّا لا نرى أنّه يكون قتال . فلمّا استَعْصوا عليه وأبَوا إلاّ الانصراف قال : أبعدَكم الله أعداءَ الله ، فسيُغْنِي الله عزّ وجلّ عنكم .

وقال محمد بن عمر الواقديّ : انخزل عبد الله بن أبيّ عن رسول الله ﷺ من الشَّيخين[1] بثلثمائة ، فبقي رسولُ الله ﷺ في سبعمائة ، وكان المشركون في ثلاثة آلاف ، والخيل مائتا فارس ، والظُّعن خَمسَ عشرةَ امرأة . قال : وكان في المشركين سبعُمائة دارع ، ولم يكن معهم من الخيل إلاّ فَرَسانِ : فرسٌ لرسول الله ﷺ ، وفرس لأبي بُردة بن نيار الحارثي . فادّلج[2] رسول الله ﷺ من الشَّيخين حتّى طلع الحمراء ، وهما أُطُمانِ كان يهوديٌّ ويهودية أعميان يقومان

1 الشيخان : موضع بالمدينة كان فيه معسكر الرسول .

2 ادّلج : سار في آخر الليل .

عليهما فيتحدّثان ، فلذلك سمّيا الشيخين ، وهما في طرف المدينة .

قال : وعرضَ رسول الله ﷺ المقاتلةَ بعد المغرب ، فأَجاز مَن أَجاز ، وردَّ مَن ردَّ . قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت ، وأبو عمرو أُسيد بن ظهير ، والبَراء بن عازب ، وعَرابة بن أوس . قال : وهو عَرابة الذي قال فيه الشمّاخ : [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لمجدٍ تَلقّاها عَرابةُ باليمين

قال : وردَّ أبا سعيدٍ الخدريَّ ، وأَجاز سَمُرة بن جُندب ، ورافعَ بن خَدِيج . وكان رسول الله ﷺ قد استصْغَر رافعاً ، فقام على خفّين له فيهما رِقاع ، وتطاوَلَ على أطراف أصابعه ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ أجازَه .

قال محمد بن جرير : فحدّثني الحارث قال : حدَّثنا ابن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : كانت أُمّ سمرة تحتَ مُرَيّ بن سِنان بن ثعلبة ، عمٍّ أبي سعيد الخدري ، وكان ربيبَه ، فلمّا خرج رسول الله ﷺ إلى أُحدٍ وعَرض أصحابَه فردَّ مَن استصغر ، ردَّ سمرة بن جندب ، وأَجاز رافعَ بن خديج ، فقال سَمُرة لربيبه مُريٍّ بن سِنان . أُجاز رافعاً وردّني وأنا أصرعُه ! فقال يا رسول الله : رددتَ ابني وأجزتَ رافع بن خَدِيج وابني يصرعُه ؟ فقال النبيّ ﷺ لرافع وسَمُرة : اصطرِعا . فصرعَ سمرةُ رافعاً ، فأجازه رسول الله ﷺ ، فشهدها مع المسلمين ، وكان دليلَ النبيّ ﷺ أبو خَيثَمة الحارثيّ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حَرّة بني حارثة ، فذبَّ فرس بذَنبه فأَصاب كُلاّبَ سيفٍ فاستلّه ، فقال رسول الله ﷺ ، وكان يحبُّ الفأل ولا يعتاف ، لصاحبِ السيف : «شِمْ سيفَك فإنّي أرى السيوفَ سَتُستَلُّ اليوم» ! ثم قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه : «مَنْ رجلٌ يخرجُ بنا على القوم مِن كَثَبٍ مِن طريقٍ لا يمرُّ بنا عليهم ؟» ، فقال أبو خيثمة ، أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسولَ الله . فقدّمَه فنفذ به في حَرة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به في مال المِرْبع بن قَيظيّ ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ، فلمّا سمِع حِسَّ رسولِ الله ﷺ ومَن معه من المسلمين قام يَحثي التراب في وجوههم ويقول : إن كنتَ رسولَ الله فلا أُحِلّ لك أن تَدخُل حائطي . قال : وقد ذُكِر لِي أنّه أخذَ حَفنةً من ترابٍ في يده ثم قال : لو أنّي أَعلم أنّي لا أُصيبُ بها غيرَك لضربتُ بها وجهَك ! فابتدره القومُ ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : «لا تفعلوا فهذا الأعمى البصرِ الأعمى القلب !» وقد بدر إليه سعد بن زيد أَخو بني عبد الأشهل حين نَهى رسول الله ﷺ عنه ، فضربَه بالقوس في رأسه فشجَّه ، ومضى رسولُ الله ﷺ على وجهه حتّى نزل الشعب من أُحدٍ في عُدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد ،

وقال : لا يُقاتلن أحدٌ أحداً حتى نأمرَه بالقتال . وقد سرَّحت قريشٌ الظَّهر والكراع[1] في زُروع كانت بالصَّمْغة من قناةٍ للمسلمين ، فقال رجلٌ من المسلمين حينَ نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرعى زروعُ بني قَيلة ولمّا نضارب ! وتعبَّى رسول الله ﷺ وهو في سبعمائة رجلٍ ، وتعبأت قريشٌ وهم ثلاثة آلافٍ ، ومعهم مائتا فارس قد جَنَبوا خيولهم ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عِكرمَة بن أبي جهل . وأمَّر رسول الله ﷺ على الرماة عبدَ الله بن جُبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو يومئذٍ مُعلِمٌ بثياب بِيض ، والرّماة خمسون رجلاً . وقال : انضَحْ عنّا الخيلَ بالنَّبل لا يأتونا مِن خلفنا إنْ كانت لنا أو علينا ، فاثبتْ بمكانك لا نُؤتيَنَّ من قِبلك . وظاهَر رسول الله ﷺ بين دِرعين .

قال محمد بن جرير : فحدَّثنا هارون بن إسحاق قال : حدَّثنا مُصعب بن المقدام قال : حدَّثنا أبو إسحاق عن البراء قال : لمّا كان يومَ أُحُد ولقِيَ رسولُ الله ﷺ المشركين أجلَسَ رسولُ الله ﷺ رجالاً بإزاء الرماة ، وأمَّر عليهم عبد الله بن جُبير وقال لهم : «لا تَبرحوا مكانكم وإنْ رأيتمونا ظَهَرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظَهَروا علينا فلا تعينونا» . فلمّا لقِيَ القومَ هزمَ المشركين ، حتّى رأيت النساء قد رفعن عن سُوقهنّ وبدت خَلاخيلهنَّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمةَ الغنيمة !! فقال عبد الله : مهلاً أَمَا علمتم ما عَهِدَ إليكم رسول الله ﷺ . فأبوا فانطلقوا ، فلمّا أتَوهم صُرِفَتْ وُجوههم فأُصيب من المسلمين سبعون رجلاً .

قال محمد بن جرير : حدَّثني محمد بن سعد قال : حدَّثني أبي قال : حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أبي عن أبيه عن ابن عبّاس قال : أقبلَ أبو سفيانَ في ثلاثِ ليالٍ خَلَون من شوّال حتّى نزل أُحداً ، وخرج رسولُ الله ﷺ فأذَّنَ في الناس فاجتَمعوا ، وأمَّر الزّبيرَ على الخيل ، ومعه يومئذٍ المِقداد الكِنديّ ، وأعطى رسولُ الله ﷺ الرايةَ رجلاً من قُريش يقال له مصعب بن عمير . وخرجَ حمزةُ بن عبد المطّلب رضي الله عنه بالجيش ، وبُعِثَ حمزةُ بين يديه . وأقبلَ خالد بن الوليد على خيل المشركين ، ومعه عِكرمة بن أبي جهل ، فبعثَ رسول الله ﷺ الزُّبير ، وقال استقبلْ خالد بنَ الوليد فكُنْ بإزائِهِ حتّى أوذِنَك . وأمَر بخيلٍ أُخرى فكانوا من جانبٍ آخر ، فقال : لا تبرحُنَّ حتى أوذِنَكم . وأقبل أبو سفيانَ يحمل اللات والعزى ، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى الزُّبير أن يَحمِل . فحملَ على خالد بن الوليد فهزَمه الله تعالى ومَن معه ، فقال جلّ وعزّ : ﴿ولقد صَدَقَكُم اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهم بإذنه﴾ إلى قوله تبارك وتعالى : ﴿مِنْ بَعدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّون﴾ وإنّ الله تعالى وعَدَ المؤمنين النَّصرَ وأنّه معهم . وإنّ رسول الله ﷺ بعثَ ناساً من

1 الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

النّاس فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله ﷺ : كونوا هاهنا ، فردُّوا وجهَ مَن فَرَّ مِنّا وكونوا حرساً مِن قِبَلِ ظهورنا . وإنّه عليه السلام لمّا هزم القومَ هو وأصحابه قال الذين كانوا جُعِلوا من ورائهم بعضُهم لبعض ، ورأوا النساء مُصْعِداتٍ في الجبلِ ، ورأوا الغنائم : انطلِقوا إلى رسول الله ﷺ وأدرِكوا الغنائم قبل أن تُسبَقوا إليها . وقالت طائفةٌ أُخرى : بل نطيع رسول الله ﷺ فنثبتُ مكاننا . فقال ابن مسعود : ما شعرتُ أنّ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يريد الدنيا وعَرَضَها حتّى كان يومئذٍ .

قال محمد بن جرير : حدَّثني محمد بن الحسين قال : حدَّثنا أحمد بن الفضل قال حدَّثنا أسباط عن السُّدّي قال : لمّا برزَ رسول الله ﷺ بأُحُدٍ إلى المشركين أمَر الرّماة فقاموا بأصل الجَبل في وُجوه خيل المشركين وقال لهم : لا تَبرحوا مكانكم إنْ رأيتم قد هَزمناهم ، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتُّم مكانَكم . وأَمَّر عليهم عبدَ الله بن جُبير أخا خَوَّات بن جُبير . ثم إنّ طلحة بن عثمان صاحبَ لواء المشركين قام فقال : يا معاشرَ أصحابِ محمد ، إنّكم تزعمون أنّ الله عزّ وجلّ تَعجّلنا بسيوفكم إلى النار ، وتعجَّلكم بسيوفنا إلى الجنّة ، فهلْ منكم أحدٌ يعجِّله اللهُ بسيفي إلى الجنّة ، أو يعجِّلني بسيفِهِ إلى النار ؟ فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : والذي نفسي بيدِهِ لا أُفارقُك حتّى يعجِّلك الله عزَّ وجلّ بسيفي إلى النار ، أو يعجِّلني بسيفك إلى الجنّة ! فضربه عليٌّ فقطع رِجلَه فبدت عورتُه فقال : أنشُدك اللهَ والرحمَ يا ابنَ عمّ . فتَركه فكبّر رسول الله ﷺ ، وقال لعليّ وأصحابه : ما منعَكَ أن تُجهِزَ عليه ؟ قال : إنَّ ابن عمّي ناشَدني حين انكشفت عورتُه ، فاستحييتُ منه . ثم شدَّ الزُّبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحَمل النبيُّ ﷺ وأصحابُه فهزموا أبا سفيان ، فلمّا رأى ذلك خالدُ بن الوليد وهو على خَيل المشركين حَمَل فرمته الرماة فانقمعَ[1] ، فلمّا نظر الرّماةُ إلى رسول الله ﷺ وأصحابه في جوف عَسكر المشركين يَنتهبونه بادَرُوا الغنيمةَ فقال بعضهم : لا نتركُ أَمرَ رسول الله ﷺ . وانطلق عامّتُهم فلحِقوا بالعسكر ، فلمّا رأى خالدٌ قِلّة الرّماة صاحَ في خيله ، ثم حَمل فقتل الرّماة ، وحَمل على أصحاب رسول الله ﷺ ، فلمّا رأى المشركون أنّ خيلَهم تُقاتِل تبادَروا فشدُّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم .

رجع إلى حديث ابن إسحاق

فقال رسول الله ﷺ : مَن يأخذ هذا السيفَ بحقِّه ؟ فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه بينَهم ، حتّى قام إليه أبو دُجانة ، سِماكُ بن خَرَشة أخو بني ساعدةَ ، فقال : ما حقُّه يا رسولَ الله ؟ قال : أن

1 انقمع : اختفى .

تضربَ به في العدوّ حتى ينحنيَ . فقال : أنا آخُذه بحقّه يا رسول الله . فأعطاه إيّاه . وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلَمَ على رأسه بعصابةٍ له حمراءَ علِم النّاس أنّه سيقاتل ، فلمّا أخَذَ السيفَ من يدِ رسول الله ﷺ وآله أخذَ عِصابَته تلك فعصَب بها رأسه ، ثم جعلَ يَتبختر بين الصّفّين .

قال محمد بن إسحاق : حدّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، عن رجلٍ من الأنصار من بني سَلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنّها مِشيةٌ يُبغِضها الله إلاّ في هذا الموطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً فقال : يا معشرَ الأوس والخزرج ، خلُّوا بيننا وبين ابن عمّنا نَنصرفْ عنكم ، فإنّه لا حاجةَ بنا إلى قتالكم . فرَدُّوه بما يكره .

وعن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قَتادة أنّ أبا عامر عمرو بن صيفيّ بن النُّعمان بن مالك بن أُميّة ، أحد بني ضُبيعَة وقد خرج إلى مكّة مباعِداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، منهم عثمان بن حُنَيف ، وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر ، فكانَ يعِدُ قريشاً أنْ لو قد لقِيَ محمّداً لم يختلف عليه منهم رجلان . فلمّا التقى الناس كان أوّلَ مَن لقيهم أبو عامرٍ في الأحابيش وعُبدانِ أهلِ مكّة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعَمَ اللهُ بك عيناً يا فاسق . وكان أبو عامرٍ يسمَّى في الجاهلية الراهب ، فسمّاه رسول الله ﷺ الفاسق . فلمّا سمِعَ ردَّهم عليه قال : لقد أصابَ قومِي بعدي شرٌّ ! ثم قاتَلهم قتالاً شديداً ثم راضَخَهم[1] بالحجارة . وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال : يا بني عبدِ الدار ، إنّكم ولِيتـم لواءنـا يومَ بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يُؤتى الناس مِن قِبَل راياتهـم ، إذا زالت زالـوا ، فإمّا أن تكفُونا لواءَنا ، وإمّا أن تُخلُّوا بيننا وبينه فسنكفيكُموه . فهمُّوا به وتوعّدوه وقالوا : نحن نسلم إليك لواءَنا ؟ ! ستعلمُ غداً إذا التقينا كيفَ نصنع ! وذلك الذي أراد أبو سفيان . فلمّا التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النِّسوة اللواتي معها ، وأخذن الدُّفوف يَضرِبن خلف الرجال ، ويحرضنهم ، فقالت هندٌ فيما تقول : [من مجزوء الرجز]

إنْ تُقبلـوا نُعانـقْ ونَفـرش النمـارقْ
أو تدبـروا نفـارقْ فِـراقَ غيرِ وامـقْ

وتقول : [من مجزوء الرجز]

1 راضخهم : راماهم .

إيهاً بني عبد الدّارْ إيهاً حُماةَ الأدبار
ضرباً بكلّ بتّارْ

واقتتل الناسُ حتّى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتّى أمعن في الناس ، وحمزة بن عبد المطّلب وعليّ بن أبي طالب عليهما السلام في رجالٍ من المسلمين ، فأنزل الله نَصره ، وصَدَقَهم وعده ، فحسُّوهم[1] بالسَّيف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدّه قال قال الزُّبير : والله لقد رأيتُني أنظُر إلى هندٍ بنت عُتبةَ وصواحبها مشمِّرات هواربَ ، ما دون أخْذهنّ قليلٌ ولا كثير ، إذ مالت الرُّماة إلى الكَرّ حتّى كشفنا القومَ عنه يُريدون النّهب ، وخلَّوا ظهورَنا للخيل ، فأُتينا من أدبارنا وصَرخ صارخٌ : ألا إنَّ محمداً قد قُتِل ! فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحابَ اللواء ، حتّى ما يدنو إليه أحدٌ من القوم .

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العِلم أنّ اللواءَ لم يزل صريعاً حتّى أخذته عَمرة بنت علقمةَ الحارثيّة ، فرفعَتْه لقريشٍ فلاذُوا بها ، وكان اللواء مع صَوُابٍ غلام لبني أبي طلحة حَبَشيّ ، فكان آخرَ من أخذه منهم ، فقاتَلَ حتّى قُطعت يداه ، فبرك عليه وأخذَ اللواءَ بصدره وعُنقه حتّى قُتل عليه وهو يقول : اللهمّ قد أعذَرْت ! فقال حسّان بن ثابت في قَطع يد صواب حِينَ تقاذفوا بالشعر[2] : [من الوافر]

فَخرتم باللــواءِ وشرُّ فخــرٍ لــواءٌ حــينَ ردّ إلى صُؤابِ
جَعلتم فخــرَكم فيهــا لعبــدٍ مِنَ الأمِ من وَطي عَفَرَ الترابِ
ظننتــم والسَّفيه لــه ظُنُــونٌ ومــا إن ذاكَ من أمر الصَّوابِ
بــأنَّ جلادَنــا يــوم التقينا بمكّةَ بيعُكــم حُمرَ العِيابِ[3]
أقَــرَّ العــينَ أن عُصبَت يــداه ومــا إن يُعصَبانِ على خِضابِ

قال محمد بن جرير : وحدَّثنا أبو كُريب قال : حدَّثنا عثمان بن سعيد قال حدَّثنا حِبّان بن عليّ عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه عن جدّه قال : لّما قُتِل أصحابُ الألويةِ يوم أحد ، قَتَلَهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، أبصَرَ رسولُ الله ﷺ جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ : احمل عليهم . فحملَ عليٌّ ففرَّقَ جَمعَهم ، وقَتل عَمرَو بنَ عبد الله بن الجمحيّ ،

1 حسّوهم : استأصلوهم .
2 ديوان حسان : 367 .
3 أي حسبتم لقاءنا هيناً كما تبيعون الثياب في الحقائب .

ثم أبصر جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ : احملْ . فحمَل عليٌّ ففرّق جمعهم ، وقَتل شَيبةَ بن مالك أحد بني عامر بن لؤي . فقال جبريل عليه السلام : يا رسول الله إنَّ هذه للمواساة . فقال رسول الله ﷺ : «هو منّي وأنا منه» ، فقال جبريل عليه السلام : وأنا منكم ! قال : فسمعوا صوتاً : [من الرجز]

لا سيفَ إلاّ ذو الفقا رِ ولا فتًى إلاّ عَلي

فلمّا أُتِيَ المسلمون مِن خَلفهم انكشفوا ، وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً : ثلثٌ قتيل ، وثلثٌ جريح ، وثلث منهزمٌ وقد جهدَتْه الحربُ حتّى ما يدري ما يصنع . وأصيبت رَباعِيَة[1] رسول الله ﷺ السُّفلى ، وشُقّت شَفته ، وكُلِم في وجنته وجَبْهته في أُصول شعره ، وعلاه ابن قمئة بالسَّيف على شِقّه الأيمنِ ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص .

قال محمد بن جرير : وحدَّثنا ابن يسار قال حدَّثنا ابن أبي عديّ عن حميد عن أنس بن مالك قال : لمّا كان يوم أُحُد كسرت رباعِية رسول الله ﷺ وشُجَّ ، فجعل الدمُ يسيل على وجهه ، وجَعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : «كيف يُفلح قومٌ خَضَبوا وجهَ نبيِّهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله تعالى !» . فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شيءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم﴾ الآية . وقد قال رسول الله ﷺ حين غشيَه القومُ : «مَن رجلٌ يَشرِي لي نفسه ؟!» .

[دفاع الصحابة عن الرسول]

قال محمد : فحدَّثني ابن حميد قال حدَّثنا سلمة قال حدَّثني محمد بن إسحاق قال : حدَّثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السَّكَن قال : فقام زياد بن السّكن في نفرٍ خمسةٍ من الأنصار ، وبعضُ الناس يقول : إنّما هو عُمارة بن زياد بن السكن ، فقاتلوا دونَ رسول الله ﷺ رجلاً ثم رجلاً ، يُقتَلون دونه حتّى كان آخرهم زياد بن عُمارة بن زياد بن السّكن ، فقاتَلَ حتّى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت من المسلمين فِئةٌ حتّى أجهضُوهم عنه ، فقال رسول الله ﷺ : أدْنُوه منّي . فأَدنَوْه منه فوسَّده قدمَه ، فمات وخدُّه على قدم رسول الله ﷺ . وتَرَّسَ من دون النبيّ ﷺ أبو دُجانة بنفسه ، يَقعُ النَّبل في ظهره وهو منحنٍ عليه حتّى كثرت فيه النَّبل . ورَمى سعدُ بن أبي وقاص دونَ رسول الله ﷺ . قال سعد : فلقد رأيته يُناوِلني ويقول : فداكَ أبي وأُمّي ، حتّى إنّه لَيناوِلُني السهمَ ما فيه نصلٌ فيقول : ارم به !

1 الرباعية : السن بين الثنية والناب .

وعن محمد بن إسحاق قال حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ رسول الله ﷺ رَمى عن قوسه حتّى اندقّت سِيَتُها ، فأخذَها قَتادةُ بن النعمان فكانت عنده ، وأُصيبت يومئذٍ عين قَتادة حتى وقعَتْ على وَجنته .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ رسول الله ﷺ ردَّها بيدِهِ فكانت أحسنَ عينيهِ وأحَدَّهما . وقاتل مُصعبُ بن عُمير دونَ رسول الله ﷺ ومعه لِواؤُهُ حتّى قُتل ، وكان الذي أصابه ابن قمئة اللَّيثيّ وهو يظنُّ أنّه رسول الله ﷺ ، فرجعَ إلى قريش فقال : قد قتلتُ محمداً ؛ فلمّا قُتِل مُصعب بن عمير أَعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بن طالب عليه السلام . وقاتَلَ حمزةُ بن عبد المطّلب رضي الله عنه حتّى قتل أرطأةَ بن شُرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ ، وكان أحدَ النَّفَر الذين يحملون اللواء ؛ ثم مَرَّ بهِ سِباعُ بن عبد العُزَّى الغَبْشانيّ ، وكان يُكنى أبا نِيار ، فقال له حمزة : هَلُمَّ إليَّ يا ابنَ مقطِّعة البظور ، وكانت أُمُّه خَتّانة بمكّة مولاةَ شَريقِ بن عمرو بن وهب الثقفيّ ، فلمّا التَقيا ضربَه حمزةُ عليه السلام فقتله ؛ فقال وحشيٌّ غلامُ جُبير بن مُطعِم : إنّي لأنظرُ إلى حمزةَ يهذّ[1] الناس بسيفه ما يُلِيقُ[2] شيئاً يمرّ به ، مثلَ الجملِ الأورَق ، إذْ تقدَّمَني إليه سِباع بن عبد العُزّى فقال له حمزة : هلمَّ إليَّ يا ابن مقطِّعة البظور . فضربَه فما أخطأ رأسَه ، وهززتُ حربتي حتّى إذا ما رضيتُ دفعتُها عليه فوقَعتْ عليه في لَبَّته حتّى خرجَتْ من بين رجليه ، وأقبَلَ نحوي فغُلِب فوقَع ، فأمهلتُه حتّى إذا مات جئتُ فأخذتُ حربتي ثم تنحَّيتُ إلى العسكر ، ولم يكن لي بشيءٍ حاجة غيره . وقد قَتَلَ عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلَح ، أَحدُ بني عمرو بن عَوف ، مُسافِعَ بنَ طلحة وأَخاه كلابَ بن طلحة ، كلاهما يُشعِره سهماً[3] فيأتي أُمَّهُ فيضعُ رأسَه في حجرها فتقول : يا بُنيَّ مَن أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً يقول حينَ رماني : خُذْها إليكَ وأنا ابن أبي الأقلح ! فتقول : أَقْلَحيٌّ ؟ ! فنذرَتْ لله إنِ اللهُ أَمكنَها من رأس عاصِمٍ أن تشربَ فيه الخمر . وكان عاصِمٌ قد عاهَدَ الله عزّ وجلّ أن لا يمسَّ مشركاً ولا يمسَّه .

[أنس بن النضر]

عن ابن إسحاقَ قال حدَّثني القاسم بن عبد الرّحمن بن رافع ، أَخو بني عديّ بن النجّار قال : انتهى أنسُ بن النضر ، عمُّ أنس بن مالكٍ ، إلى عمرَ بن الخطّاب وطلحةَ بن عبيد الله ، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار ، وقد أَلقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ههنا ؟ فقالوا :

---

1 يهذّ : يقطّع .

2 ما يليق : ما يترك .

3 أشعره السهم : خالطه به .

قُتِل رسول الله ﷺ ! قال : فما تَصنعون بالحياة بعدَه ؟ قوموا فموتوا كراماً على ما مات عليه . ثم استقبل القومَ فقاتَلَ حتّى قُتِل . وبه سمّي أُنس بن مالك .

عن ابن إسحاق قال : حدَّثني حُميد الطَّويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذٍ سبعينَ ضربةً وطعنة ، فما عرفَته إلاّ أختُه ، عَرَفَتْه بحُسْن بَنانه .

عن ابن إسحاق قال : كان أوّل مَن عرف رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة وقولِ الناس : قُتل رسول الله ﷺ ، كما حدَّثني ابن شهاب الزُّهريّ ، كعبُ بن مالكٍ أخو بني سَلِمة . قال : عرفتُ عينيهِ تَزهَران تحت المِغفر ، فناديتُ بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشِروا ، هذا رسولُ الله ﷺ ! فأشار إليَّ عليه السلام : أنْ أنصِتْ . فلمّا عَرَف المسلمون رسولَ الله ﷺ نَهَضوا به ، ونهض نحوَ الشعب معه أبو بكر بن أبي قُحافة ، وعمر بن الخطّاب ، وعليٌّ بن أبي طالب ، وطلْحة بن عبيد الله ، والزُّبير بن العوّام ، والحارث بن الصِّمّة ، في رهطٍ من المسلمين رضي الله عنهم أجمعين .

[الرسول يقتل أُبيّ بن خلف]

فلمّا أُسند رسولُ الله ﷺ في الشِّعب ، أدركه أُبيّ بن خَلَف وهو يقول : يا محمد لا نجوتُ إنْ نجوتَ ! فقال القوم : يا رسولَ الله أيعطف عليه رجلٌ منّا ؟ فقال : دَعُوه . فلمّا دنا تناولَ رسول الله ﷺ الحربةَ من الحارث بن الصِّمّة . قال : يقول بعض الناس فيما ذُكِر لي : فلمّا أخذَها رسولُ الله ﷺ انتفضَ بها انتفاضةً تطايَرْنا عنه تَطايُرَ الشَّعْراء[1] عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبلَه فطعنَه في عُنقه طعنةً تَدأدأ[2] بها عن فرسه مِراراً . وكان أبيٌّ بن خلف ، كما حدَّثنا ابن حميد قال حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يَلقى رسول الله ﷺ بمكّة فيقول : يا محمد ، إنّ عندي العَوْدَ أُعلِفُه كلَّ يوم فَرْقاً[3] من ذُرَة أقتُلك عليه ! فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى . فلمّا رجعَ إلى قريش وقد خَدَشه في حَلْقه خدشاً غيرَ كبير ، فاحتَقَن الدّم قال : قتلَني واللهِ محمّد ! قالوا : ذَهَب والله فؤادُك ، والله ما بكَ بأس . قال : إنّه كانَ بمكّة قال لِي : أنا أقتلُك ، فوالله لو بَصَقَ عليَّ لقتلَني . فماتَ عدوُّ الله بسَرِف[4] وهم قافلون به إلى مكّة . فلمّا انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فَم الشِّعب خرج عليٌّ بن أبي

1 الشعراء : ذباب يقع في الإبل فيؤذيها .
2 تدأدأ : تدحرج .
3 الفرق : مكيال مقداره ثلاثة أصوع
4 سرف : موضع قريب من مكة .

طالب حتى مَلأ دَرَقَتَه من المِهراس[1] ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فشربَ منه وغَسَل عن وجهه الدّم ، وصَبَّ على رأسه وهو يقول : «اشتدَّ غضبُ الله عزّ وجلّ على من دَمَّى وجهَ نبيه» .

قال محمد بن إسحاق : حدَّثني صالح بن كيسان عمّن حدَّثه عن سعد بن أبي وقاص أنّه كان يقول : والله ما حَرَصت على قَتل رجلٍ قطُّ ما حَرَصت على قتلِ عتبة بن أبي وقّاص ، وإنْ كان ما علمت لسَيِّيءَ الخلق مبغَضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قولُ رسولُ الله ﷺ : «اشتدّ غضَبُ الله على مَن دَمَّى وجه رسول الله» .

[التمثيل بقتلى المسلمين]

قال حدَّثنا محمد بن إسحاق قال : حدَّثني صالح بن كيسان قال : خرجَتْ هندٌ والنسوة اللواتي معها يمثُلن بالقتلى من أُصحاب رسول الله ﷺ يَجْدَعْنَ الآذانَ والآنُفَ ، حتَّى اتّخذت هندٌ من آذان الرجال وآنفهم خَدَماً[2] وقلائد ، وأعطت خَدَمها وقلائدَها وقُرطَها وحشيّاً غلامَ جُبير بن مُطعِم ، وبَقَرت عن كبد حمزَة عليه السلام ، فأخرجَتْ كبده فلاكَتْها ، فلم تستطع أن تُسيغَها فلفظتها ، ثم علَتْ على صخرةٍ مشرفةٍ فصاحَتْ بأعلى صوتها بما قالتْ من الشعرِ ؛ حين ظفروا بما أصابوا من أُصحاب رسول الله ﷺ .

[حسان يهجو هنداً]

قال : حدَّثني صالح بن كيسان أنّه حُدِّث أنّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان : يا ابنَ الفُريعة ، لو سمعتَ ما تقول هند ورأيتَ أشَرها[3] قائمةً على صَخرةٍ ترتجز بنا وتذكر ما صنعَتْ بحمزة ؟ قال له حسان : والله إنِّي لأنظرُ إلى الحربة تَهوِي وإنِّي على رأس فارع ، يعني أطُمَه ، فقلت : والله ، إنّ هذه لسلاحٌ ما هي بسلاحِ العرب ، وكأنّها إنّما تَهوِي إلى حمزة ولا أدري ، أسمِعْنِي بعضَ قولها أكفِكُموها . قال : فأنشده عمرُ بعضَ ما قالتْ ، فقال حسّان يهجو هنداً[4] : [من الكامل]

أشِرَتْ لَكاعِ وكان عادتُها ... لؤماً إذا أشِرت من الكُفْرِ[5]

لعنَ الإلـهُ وزوجَها معهـا ... هِنـدَ الهنود طويلـةَ البَظْرِ

1 المهراس : ماء بأحد

2 الخدم : جمع خدمة ، وهي الخلخال .

3 الأشر : المرح والبطر .

4 ديوان حسان 1 : 384 .

5 لكاعِ : كقطام ، لئيمة . وفي الديوان مع الكفر .

أخَرجتِ مرقصةً إلى أحـدٍ في القومِ مُقتبِــةً على بَكرِ[1]
[بَكرٍ ثَقال لا حَــراكَ بِهِ لا عن مُعاتبةٍ ولا زجرِ][2]
وعصاكِ استُكِ تتَّقين بها دُقِّي العُجايَةَ منك بالفهرِ[3]
قَرِحت عجيزتُها ومَشرجُها مِن دَأبِها نصّاً على القُتْرِ[4]
ظلَّــتْ تُداويهــا زمِيلتُها بالمــاء تَنضَحــه وبالسِّدرِ
أخَرجتِ ثائــرةً مبادِرةً بأبيك فاتِكِ يومِ ذي بدرِ
وبعمِّكِ المستُوهِ في رَدَعِ وأخيكِ مُنْعفِرينِ في الجَفْرِ[5]
ونَسيتِ فاحشةً أتيتِ بِهــا يا هندُ ويحكِ سَيْئَةَ الذكرِ[6]
فرجَعتِ صاغرةً بــلا تِرةٍ منّــا ظَفرتِ بهــا ولا نَصرِ
زعمَ الولائــدُ أنَّها ولدت وَلداً صغيراً كان مــن عَهْرِ

[تعقّب أبي سفيان للمسلمين ووعيده لهم]

قال محمد بن جريــر : ثــم إنّ أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم فيما حدَّثنا هارون بن إسحاق قال : حدَّثنا مصعب بن المقدام قال حدَّثنا إسرائيل ، وحدَّثنا ابن وكيع قال : حدَّثنا أبي عن إسرائيل قال حدَّثنا ابن إسحاق عن البراء قال : ثم إنّ أبا سفيان أشرفَ علينا فقال : أَفِي القوم محمد ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا تُجيبوه ! مرَّتين ، ثم قال : أَفِي القوم ابنُ أبي قحافة ؟ ثلاثاً . فقال رسول الله ﷺ : لا تجيبوه ! ثم قال أفِي القوم ابن الخطّاب ثلاثاً ، فقال رسول الله : لا تجيبوه . ثم التفت إلى أصحابه فقال : أمّا هؤلاء فقد قتلوا ، لو كانوا في الأحياء لأجابوا ! فلم يملك عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه نفسه أن قال : كذبتَ يا عدوَّ الله ، قد أبقى الله لك ما يُخْزيك . فقال : أَعلُ هُبَل ، أُعل هُبل ! فقال رسول الله ﷺ : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا «الله أعلى وأجلّ» . قال أبو سفيان : «لَنا العُزَّى ولا عُزّى لكم» . فقال رسول الله ﷺ : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟ قال : «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم» . قال أبو سفيان : «يومٌ بيوم

1 المرقصة : التي تحمل البعير على الخبب . والمقتبة : الراكبة على القتب ، وفي الديوان : معنقة .
2 الثقال : البطيء من الإبل .
3 عصاه استه : لم يكن معه ما يحفز الدابة فيحرك استه على الدابة ليحثّها على السير . والعجاية : عصبة في باطن الفرس ، وأضاف في اللسان : إذا جاع أحدهم دقّها بين فهرين (حجرين) وأكلها . وفي الديوان : عاري الفهر .
4 النصّ : ضرب من السير السريع . والقتر : الناحية والجانب . وفي الديوان «من نصّها نصّاً على القهر» .
5 المستوه : المضروب في استه . والردع : الدم . والجفر : البئر .
6 الديوان : سبة الدهر .

بدر ، والحربُ سِجالٌ» ، أما إنّكم ستَجدون في القوم مُثَلاً لم آمُرْ بها ولم تسؤني .

قال ابن إسحاقَ في حديثه : لّما أجابَ عمر رضي الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلمَّ يا عمر . فقال رسول الله ﷺ : ايتِهِ فانظرْ ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشُدك الله يا عمر أقتَلْنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهمَّ لا ، وإنّه ليسمعُ كلامَك الآن . قال : أنت أصدقُ عندي من ابن قمئة وأبرّ ؛ لقول ابن قمئة لهم : إنّي قتلتُ محمداً . ثم نادى أبو سفيان فقال : إنّه قد كان مُثَلٌ[1] والله ما رضِيتُ ولا سَخِطت ، ولا أمرتُ ولا نهيت ، وقد كان الحُلَيس بن زبّان ، أخو بني الحارث بن عَبد مَناة ، وهو يومئذٍ سيِّد الأحابيش ، قد مرَّ بأبي سفيان بن حرب وهو يَضرِب في شِدق حمزَةَ عليه السلام وهو يقول : ذُقْ عُقَق[2] ! فقال الحُليس : يا بني كنانة ، هذا سيِّد قريش يصنع بابن عمّه كما ترَوْن لحَماً ! فقال : اكتمْها عليّ فإنّها كانت زَلَّةً . قال : فلمّا انصرفَ أبو سفيان ومَن معه نادى : إنّ موعدُكم بدرٌ ، العامَ المقبل . فقال رسول الله ﷺ وآله لرجلٍ من أصحابه : «قل : نعم ، هي بيننا وبينك مَوعد» .

[خروج علي في أثر المشركين]

ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : اخرجْ في آثار القوم فانظرْ ماذا يصنعون ، فإنْ كانوا قد جَنَبوا وامتَطوا الإبلَ فإنّهم يريدون مكّة ، وإنْ ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيدِهِ لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم ثم لأناجزنَّهم . قال عليّ : فخرجتُ في آثارهم أنظُرُ ما يصنعون ، فلمّا جَنَبوا الخيل وامتَطوا الإبل توجَّهوا إلى مكّة . وكان رسول الله ﷺ قال لي : أيَّ ذلك كان فأخفِهِ حتّى يأتيني . قال عليّ : فلمّا رأيتُهم قد توجَّهوا إلى مكّة أقبلْتُ أصيح ، ما أستطيع أنْ أكتم الذي أمَرَني به رسولُ الله ﷺ ، لما بِي من الفرح ، إذْ رأيتهم انصرفوا إلى مكّة عن المدينة ، وفَرِغ الناس لقتلاهم . فقال رسول الله ﷺ ، كما حدَّثنا ابن حُميد قال : حدَّثنا سلمة قال حدَّثني محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبي صعصعة المازنيّ أخي بني النجار ، أنّ رسول الله ﷺ قال : «مَنْ رجلٌ ينظُر لي ما فعلَ سعد بن الرّبيع ، وسعدٌ أخو بني الحارث بن الخزرج ، أفي الأحياءِ هو أم في الأموات ؟» . فقال رجلٌ من الأنصار : أنا أنظرُ لك يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجَده جريحاً في القتلى به رَمَق . قال : فقلت له : إنّ رسولَ الله ﷺ أمرني أن أنظر له في الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : فأنّا في الأموات . أبلغْ رسولَ الله ﷺ وقلْ له : إنّ سعد بن الربيع يقول لك : جزاكَ الله خيرَ ما جَزى نبيّاً عن أمّته ، وأبلغْ قومَك عنّي السلام وقُل لهم : إنّ سعد بن الربيع يقول : لا عُذَر لكم عند الله

1 مثل : جماعة .

2 أي ذق جزاء فعلك يا عاق .

جلّ وعزّ إنْ خُلِصَ إلى نبيّكم وفيكم عينٌ تَطرِف . ثم لَم أبرحْ حتّى مات رحمه الله ، فجئتُ رسول الله ﷺ وأخبرته الخبر .

[بحث الرسول عن حمزة]

وخرج رسولُ الله ﷺ ، فما بلغني ، يلتمس حمزةَ بن عبد المطلب عليه السلام ، فوجَده ببطن الوادي قد بُقِر بطنُه عن كبده ، ومُثِّل به فجُدِع أنفُه وأُذناه .

وعن ابن إسحاق قال : فحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير أنّ رسولَ الله ﷺ قال حين رأى بحمزة ما رأى : «لولا أنْ تَحزَن صفيةُ أو تكونَ سنةً من بعدي لتركتُه حتّى يكون في أجواف السباع وحَواصل الطير ، ولئنْ أنا أظهرني اللهُ على قريشٍ في موطنٍ من المواطن لأُمثِّلنَّ بثلاثينَ رجلاً منهم» . فلمّا رأى المسلمون حُزنَ رسول الله ﷺ وغيظَه على ما فُعِل بعمِّه قالوا : والله لئن أظهَرَنا الله عليهم يوماً من الدَّهر لنَمْثُلنَّ بهم مُثْلة لم يُمثلها أحدٌ من العرب بأحدٍ قطّ .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدَّثني بُريدة بن سفيان بن فَروة الأسلميّ عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن ابن عبّاس . قال ابن حميد قال سلمة ، وحدَّثني محمد بن إسحاق قال : فحدّثنا الحسن بن عمارة عن الحكم بن عُتيبة عن مِقْسم عن ابن عبّاس : أنّ الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك من قول رسول الله ﷺ : ﴿وإنْ عاقبتُم فعاقِبوا بمثل ما عُوقِبتم به ولئن صَبرتم لهو خيرٌ للصَّابرين﴾ إلى آخر السورة . فعفا رسولُ الله ﷺ وصبر ، ونَهى عن المُثلة .

[نظر صفية بنت عبد المطلب إلى حمزة]

قال ابن إسحاق فيما بلغني : أن صفيّة بنت عبد المطلب أتت لتنظرَ إلى حمزة وكان أخاها لأمّها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزُّبير : القها فأرجِعْها لا تَرى ما بأخيها . فلقيَها الزُّبير فقال : يا أُمَّه ، إنّ رسول الله ﷺ يأمُرك أن تَرجِعِي . فقالت : ولِمَ ، فقد بلغني أنّه مُثِّل بأخي ، وذلك في الله جلّ وعزّ قليلٌ ، فما أرضانا بما كان مِن ذلك ، لأحتسبنَّ ولأصبرنّ إن شاء الله تعالى ! فلمّا جاء الزُّبير رسولَ الله ﷺ فأخبره بذلك قال : خلِّ سبيلها . فأتته فنظرَتْ إليه وصلَّت عليه واسترجَعت واستغفرتْ له ، ثم أَمَر رسول الله ﷺ به فدُفِن .

[شهداء آخرون]

قال : حدَّثني محمد بن إسحاق قال : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد قال : لمّا خرجَ رسول الله ﷺ إلى أُحُد ، رجع حُسَيل بن جابر ، وهو اليمانِ أبو حَذيفة بن اليمان ، وثابت بن وَقْش بن زعُورا في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبا لك ما تنتظر ، فوالله إنْ بقِي لواحدٍ منّا من عُمره إلاّ ظِمء حمار[1] ، إنّما نحن

---

1 ظمء الحمار : ما بين شربين .

هامةُ اليوم أو غد ، أَفلا نأخذ أسيافَنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعلَّ الله يرزقنا شهادةً معه . فأخذا أسيافَهما ثم خرجا حتّى دخلا في الناس ، ولم يعلم أحدٌ بهما . فأمّا ثابت بن وقش فقتلَه المشركون ، وأمّا حُسَيل بن جابرٍ اليمانِ فاختلفَتْ عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه ، فقال حذيفة : أبي ! قالوا : واللهِ إنْ عَرفناه . وصَدَقوا . قال حذيفة : يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الراحمين . فأراد رسول الله ﷺ أنْ يَدِيَه ، فتصدَّق حذيفةُ بديته على المسلمين ، فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً .

[مصرع قزمان]

قال حدَّثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قتادة قال : كان فينا رجلٌ أَتيٌّ[1] لا ندري مِن أين هو ، يقال له قُزمان . فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكَره : «إنّه لَمِن أهلِ النار» فلما كان يومَ أحد قاتلَ قتالاً شديداً فقَتَل هو وحدَه ثمانيةً من المشركين أو تسعة ، وكان شهماً شجاعاً ذا بأس ، فأثبتَتْه الجراحة فاحتُمِلَ إلى دار بني ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبلَيتَ اليوم يا قُزْمان ، فأَبشِرْ . قال : بِمَ أُبْشِر ؟ فوالله أنْ قاتلتُ إلاّ على أحسابِ قومي ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . فلمّا اشتدّت عليه جِراحتُه أخذ سهماً من كِنانته فقطع رواهِشَه فنزَفه الدمُ فمات ؛ فأُخبِر رسولُ الله ﷺ بذلك فقال : إنّي رسولُ الله حقّاً .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدَّثني حسين بن عبد الله عن عِكرمة قال : كان يومُ أُحُد يوم السبت للنصف من شوّال ، فلمّا كان الغد من يوم أحد ، وذلك يومَ الأحد لستَّ عشرةَ ليلةً خلت من شوّال ، أذَّن مؤذّن رسول الله ﷺ في الناس بِطلبِ العدوّ ؛ وأذَّن مؤذّنه أن لا يخرجنَّ معنا إلاّ من حضر يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرامٍ الأنصاريّ فقال : يا رسول الله ، إنّ أبي كان خَلَّفني على أخَواتٍ لي سبع وقال لي : يا بنيّ ، إنّه لا ينبغي لِي ولا لك أن نتركَ هؤلاء النسوةَ بلا رجلٍ فيهن ، ولستُ بالذي أوثرك بالجِهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي ، فتخلَّفْ على أخواتك . فتخلَّفت عليهنّ . فأذِن له رسول الله ﷺ فخرج معه ؛ وإنّما خرج رسولُ الله ﷺ مُرهِباً للعدو ، وأنّهم خرجوا في طلبهم فيظنّون أنّ بهم قوّة ، وأنّ الذي أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوّهم .

[بعض الجرحى يعاودون القتال]

عن محمد بن إسحاق : قال فحدّثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفّان ، أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل كان شهِد أُحُداً . قال : فشهدتُ رسولَ الله ﷺ أنا وأخٌ لِي ، فرجَعنا جريحَين ،

---

1 الأتي : الغريب .

فلمّا أذَّن مؤذِّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ قلتُ لأخي وقال لي : أتفوتُنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ ، والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منّا إلاّ جريحٌ ثقيل . فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنتُ أيسرَ جُرحاً منه فكنتُ إذا غُلِب عليه حَملتُه عُقبة[1] حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج إليه رسول الله ﷺ حتّى انتهينا إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجعَ إلى المدينة .

[تخذيل معبد الخزاعيّ وهو مشرك لأبي سفيان]

قال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم ، أنّه مرَّ برسول الله ﷺ معبدٌ الخزاعيّ ، وكانت خُزاعة مسلمُهم ومشركهم عَيبة[2] رسولِ الله ﷺ صفقتهم معه ، لا يُخفون عليه شيئاً كان بها ، ومعبدٌ يومئذٍ مشرك ، فقال : أما والله يا محمد لقد عَزَّ علينا ما أصابَكَ في أصحابك ، ولوددتُ أنَّ الله قد أعفاك منهم . ثم خرج مِن عند رسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتّى لقِيَ أبا سفيان بن حربٍ بالرَّوحاء ومَن معه ، وقد أجمعوا الرَّجعةَ إلى رسول الله ﷺ وقالوا : أصبنا حدّ أصحابهِ وقادتِهم وأشرافهم ؛ ثم رَجعْنا قبل أن نستأصلَهم ، لَنكُرَّنَّ على بقيّتهم فلنفرُغنّ منهم ! فلمّا رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمدٌ قد خرج في أصحابه يَطلبكم في جمعٍ لَم أرَ مثلَه قطّ يتحرّقون عليكم تحرُّقاً ، قد اجتمعَ معه مَن كان تخلّف عنه في يومكم ، وندِموا على ما صنعوا فيهم من الحَنَق عليكم ، شيء لم أرَ مثلَه قطّ . قال : ويلَكَ ما تقول ! قال : والله ما أراكَ ترتحل حتّى ترى نواصيَ الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرَةَ لنستأصلَ شأفتهم . قال : فإنِّي أنهاكَ عن ذلك ، فوالله لقد حَمَلني ما رأيتُ على أن قلتُ فيه أبياتاً من شعر . قال : وماذا قلت ؟ قال قلت : [من البسيط]

كادت تُهَدُّ من الأصواتِ راحلتي ... إذْ سالت الأرضُ بالجُردِ الأبابيلِ[3]
فظِلْتُ عـدْواً أظنُّ الأرضَ مائلـة ... لّمـا سَمـوْا برئيسٍ غيرِ مخذولِ
فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم ... إذا تَغَطمطتِ البطحاءُ بالجِيلِ[4]
إنّي نذيـرٌ لأهـلِ السَّيلِ ضاحيـةً ... لكلِّ ذي إربـةٍ منهـم ومعقولِ[5]

1 العقبة : النوبة .
2 العيبة : موضع السر .
3 تهدّ : تكسر . الأبابيل : الجماعات .
4 تغطمطت : اضطربت . الجيل : الأمة .
5 السيل : من أسماء مكّة . ضاحية : علانية .

من جيشِ أحمــدَ لا وَخشٍ تنابلةٍ وليس يوصَف مــا أنذرت بالقِيلِ[1]

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومَن معه ، ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : فَلِمَ ؟ قالوا : نُريد المِيرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنّي مَحمداً رسالةً أرسلُكم بها إليه ، وأُحمِّل لكم إبلَكم هذه غداً زبيباً بعكاظَ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنْ قد أجمعْنا السّير إليه وإلى أصحابه ، لنستأصلَ شأفتهم . فمرَّ الراكب برسول الله ﷺ فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه : «حَسبنا الله ونعم الوكيل» .

صوت[2]

[من الوافر]

أمِن ريحانــةَ الدّاعِي السَّميعُ يؤرِّقُنِــي وأصحابــي هُجوعُ
براني حــبُّ مَــن لا أستطيعُ ومن هــو للذي أهوى مَنوعُ
إذا لم تستطعْ شيئــاً فدَعْــه وجــاوِزهُ إلى مــا تستطيعُ

الشعر لعمرو بن معديكرب الزبيدي ، والغناء للهذليّ ، ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، من رواية إسحاق . وفيه ثقيل أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى من رواية حمّاد عن أبيه .

1 الوخش : أرذال الناس . والتنبل : القصير .

2 ديوان عمرو بن معديكرب : 136–143 ، وليس فيه البيت الثاني لا في متن القصيدة ولا في الأبيات المضافة .

[289] ـ ذكر عمرو بن معديكرب وبعض أخباره[1]

[نسبه]

هو عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبَيد ، وهو منبِّه .
هكذا ذكر محمد بن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه .

وذكر عمر بن شَبّة عن أبي عبيدة أنّه عمرو بن معديكرب بن ربيعةَ بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن زبيد بن منبِّه بن سَلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه بن صَعب بن سَعد العشيرة بن مَذْحِج بن أُدد بن زيد بن يشجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشْجُب بن يعرب بن قحطان .

ويكنى أبا ثور ، وأُمُّه وأُمّ أخيه عبدِ الله امرأةٌ من جرم فيما ذُكِر ، وهي معدودة من المنْجِبات .

أُخبرنا محمد بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : عمرو بن معديكرب فارس اليمن ، وهو مقدَّم على زيد الخيل في الشدّة والبأس .

[استعداده لقتال خثعم]

وروى علي بن محمد المدائنيّ عن زيد بن قُحَيف الكلابيّ قال : سمعتُ أشياخنا يزعمون أنَّ عمرو بن معديكربَ كان يقال له «مائق بني زبيد» ، وكان لا يدعى في الخفه . فبلغهم أنّ خثعم تريدُهم ، فتأهَّبوا لهم ، وجمع معديكربُ بني زُبيد ، فدخل عمرٌو على أخته فقال : أشبِعِيني إنّيَ غداً لِكتيبةِ خثعم . قال : فجاء معديكرب فأخبرته ابنتُه فقال : هذا المائق يقول ذاك ؟ قالت : نعم . قال فسَليه ما يُشبعه . فسألته فقال : فَرقٌ من ذرة ، وعَنزٌ رَباعيّة . قال : وكان الفَرق يومئذٍ ثلاثةَ أصُوع . فصَنَعَ له ذلك ، وذبحَ العنزَ وهيَّأ له الطعام . قال : فجلسَ عليه فَسَلَتَه[2] جميعاً . وأتتهم خثعمٌ الصباحَ فلقُوهم ، وجاء عمرو فرمى بنفسه ، ثم رفَعَ رأسَه فإذا لواءُ أبيه قائم ، فوضع رأسَه فإذا لواء أبيهِ قد زالَ ، فقام كأنّه سرحةٌ مُحرقة ، فتلقّى أباه وقد انهزموا فقال : انزلْ عنها ، فاليومُ ظَلَم[3] . فقال له : إليكَ يا مائق ! فقال له بنو زبيد :

---

1 ترجمة عمرو بن معديكرب في الشعر والشعراء : 289–291 والمؤتلف : 233 ومعجم المرزباني : 15 وخزانة البغدادي 2 : 444–446 وكتب الصحابة وأخباره في الفتوح في كتب التاريخ . وقد جمع هاشم الطعان ديوانه (سلسلة كتب التراث ـ بغداد) وفيه تخريج كثير . وانظر مواضع متفرقة في التذكرة الحمدونية .

2 سلته : مسحه .

3 المثل «اليوم ظلم» في مجمع الميداني 2 : 416 وجمهرة العسكري 2 : 433 . وفصل المقال : 373 ومستقصى الزمخشري 1 : 358 .

خلِّه أيّها الرجل وما يريد ، فإن قُتِل كفيتَ مؤنته ، وإن ظهر فهو لك . فألقى إليه سلاحَه فركِب ، ثم رَمى خثعَم بنفسه حتى خَرَجَ من بين أظهُرهم ، ثم كرّ عليهم وفعلَ ذلك مراراً ، وحملت عليهم بنو زُبيد فانهزمت خثعم وقُهِروا ، فقيل له يومئذٍ : فارسُ زبيد .

[وفوده على الرسول]

قال ابو عمرو الشيبانيّ : كان من حديث عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله بن زبيد بن منبه بن سَلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سَعد العشيرة بن مالك ، وهو مذحج ، بن أدد بن زيد بن يشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان ، أنّه قال لقيس بن مكشوحٍ المراديّ ، وهو ابن أُخت عمرو ، حينَ انتهى إليهم أمرُ رسول الله ﷺ : يا قيسُ ، إنّك سيِّدُ قومِك ، وقد ذُكر لنا أنّ رجلاً من قريش يقال له محمدٌ قد خَرَجَ بالحجاز ، يقال له نبيٌّ ، فانطلِقْ بِنا حتّى نعلمَ عِلمَه ، وبادِرْ فروة لا يغلبْك على الأمر . فأبى قيسٌ ذلك وسَفَّه رأيه وعَصاه ، فركب عمرٌو متوجّهاً إلى النبيّ ﷺ وقال : خالفتَني يا قيس ! وقال عمرو في ذلك[1] : [من الهزج]

أمرتُـك يومَ ذي صَنعا ... ءِ أمـراً بيِّنـــا رشَدُهْ

امرتُـك باتِّقـاء اللـــ ... ـــهِ تأتيـــه وتّتعـدُه

فكنتَ كذي الحُميِّر غـر ... رَّهُ مـن أيـرِهِ وَتِـــدُهْ

قال أبو عبيدة : حدَّثنا غير واحدٍ من مَذحج قالوا : قدِم علينا عمرو في وفد مذحج ، مع فَرْوة بن مُسيكٍ المراديّ ، على النبيّ ﷺ ، فأسلَموا وبعثَ فروةُ على صدقاتِ من أسلَمَ منهم وقال له : ادعُ الناس وتألَّفْهم ، فإذا وجدتَ الغفلةَ فاهتبلْها واغزُ .

قال أبو عمرو الشيبانيّ : وإنّما رحلَ فروةُ مفارقاً لملوك كِندة مباعِداً لهم ، إلى رسول الله ﷺ ؛ وقد كانت قبل الإسلام بين مُراد وهَمدانَ وقعةٌ أصابت فيها همدانُ من مرادٍ حتى أثخنوهم ، في يوم يقال له يوم الرَّزْم ، وكان الذي قاد هَمْدانَ إلى مراد الأجدعَ بن مالكَ بنَ حرِيم الشاعر الهمْدانيّ بن مسروق بن الأجدَع ، ففضحَهـم يومئذٍ ، وفي ذلك يقـول فَـروة بنُ مسيك المراديّ : [من الوافر]

فـإن نَغلِبْ فغلاّبون قِدماً ... وإن نُهْـزَم فغير مهزَّمينـا

فلمّا توجَّه فروةُ إلى النبيّ ﷺ أنشأ يقول : [من الكامل]

لمّا رأيتُ ملوكَ كندةَ أعرضَتْ ... كالرِّجل خانَ الرجلَ عِرقُ نَساها

1 ديوانه : 83 وفيه في البيت الثالث «غره من عيره» .

يَمَّمْــتُ راحلتــي أَمامَ محمدٍ ... أَرجــو فواضلَهــا وحسنُ ثَراها

فلمّا انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له فيما بلغنا : هل ساءَكَ ما أَصاب قومَك يوم الرزْم ؟ قال : يا رسول الله ، مَن ذا الذي يصيب قومَه مثلُ الذي أصابَ قومِي ولا يسوءه . فقال له : أما إنّ ذلك لم يَزِد قومَك في الإسلام إلاّ خيراً ! واستعملَه على مرادٍ وزبيد ومَذحج كلّها .

[ارتداد عن الإسلام]

قال أبو عبيدة : فلم يلبثْ عمرو أن ارتدَّ عن الإسلام ، فقال حين ارتدّ[1] : [من الوافر]

وجدنا مُلك فــروةَ شرَّ ملك ... حِمارٌ سافَ منخــرَه بقَذْرِ[2]

وإنَّــكَ لــو رأيتَ أَبــا عميرٍ ... ملأتَ يديك مــن غَدرٍ وختَرِ

قال أبو عبيدة : فلمّا ارتدَّ عمرو مع مَن ارتدَّ عن الإسلام من مذحج ، استجاش فروةُ النبيّ ﷺ ، فوجَّه إليهم خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد ، وقال لهما : إذا اجتمعتم فعليٌّ بن أبي طالب أميركم وهو على الناس . ووجَّه عليّاً عليه السلام فاجتمعوا بكَسْرٍ[3] من أرض اليمن ، فاقتتلوا وقُتِل بعضهم ونجا بعض ، فلم يزل جعفرٌ وزُبيدٌ وأودٌ بنو سعد العشيرة بعدَها قليلة . وفي هذا الوجه وقعت الصمصامةُ إلى آل سعيد ، وكان سببُ وقوعها إليهم أنّ ريحانةَ بنت معديكرب سُبِيت يومئذٍ ، ففداها خالد ، وأَثابه عمرٌو الصمصامة ، فصار إلى أخيه سعيد ، فوُجِد سعيدٌ جريحاً يوم عثمان بن عفّان رضي الله عنه حين حُصِر وقد ذهب السيف والغِمد ، ثم وُجِد الغمد ، فلمّا قام معاويةُ جاءَه أعرابيٌّ بالسيف بغير غمد ، وسعيد حاضر ، فقال سعيد : هذا سيفي ! فجحَد الأعرابيُّ مقالَته ، فقال سعيد : الدليلُ على أنّه سيفي أنْ تبعث إلى غِمدِه فتُغمِده فيكون كِفافَه . فبعث معاويةُ إلى الغِمد فأُتي به من منزل سعيد فإذا هو عليه ، فأَقَرَّ الأعرابيُّ أنّه أصابه يومَ الدار ، فأخذه سعيدٌ منه وأثابه . فلم يزلْ عندَه حتّى أصعد المهديُّ من البصرة ، فلمّا كان بواسطٍ بعث إلى سعيدٍ فيه ، فقال : إنّه للسبيل . فقال : خمسون سيفاً قاطعاً أغْنى من سيفٍ واحد . فأَعطاهم خمسينَ ألفَ درهم وأخذه .

[إسلام عمرو]

وذكر ابن النطّاح أنّ المدائنيّ حكى عن أبي اليقظان عن جُويرية بن أسماء قال : أقبلَ النبيُّ ﷺ من غزاةِ تَبوك يريد المدينة ، فأدركه عَمرو بن معديكربَ الزُّبيديّ في رجالٍ من زبيد ، فتقدّم عمرٌو ليلحق برسول الله ﷺ ، فأُمسِك حتى أُوذِنَ به . فلمّا تقدّم رسول الله ﷺ يسير

---

1 ديوانه : 105 .

2 ساف : شم .

3 الكسر : قرى كثيرة بحضرموت .

قال : حَيّاك الله إلهُك ، أبيتَ اللعن ! فقال رسول الله ﷺ : «إنَّ لعنةَ الله وملائكتِه والنّاس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . فآمِن بالله يؤمِنْك يومَ الفزَع الأكبر» . فقال عمرو بن معديكرب : وما الفزع الأكبر ؟ قال رسول الله ﷺ : «إنّه فزعٌ ليس كما تحسَب وتظُنّ ، إنّه يُصاح بالناس صَيحة لا يبقى حيٌّ إلاّ مات ، إلاّ ما شاء الله من ذلك ، ثم يُصاح بالناس صَيحة لا يبقى ميّتٌ إلاّ نُشِر ، ثم تلجُّ تلك الأرضُ بدويٍّ تنهدّ منه الأرض ، وتخرُّ منه الجبال ، وتنشقّ السماءُ انشقاقَ القبْطيّة الجديد[1] ما شاء الله في ذلك ، ثم تَبرز النارُ فيُنظر إليها حمراءَ مظلمةً قد صار لها لسانٌ في السماء ، تَرمِي بمثل رؤوس الجبال من شَرَر النار ، فلا يبقى ذو رُوح إلاّ انخلعَ قلبه ، وذكر ذنبه . أين أنتَ يا عمرو !» . قال : إنّي أسمع أمراً عظيماً ! فقال رسول الله ﷺ : «يا عمرو أسلِمْ تَسلم» . فأسلَمَ وبايَع لقومه على الإسلام ، وذلك مُنصرفَ رسول الله ﷺ من غزاة تبوك ، وكانت في رجب من سنة تسع .

[ضخامة جسده]

وقال أبو هارون السَّكسكيّ البصريّ : حدَّثني أبو عمرٍو المدينيّ أنَّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان إذا نظرَ إلى عمرو قال : «الحمد لله الذي خَلَقَنا وخلق عمراً !» تعجُّباً من عِظَم خَلقه .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبّة عن خالد بن خِداش عن أبي نُميلة قال : أخبرني رُمَيح عن أبيه قال : رأيت عمرو بن معديكرب في خلافة معاوية شيخاً أعظمَ ما يكون من الرجال ، أجشَّ الصوت ، إذا التفتَ التفتَ بجميع جسده .

[موته وقبره]

وهذا خطأ من الرواية ، والصحيح أنّه مات في آخر خلافةِ عمر رضي الله عنه ، ودُفن برُوذة بين قُمّ والريّ . ومن الناس من يقول إنّه قتل في وقعة نَهاوَند ، وأنّ قبرُه في ظاهرها موضعٌ يعرف بقبديشجان ، وأنّه دُفِن هناك يومئذٍ هو والنعمان بن مقرِّن .

وروي أيضاً من وجهٍ ليس بالموثوق به ، أنّه أدرك خلافةَ عثمان رضي الله عنه ، روى ذلك ابن النطّاح عن مَروان بن ضِرار عن أبي إياسٍ البصريّ ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جُويريّة الهذَليّ في حديثٍ طويل قال :

رأيت عمرو بن معديكربَ وأنا في مسجدِ الكوفة في خلافة عثمان ، حين وجّهه إلى الريّ ، كأنّه بعيرٌ مهنوء .

وقال ابن الكلبيّ : حدَّثني أسعر ، عن عمرو بن جرير الجُعفيّ قال : سمعت خالد بن قطن

---

1 القبطية : ثياب رقيقة بيضاء . والجديد : المقطوعة .

يقول : خرج عمرو بن معديكرب في خلافةِ عثمان رضي الله عنه إلى الريّ ودَستبى ، فضربه الفالجُ في طريقه فمات برُوذة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : أخبرني خالد بن خداش قال حدَّثنا حمّاد بن زيد عن مجالد عن الشعبيّ : أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فَرَضَ لعمرو بن معديكرب في ألفين ، فقال له : يا أمير المؤمنين ألفٌ ههنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيمن ، وألف ههنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيسر ، فما يكون هاهنا ؟ وأومأ إلى وسطه بطنه . فضحك عمر رضوان الله عليه وزاده خمسمائة .

[مَن يخاف على الظعينة ؟]

قال علي بن محمد : قال أبو اليقظان : قال عمرو بن معديكرب : لو سرت بظعينةٍ وحدي على مياهِ معدٍّ كلّها ما خفتُ أن أُغلبَ عليها ، ما لم يَلقَني حُرَّاها أو عبداها . فأمّا الحُرّان فعامر بن الطُّفيل وعُتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأمّا العبدان فأسودُ بني عبس ، يعني عنترةَ والسُّليك بن السُّلَكة ، وكلّهم قد لقيت . فأمّا عامر بن الطُّفيل فسريع الطَّعن على الصوت ، وأمّا عتيبة فأوّل الخيل إذا غارت ، وآخرها إذا آبت . وأمّا عنترة فقليل الكَبوة ، شديدُ الكَلَب[1] . وأمّا السُّليك فبعيد الغارة ، كالليث الضاري . قالوا : فما تقول في العبّاس بن مرداس ؟ قال : أقول فيه ما قال فيّ : [من الطويل]

إذا مات عمرٌو قلتُ للخيل أوطئوا زُبيداً فقد أودى بنجدتِها عَمرُو

وقام مُغضَباً وعلِم أنّهم أرادوا توبيخَه بالعبّاس .

قال علي : وقال أبو يقظان : أحسب في اللفظ غَلطاً وأنّه إنّما قال : «هَجينا مُضَر ؛ لأنّ عنترة استرِقّ ، والعبّاس لم يسترقّ قطّ .

[رجل بألف]

أخبرني أبو خليفة قال حدَّثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا أحمد بن جَناب عن عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن قيس : أنّ عمر رضي الله عنه كتبَ إلى سعد بن أبي وقّاص : إنّي قد أمددتُك بألفَيْ رجل عمرو بن معديكرب ، وطليحة بن خويلد ، وهو طليحة الأسديّ ، فشاوِرْهما في الحرب ولا تولِّهما شيئاً .

[شجاعة عمرو]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أحمد بن جناب قال حدَّثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن قيس قال : شهدتُ القادسيةَ وكان سعدٌ على الناس ، فجاء

---

1 الكلب : الغضب والإلحاح في القتال .

رُستم فجعل يمرُّ بنا وعمرو بن معديكرب الزبيديّ يمرُّ على الصفوف يحضُّ الناس ويقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسداً أغنى[1] شأنه ، فإنّما الفارسيُّ تيسٌ بعد أن يُلقي نيزَكَه[2] .

قال : وكان مع رستم أسوارٌ لا تسقُط له نُشَّابة . فقال له : يا أبا ثور ، اتَّق ذاك ! فإنّا لنقولُ له ذلك إذْ رماه رميةً فأصاب فرسَه ، وحمل عليه عمرٌو فاعتنقه ثم ذبَحَه ، وسلبه سوارَيْ ذهبٍ كانا عليه ، وقَباءَ ديباج .

قال أبو زيد[3] : فذكر أبو عبيدة أنّ عمراً حمَلَ يومئذٍ على رجلٍ فقتلَه ثم صاح : يا معشرَ بني زبيد ، دونَكم فإنَّ القوم يموتون !

وقال علي بن محمد المدائنيّ : وأخبرنا محمد بن الفضل وعبدُ ربِّه بنُ نافع ، عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم قال : حضر عمرٌو الناسَ وهم يقاتِلون ، فرماه رجلٌ من العجم بنُشّابةٍ فوقعت في كَتفه ، وكانت عليه درعٌ حصينة فلم تنفُذ ، وحَملَ على العِلج فعانقه فسقطا إلى الأرض ، فقتله عمرٌو وسلبهُ ، ورجع بسلبِهِ وهو يقول : [من الرجز]

أنا أبو ثَور وسيفي ذو النُّونْ أضربهُم ضربَ غـلامٍ مجنونْ
يـالَ زُبيـد إنَّهـم يموتـون

قال أبو عبيدة : وقال في ذلك عمرو بن معديكرب[4] : [من السريع]

صوت

ألِم بسلمى قبلَ أن تظعَنا إنَّ لنا مـن حبِّهـا ديدنا
قـد علمتْ سَلمى وجاراتُها مـا قطَّـرَ الفارسَ إلاّ أنا
شككـتُ بـالرمح حيازيمَه والخيـلُ تعـدو زِيَماً بيننا[5]

غنّى فيه الغريضُ ثانيَ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البِنصِر . وفيه رَملٌ بالبنصر يقال إنّه لمعبَد . ويقال إنّه من منحول يحيى المكّيّ .

قال أبو عبيدة في رواية أبي زيد عمر بنِ شبّة : شهِد عمرو بن معديكرب القادسية وهو ابن مائةٍ وستٍّ سنين . وقال بعضهم : بل ابن مائة وعشر . قال : ولّما قَتَلَ العلجَ عبَر نهر

1 أغنى شأنه : كفى نفسه .
2 النيزك : الرمح القصير .
3 أبو زيد : عمر بن شبّة .
4 ديوانه : 176 .
5 زيم : متفرقة .

القادسية هو وقيسُ بن مكشوح المرادي ، ومالك بن الحارث الأشتر .

قال : فحدَّثني يونس أنّ عمرو بن معديكرب كان آخرَهم ، وكانت فرسُه ضعيفةً فطلبَ غيرَها ، فأُتِيَ بفرسٍ فأخَذ بعُكْوةِ[1] ذنبه وأخلدَ إلى الأرض ، فأقعى الفَرس فردَّه ، وأُتِيَ بآخرَ ففعل به مثلَ ذلك فتحلحلَ ولم يقعِ فقال : هذا على كلِّ حالٍ أقوى من تلك ، وقال لأصحابه : إنّي حاملٌ وعابرٌ الجِسر ، فإنْ أسرعتم بمقدار جَزْر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أُقاتِلُ به تلقاءَ وجهي ، وقد عَقَر بي القومُ وأنا قائمٌ بينهم وقد قَتَلتُ وجَرَّدت . وإنْ أبطأتم وجدتموني قتيلاً بينهم وقد قُتِلتُ وجُرِّدت . ثم انغمَسَ فحملَ في القوم فقال بعضُهم : يا بني زُبيد ، علامَ تدَعون صاحبَكم والله ما نرى أن تُدرِكوه حيّاً . فحملوا فانتهَوْا إليه وقد صُرِع عن فرسه ، وقد أخذ برِجْلِ فرسِ رَجُلٍ من العجم فأمسَكها ، وإنّ الفارس ليضربُ الفرسَ فما تقدر أن تتحرّك من يده . فلمّا غَشيناه رمى الأعجميُّ بنَفْسِهِ وخلّى فرسَه ، فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور ، كِدتم والله تفقدونني ! قالوا : أين فرسُك ؟ قال رُمِي بنُشّابةٍ فشَبَّ فصرعَني وعار .

ورَوى هذا الخبر محمد بن عمر الواقديّ عن ابن أبي سَبْرة عن أبي عيسى الخياط . ورواه عليُّ بن محمد أيضاً عن مُرّة عن أبي إسماعيل الهمذاني عن طَلحة بن مصرِّف . فذكرا مثل هذا .

[مصرع رستم]

قال الواقديّ : وحدَّثني أُسامة بن زيد ، عن أبان بن صالح قال : قال عمرو بن معديكرب يوم القادسية : ألزِمُوا خراطيمَ الفيلة السُّيوف ، فإنّه ليس لها مقتلٌ إلاّ خراطيمها . ثم شدّ على رُستمَ وهو على الفيل فضربَ فيلَه فجذَمَ عُرقوبيه فسقط ، وحُمل رستم على فرسٍ وسَقَط من تحته خُرجٌ فيه أربعون ألف دينار ، فحازه المسلمون ، وسقط رُستم بعد ذلك عن فرسه فقتله .

قال علي بن محمد المدائنيّ : حدَّثني علي بن مجاهد عن ابن إسحاق قال : لمّا ضرب عَمرٌو الفيل وسَقَط رستم ، سقط على رستم خُرجٌ كان على ظهر الفيلِ فيه أربعون ألف دينار ، فمات رستمُ من ذلك ، وانهزم المشركون .

وقال الواقديّ : حدَّثني ابن أبي سَبْرة ، عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى آل الزُّبير قال : حدَّثنا نِيار بن مُكرم الأسلميّ ، قال : شهدت القادسيةَ فرأيتُ يوماً اشتدَّ فيه القتال بيننا وبين الفُرس ، ورأيت رجلاً يفعل يومئذٍ بالعدوّ أفاعيل ، يُقاتل فارساً ثم يقتحم عن فرسه ويربط مِقودَه في حَقْوِه فيقاتل ، فقلت : مَن هذا جزاهُ الله خيراً ؟ قالوا : هذا عمرو بن معديكرب .

1 عكوة الذنب : أصله .

[تحليله الخمر]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا السكن بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن الكلبيّ ، عن خالد بن سعيد ، عن أبي محمد المرهبيّ قال : كان شيخٌ يجالس عبدَ الملك بن عُمير ، فسمعته يحدِّث قال : قدِم عيينةُ بن حصنٍ الكوفةَ فأقام بها أيّاماً ثم قال : والله ما لي بأبي ثَور عهدٌ منذُ قدِمنا هذا الغائط ، يعني عمرو بن معديكرب ، أسرِجْ لي يا غلامُ . فأسرج له فرساً أنثى من خَيله ، فلمّا قَرَّبها إليه قال لـه : ويحكَ أرأيتَني ركبتُ أنثى في الجاهليةِ فأركَبها في الإسلام ؟ فأسرجَ له حِصاناً فركبه ، وأقبل إلى مَحَلّة بني زبيد فسأل عن محلّة عمرو فأرشِدَ إليها ، فوقف ببابه ونادى : أي أبا ثور ، اخرجْ إلينا . فخرج إليـه مؤتزراً كأنّـما كُسِر وجبر ، فقال : انعِمْ صباحاً أبا مالك . فقال : أو ليس قد أبدلَنا الله تعالى بهذا : السَّلامُ عليكم ؟ قال : دَعْنا ممّا لا نعرف ، انزلْ فإنّ عندي كبشاً ساحّاً[1] . فنزل فعمَد إلى الكبش فذَبحه ثم كشط عنه وعَضّاه[2] ، وألقاه في قِدر جماع[3] ، وطبخَه حتّى إذا أدرك جاء بجَفْنةٍ عظيمة فثَرد فيها فأكفأ القِدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أيُّ الشراب أحبّ إليك : آللبن أم ما كنّا نتنادم عليه في الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حَرّمها الله جلّ وعزّ علينا في الإسلام ؟ قال : أنت أكبر سنّاً أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فأنت أقدمُ إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فإنّي قد قرأت ما بين دَفّتي المصحف فوالله ما وجَدتُ لها تحريماً إلاّ أنّه قال : ﴿فهل أنتم منتَهون﴾ فقلنا : لا . فسكتَ وسكتْنا ! فقال له : أنت أكبرُ سِنّاً وأقدم إسلاماً . فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ، ويذكران أيّام الجاهلية ، حتى أمسيا ، فلمّا أراد عيينة الانصراف . قال عمرو : لئـن انصرفَ أبو مالك بغيرِ حبـاءٍ إنّه لوصمةٌ عليَّ . فأمر بناقةٍ له أرحَبيّةٍ[4] كأنّها جَبِيرة لُجَين[5] ، فارتحلَها وحمَله عليها ، ثم قال : يا غلامُ هاتِ المِزْود . فجاء بمزودٍ فيه أربعةُ آلافِ درهم ، فوضَعَها بين يديه ، فقال : أمّا المال فوالله لا قَبِلتُه . قال : والله إنّه لَمِن حِباءِ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . فلم يَقبلْه عيينة وانصرفَ وهو يقول : [من الطويل]

جُزِيتَ أبـا ثَـورٍ جـزاءَ كرامةٍ فنعـم الفتـى المـزدارُ والمتضيَّفُ
قريـتَ فأكرمت القِرى وأفَدتنا نَخيلَةَ عِلـم لم يكن قـطُّ يعرفُ

1 الساح : السمين جداً .
2 عضاه : قطّعه أجزاء .
3 القدر الجماع : العظيمة .
4 أرحب : قبيلة من بني رحب أو فحل أو مكان تنسب إليه النجائب الأرحبيات .
5 جبيرة لجين : أسورة من الفضة .

وقلـت : حَلالٌ أن تُديـرَ مُدامةً كلونِ انعقاق البرقِ والليلُ مسدِفُ
وقدّمــتَ فيهـا حُجَّـةً عربيـة تَردُّ إلى الإنصاف مَن ليس ينصِفُ
وأنت لنا واللهِ ذي العرش قُدوةٌ إذا صَدَّنـا عن شربهـا المتكلِّفُ
نَقـول : أبو ثـورٍ أحـلَّ حرامَها وقـولُ أبـي ثـور أسدُّ وأعرفُ

[غداؤه عند عمر]

وقال علي بن محمد : حدَّثني عبد الله بن محمد الثقفيّ عن أبيه ، والهذليّ عن الشَّعبيّ قال : جاءت زيادةٌ من عندِ عمر بعد القادسية فقال عَمرو بن معديكرب لطُليحة : أما تَرى أنّ هذه الزعانفَ تُزاد ولا نزاد ، انطلقْ بنا إلى هذا الرجل حتّى نكلّمه . فقال : هيهاتَ ، كلا والله لا ألقاه في هذا المعنى أبداً ، فلقد لقيَني في بعض فجاج مكّة فقال : يا طليحة ، أَقَتلتَ عكاشة ؟! فتوعَّدَني وعيداً ظننتُ أنّه قاتلي ، ولا آمنه . قال عمرو : لكنّي أُلقاه . قال : أنتَ وذاك . فخرج إلى المدينة فقدِم على عُمر رَضِي الله عنه وهو يغدّي الناس وقد جَفَّن لعَشرةٍ عشرة ، فأقعده عمرُ مع عشرة فأكلوا ونَهَضوا ، ولم يَقُم عمرو ، فأقعد معه تكملةَ عشرةٍ فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو ، فأقعده مع عشرة حتّى أكل مع ثلاثين ثم قام . فقال : يا أمير المؤمنين إنّه كانت لي مآكلُ في الجاهلية منعني منها الإسلام ، وقد صررتُ في بطني صرّتين وتركت بينهما هواءً فسُدَّه . قال : عليك حجارةً من حجارةِ الحَرّة فسُدّه به يا عمرو ، إنّه بلَغني أنّك تقول إنّ لي سيفاً يقال له الصمصامة ، وعندي سيفٌ أسمّيهِ المصمِّم ، وإنّي إنْ وضعتُه بين أُذُنيك لم أرْفعه حتّى يخالطَ أضراسك .

[من الذي أذرى عمراً عن فرسه]

وذكر ابن الكلبيّ ومحمد بن كناسة أنّ جُبيلة بن سُويد بن ربيعة بن رباب ، لقِيَ عَمرو بن معديكرب وهو يسوقُ ظُعناً له . فقال عمرو لأصحابه : قِفُوا حتّى آتيَكم بهذه الظعن . فقرَّبَ نحوه حتى إذا دنا منه قال : خلِّ سبيلَ الظُّعن . قال : فلِمَ إذاً ولَدْتني ؟ ثم شدَّ على عمرو فطعنه فأذراه عن فرسِهِ وأخذَ فرسَه ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : ما وراءك ؟ قال : كأنّي رأيت منيّتي في سنانه .

وبنو كنانة يذكُرون أنَّ ربيعةَ بن مكدِّم الفِراسيّ ، طعن عمرو بن معديكرب فأذراه عن فَرسه وأَخذ فرسَه . وأنّه لقيه مرّةً أُخرى فضربه فوقعت الضربةُ في قَرَبوس السَّرج فقطعه حتّى عضّ السيفُ بكائبة[1] الفرس فسالمه عمرٌو وانصرف .

1 كائبة الفرس : مجتمع كتفيه ؟

[صفة بني مجاشع]

قال المدائنيّ : حدَّثني مسلمةُ بن محارب ، عن داود بن أبي هند قال : حمل عمرو بن معديكرب حَمالة ، فأتى مجاشعَ بن مسعود يسأله فيها .

وقال خالد بن خداش : حدَّثني أبو عَوانة عن حُصين بن عبد الرحمن قال : بلغني أنَّ عَمراً أتى مجاشعَ بن مسعود فقال له : أسألكَ حُملانَ مِثلي ، وسلاحَ مثلي . قال : إنْ شئتَ أعطيتُك ذاك من مالي . ثم أعطاه حُكْمه . وكان الأحنف أمر له بعشرين ألف درهم ، وفرسٍ جَواد عتيق ، وسيف صارم ، وجارية نفيسة . فمرَّ ببني حنظلةَ فقالوا له : يا أبا ثَور ، كيف رأيتَ صاحبَك ؟ فقال : لله بنو مجاشع ما أشدَّ في الحرب لقاءها ، وأجزلَ في اللَّزْبات[1] عطاءَها ، وأحسن في المكرُمات ثناءَها ، لقد قاتلتُها فما أقللتُها[2] ، وسألتُها فما أبخلتُها ، وهاجيتُها فما أفحمتها !!

[ما بقي من قوّته]

وقال أبو المِنهالُ عُيينة بن المنهال : سمعت أبي يحدّث قال : جاء رجلٌ وعمرو بن معديكرب واقفٌ بالكُناسة[3] على فرسٍ له ، فقال : لأنظرنَّ ما بَقِيَ من قُوّة أبي ثور . فأدخل يدَه بين ساقَيه وبين السَّرج ، وفطِن عمرٌو فضمَّها عليه وحرّك فرسَه ، فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يدَه ، حتّى إذا بَلَغ منه قال : يا ابن أخي ، ما لَكَ ؟ قال : يدي تحتَ ساقِكَ ! فخلَّ عنه ، وقال : يا ابنَ أخي ، إنّ في عمّك لَبقيّة ! .

[كذب عمرو]

وكان عمرو مع ما ذكرنا من محلِّه مشهوراً بالكذب : أُخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد النحويّ المبرّد ولم يتجاوزه . وذكر ابن النطّاح هذا الخبرَ بعينه عن محمد بن سلام ، وخبر المبرّد أتمُّ قال : كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهِرها يتناشدون الأشعار ، ويتحدّثون ويتذاكرون أيّامَ الناس . فوقف عمرٌو إلى جانب خالد بن الصَّقعب النهديّ ، فأقبلَ عليه يحدِّثه ويقول : أغَرتُ على بني نهدٍ فخرجوا إليَّ مسترعِفين[4] بخالد بن الصَّقعب يقْدُمهم ، فطعنتُه طعنةً فوقع ، وضربتُه بالصمصامة حتّى فاضت نفسه ! فقال له الرجل : يا أبا ثور إنّ مقتولك الذي تحدِّثه . فقال : اللهمّ غَفراً إنّما أَنتَ محدَّثٌ فاسمع ، إنّما نتحدَّث بمثل هذا وأشباهه لنُرهِب هذه المعدِّيّة .

1 اللزبات : الشدّة والقحط .
2 ما أقللتها : لم أجدها قليلة .
3 الكناسة : محلّة بالكوفة .
4 الاسترعاف : السبق والتقدّم .

قال محمد بن سلام : وقال يونس : أَبَتْ العربُ إلاّ أنّ عمراً كان يكذب. قال : وقلتُ لخلفٍ الأحمر وكان مولى الأشعريين ، وكان يتعصَّب لليمانية : أكان عمرٌو يَكذب ؟ قال : كان يكذب باللِّسان ، ويصدُق بالفعال .

[تقارضه الثناء مع سعد]

أخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة : أنّ سعداً كتَب إلى عُمَر رضي الله عنه يثني على عمرو بن معديكرب ، فسأله عمرُ عن سعد فقال : «هو لنا كالأب أعرابيٌّ في نَمْرته[1] ، أسدٌ في تامورته[2] ، يَقسِم بالسويّة ، ويَعدِل في القضيّة ، ويَنفِر في السرِيّة ، وينقُل إلينا حقّنا كما تنقُل الذرة» فقال عمر رضوان الله عليه : لَشدَّ ما تقارضتُما الثناء[3] .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا الحارث عن ابن سعد عن الواقديّ عن بُكير بن مِسمار عن زيادٍ مولى سعد قال : سمعت سعداً يقول ، وبلغَه أنَّ عمرو بن معديكرب وقَع في الخمر ، وأنّه قد دُلِّهَ . فقال : لقد كان له موطنٌ يوم القادسية ، عظيم الغَناء ، شديد النِّكاية للعدوّ . فقيل له : فقيس بن مكشوح ؟ فقال : هذا أبذلُ لنفسه من قَيس ، وإنّ قيساً لَشُجاع .

[وفاته]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمّر بن شبّة وأُخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة . ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبيّ خاصة : حدَّثني أسعر بن عمرو بن جرير ، عن خالد بن قَطَن قال : حدَّثني من شهد موتَ عمرو بن معديكرب ، والرواية قريبة ، وحكايتا عُمَر بن شبّة وابنِ قتيبة عن أنفسهما ولم يتجاوزاها ، قالا : كانت مَغازي العرب إذ ذاك الريّ ودستَبى ، فخرج عمرٌو مع شباب من مَذحِج حتّى نزل الخان الذي دُون روذَة ، فتغدَّى القومُ ثم ناموا ، وقام كلُّ رجلٍ منهم لقضاء حاجته . وكان عمرٌو إذا أراد الحاجة لم يجترىءْ أحدٌ أن يدعوَه وإن أبطأ ، فقام الناسُ للرحيل وترحَّلوا إلاّ مَن كان في الخان الذي فيه عمرو ، فلمّا أبطأ صِحْنا به : يا أبا ثور . فلم يُجبنا وسمعنا عَلَزاً شديداً[4] ، ومِراساً في الموضع الذي دخَله ، وقَصَدناه فإذا به محمرةً عيناه ، مائلاً شِدقُه مفلوجاً ، فحملناه على فرسٍ وأَمَرنا غلاماً شديد الذِّراع فارتدفَه ليعدِلَ ميله ، فمات بِرُوذة ودُفِن على قارعة الطريق . فقالت امرأته الجُعفية ترثيه : [من الطويل]

---

1 النمرة : الشملة فيها خطوط بِيض وسُود .

2 التامورة : عرين الأسد .

3 ل : الشهادة .

4 العلز : الكرب والقلق عند الموت .

لقد غــادَرَ الركبُ الذين تحمَّلُوا — برُوذَة شخصاً لا ضعيفا ولا غُمْرا
فقــل لزُبيــدٍ بــل لمذحِــجَ كلِّها — فَقدتــم أَبا ثــورٍ سِنانَكم عَمْرا
فإن تجزعوا لا يُغــنِ ذلك عنكمُ — ولكن سَلُوا الرحمن يُعْقِبكُم صبرا

[ريحانة التي ذكرها في شعره]

والأبيات العينية التي فيها الغناء ، وبها افتُتِحَ ذكرُ عمرو ، يقولها في أخته ريحانة بنت معديكرب لمّا سباها الصِّمة بن بكر ، وكان أغار على بني زُبيد في قيس فاستاقَ أموالَهم وسَبى رَيحانة ، وانهزمت زُبيد بين يديه ، وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معديكرب ، ثم رجع عبد الله واتَّبعه عمرو .

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أنّ عمراً اتّبعه يناشِدُه أن يخلِّيَ عنها ، فلم يفعل ، فلمّا يئس منها ولّى وهي تناديه بأعلى صوتها : يا عمرو ! فلم يقدِرْ على انتزاعها ، وقال : [من الوافر]

أَمِنْ ريحانــةَ الدَّاعي السَّميعُ — يؤرِّقنــي وأَصحابــي هُجوعُ
سَباها الصِّمَّةُ الجشميُّ غَصْباً — كأنّ بيــاضَ غرَّتهــا صَدِيعُ[1]
وحالت دونَهــا فُرسانُ قيسٍ — تكشَّفُ عن سواعدها الدُّروعُ
إذا لم تستطِع شيئاً فدعْــهُ — وجــاوِزْه إلى مــا تستطيعُ

وزاد الناس في هذا الشعر وغنّي فيه : [من الوافر]

وكيف أحبُّ مَن لا أَستطيع — ومن هــو للذي أَهوى مَنوعُ
ومَن قد لامَني فيــه صديقي — وأَهــلي ثــمَّ كُلاًّ لا أُطيعُ
ومَن لــو أَظهرَ البغضاءَ نحوي — أَتاني قابضُ المــوتِ السريعُ
فِدًى لهمُ معــاً عمِّي وخالي — وشَرخ شبابِهِــم إن لَم يُطيعوا

وقد أُخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأت على أبي : وأمّا قصّة ريحانة فإن عمرو بن معديكرب تزوَّجَ امرأةً من مُراد ، وذهب مُغيراً قبل أن يدخُل بها ، فلمّا قدِم أُخبِر أنّه قد ظهر بها وضَح ، وهو داءٌ تحذره العرب ، فطلَّقها وتزوَّجها رجلٌ آخر من بني مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمراً وأنّ الذي قيل فيها باطلٌ ، فأخذ يشبِّب بها ، فقال قصيدتَه وهي طويلة : [من الوافر]

أَمِن ريحانةَ الدّاعي السميعُ — يؤرِّقني وأَصحابــي هجوعُ

1 الصديع : الفجر .

[توليه رئاسة بني زبيد]

وكان عبد الله بن معديكرب ، أخو عمرو ، رئيسَ بني زبيد ، فجلس مع بني مازن في شَربٍ منهم . فتغنّى عنده حبشيٌّ عبدٌ للمخزّم ، أحد بني مازن ، في امرأةٍ من بني زبيد ، فلطمه عبدُ الله وقال له : أمَا كفاكَ أن تشربَ معنا حتى تشبب بالنساء ؟ فنادى الحبشيُّ : يا آل بني مازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه ، وكان الحبشيُّ عبداً للمخزم ، فرئِسَ عمرٌو مكانَ أخيه ، وكان عمرٌو غزا هو وأُبيٌّ المراديّ فأصابوا غنائم ، فادّعى أُبيٌّ أنّه قد كان مسانِداً ، فأبى عمرٌ أن يعطيَه شيئاً ، وكَرِه أبيٌّ أن يكون بينهما شَرّ ، لحداثةِ قتل أبيه ، فأمسَكَ عنه . وبلغ عمراً أنّه توعّده ، فقال عمرو في ذلك قصيدةً له أوّلها[1] : [من الوافر]

صوت

أعاذلَ شِكَّتي بـدَني ورُمحِي ... وكلُّ مقلِّـص سَلِس القِيادِ[2]

أعـاذل إنّما أفنـى شبابـي ... وأقْـرحَ عاتقـي ثِقَـل النِّجادِ

تَمنَّانِـــي ليلقــاني أُبـــيٌّ ... ودِدتُ وأينَما منّي ودادي[3]

ولـو لاقيتَنِي ومعـي سِلاحي ... تكشَّف شحمُ قلبِك عن سوادِ

أُريـد حِبـاءَه ويريدُ قتلي ... عذيرَكَ مِن خليلِكَ من مرادِ[4]

وتمام هذه الأبيات : [من الوافر]

تمنَّـاني وسابغتـي دِلاصٌ ... كأنَّ قتيرَهـا حـدَقُ الجرادِ[5]

وسيفي كان من عهدِ ابن صدٍّ ... تخيَّره الفتـى مـن قَـوم عادِ

ورمحـي العنبريُّ تخـال فيه ... سِناناً مثـلَ مِقباس الزِّنادِ

وعِجلِزة يـزلُّ اللِّبْدُ عنهـا ... أَمَـرَّ سَراتَهـا حَلَقُ الجيادِ[6]

إذا ضُرِبَتْ سمعتَ لهـا أزيزاً ... كوقع القَطْرِ في الأدمِ الجِلادِ

إذاً لوجدتَ خالكَ غيرَ نِكسٍ ... ولا متعلّمـاً قتـلَ الوحادِ[7]

---

1 ديوانه : 60-65 مع بعض اختلاف .

2 البدن : الدرع . والمقلص : الفرس .

3 أُبي في الديوان : قيس .

4 الديوان : أريد حياته .

5 القتير : رؤوس مسامير الدرع . وحدق الجراد : عيون الجراد .

6 العجلزة : الفرس الشديدة .

7 هذا يجعل المخاطب ابن أخته قيس بن مكشوح المرادي .

يقلِّب للأُمورِ شَرنبثاتٍ بأظفارٍ مَغارِزُها حدادِ[1]

لابن سُريج في الأوّل والثاني ثاني ثقيل بالبنصر ، ولابن محرز في السادس والخامس ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وفي الرابع والخامس والسادس لحنٌ للهذليّ من رواية يونس .

وهذا البيت الخامس كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذا نظر إلى ابن مُلجَم تمثّل به .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا حَيَّان بن بشر قال حدَّثنا جرير عن حمزة الزيّات قال : كان عليٌّ عليه السلام إذا أعطى الناس فنظر إلى ابن مُلجَم قال : [من الوافر]

أريد حِباءه ويريدُ قتلي عَذيرَكَ من خليلك من مرادِ

حدَّثني العبّاس بن عليّ بن العبّاس ، ومحمد بن خلفٍ وكيع قالا : حدَّثنا أحمد بن منصور الرماديّ قال : حدَّثنا عبد الرزّاق قال : أخبرنا مَعمر ، عن أيّوب ، عن ابن سيرين ، عن عَبيدة السَّلْمانيّ قال : كان عليُّ بن أبي طالب إذا أعطى الناس فرأى ابنَ ملجَم قال : [من الوافر]

أريد حِباءه ويريد قتلي عذيرَكَ من خليلكِ من مُرادِ

حدَّثني محمد بن الحسن الأُشناني قال : حدَّثنا عليّ بن المنذر الطَّريفيّ قال : حدَّثنا محمد بن فُضَيل قال : حدَّثنا قطن بن خليفة عن أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، والأصبغ بن نباتة قال : قال علي عليه السلام : ما يحبس أشقاها ؟ والذي نفسي بيده لتُخضبنَّ هذه من هذا .

قال أبو الطُّفيل : وجمع عليٌّ الناس للبَيعة فجاء عبد الرحمن بن مُلجَم المراديّ ، فردّه مرّتين أو ثلاثاً ثم بايعه ، ثم قال : ما يحبس أشقاها ؟ فوالذي نفسي بيده لتُخضبَنَّ هذه من هذا . ثم تمثّل بهذين البيتين : [من مجزوء الوافر]

اشددْ حيازيمَكَ للموتِ فإنَّ الموتَ يأتيكَ[2]
ولا تجزعْ من القتلِ إذا حلَّ بواديكَ

رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

[أخته تعيّره بقبوله الدية]

قال : وجاءت بنو مازنٍ إلى عمرو فقالوا : إنّ أخاك قتَلَه رجلٌ منّا سفيه وهو سكرانُ ، ونحن يدُك وعَضُدك ، فنسألك الرحِمَ وإلاّ أخذت الديةَ ما أحببت ! فهمَّ عمرو

1 الشرنبث : الغليظ الكفّين .
2 يأتيك في ل : لاقيك .

بذلك . وقال[1] :

إحدى يـديَّ أصابتني ولم ترد

فبلغ ذلك أختاً لعمرو يقال لها كَبْشة ، وكانت ناكحاً في بني الحارث بن كعب ، فغضِبت ، فلمّا وافى الناسُ من الموسم قالت شعراً تعيِّر عمراً : [من الطويل]

أأرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه ... إلى قومـه لا تَعقِلوا لهمُ دمِي

ولا تأخذوا مِنهـم إفالاً وأبكُراً ... وأتـركَ في بيتٍ بصَعدةَ مظلمِ[2]

ودَعْ عنك عَمراً إنّ عمراً مسالمٌ ... وهل بطنُ عمرو غيرُ شِبرٍ لمطعمِ

فـإن أنتـمُ لم تقبلوا واتَّديتُمُ ... فمشُّوا بـآذان النَّعـامِ المصلَّمِ[3]

أيقتُـل عبدَ الله سيِّدَ قومِـهِ ... بنو مازن أن سُبَّ راعِي المخزَّمِ

فقال عمرٌو قصيدةً له عند ذلك يقول فيها[4] : [من المتقارب]

صوت

أرِقتُ وأمسيتُ لا أرقُدُ ... وساوَرَني الموجعُ الأسودُ

وبتُّ لذِكرى بني مازنٍ ... كأنّـيَ مرتفِقٌ أرمـدُ[5]

فيه لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى ، نسبه يحيى المكّيّ إلى ابن محرز ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول .

ثم أكبَّ على بني مازنٍ وهم غارُّونَ[6] فقتلهم ، وقال في ذلك شعراً : [من الوافر]

خُـذُوا حُقُقـاً مخطَّمة صفايا ... وكَيدِي يـا مخزَّم أن أكيدا[7]

قتلتـمْ سادتـي وتركتمـوني ... عـلى أكتافكـم عبئـاً جديدا

فمن يأبى مـن الأقوام نصراً ... ويتركنـا فإنّـا لـن نريدا

---

1 هذا عجز بيت في الحماسة قاله أعرابيّ قتل أخوه ابنه :

أقـول للنفس تأساء وتعزيـة ... إحـدى يـدي أصابتني ولم تردِ

كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

2 الأفال : صغار الإبل . وفي ذكر الأفال والأبكر تصغير لشأن الدية . وصعدة : مدينة باليمن .

3 الآذان المصلمة : المقطوعة .

4 ديوانه : 89–90 .

5 مرتفق : مستند على مرفقه .

6 غارون : أي وهم في غارة .

7 الحقق : الإبل التي أتمّت سنتها الثالثة ودخلت في الرابعة .

وأرادت بنو مازن أن تردّ عليهم الديّة لمّا آذنهم بحرب ، فأبى عمرو ، وكانت بنو مازن من أعداء ، مذحج . وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمِّها دون عمرو ، وكان عمرو قد هَمَّ بالكفّ عنهم حين قَتَلَ من قتل منهم ، فركبت كبشةُ في نساءٍ من قومها ورثت أخاها عبد الله وتركت عمراً أخاها وعَيَّرته فأحمَتْه . فأكبّ عليهم أيضاً بالقتل ، فلمّا أكثر فيهم القتلَ تفرَّقوا ، فلحقت بنو مازنٍ بصاحبهم بتميم ، ولحقت ناشرة ببني أسد ، وهم رهطُ الصقعب بن الصحصح ، ولحقت فالج بسليم بن منصور . وفالج وناشرة ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن منبّه بن صعب بن سعد العشيرة ، وأمُّهما هند بنت عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . فقال كابية بن حرقوص بن مازن : [من مجزوء الكامل]

يا ليلتي ما ليلتي بالبلدةِ … رُدّتْ عليَّ نجومُها فارتدتِ
مَن كان أسرعَ في تفرُّق فالج … فلبُونه جربتْ معاً وأغدّتِ
هَلاّ كناشرة الذي ضيّعتُمُ … كالغصن في غلوائه المتنبتِ

وقال عمرو في ذلك[1] : [من الوافر]

تمنَّت مازنٌ جهلاً خِلاطي … فذاقتْ مازن طَعم الخِلاطِ
أطَلتُ فِراطَكم عاماً فعاماً … ودينُ المَذحِجيِّ إلى فِراطِ[2]
أطلتُ فراطكم حتَّى إذا ما … قتلتُ سراتكم كانت قَطاطِ[3]
غدرتمْ غدرة وغدرتُ أُخرى … فما إنْ بيننا أبداً يَعاطِ[4]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمّاد : قرأت على أبي قال المدائنيّ : حدَّثني رجلٌ من قريش قال : كنّا عند فلانٍ القرشيّ فجاءه رجلٌ بجاريةٍ فغنّته : [من السريع]

بالله يا ظبي بني الحارث … هل مَن وفى بالعهدِ كالناكثِ

وغنّته أيضاً بغناء ابن سُريج : [من المنسرح]

يا طولَ ليلي وبتُّ لَم أَنِم … وساديَ الهمُّ مُبطَنٌ سَقَمِي

فأعجبته واستام مولاها ، فاشتطَّ عليه فأبى شراءها ، وأُعجبت الجارية بالفتى ، فلمّا امتنع مولاها من البيع إلاّ بشططٍ قال القرشيّ : فلا حاجة لنا في جاريتك . فلمّا قامت الجارية

1 ديوانه : 127 .
2 أطلت فراطكم : أمهلتكم طويلاً .
3 قطاط : حسبي .
4 يعاط : كلمة للإنذار .

للانصراف رفعَتْ صوتها تغنّي وتقول : [من الوافر]

إذا لم تستطـعْ شيئاً فدعْه وجـاوزْه إلى مـا تستطيعُ

قال : فقال الفتى القرشيّ : أفأنا لا أستطيع شراءكِ ، والله لأشترينَّك بما بلغت . قالت الجارية : فذاكَ أردتُ . قال القرشيُّ : إذا لا أخيّبك . وابتاعها من ساعتِهِ . والله أعلم .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من السريع]

بالله يـا ظَبيَ بنـي الحارثِ هل مَن وفى بالعهدِ كالناكِثِ
لا تخدَعَنّـي بالمنى باطـلاً وأنـت بـي تلعبُ كالعابثِ

عروضه من السريع ، الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، رمل بالبِنصِر ، وفيه لسِياطٍ خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى ، وفيه لإبراهيم الموصليّ لحنٌ من رواية بَذْل .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

يـا طـولَ ليلي وبتُّ لَـم أَنَم وِسادِيَ الهـمُّ مبْطَـنٌ سَقَمِـي
إذْ قمتُ ليـلاً على البلاطِ فأبـ ـصرتُ ربيبـاً فليـتَ لَـم أَقُمِ
فقلـتُ عُوجِـي تُخبِّري خَبراً وأنـتِ منـه كصاحـب الحُلُمِ
قالتْ بل اخشى العيونَ إذْ حضرت حَولِـي وقلبـي مُباشِرُ الألَمِ

عروضه من المنسرح . والشعر والغناء لابن سريج ، رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

[مناظرة في حضرة المأمون]

وذكر محمد بن الفضل الهاشميّ قال حدَّثنا أبي قال[1] : كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلامَ والمناظرةَ في مجلسه ، فناظَرَ بين يديه محمّدُ بن العبّاس الصوليّ عليَّ بنَ الهيثم جُونْقاً في الإمامة ، فتقلّدهـا أحدُهما ودفَعها الآخر ، فلجَّت المناظَرةُ بينهما إلى أن نبَّط محمدٌ عليّاً فقال له عليّ : إنّما تكلّمتَ بلسان غيرك ، ولو كنتَ في غير هذا المجلس لسمعتَ أكثر ممّا قلت ! فغضِب المأمونُ وأنكر على محمدٍ ما قاله وما كان منه من سُوء الأدَب بحضرته ، ونَهَض عن فَرشِهِ ونهض

1 نقل صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر بكامله (9 : 172–176) .

الجلساءُ فخرجوا . وأراد محمدٌ الانصرافَ فمنعه علي بن صالح صاحبُ المصلّى ، وهو إذْ ذاك يحجُب المأمون ، وقال : أفعلتَ ما فعلتَ بحضرة أمير المؤمنين ونَهَضَ على الحال التي رأيتَ ، ثم تنصرفُ بغير إذن ، اجلسْ حتّى نعرفَ رأيه فيك . وأمر بأن يَجلِس .

قال : ومكث المأمونُ ساعةً فجلسَ على سريره ، وأَمَر بالجلَساء فرُدُّوا إليه . فدخل إليه عليُّ بن صالح فعرّفه ما كان من قَول محمد في الانصراف ، وما كانَ مِن مَنْعه إيّاه . فقال : دَعْه ينصرف إلى لعنةِ الله . فانصرف . وقال المأمون لجلسائه : أتدرونَ لِمَ دخَلتُ إلى النساء في هذا الوقت ؟ قالوا : لا . قال : إنَّه لّما كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمَنْ فلتاتِ الغضَب ، وله بنا حُرمة ، فدخلتُ إلى النساء فعابثْتُهُنّ حتّى سكن غضبي .

قال : وما مضى محمدٌ عن وجهه إلاّ إلى طاهر ، فسأله الركوبَ إلى المأمون ، وأن يستوهبَه جُرْمه ، فقال طاهر : ليس هذا من أوقاتي ، وقد كتب إليّ خليفتي في الدّار أنّه قد دعا بالجلساء . فقال : أكرهُ أن أبيتَ ليلةً وأميرُ المؤمنين عليّ ساخط . فلم يَزَلْ بِهِ حتّى ركب طاهرٌ معه ، فأُذِنَ له فدخل ومجيرٌ الخادم واقفٌ على رأس المأمون . فلمّا بَصُرَ المأمون بطاهر أخَذَ منديلاً فمسح به عينَيْه مرَّتين أو ثلاثاً ، إلى أنْ وصل إليه وحرَّك شفتَيه بشيءٍ أنكره طاهر ، ثم دنا فسلَّم ، فردّ السلامَ وأمَرَه بالجلوس فجلسَ في موضعه . فسأله عن مجيئه في غير وقته ، فعرّفه الخبرَ واستوهبه ذنبَ محمد ، فوهبه له وانصرف ؛ وعرَّف محمداً ذلك . ثم دعا بهارون بن خنعويه ، وكان شيخاً خراسانيّاً داهيـةً ثقةً عنده ، فذكر له فعلَ المأمون وقال له : القَ كاتب مُجيرٍ والطُفْ له ، واضمنْ له عَشرة آلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون . ففعل ذلك ولطَف له ، فعرّفه أنّه لّما رأى طاهراً دمَعت عيناه وترحَّم على محمدِ الأمين ، ومسح دمعَه بالمنديل . فلمّا عرَف ذلك طاهرٌ ركِب من وقتـه إلى أحمدَ بن أبي خالدٍ الأحول ، وكان طاهرٌ لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون ، وكلُّهم يَركب إليـه ، فقـال له : جئتكَ لتولِّينيَ خراسان وتحتالَ لِي فيها . وكان أحمد يتولّى فضَّ الخرائط بين يدَيّ المأمون ، وغسّان بن عَبّاد يتولّى إذْ ذاك خراسان ، فقال له أحمد : هلاَّ أقمتَ بمنزلك وبعثت إليَّ حتّى أصيرَ إليك ولا يُشهَر الخبرُ فيما تريده بما ليس من عادتك ، لأنّ المأمون يعلم أنّك لا تركب إلى أحدٍ من أصحابه ، وسيبلُغه هذا فينكره ، فانصرِف وأغضِ عن هذا الأمر وأمهِلْني مدّةً حتّى أحتال لك . ولبث مدّةً ، وزوّر ابن أبي خالد كتاباً عن غسّان بن عباد إلى المأمون ، يذكر فيه أنّه عليل وأنّه لا يأمن على نفسه ، ويسأل أن يستخلف غيرَه على خراسان ، وجعلَه في خريطةٍ وفَضَّها بين يدي المأمون ، في خَرائط وردَتْ عليه . فلمّا قرأ على المأمون الكتابَ اغتمَّ بِهِ وقال له : ما ترى ؟ فقال : لعلَّ هذه عِلّةٌ عارضة تزول ، وسَيَرِدُ بعد هذا غيره فيرى حينئذٍ أمير المؤمنين رأيه . ثم أمسَكَ أيّاماً وكتب كتاباً آخرَ ودسَّه في الخرائط ، يذكر

فيه أنّه تناهى في العِلّة إلى ما لا يرجو معه نفْسَه . فلمّا قرأه المأمونُ قلِق وقال : يا أحمد ، إنّه لا مَدفعَ لأمر خراسان فما ترى ؟ فقال : هذا رأي[1] إن أشرت فيه بما أرى فلم أصِب لم أستقبله ، وأمير المؤمنين أعلَمُ بخدَمِه ومن يصلحُ بخراسان منهم . قال : فجعلَ المأمونُ يسمِّي رجالاً ويطعن أحمد على واحدٍ واحدٍ منهم ، إلى أن قال : فما تَرى في الأعور ؟ قال : إن كان عندَ أحدٍ قيامٌ بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده . فدعا به المأمون فعقَد له على خراسان ، وأمره أن يُعسكر ، فعسكِر بباب خراسان . ثم تعقَّب الرأيَ فعلِم أنّه قد أخطأ ، فتوقَّف عن إمضائِهِ وخشِي أن يُوحِش طاهراً بنقْضه ، فمضى شهرٌ تامٌّ وطاهر مقيم بمعسكره . ثم إنّ المأمون في السَّحر من ليلة أحدٍ وثلاثين يوماً من عَقْدِهِ له ، عقد اللواءَ لطاهرٍ ظاهراً ، وأمر بإحضار مُخارقٍ المغنّي ، فأُحضِر وقد صلّى المأمون الغداةَ مع طلوع الفجر ، فقال : يا مخارق ، أتغنّي : [من الوافر]

إذا لم تستطــع شيئاً فدعْــهُ وجــاوزْهُ إلى مــا تستطيعُ
وكيف تريدُ أن تُدعى حكيماً وأنــتَ لكلِّ ما تهوى تَبوعُ

قال : نعم . قال : هاته . فغنّاه فقال : ما صنعتَ شيئاً ، فهل تعرفُ مَن يقوله أحسنَ ممّا تقوله ؟ قال : نعم ، علويه الأعسر . فأمر بإحضاره فكأنَّه كان وراء السِّتر ، فأمره أن يغنّيَه ، فغنّاه واحتفلَ فقال : ما صنعتَ شيئاً أتعرف مَن يقوله أحسنَ ممّا تقوله ؟ قال : نعم عَمرو بن بانة شيخُنا . فأمر بإحضارِهِ فدَخَلَ في مقدار دُخول علويه ، فأمر بأن يغنِّيه الصوتَ ، فغنّاه فأحسن فقال : أحسنتَ ما شئت ، هكذا ينبغي أن يُقال ، ثم قال : يا غلام اسقِني رِطلاً واسقِ صاحبيهِ رِطلاً رطلاً . ثم دعا له بعشرة آلافِ درهم ، وخِلعةِ ثلاثة أثواب ، ثم أمره بإعادته ، فأعاده فردّ القولَ الذي قاله ، وأمر له بمثلِ ما أمر ، حتّى فعل ذلك عشراً ، وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون ثوباً . ودخلَ المؤذِّنون فأذَّنوه بالظهر ، فعقد إصبعَه الوسطى بإبهامِهِ وقال : «برقٌ يَمانٍ ، برقٌ يمانٍ» . وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرفَ مَن بحضرته من الجلساء . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، قد أنعمتَ عليّ وأحسنتَ إليّ ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لِي في مقاسمة أخويَّ ما وصل إليَّ فقد حَضَراه ؟ فقال : ما أُحسنَ ما استَمحْتَ لهما ، بل نُعطيهما نحنُ ولا نُلحِقهما بك . وأمَرَ لكلِّ واحدٍ بمثل نصف جائزة عمرو ، وبَكَر إلى طاهر فرحَّله ، فلمّا ثنى عِنانَ دابتِهِ منصرفاً دنا منه حُميدٌ الطوسيُّ فقال : اطرح على ذَنَبه تراباً . فقال : اخسَأْ يا كلب ! ونَفذ طاهرٌ لوجهه . وقدِم غسّان بن عبّاد فسأله عن علّته وسببِها ، فحلف له أنّه لم يكن عليلاً ، ولا كَتَبَ بشيء في هذا . فعلِم المأمون أنَّ طاهراً احتال عليه بابن

---

1 ل : أمر .

أبي خالد ، وأمسكَ على ذلك . فلمّا كان بعد مدّةٍ من مقدمِ طاهرٍ إلى خراسان قَطَعَ الدّعاءَ للمأمون على المِنبر يوم الجمعة ، فقال له عونُ بن مجاشعٍ بن مَسعدة صاحب البريد : لم تَدْعُ في هذه الجمعة لأمير المؤمنين ؟ فقال : سهوٌ وقع فلا تكتبْ به . وفعل مثل ذلك في الجمعة الثانية ، وقال لعون : لا تكتب به ، وفعله في الجمعة الثالثة فقال له عون : إنّ كتب التجّارِ لا تنقطع من بغداد ، وإن اتّصَلَ هذا الخبر بأمير المؤمنين مِن غيرنا لم آمَنْ أن يكون سببَ زوالِ نعمتي . فقال : اكتبْ بِما أحببت . فكتب إلى المأمون بالخبر ، فلمّا وصل كتابُه دعا بأحمدَ بن أبي خالد وقال : إنّه لم يذهب عليَّ احتيالك عليّ في أمر طاهر ، وتمويهُك له ، وأنا أُعطي اللّهَ عهداً لئن لم تَشخصْ حتّى تُوافيني بِهِ كما أخرجتَه من قَبْضَتي وتُصلِحْ ما أفسدته عليَّ من أمر مُلكي لأبِيدَنَّ غَضْراءك[1] ! فشخَص أحمدُ وجعل يتلوَّم[2] في الطريق ، ويقول لأصحاب البُرُد : اكتبوا بخبر علّةٍ أجدُها . فلمّا وصل الريَّ لقيته الأخبارُ ووافاه رسلُ طلحة بن طاهر بوفاة طاهر . فأغذَّ السّير حتّى قدِم خراسانَ ، فلقيه طلحةُ على حَدِّ غَفلة فقال له أحمد : لا تكلِّمْني ولا تُرِني وجهَك فإنّ أباك عرَّضني للعطَبِ وزوال النعمة ، مع احتيالي له وسعيي كان في محبّته . فقال له : أبي قد مضى لسبيله ولو أدركتَه لما خَرَجَ عن طاعتك ، وأمّا أنا فأحلف لك بكلِّ ما تسكن به نفسُك وأبذل كلَّ ما عندي من مال وغيرِهِ ، فاضمنْ له عنّي حسنَ الطّاعة ، وضبط الناحية ، والإخلاصَ في النصيحة . فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون ، وأشار بتقليده ، فأنفذ المأمونُ إليه اللواءَ والخلعَ والعهد ، وانصرفَ أحمد إلى مدينة السّلام .

[ابن هرمة والقرشيّ]

أخبرني وكيع قال حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : مدح ابنُ هَرْمَةَ رجلاً من قريش فلم يُثِبه ، فقال له ابنُ عمٍّ له : لا تفعل ، فإنّه شاعرٌ مفوَّه . فلم يقبلْ منه ، فقال فيه ابن هَرْمة : [من الوافر]

فهلاَّ إذْ عجزتَ عن المعالي ... وعمّا يفعل الرجلُ القريعُ[3]
أخذتَ برأي عمرٍو حين ذَكّى ... وشُبَّ لناره الشرفُ الرفيعُ
إذا لم تستطع شيئاً فدَعْه ... وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

1 الغضراء : النعمة وسعة العيش .
2 يتلوم : يتلبث .
3 القريع : السيد والرئيس .

[مما قاله في أخته ريحانة مما يتغنى به]

ومِمّا قاله عمرو بن معديكرب في ريحانة أخته ، وغُنِّيَ فيه ، قوله[1] : [من البسيط]

هاج لك الشوقُ من ريحانةَ الطربا إذْ فارقتكَ وأَمست دارها غُرُبا[2]

ما زلتُ أَحبِس يومَ البينِ راحلتي حتّى استمرّوا وأذرتْ دَمعَها سَرَبا

حتّى ترفَّعَ بالحُزّان يركُضها مثلَ المهاةِ مَرَتْه الريحُ فاضطربا[3]

والغانياتُ يقتِّلنّ الرجال إذا ضَرَّجن بالزعفرانِ الرَّيطَ والنّقَبا[4]

من كلِّ آنسةٍ لم يَغذُها عُدُمٌ ولا تشدُّ لشيءٍ صوتَها صَخَبا

إنّ الغوانِيَ قد أُهلكنني وأَرى حِبالهنَّ ضعيفات القُوى كُذُبا

غنَّى في هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقيلٍ من رواية حمّاد ، وفيه رمل نسبه حبش إليه أيضاً .

وقال الأصمعيّ : هذا الشعر لسهلِ بن الحنظليّة الغَنَوِيّ ثم الضُّبَينيّ ثم الجابريّ ، وهو جابر بن ضبينة .

قال أَبو الفرج الأصفهانيّ : وسَهل بن الحنظلية أَحدُ أَصحاب رسول الله ﷺ ، وقد روى عنه حديثاً كثيراً .

فذكر الأصمعيُّ أنّ السببَ في قولِهِ هذا الشعرَ أنّه اجتمع ناسٌ من العربِ بعُكاظ ، منهم قُرّة بن هُبيرة القشَيريّ ، في سنينَ تتابَعَتْ على النّاس ، فتواعَدُوا وتواقفوا أن لا يتغاوروا حتّى يُخصِب النّاس ثم قالوا : ابعثوا إلى المنتشر بن وهبٍ الباهليّ ثم الوائليّ فليشهدْ أمرنا ، ولنُدخلْه معنا . فأتاهم فأعلموه ما صنعوه ، قال : فما يأكل قومي إلى ذاك ؟ فقال له ابن جارمٍ الضبّيّ : إنّك لهناك يا أخا باهلة ؟ قال : أمّا أنا فالغسل والنساءُ عليَّ حرامٌ حتّى آكلَ من قَمَع إبلك . فتفرّقوا ولم يكن إلاّ ذلك . وقال ابن جارم للمنتشر عند قوله : استُك أَضيَقُ من ذاك ! فأَغارَ المنتشرُ على ابن جارم ، فلمّا رآه ابن جارمٍ رمى بنفسه في وِجارِ ضَبَع ، وأطرد المنتشرُ إبلَه ورعاءها ، فقال سهلٌ في ذلك : [من البسيط]

هاج لك الشّوقُ من ريحانـةَ الطّربا

---

1 ديوانه : 27–28 .

2 غُرُب : غريب .

3 الحزان : الغليظ من الأرض .

4 الريط : جمع ريطة وهي ملاءة بلفقين . والنقب : جمع نقبة وهي ثوب كالإزار تجعل له حجزة مطينة ويشد كما تشد السراويل .

في قصيدةٍ طويلة له حسنة . وقال في ذلك أعشى باهلة : [من الطويل]

فدًى لك نفسي إذْ تركتَ ابنَ جارمٍ أجبَّ السَّنام بعدَ ما كانَ مُصعبا[1]

وقال المخبل في ذلك : [من الطويل]

إنَّ قشيراً من لقاحِ ابن جارم كغاسلةٍ حَيضاً وليست بطاهرِ

وأنبأتماني أنَّ قُرَّةَ آمنٌ قتالاً أباه من مجيرٍ وخافرِ

فلا تُوكلوها الباهليَّ وتقعُدوا لَدى غرضٍ أرميكمُ بالنواقرِ[2]

إذا هي حلّتْ بالذِّهابِ وذي حُسًى وراحتِ خِفافَ الوطءِ حُوسَ الخواطرِ[3]

[بين الأشعث وعمرو]

أخبرنا أحمد بن عمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل ، قال حدَّثني قعنب بن المحرز قال أخبرنا الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش عن محمد بن المنتشر قال :

أخبرني مَن شهد الأشعثَ بن قيسٍ وعمرو بن معديكرب وقد تنازعا في شيءٍ ، فقال عمرٌو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونِكنا أمَّك ! فقال سعد : قُوما أُفٍّ لكما ! فقال الأشعث لعمرو : والله لأضرِّطنَّك . فقال : كلاّ إنّها عَزوزٌ موثقة .

قال جرير بن عبد الله البجليّ : فأخذتُ بيد الأشعث فنترته فوقَعَ على وجهه ، ثم أخذتُ بيد عمرٍو فجذبته فما تحلحَلَ والله ، لكأنّما حركت أسطوانة القصر .

[بين عمرو والأجلح الفهميّ]

وقال أبو عبيدة : قدِم عمرو بن معديكرب والأجلحُ بن وقّاصٍ الفهميّ على عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فأتَياه وبين يديه مالٌ يوزَن ، فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يومَ الخميس . قال : فما حبَسَكما ؟ قالا : شُغِلنا بالمنزل يوم قدِمنا ، ثم كانت الجمعة ، ثم غدونا عليكَ اليوم . فلمّا فَرَغَ من وزن المالِ نحّاه ، ثم أقبل عليهما فقال : هِيه ! فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، هذا الأجلح بن وقّاص ، شديد المِرّة ، بعيد الفرّة ، وشيكُ الكرة ، والله ما رأيت مثلَه من الرّجالِ صارعاً ومصروعاً ، والله لكأنّه لا يموت ؛ فقال عُمر للأجلح بن وقّاص ، وأقبلَ عليه : هيه . قال : وأنا أعرف الغضبَ في وجهه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ الناسُ صالحون كثير نسلُهم ، دارّة أرزاقُهم ، خصبٌ نباتُهم ، أجْرِياءُ على عدوّهم ، جبان هدوُّهم عنهم ، صالحون بصلاحِ

1 الأجب : المقطوع السنام . والمصعب : الفحل المكرم .

2 النواقر : السهام الصائبة .

3 الذهاب وذو حسى : موضعان . حوس : جمع أحوس ، هو البطيء الحركة .

إمامهم ؛ والله ما رأينا مثلَكَ إلاّ مَن تقدّمك ، فنستمتع اللهَ بك . فقال : ما منعك أن تقول في صاحبك مثلَ الذي قال فيك ؟ قال : منعَني ما رأيتُ في وجهك . قال : قد أصبتَ ، أما لو قلت له مثلَ الذي قال لك لأوجعتكُما عقوبة ، فإن تركتُك لنفْسك فسوف أتركه لك ، والله لوددتُ لو سلمتْ لكم حالُكم هذه أبداً ، أما إنّه سيأتي عليك يومٌ تعضُّه وينهشك ، وتهرُّه وينبحك ، ولستَ له يومئذٍ وليس لك ، فإنْ لَم يكن بعهدكم فما أقربهُ منكم .

[توزيع غنائم القادسية]

قال أبو عبيدة : حدَّثنا يونس وأبو الخطّاب قالا : لمّا كان يوم القادسية أُصاب المسلمون أسلحةً وتيجاناً ومناطق ورِقاباً فبلغت مالاً عظيماً ، فعزل سعدٌ الخُمْس ثم فضَّ البقية ، فأصاب الفارسَ ستّة آلاف ، والراجلَ ألفان ، فبقي مالٌ دَثْر[1] . فكتب إلى عمر رضي الله عنه بما فعل ، فكتب إليه أنْ ردَّ على المسلمين الخُمس ، وأعطِ من لَحِقَ بِك ممّن لَم يشهَد الوقعة . ففعل فأجراهم مَجرى مَن شَهِد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه أنْ فُضَّ ما بَقِيَ على حَمَلة القرآن . فأتاه عمرو بن معديكربَ فقال : ما معك مِن كتاب الله تعالى ؟ فقال : إنّي أَسلمتُ باليمن ، ثم غزوتُ فشُغِلت عن حفظ القرآن . قال : ما لك في هذا المال نصيب .

قال : وأتاه بشر بن ربيعة الخَثعَميّ ، صاحبُ جبّانة بِشر فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم . فضَحِكَ القوم منه ولم يُعطِهِ شيئاً ، فقال عمرو في ذلك : [من البسيط]

إذا قُتِلنا ولا يبكي لنا أحـدٌ قالـت قريشٌ أَلا تلك المقاديرُ
نُعطى السوِيّةَ من طَعنٍ له نَفَذٌ ولا سوِيّةَ إذ تُعطى الدّنانيرُ[2]

وقال بشر بن ربيعة : [من الطويل]

أنختُ بباب القادسِيّةِ ناقتي وسعدُ بـن وقّاصٍ علـيَّ أميرُ
وسعـدٌ أَمير شرُّه دونَ خيره وخيرُ أَميـرٍ بالعـراقِ جريرُ
وعنـد أَمير المؤمنـين نوافلٌ وعنـد المثنّى فِضّـة وحريرُ
تذكَّرْ هداكَ الله وَقْعَ سيوفِنا بباب قُدَيس والمكَـرُّ عسيرُ[3]
عشيّةَ ودَّ القومُ لو أنَّ بعضَهم يُعـار جَناحَـيْ طائـرٍ فيَطِيرُ
إذا مـا فرغنا من قِراعِ كتيبةٍ دَلَفنا لأُخرى كالجِبالِ تسيرُ

1 دثر : كثير .
2 السوية : المساواة .
3 قديس : موضع قرب القادسية .

ترى القومَ فيها واجمين كأنَّهم جمـالٌ بأحمـالٍ لهـنَّ زفيرُ

فكتب سعدٌ إلى عمر رضي الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردًّا عليه ، وبالقصيدتين ، فكتبَ أنْ أعطِهما على بلائهما . فأعطى كلَّ واحدٍ منهما ألفَيْ درهم .

قال : وحدَّثني أبو حفص السلميّ قال : كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهليّ : إنّ في جندك عَمرو بن معديكرب ، وطلحةَ بن خُويلد الأسديّ ، فإذا حضر الناسُ فأدنِهما وشاورْهما وابعثْهما في الطَّلائع ، وإذا وضعت الحربُ أوزارها فضعْهما حيثُ وضَعا أنفسَهما . يعني بذلك ارتدادهما ، وكان عمرٌو ارتدَّ وطليحةُ تنبَّأ .

[بين سلمان بن ربيعة وعمرو]

قال : وحدَّثنا أبو حفص السلميّ قال : عرضَ سَلمان بن ربيعة جُندَه بأرمينية ، فجعلَ لا يقبل إلاّ عتيقاً . فمرّ به عمرو بن معديكرب بفرسٍ غليظ ، فقال سلمان : هذا هَجين . فقال عمرو : والهجينُ يعرف الهجين ! فبلغ عمرَ رضي الله تعالى عنه قولُه فكتب إليه : «أمّا بعد فإنّك القائلُ لأميرك ما قلتَ ، وإنّه بلغني أنّ عندك سيفاً تسمِّيه الصمصامة ، وعندي سيفٌ أُسمِّيه مصمِّماً ، وأقسم لئنْ وضعتُه بين أُذنيك لا أُقلِع حتى يبلغ قِحفَك» . وكتب إلى سَلمانَ يلُومه في حلمه عنه .

[تقدير عمر له]

قال : وزعموا أنّ عَمراً شهد فتح اليرموك ، وفَتْحَ القادسية ، وفتح نهاوند مع النُّعمان بن مقرِّن المزنيّ ، وكتب عُمر إلى النُّعمان : إنّ في جندك رجُلين : عمرو بن معديكرب ، وطُليحة ابن خويلد الأسديّ من بني قُعَين ، فأحضِرْهما الحربَ وشاوِرْهما في الأمر ، ولا تولِّهما عملاً . والسلام .

صوت

[من الطويل]

خليـلَيَّ هُبّـا طالما قـد رقدتُما أَجِدَّكُمـا لا تَقضيـان كَـراكما

سأبكيكما طولَ الحياة وما الذي يـردُّ على ذي لَوعـةٍ إن بكاكما

ويروى : «ذي عولة» .

الشعر لقُس بن ساعِدَة الإيادي ، فيما أُخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ في خبرٍ أنا ذاكرُه هاهنا .

وذكر يعقوبُ بن السكِّيت أنّه لعيسى بن قُدامة الأَسَديّ .

وذكر العتبيّ أنَّه لرجل من بني عامر بن صعصعة ، يقال له الحسن بن الحارث . والغناء لهاشم بن سليمان ، ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن عمرو .

[290] ـ ذكر خبر قُسّ بن ساعدةَ ونسبه وقصّته في هذا الشعر[1]

[نسبه]

هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو ، وقيل مكان عمرو شِمْر ، بن عديّ بن مالك بن أيدعان بن النَّمر بن واثلة بن الطَّمَثان بن زيد مناة بن يقدم بن أفصى بن دُعميّ بن إياد . خطيبُ العرب وشاعرها ، وحليمها وحكيمها في عصره . يقال : إنّه أوّلُ مَن عَلا على شَرَفٍ وخطب عليه . وأوَّل مَن قال في كلامه : أمَّا بعد ، وأوّل مَن اتّكأ عند خطبته على سَيفٍ أو عصا .

وأدركه رسولُ الله ﷺ قبل النبوّة ، ورآه بعكاظ فكان يأثر عنه كلاماً سمِعه منه ، وسئل عنه فقال : «يُحشر أُمَّةً وحدَه» .

وقد سمعت خبرَه من جهاتٍ عِدّة ، إلاّ أنّه لَم يَحضُرني وقتَ كتبتُ هذا الخبر غيره ، وهو وإن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسناداً ، فهو من أتمّها .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أبو شعيب صالح بن عمران قال : حدَّثني عمر بن عبد الرحمن بن حفص النسائيّ قال : حدَّثني عبد الله بن محمد قال : حدَّثني الحسن بن عبد الله قال : حدَّثني محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : لمّا قدِم وفدُ إيادٍ على النبيّ ﷺ قال : ما فَعَلَ قُسّ بن ساعدة ؟ قالوا : مات يا رسول الله . قال : «كأنّي أنظرُ إليه بسوقِ عُكاظَ على جملٍ له أورق[2] ، وهو يتكلّم بكلامٍ عليه حلاوةٌ ما أجِدُني أحفظه» . فقال رجلٌ من القوم : أنا أحفظُه يا رسولَ الله . قال : كيف سمعتَه يقول ؟

[خطبته]

قال سمعتُه يقول : أيُّها النّاس اسمَعُوا وعُوا ، مَن عاشَ مات ، ومَن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت . ليلٌ داج ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ، بحارٌ تزخَر ، ونجومٌ تزهر[3] ، وضوءٌ وظَلام ، وبِرٌّ وآثام ، ومَطعَمٌ ومشرَب ، وملبَس ومركب . ما لي أرى النّاسَ يذهبونَ ولا

1 لقس بن ساعدة الإيادي ترجمة في البيان والتبيين 1 : 27 والشريشي 2 : 251 ومعجم المرزباني : 222 وخزانة البغدادي 2 : 88–91 وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 الأورق : الذي بلون الرماد .

3 تزهر : تتلألأ .

يرجعون ، أَرَضُوا بالمُقام فأقاموا ، أم تُرِكوا فناموا . وإلهِ قُسٍّ بن ساعدةَ ما على وجهِ الأرض دِينٌ أَفضلُ من دِينٍ قد أظلَّكم زمانُه ، وأدرَكَكم أوانه ، فطُوبى لِمَن أدرَكه ، فاتّبعه ، وويلٌ لمَن خالفه . ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

في الذّاهبــين الأوَّليــــــ ـــنَ من القُرونِ لنا بصائرْ

لمّـــا رأيـــتُ مــوارِداً للمــوت ليس لها مَصادرْ

ورأيــتُ قومــي نحوهـــا يَمضي الأصاغـرُ والأكابرْ

أيقنــتُ أنّـــي لا مَحا لةَ حيثُ صار القومُ صائرْ

فقال النبيّ ﷺ : «يرحم الله قُسّاً ، إنّي لأرجو أن يُبعَثَ يوم القيامة أُمّةً وحده» .

[مناسبة الشعر المنسوب إليه]

فقال رجلٌ يا رسول الله : لقد رأيتُ من قسٍّ عجباً . قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجبلٍ يقال له سِمعان في يومٍ شديد الحرّ ، إذْ أنا بقُسٍّ بن ساعدةَ تحت ظلِّ شجرة عند عينِ ماء ، وعنده سباعٌ ، كلّما زأر سَبْعٌ منها على صاحبه ضربَه بيده وقال : كُفَّ حتى يشرَب الذي وَرَد قبلَك . قال : ففرِقْت ، فقال : لا تَخَفْ . وإذا أنا بقبرين بينهما مسجدٌ ، فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا ، فاتّخذْتُ بينها مسجداً أعبدُ الله جلّ وعزّ فيه حتّى ألحقَ بهما . ثم ذكر أيّامهما فبكى ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

خليــلي هبّا طالما قد رقدتما أَجِــدَّكما لا تَقضِيـان كَـراكما

أَلَـم تعلما أنّي بسِمعانَ مفرَدٌ وما لِيَ فيه من حبيبٍ سِواكما

أُقيمُ على قبرَيْكما لستُ بارِحاً طَوالَ الليالي أو يجيبَ صَداكما

كأنّكما والمــوتُ أقربُ غايةٍ بجسمِيَ في قبْرَيكما قد أتاكما

فلو جُعِلت نفسٌ لنفسٍ وقايةٍ لجُدتُ بنفسي أن تكون فِداكما

فقال النبيّ ﷺ : «يرحم الله قُسّاً» .

وأمّا الحكاية عن يعقوب بن السِّكِّيت أنّ الشعر لعيسى بن قُدامة الأسديّ فأخبرني بها عليّ بن سليمان الأخفش ، عن السكونيّ قال : قال يعقوب بن السِّكِّيت : قال عيسى بن قُدامة الأسديُّ ، وكان قدِم قاسان ، وكان له نديمان فماتا ، وكان يجيءُ فيجلس عند القبرين ، وهما براوَند ، في موضعٍ يقال له خُزاق ، فيشرب ويصبُّ على القبرين حتّى يقضيَ وطرَه ، ثم ينصرف وينشد وهو يشرب : [من الطويل]

خليــليَّ هُبَّــا طالمــا قــد رقدتُما ... أَجَــدَّكما لا تقضيــان كـــراكما
أَلَـم تعلمــا مــا لي براوَنــد هــذهِ ... ولا بخُــزاقٍ مـــن نديــمٍ سواكما
مقيــمٌ على قبرَيكمــا لستُ بارِحاً ... طَــوالَ الليــالي أَو يجيبَ صداكما
جَرى الموتُ مجرى اللحمِ والعظمِ منكما ... كأنّ الذي يَسقِــي العُقــارَ سَقاكما
تحمَّلَ مَــنْ يَهوى القُفولَ وغادَروا ... أخاً لكما أَشجاه مــا قــد شجاكما
فــأَيُّ أَخٍ يجفــو أَخــاً بعـد موتِهِ ... فلستُ الذي من بعـدِ موتٍ جفاكما
أُصــبُّ على قبريكمــا مــن مُدامةٍ ... فــإلاّ تذوقــا أُروِ منهــا ثَراكما
أُناديكمــا كيمــا تجيبــا وتَنطقا ... وليس مجابــاً صوتُــهُ مَن دعاكما
أَمِن طَــوالِ نــومٍ لا تُجيبانِ داعياً ... خليــليَّ مــا هـذا الذي قد دهاكما
قضَيــتُ بأنِّــي لا محالــةَ هالِـكٌ ... وأنِّــي سيعروني الذي قـــد عراكما
سأبكيكما طــولَ الحياةِ وما الذي ... يــردُّ على ذي عَولــةٍ إنْ بكاكما

وأخبرني ابن عمّار أبو العبّاس أَحمد بن عبيد الله بخبر هؤلاء ، عن أَحمد بن يحيى البَلاذُريّ قال : حدَّثنا عبد الله بن صالح بن مُسلم العجليّ قال : بلغني أنَّ ثلاثةَ نفرٍ من أَهلِ الكوفة كانوا في الجيش الذي وجَّهه الحجّاج إلى الدَّيلم ، وكانوا يتنادمون لا يُخالِطون غيرَهم . فإنَّهم لعَلى ذلك إذْ ماتَ أَحدُهم فدفنه صاحباه ، وكانا يشربان عند قبره ، فإذا بلغَه الكأسُ هَراقاها على قبره وبكيا . ثم إنّ الثانِيَ مات فدفنه الباقي إلى جَنْبِ صاحبه ، وكان يجلُس عند قبريهما فيشرب ويصبُّ الكأسَ على الذي يليه ثم على الآخر ويبكي ، وقال فيهما :

نديمي هُبّا طالما قد رقدتما

وذكر بعضَ الأبيات التي تقدّم ذكرها . وقال مكان «براوند» هذه : «بقزوين» ، وسائر الخبر نحو ما ذكرناه . قال ابن عمّار : فقبورهم هناك تُعرف بقبور الندماء .

وذكر العُتبيّ عن أبيه أنّ الشِّعر للحزين بن الحارث ، أَحد بني عامر بن صعصعة ، وكان أَحدُ نديميه من بني أسد والآخرين من بني حَنيفة ، فلمّا مات أَحدُهما كان يشرب ويصبُّ على قبره ويقول : [من الرمل]

لا تصردْ هامــةً مــن كأسها ... واسقِهِ الخمرَ وإن كان قُبِرْ[1]

1 صرد : قطع الشراب أو قلّله .

كان حُرّاً فهــوى فيمن هوى كلُّ عودٍ ذي شُعوب ينكسرْ

قال : ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما وينشد : [من الطويل]

خليليَّ هبّا طالما قــد رقدتما . . . .

الأبيات .

قال : ثم قالت له كاهنةٌ : إنَّك لا تموت حتّى تنهشَك حيّةٌ في شجرةٍ بوادِي كذا وكذا . فورد ذلك الوادِيَ في سفر له وسأل عنه فعرَفَه ، وقد كان خَطَّ[1] في أصل شجرة ، ومدّ رجلَه عليها ، فنهشتْه حيّة فأنشأ يقول : [من الطويل]

خليــليَّ هذا حيثُ رمسِي فعرِّجا عــليَّ فإنِّــي نــــازلٌ فمعرِّسُ
لبِستُ رداءَ العيش أَحْوى أجرُّه الـ ـعَشيّاتِ حتّى لَم يكنْ فيه مَلبِسُ[2]
تركتُ خِبائي حيثُ أُرسى عمادَه عليَّ ، وهذا مَرمَسِي حيث أُرمَسُ
أَحَتْفِي الذي لا بــدَّ أنَّكَ قاتِلِي هَلمَّ فمــا في غابر العيش مَنْفَسُ
أَبعــدَ نديمـــيَّ اللذَّيْــنِ بعاقــلٍ بكيتُهمــا حــولاً مَدًى أَتوجَّسُ

1 أي خطّ لنفسه قبراً .

2 أحوى : أسود الشعر .

[291] ـ ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

[نسبه]

هو هاشم بن سليمان مولى بني أميّة ، ويكنى أبا العبّاس ، وكان موسى الهادي يسمِّيه أبا الغَريض . وهو حَسَن الصنعة عزيزها ، وفيه يقول الشاعر : [من السريع]

يــا وَحشتي بعدك يا هاشمُ غِبتَ فشجوي بِك لِـي دائمُ
اللهــوُ واللــذّةُ يــا هاشمُ مـا لَـم تكـن حاضرَه مأتَمُ

أُخبرني علي بن عبد العزيز قال حدَّثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرداذبه قال : كان موسى الهادي يميل إلى هاشم بن سليمان ويمازحُه ، ويلقّبه أبا الغريض .

[غناؤه لموسى الهادي]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد قال : بلغني أنّ هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادي فغنّاه : [من مجزوء الكامل]

صوت

لــو يُرسِلِ الأَزْلُ الظِّبـا ء تَـرودُ ليس لهـنَّ قائدْ[1]
لتَيَمَّمَتْــك تدُلُّهـــا رَيّــاكَ للسُّبُـل المــواردْ
وإذا الرّيــاحُ تنكَّــرتْ نُكْباً هواجرهــا صَوارِدْ[2]
فالنّـــاس سائلـــةٌ إليـــ ـكَ فصادِراً تُغني ووارِدْ[3]

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفيّ ، يقوله في الوليد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لهاشم بن سليمان ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

فطرب موسى ، وكان بين يديه كانونٌ ضخمٌ عليه فحم ، فقال له : سَلْنِي ما شئت . قال : تملأ لِي هذا الكانونَ . فأمَر له بذلك ، وفرِّغ الكانونُ فوسِعَ ستَّ بُدور ، فدفعها إليه .

وقد أُخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مهرويه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن أبي تَوبة ، عن محمد بن جَبْر ، عن هاشم بن سليمان قال : أصبح موسى أمير المؤمنين يوماً وعنده جماعةٌ منّا ، فقال : يا هاشم غنِّني : [من الكامل]

أَبَهارُ قــد هَيَّجتِ لِي أَوجاعا

1 الأزل : الشدّة والضيق .
2 النكب : جمع نكباء وهي الريح المائلة عن أي الجهات الأربع . والصوارد : البوارد .
3 سائلة : كثيرة الورود .

فإن أصبتَ مُرادِي فيه فلك حاجةٌ مقضيّة . فغنّيته فقال : قد أُصبتَ وأُحسنت سَلْ حاجتَك . فقال : يا أمير المؤمنين تأمُر أن يُملأ هذا الكانون دراهمَ . قال : وبين يديه كانونٌ عظيم ، فأمر به فملىء فوسع ثلاثين ألف درهم ، فلمّا حَصَّلتها قال : يا ناقصَ الهمَّة ، والله لو سألتني أن أملأه دنانيرَ لفعلت . فقلت : أقِلْنِي يا أمير المؤمنين . فقال : لا سبيل إلى ذلك فلم يُسْعِدك الجَدُّ بِهِ .

نسبة هذا الصوت[1]

[من الكامل]

أَبهارُ قـد هيَّجـتِ لِي أُوجاعا وتركتِنـي عبـداً لكـم مِطواعا
بحديثك الحسنِ الذي لـو كُلِّمتْ وَحشُ الفـلاةِ بـهِ لَجئنَ سِراعا
وإذا مـررتُ على البَهارِ منضَّدا في السُّوق هَيَّجَ لِـي إليكِ نزاعا
والله لَـو عَلِـم البَهـارُ بأنَّها أضحَـتْ سميَّتَـه لصار ذِراعا

الغناء لهاشم ، ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ، وفيه ثقيل أوّل بالبنصر ، ينسب إلى إبراهيم الموصليّ ، وإلى يحيى المكّيّ ، وإلى إسحاق .

[مجلس غناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا : حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني بعض أصحابنا قال : كنّا في منزل محمد بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس ، وكان عالِماً بالغناء والفِقه جميعاً ، وقد كان يحيى بن أكثم وصَفَه للمأمون بالفقه ، ووصَفَه أحمد بن يوسف بالعِلم بالغناء ، فقال المأمون : ما أعجَبَ ما اجتمع فيه : العِلم بالفقه والغناء ! فكتبتُ إلى إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ أن يتحوّلَ إلينا وكان في جوارِنا ، وعندنا يومئذٍ محمد بن أيّوب بن جعفر بن سليمان ، وذُكاءُ وصغيرٌ غلاما أحمد بن يوسف الكاتب . فكتب إلينا إسحاق : جُعِلتُ فداءكم ، قد أخذت دواءً ، فإذا خرجتُ منه حَملتُ قِدري وصرتُ إليكم . وكتب في أسفل كتابِهِ : [من الرجز]

أنا شماطيط الذي حُدِّثتَ بِهِ مَتـى أُنبَّـه للغَـداءِ أنتبهْ
ثـم أُدور حولَـه وأحتبِـهْ حتّى يقـال شَرِهٌ ولستُ بِـهْ

ثم جاءنا ومعه بُدَيح غلامه ، فتغدَّينا وشربنا ، فغنّى ذكاء غلام أحمد بن يوسف : [من الكامل]

أبهارُ قـد هيّجتِ لِي أُوجاعا

فسأله إسحاق أن يعيدَه فأعاده مِراراً ، ثم قال له : مِمَّن أخذت هذا ؟ فقال : من مُعاذ بن

1 الشعر للمؤمل بن أميل المحاربي (معجم المرزباني : 298–299) .

الطَّبيب . قال : والصنعة فيه له . فقال له إسحاق : أُحبُّ أن تُلقيَه على بُديح . ففعل . فلمّا صُلِّيَت العِشاءُ انصرفَ ذكاء ، وقعد أبو جعفرٍ يشرب ، يعني مولاه ، وعنده قومٌ ، وتخلّف صَغِير فغنّانا ، فقال له إسحاق : أنت والله يا غُلام ماخوريٌّ . وسكر محمد بن إسماعيل في آخر النَّهار فغنّانا : [من المتقارب]

هبوني أغُضُّ إذا ما بـدت ... وأملِكُ طـرفي فَـلا أنظرُ

فقال إسحاق لمحمد بن الحسن : آجَرَكَ الله في ابن عَمِّك ! أي قد سَكِرَ فأقدَمَ على الغناء بحضرتي .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من المتقارب]

هَبُونِـي أغُضُّ إذا مـا بَدَتْ ... وأملِـكُ طَـرفي فـلا أنظُرُ
فكيف احتيالي إذا ما الدّموعُ ... نَطقنَ فبُحـنَ بمـا أضمِرُ
أيـا مَـن سروري بِهِ شقوةٌ ... ومَن صفوُ عيشي بِـهِ أكدرُ
أمنّي تخاف انتشارَ الحديثِ ... وحظِّـيَ في سَترِهِ أوفَـرُ
ولـو لَـم أصُنْه لِبُقْيا عليك ... نظـرتُ لنفسي كما تنظـرُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء للزُّبير بن دُحمان ، ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو في الأبيات الثلاثة الأوّل . وفيها لعمرو بن بانة ماخوريّ . وفي : [من المتقارب]

أيـا مَـن سُروري بِهِ شِقوةٌ

لسُلَيم هَزَج . وفيه ثاني ثقيل ينسَب إلى حُسَين بن محرز ، وإلى عبّاس مِنقار .

صوت

[من الرجز]

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زِيَمْ ... قـد لَفَّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ
ليسَ براعِـي إبـلٍ ولا غَنَمْ ... ولا بجَـزّارٍ على ظهـرِ وَضَمْ

عروضه من الرجز . الشعر لرُشَيد بن رُمَيض العَنزِيّ يقوله في الحُطَم ، وهو شُريح بن ضُبيعة ، وأُمّه هندُ بنت حسّان بن عمرو بن مَرثد ، والغناء ليزيد حوراء ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنّه لأحمد المكّيّ .

---

1 ديوان العباس بن الأحنف : 170–171 .

292 ـ [الحطم والعلاء الحضرمي]

[الحطم ونجاته]

قال أبو عبيدة : كان شُريح بن ضُبيعة غزا اليمنَ في جموعٍ جَمَعها من ربيعة ، فغنَم وسبَى بعد حرب كانت بينه وبين كِندة ، أسر فيها فُرعان بن مهديّ بن معديكرب عمّ الأشعث بن قيس ، وأخذَ على طريق مفازةٍ فضلَّ بهم دليلُهم ثمّ هرب منهم وماتَ فُرعان في أيديهم عطَشاً ، وهلكَ منهم ناسٌ كثير بالعطش . وجعل الحُطمُ يسوق بأصحابه سَوقاً عنيفاً . حتى نَجَوْا ووردُوا الماء . فقال فيه رُشَيد : [من الرجز]

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّي زِيَمْ ليسَ براعــي إبلٍ ولا غَنَمْ[1]

ولا بجــزّارٍ على ظهــرِ وضَمْ نامَ الحداةُ وابن هنــدٍ لم يَنَمْ[2]

باتتْ يقاسِيها غــلامٌ كالزُّلَم خَدلَّج السَّاقين خفّاقُ القدَمْ[3]

قد لَفَّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ

فلُقِّب يومئذٍ «الحُطَم» لقول رُشيدٍ هذا فيه .

وأدرك الحطمُ الإسلام فأسلم ، ثم ارتدَّ بعد وفاة رسول الله ﷺ .

[إسلام الجارود بن المعلّى]

حدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ قال حدَّثنا عبد الله بن سعد الزهريّ قال أخبرنا عمّي يعقوب قال : أخبرني سيف قال : خرج العلاء بن الحضرميّ نحو البحرين ، وكان من حديث البحرين أنَّ رسول الله ﷺ لّما ماتَ ارتدّوا ففاءت عبدُ القيس منهم ، وأمّا بكر فتمَّت على ردّتها . وكان الذي ثَنى عبدَ القيسِ الجارودَ بن المعلّى .

فذكر سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم [عن الحسن بن أبي الحسن قال[4] : قدم الجارود بن المعلّى على النبيّ ﷺ مُرتاداً ، وقال : أسلِمْ يا جارود . فقال : إنَّ لي دِيناً . فقال له النبيّ ﷺ : إنّ دِينك يا جارود ليسَ بشيء ، وليسَ بدِين . فقال له جارود : فإن أنا أسلمْتُ فما كان مِن تبعةٍ في

1 زيم : قيل إنه اسم فرس وقيل إنه الغارة . وقد جرى هذا الشطر مجرى المثل . انظر مجمع الميداني 2 : 391 وفصل المقال : 404 وجمهرة العسكري 2 : 352 ومستقصى الزمخشري 2 : 385 .

2 الوضم : كل ما يوضع عليه اللحم .

3 الزلم : السهم . وخدلج الساقين : عظيمهما .

4 انظر تاريخ الطبري : حوادث سنة 11 .

الإسلام فعليك ؟ قال : نعم . فأسلم وأقام بالمدينة حتّى فَقُه .

[المنذر الغرور]

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا محمد بن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل عن أبي إسحاق قال : اجتمعت ربيعةُ بالبحرين ، فقالوا : رُدُّوا الملكَ في آل المنذر ، فملَّكوا المنذر بن النُّعمان بن المنذر ، وكان يسمَّى الغَرُور ، ثم أُسلم بعد ذلك وقال : لستُ بالغَرور ولكنّي المغرور .

[ارتداد الحُطم]

حدَّثنا محمد بن جرير قال : حدَّثنا عبد الله بن سعد قال : أخبرني عمِّي قال أخبرنا سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم عن عُمَير بن فلان العبديّ قال : لمّا ماتَ رسول الله ﷺ خرج الحُطَم من ضُبَيعة ، في بني قيس بن ثعلبة ومن اتَّبعه من بكر بن وائلٍ على الردّة ، ومَن تأشَّبَ إليه[1] من غير المرتدِّين ممّن لَم يزَلْ كافراً ، حتّى نزل القطيف وهَجَر ، واستغوى الخَطَّ ومَن كان بهما من الزُّطّ والسيابجة ، وبعثَ بعثاً إلى دارين فأقاموا له ليجعلَ عبد القَيس بينهم وبينه ، وكانوا مخالِفين له يُمدّون المنذر والمسلمين . وأرسل إلى الغَرور بن سويد بن المنذر بن أُخي النُّعمان بن المنذر ، فقال له : اثبت فإنّي إنْ ظفرتُ ملّكتك البحرين ، حتّى تكون كالنُّعمان بالحِيرة . وبعث إلى رواثا وقيل إلى جُوُاثا ، فحاصرهم وألَحّ عليهم ، فاشتدَّ الحِصار على المحصورين من المسلمين ، وفيهم رجلٌ من صالحي المسلمين يقال له عبد الله بن حَذَف ، أحد بني أبي بكر بن كِلاب ، فاشتدّ عليه وعليهم الجوعُ حتّى كادوا يَهلِكون ، فقال عبد الله بن حَذَف : [من الوافر]

أَلا أبلـغْ أَبـا بكـرٍ رسولاً وفتيـانَ المدينــةِ أجمعينـا

فهــلْ لكُــم إلى قــومٍ كرامٍ قُعــودٍ في جُوُاثــا مُحصَرِينا

كأنَّ دماءهــمْ في كلِّ فــجّ شُعاعُ الشَّمسِ يُعشي النّاظرينا

توكَّلْنــا عــلى الرَّحمــن إنّا وجَدنــا النَّصــرَ للمتوكّلينا

[قتال المرتدّين بالبحرين]

حدَّثني محمد بن جرير قال كتب إليّ السريّ بن يحيى عن شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن الصقعب بن عطيّة بن بلال ، عن سهم بن مِنجاب ، عن منجاب بن راشد قال[2] : بعث أبو بكرٍ العلاءَ بن الحضرميّ على قِتال أهل الردّة بالبحرين ، فتلاحَقَ بِهِ مَن لَم يرتدّ من

---

1 تأشّب : تجمّع .

2 تاريخ الطبري 3 : 306 . وقد أورد صاحب التذكرة الحمدونية هذا الخبر نقلاً عن تاريخ الطبري والأغاني (9 : 178–181) .

المسلمين ، وسلك بنا الدَّهناء حتّى إذا كنّا في بُحبوحتها أراد الله عزّ وجلّ أن يُرِيَنا آية ، فنزل العلاءُ وأمرَ النّاسَ بالنّزولِ ، فنفرت الإبلُ في جوف الليل ، فما بقي بعيرٌ ولا زادٌ ولا مَزاد ولا بِناءُ ، يعني الخيم قبل أن يحطُّوا ، فما علمت جمعاً هجم عليه من الغمِّ ما هَجَمَ علينا ، وأوصى بعضُنا إلى بعض ، ونادى منادي العلاء : اجتمِعُوا . فاجتمعنا إليه فقال : ما هذا الذي ظَهَرَ فيكم وغلبَ عليكم ؟ فقال النّاس : وكيفَ نلام ونحنُ إن بَلَغْنا غداً لم تحمَ شمسُه حتّى نصيرَ حديثاً . فقال : أيُّها النّاس ، لا تُراعوا ، ألستم مسلمين ؟ ألستم في سبيل الله ؟ ألستم أنصارَ الله ؟ قالوا : بلى . قال : فأبشِروا ، فوالله لا يخذُل الله تبارك وتعالى مَن كان في مثلِ حالكم . ونادى المنادِي بصلاة الصُّبح حينَ طلع الفجر ، فصلَّى بنا ، ومنّا المتيمّم ومنّا مَن لم يزلْ على طَهوره ، فلمّا قضى صلاتَه جثا لركبتيه ، وجثا الناس معه ، فنُصِبَ[1] في الدّعاء ونَصِبوا فلمع لهم سرابٌ فأقبلَ على الدّعاء ، ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد : ماء . فقام وقام النّاسُ فمشينا حتّى نزلنا عليه فشرِبنا واغتسَلنا ، فما تعالى النّهارُ حتّى أقبلت الإبل من كلِّ وجه وأناخت إلينا ، فقام كلُّ رجلٍ إلى ظهره فأَخذَه ، فما فقدنا سِلكاً ، فأرويناها العَلَلَ بعد النَّهل وتروّينا ثم تروَّحنا .

وكان أبو هريرةَ رفيقي ، فلمّا غِبْنا عن ذلك المكانِ قال لِي : كيف عِلمُكَ بموضع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا أهدى النّاس بهذه البلاد . قال : فكُرَّ معي حتى تُقيمَني عليه . فكررتُ بِهِ فأنخت على ذلك المكان بعينه ، فإذا هو لا غديرَ بِهِ ، ولا أَثَرَ للماء . فقلت له : والله لولا أنّي لا أرى الغديرَ لأخبرتك أنَّ هذا هو المكان ، وما رأيتُ بهذا المكان ماءً قبل ذلك . فنظر أبو هريرة فإذا إداوةٌ مملوءة فقال : يا سهمُ ، هذا والله المكانُ ولهذا رجعتُ ورجعت بِك . وملأتُ إداوتي هذه ثم وضعتها على شفير الوادِي فقلت : إن كان مَنّاً من المنّ وكانت آيةً عرفتها ، وإن كان غِياثاً عرفته . فإذا مَنٌّ من المنّ وحمِدت الله جلّ وعزّ . ثمّ سرنا حتّى نزلنا هجر فأرسل العلاءُ إلى الجارود ورجلٍ آخر : أن انضمّا في عبد القيس حتّى تنزلا على الحُطَم ممّا يليكما . وخرج هو فيمن معه وفيمن قدِم عليه حتى ينزل ممّا يَلي هجر . وتجمّعَ المسلمون كلّهم إلى العلاء بن الحضرميّ ، ثم خندقَ المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويَرجِعون إلى خندقهم ، فكانوا كذلك شهراً . فبينا النّاسُ ليلةً كذلك إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاءَ شديدة ، فكأنّها ضوضاءُ هزيمة . فقال العلاء : مَن يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله بن حذَف : أنا آتيكم بخبر القوم ، وكانت أُمُّه عِجْلِيّة ، فخرج حتّى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له : مَن أنت ؟ فانتسب لهم وجعل ينادي يا أبجراه ! فجاء أبجر بن

---

1 نصب في الدعاء : تعب واجتهد .

بُجَير فعرفه فقال : ما شأنك ؟ فقال لا أُضيعنَّ الليلةَ بين اللَّهازِم ، علامَ أُقتَل وحولي عساكِرُ من عجل وتَيم اللات وعَنَزة وقيس ؟ أيتلاعبُ بِي الحُطَم ونُزّاعُ القبائل وأنتم شهود ؟ فتخلَّصه وقال : واللهِ إنِّي لأظنّك بئسَ ابن الأخت لأخوالك الليلةَ . دعني من هذا وأطعمني ، فقد مِتُّ جوعاً . فقرب إليه طعاماً فأكل . ثم قال : زوِّدني واحمِلني وجوِّزْني انطلق إلى طِيّتي . ويقول ذلك لرجلٍ قد غلبَ عليه الشراب ، ففعل وحمَله على بعير وزوّده وجوَّزه . وخرج عبدُ الله حتّى دخل عسكر المسلمين ، فأخبرهم أنّ القومَ سُكارى ، فخرج القومُ عليهم حتى اقتحموا عَسكَرهم فوضعوا فيهم السيوفَ حيث شاءوا ، واقتحموا الخندقَ هُرّاباً ، فمُترَدٍّ وناجٍ ، ودَهِشٌ ومقتولٌ ، ومأسور . واستولى المسلمون على ما في العسكر ، ولم يُفلت رجلٌ إلاّ بما عليه . فأمّا أبجر فأفلتَ ، وأمّا الحُطَم فإنّه بَعِلٍ[1] ودُهِش وطار فؤاده ، فقام إلى فرسِهِ والمسلمون خِلالهم يَجُوسونهم ليَركبه ، فلمّا وضع رِجلَه في الرّكاب انقطع ، فمرّ به عفيف بن المنذر أحَد بني عمرو بن تميم ، والحطم يستغيث ويقول : ألا رجلَ من بني قيس بن ثعلبة يَعقِلني ؟ فرفع صوتَه فعرفه عفيفٌ فقال : أبو ضبيعة ؟ قال : نعم . قال : أعطِني رجلَكَ أعقلك . فأعطاه رجلَه يعقلُها فنفحَها فأطنَّها[2] من الفخذ وتركه ، فقال : أجهِزْ عليّ . فقال : إنِّي لأُحبُّ أن لا تموتَ حتى أمِضَّك . وكان مع عفيف عِدّةٌ من ولدِ أبيه فأُصيبوا ليلتئذٍ ، وجعل الحطم يطلب مَن يقتله ، يقول ذلك لِمَن لا يعرفه ، حتّى مرَّ به قيس بن عاصم فقال له ذلك فعرفَه ، فمالَ عليه فقتله . فلمّا رأى فخذَه نادرة[3] قال : واسوأتاه ! لو عرفتُ الذي به لم أُحرِّكْه . وخرج المسلمون ، بعد ما أحرزُوا الخندق ، على القوم يطلبونهم ، فاتّبعوهم فلحق قيسُ بن عاصم أبجرَ ، وكان فرس أبجر أقوى من فرسِ قيس ، فلمّا خَشِي أن يفوتَه طعنَه في العرقوب فقطَع العصبَ وسَلِم النَّسا . فقال عفيفُ بن المنذر في ذلك : [من الطويل]

فإن يرقأ العرقوبُ لا يرقأ النَّسا ... وما كلُّ مَن تلقى بذلك عالمُ[4]

ألم تَـرَ أنّا قـد فللنا حُماتَهم ... بأسرةِ عمرٍو والرِّباب الأكارِمُ[5]

وأسر عفيف بن المنذر ، الغرورَ بن أخي النُّعمان بن المنذر ، فكلّمته الرِّباب فيه وكان ابنَ أختهم وسألوه أن يُجيره ، فجاء به إلى العلاء قال : إنِّي أجرته . قال : ومَن هو ؟ قال :

1 بعل : دهش وفرق .

2 نفحه بالسيف : تناوله من بعيد أو ضربه بطائفة منه . وأطنها : قطعها .

3 نادرة : ساقطة .

4 رقأ : انقطع .

5 فللنا في ل : قتلنا .

الغرور . قال العلاء : أنتَ غررتَ هؤلاء ؟ قال : أيُّها الملك إنّي لست بالغَرور ، ولكنّي المغرور . قال : أسلِمْ . فأَسْلَمَ وبقِيَ بهجَر . وكان الغَرور اسمَه ، ليس بلقبٍ . وقتل العفيف أيضاً المنذرَ بن سويد أخا الغرور لأمّه ، وكان له يومئذٍ بلاءٌ عظيم فأَصبح العلاء يقسِّم الأنفال ، ونفَّل رجالاً من أهلِ البلاء ثياباً فكان فيمن نَفَّل عفيفُ بن المنذر ، وقيسُ بن عاصم ، وثُمامة بن أُثال . فأمّا ثُمامة فنفّل ثياباً فيها خَميصة[1] ذات أَعلام ، وكان الحُطَم يُباهِي فيها . وباع الباقي ، وهرَبَ الفَلّ إلى دارِينَ فركبوا إليها السُّفن ، فجمعَهم الله عزّ وجلّ بها . وندبَ العلاءُ النّاسَ إلى دارِينَ ، وخطبهم فقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد جمعَ لكم أَحزابَ الشيطان ، وشُذَّاذ الحرب في هذا اليوم ، وقد أَراكم من آياتِهِ في البرِّ لتعتبروا بها في البحر ، فانهضُوا إلى عدوّكم ثم استعرِضوا البحرَ إليهم ، فإنَّ الله جلّ وعزّ قد جمعهم بِهِ . فقالوا : نفعلُ ولا نَهاب واللهِ بعدَ الدّهناء هَولاً ما بقينا ! فارتحلَ وارتحلوا حتّى أَتى ساحلَ البحر فاقتحموا على الخيلِ ، هم والحَمولة والإبلُ والبِغال ، الراكب والرّاجِل ، ودعا ودعَوا . وكانَ دعاؤه دعاؤهم : يا أَرحَمَ الراحمين ، يا كريمُ يا حليم ، يا صمدُ يا حيُّ يا محيي الموتى ، يا حيُّ يا قيّوم ، لا إلاه إلاّ أنتَ يا ربّنا . فأَجازوا ذلك الخليجَ بإذن الله ، يمشُون على مثل رملةٍ مَيثاء[2] فوقها ماءٌ يغمرُ أخفافَ الإبل ، وبين الساحل ودارينَ مسيرةُ يومٍ وليلةٍ لسُفُن البحرِ . ووصلَ المسلمون إليها فما تَركوا من المشركين بها مُخبِراً ، وسَبَوا الذّراري ، واستاقُوا الأموالَ . فبلغ من ذلك نَفَل الفارسِ من المسلمين ستّة آلاف ، والرّاجِل ألفين . فلمّا فرغُوا رَجعوا عَودَهم على بَدئِهم ، وفي ذلك يقول عَفيف : [من الطويل]

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ اللهَ ذلَّـلَ بحـرَه ... وأَنزَلَ بالكُفَّارِ إحدى الجلائلِ

دعَونا الذي شَقَّ البحارَ فجاءَنا ... بأَعجَبَ مِن شقّ البحارِ الأوائلِ

وأقفَلَ العلاءُ النّاسَ إلاّ من أَحبَّ المُقام . فاختار ثُمامة بن أثال الذي نفّله العلاء خميصةَ الحُطَم حين نزل على ماءٍ لبني قيس بن ثعلبة ، فلمّا رأوه عَرَفوا الخميصة فبعثوا إليه رجلاً فسأَلوه : أهو الذي قتل الحُطَم ؟ قال : لا ، ولودِدتُ أنّي قتلته . قال : فأنّى لك حُلّته ؟ قال : نُفِّلتها . قالوا : وهل يُنفَّل إلاّ القاتل . قال : إنّها لم تَكُن عليه إنّما كانت في رَحلِه . قالوا : كذبت . فقَتَلوه . وكان بهجرٍ راهبٌ فأسلَمَ فقيل له : ما دَعاكَ إلى الإسلامِ فقال : ثلاثة أشياءَ خشيتُ أن يمسخني الله بعدها إن أنا لَم أفعلْ : فَيْضٌ في الرِّمال ، وتمهيدُ أثباج البحور ،

1 الخميصة : كساء مربّع له علمان أو ملاءة من صوف أو خزّ معلّمة .

2 ميثاء : أرض سهلة .

ودعاءٌ سمعته في عسكرهم في الهواء من السَّحر . قالوا : وما هو ؟ قال : اللهمَّ إنّك أنتَ الرحمن الرحيم ، لا إله غيرَك ، والبديع ليس قبلَكَ شيء ، والدّائم غيرُ الغافل ، والحيُّ الذي لا يموت ، وخالِقُ ما يُرى وما لا يُرى ، وكلَّ يومٍ أنتَ في شأن ، وعَلِمْتَ اللهمّ كلَّ شيء بغيرِ تعليم» . فعلمتُ أنَّ القومَ لم يُعاوَنوا بالملائكة إلاّ وهم على أمرِ الله جلّ وعزّ .

فلقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ يسمعون هذا من ذلك الهجريّ بعد .

صوت[1]

[من الخفيف]

يـا خليليَّ مـن مَلامٍ دعاني ... وألِمـَّا الغـداةَ بـالأظعانِ
لا تَلوما في آلِ زينبَ إنّ الـ ... ـقلبَ رهـنٌ بآلِ زينبَ عانِ
لَم تَدعْ للنِّساءِ عندي نَصِيباً ... غيرَ مـا قلتُ مازِحـاً بلساني

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ، خفيف رمل بالبنصر . وهذا الشعر يقوله في زينب بنت موسى ، أخت قُدامة بن موسى الجمحيّ .

1 ديوان عمر : 416 .

293 ـ [عمر بن أبي ربيعة وزينب بنت موسى]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، قال : حدَّثني قُدامة بن موسى قال : خرجتُ بأُختي زينبَ بنت موسى إلى العُمرة ، فلمّا كنتُ بسَرِف لقيَني عمرُ بن أبي ربيعة على فرسٍ فسلَّم عليَّ ، فقلت : إنّي أراك متوجِّهاً يا أبا الخطّاب ؟ قال : ذُكرت لي امرأةٌ من قَومي بَرْزَة الجمال ، فأردت الحديث معها . قلت : أما علمتَ أنّها أُختي ؟ قال : لا والله . واستحيا وثَنى عنقَ فرسِهِ راجعاً إلى مكّة .

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثني الزُّبير : قال حدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريّ قال : نسَبَ[1] ابن أبي ربيعة بزينبَ بنت موسى الجمحيّ ، أُخت قُدامة بن موسى ، فقال :

يــا خليليَّ مــن ملامٍ دَعاني

وذكر البيتين وبعدهما : [من الخفيف]

لم تَدَعْ للنِّساء عندي نصيباً غيرَ مــا قلتُ مازِحاً بلساني

فقال له ابن أبي عتيق : أمّا قلبك فمغيَّب عنّا ، وأمّا لسانُكَ فشاهِدٌ عليك .

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني الزُّبير قال : قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريّ : لمّا نسَب عمر بن أبي ربيعة بزينب قال : [من الخفيف]

لَم تَدَعْ للنِّساء عندِي نصِيباً غيرَ مـا قلتُ مازِحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق : رضِيت لها بالمودَّة ، وللنساءِ بالدَّهفشَة .

قال : والدهفشة : التجميش والخديعة بالشيء اليسير .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال : حدَّثنا الزُّبير قال : أخبرني مثلَ ذلك عبدُ الملك بن عبد العزيز ، عن يوسف بن الماجِشون قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السهميّ فأنكره ، فقيل لابن أبي عتيق : أبو وداعة قد اعترضَ لعمر بن أبي ربيعة دونَ زينبَ بنت موسى الجمحيّ وقال : لا أُقِرُّ له أن يذكرَ في الشعر امرأةً من بني هُصَيص . فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ من سمرقند على أهلِ عدن .

قال عبد الملك : وفيها يقول أيضاً عمر[2] : [من الخفيف]

طــالَ عن آلِ زينبَ الإعراضُ للتعـزّي ومـا بِنـا الإبغاضُ

1 ل : تشبب .

2 ديوان عمر : 226 .

ووليداً قــد كان عُلِّقها القلـ ـبُ إلى أنْ عَلا الرؤوسَ البياضُ[1]

حبلُها عندنـا مَتـينٌ وحَبلِي عندَها واهنُ القــوى أنقاضُ

غنّاه ابن محرز خفيف رمل بالبنصر عن حبش . وفيها يقول أيضاً : [من الخفيف]

صوت[2]

أيّهـا الكاشِح المعيِّـر بـالصُّـ ـمِ ترحْـزَحْ فمـا بِهـا الهِجرانُ

لا مطـاعٌ في آلِ زينبَ فارجِـعْ أو تكلَّـمْ حتّـى يمـلَّ اللِّسانُ

فاجعلِ اللّيلَ مَوعِـداً حِينَ يمسي ويُعفِّـي حديثَنـا الكتمـانُ

كيف صبرِي عن بَعْضِ نفسي وهل يَصـ ـبِر عـن بعـضِ نفسِهِ إنسانُ

ولقد أشهدُ المحـدّث عنـد الـ ـقَصرِ فيـهِ تعفّـف وبَيـانُ

في زمـانٍ مـن المعيشة لَـذٍّ قـد مَضـى عصرُه وهـذا زمانُ

عروضه من الخفيف ، غنّاه ابن سريج ، ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية ، ووافقته دنانير . وذكر يونس أنَّ فيه لابن محرز ولابن عباد الكاتب لحنين ، ولم يجنِّسهما . وأوّل لَحن عباد : «لا مطاع في آل زينب» ، وأوّل لحنِ ابن محرز : «ولقد أشهد المحدّث» .

قال : وفيها يقول أيضاً[3] : [من الطويل]

صوت

أحـدّث نفسي والأحاديثُ جمّةٌ وأكبر همِّـي والأحاديـثِ زينبُ

إذا طلعَتْ شمسُ النّهارِ ذكرتُها وأحدِث ذكراها إذا الشمسُ تَغرِبُ

ذكر حمَّادٌ عن أبيه أن فيه للهذليّ لحناً لم ينسبه .

صوت

[من مجزوء الكامل]

يـا نُصـبَ عينـيَ لا أرى حيـثُ التفـتُّ سواكِ شَيّـا

إنِّـي لَمَيْـتٌ إنْ صَـدَد تِ وإن وصلتِ رجعتُ حيّا

الشعر لعليّ بن أديم الجعفيّ الكوفيّ ، والغناء لعمرو بن بانة ، رمل بالوسطى .

1 ووليداً في الديوان : ووليدين .

2 ديوان عمر : 420–421 مع اختلاف في الترتيب .

3 ديوان عمر : 19 .

[294] ـ ذكر علي بن أُديم وخبره

هو رجلٌ من تجّار أَهل الكوفة كان يبيع البزّ ، وكان متأدِّباً صالحَ الشّعر ، يهوى جاريةً يقال لها منهلة ، واستُهيم بها مدّة ثم بيعت فمات أسفاً عليها . وله حديثٌ طويل معها في كتابٍ مفرد مشهور ، صنعهُ أهلُ الكوفة لهما ، فيه ذكر قِصصهما وقتاً وقتاً ، وما قال فيها من الأشعار . وأمرُهما متعالَم عند العامّة ، وليس ممّا يصلح الإطالة به .

أَخبرني أَحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثنا أَحمد بن أَبي خيثمة قال : قال دعبل بن عليّ : كان بالكوفة رجلٌ يقال له عليّ بن أُديم ، وكان يهوى جاريةً لبعض أهلها ، فتعاظَمَ أمرُه وبيعت الجاريةُ فمات جزعاً عليها ، وبلغها خبرُه فماتت . قال : وحدَّثني بعضُ أهل الكوفة أنّه عَلِقها وهي صبيّةٌ تختلف إلى الكتّاب ، فكان يجيء إلى ذلك المؤدِّب فيجلس عنده لينظرَ إليها ، فلمّا أن بلغَتْ باعها مواليها لبعض الهاشميين ، فمات جزعاً عليها . قال : وأنشدني له أيضاً : [من الكامل]

صوت

صاحُوا الرَّحيلُ وحثَّني صحبي ... قالـوا الرواحُ فطيِّروا لبِّـي

واشتقتُ شوقـاً كاد يقتلني ... والنفسُ مشرِفـة عـلى نَحْبِ

لَم يَلْـقَ عند البينِ ذو كلفٍ ... يوماً كما لاقيتُ من كَـربِ

لا صبرَ لِي عند الفراق على ... فَقْـدِ الحبيبِ ولوعـةِ الحبِّ

الشعر لعليّ بن أُديم الكوفيّ الجعفيّ ، والغناء لحكم الواديّ . وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم بن أبي الهيثم فيه لحناً ، والله أعلم .

أَخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثني أَبو بكر العمريّ قال : حدَّثني دِعبل بن عليّ قال : كان بالكوفة رجلٌ من بني أسد يقال له عليّ بن أديم ، فهويَ جارية لبعض نساء بني عبس ، فباعَتْها لرجل من بني هاشمٍ ، فخرج بها عن الكوفة ، فمات عليّ بن أديم جزعاً عليها بعد ثلاثةِ أيّام من خروجِها ؛ وبلغها خبرُه فماتت بعده ، فعمِل أهلُ الكوفة لهما أخباراً هي مشهورةٌ عندهم .

حدَّثني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثنا أبو بكر العمريّ قال حدَّثنا أبو صالح الأزديّ قال : حدَّثنا محمد بن الحسين الكوفيّ قال : حدَّثنا محمد بن سَماعة قال : آخر مَن مات من العشق عليُّ بن أُديم الجُعْفيّ ، مرَّ بمكتبٍ في بني عبس بالكوفة ، فرأى فيه جارية تسمَّى مَنهلةَ ، عليها ثيابُ سوادٍ ، فاستُهيم بها وأعجبتْه ، وكلِف بها وقال فيها[1] : [من مجزوء الكامل]

إنّـي لَمـا يعتـادني مـن حبِّ لابسة السوادِ

في فتنـةٍ وبليّـةٍ مـا إنْ يطيقهما فُـؤادِي

فبقِيـتُ لا دنيـا أصبـ ـتُ وفاتنـي طلبُ المَعادِ

وسأل عنها فإذا لها مالكةٌ عبسيّة . وكان ابن أديم خَزّازاً[2] ، فتحمّل أبوه بجماعةٍ من التجّار على مولاتها لتَبيعها فأبت ، وخرج إلى أُمِّ جعفر ورفع إليها قصّتَه يسألها فيها المعونةَ على الجارية ، فخرج له توقيعٌ بما أحبّ ، وأقام يَتَنَجّز تمامَ أمره . فبينا هو ذاتَ يومٍ على باب أمّ جعفر إذْ خرجت امرأة من دارها فقالت : أينَ العاشق ؟ فأشاروا إليه فقالت : أنت عاشقٌ وبينك وبين مَن تحبّ القناطرُ والجسور ، والمياه والأنهار ، مع ما لا يُؤمَنَ من حدوث الحوادث ، فكيف تصبر على هذا ، إنّك لَجَسُورٌ صَبور ؛ فخامر قلبَه هذا القولُ وجزع ، فبادر فاكترى بغلاً إلى الكوفة ، على الدّخول ، فماتَ يوم دخول الكوفة .

1 الخبر في مصارع العشاق 1 : 205–206 .

2 الخزاز : بائع الخز .

[295] ـ ذكر عمرو بن بانة

[نسبه]

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، مولى ثقيف . وكان أبوه صاحبَ ديوانٍ ووجهاً من وجوه الكتّاب ؛ وينسَب إلى أُمّه بانة ، بنت رَوح القَحطَبيّة . وكان مغنّياً محسناً ، وشاعِراً صالح الشعر ، وصنعته صنعةٌ متوسِّطة ، النادِر منها ليس بالكثير . وكان يُقعده عن اللّحاق بالمتقدِّم في الصنعة أنّه كان مرتجلاً ، والمرتجل من المحدَثين لا يلحق الضُّرّابَ . وعلى ذلك فما فيه مَطعن ، ولا يقصِّر جيّد صنعته عن صنعة غيره من طبقته وإن كانت قليلة ، وروايته أحسنُ رواية . وكتابه في الأغاني أَصلٌ من الأصول ، وكان يذهبُ مذهبَ إبراهيم بن المهديّ في الغناء وتجنيسه ، ويخالف إسحاقَ ويتعصَّب عليه تعصُّباً شديداً ، ويواجهُه بذلك وينصرُ إبراهيم بن المهديّ عليه . وكان تيّاهاً معجباً شديدَ الذهاب بنفسه ، وهو معدودٌ في ندماء الخلفاء ومغنّيهم ، على ما كان به من الوضَح . وفيه يقول الشاعر : [من المتقارب]

أقولُ لعمرٍو وقد مرَّ بي ... فسلَّم تسليمةً جافيه

لئن فضَّلوك بفَضْل الغناء ... لقد فضَّل الله بالعافيه

وقال ابن حمدون : كان عمرو حسن الحكاية لِمَن أُخذ الغناءَ عنه ، حتّى كان مَن يسمعُه لو توارى عن عينه عمرو ثم غنّى لم يشكُك في أنّه هو الذي أُخذ عنه ، لحسْن حكايته ، وكان محظوظاً ممّن يعلّمه ، ما علّم أحداً قطُّ إلاّ خَرج نادراً مبرِّزاً .

فأَخبرَني جَحظة قال حدَّثني أَبو العَنْبَس بن حمدون قال : قال لي عمرو بن بانة : علّمتُ عشرةَ غلمان كلُّهم تبيَّنت فيهم الثقافة والحِذق ، وعلمتُ أنّه يتقدّم ، أَحدهم أنت ، وتمرة ، وما تبيّنت قطُّ من أحدٍ خلافَ ذلك فعلّمتُه .

[بينه وبين إسحاق]

وقال محمد بن الحسن الكاتب : حدَّثني أبو حارثةَ الباهليّ عن أَخيه أبي معاوية قال : سمعتُ عمرو بن بانةَ يقول لإسحاقَ في كلام جرى بينهما : ليس مثلي يقاس بمثلك ، لأَنَّكَ تعلَّمت الغناء تكسُّباً ، وتعلّمتُه تطرّباً ، وكنت أُضرَب لئلاّ أتعلّمه ، وكنتَ تضرب حتّى تتعلّمه .

[اتهامه بخادم يقال له مفحم]

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : اجتمع عمرو بن بانة والحسين بن الضحّاك في منزل ابن شَعوف ، وكان له خادمٌ يقال له مُفحم ، وكان عمرو يتّهم به . فلمّا أخذ فيه الشراب سأل عمرٌو الحسينَ بن الضحّاك أن يقول في مُفْحَم شعراً لِيغني فيه ، فقال الحسين : [من المنسرح]

وا بأبــــي مُفحم لِغرّتــه قلتُ له إذ خلوتُ مكتتما
تحبّ بالله من يخصُّك بالحـ ـبّ فمـا قال لا ولا نعما

الشعر للحسين بن الضحاك ، والغناء لعَمرو بن بانة ، ثاني ثقيل بالبنصر .

قال : فغنّى فيه عمرو . ولم يزل هذا الشعرُ غِناءهم ، وفيه طربُهم ، إلى أن تفرَّقوا . وأتاهم في عشيَّتهم إسحاق بن إبراهيم الموصليّ فسألوا ابن شَعوف أن لا يأذن له ، فحجبَه ، وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصليّ إلى منزله ، فلمّا تفرَّقوا مرَّ به الحسينُ بن الضحّاك وهو سكران ، فأخبره بجميع ما دارَ بينهما في مجلسهم ، فكتب إسحاق إلى ابن شعوف : [من المنسرح]

يا ابن شعوفٍ أما سمعتَ بما قـد صار في الناس كلِّهم عَلَما
أتــاكَ عمــرٌو فبـات ليلَته في كلِّ مــا يُشتَهى كما زَعَما
حتّى إذا مــا الظلامُ خالطَـه سرى دبيبـاً فجامع الخدَما
ثُمّــتَ لم يـرضَ أن يفوز بذا سِرّاً ولكن أبدى الذي كَتَما
حتّى تَغنّــى لفــرط صَبوتـه صوتاً شفَى من فؤادِهِ السَّقَما
«وا بأبــي مفحَــم لِغرّتــه قلتُ لــه إذ خلوت مكتتما
تحبُّ بالله مَـن يخصّك بالـ ـودّ فمـا قـال لا ولا نعما»

فهجر ابن شعوف عمرو بن بانة مدّةً وقطع عِشرته .

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ بهذا الخبر قال : حدَّثني ميمون بن الأزرق[1] قال : كان لمحمد بن شعوف الهاشميِّ ثلاثةُ غلمانٍ مغنِّين ، ومنهم اثنان صَقْلبيان مجبوبان : خاقانُ وحسين ، وكان خاقانُ أحسنَ الناس غِناء ، وكان حسين يغنّي غناءً متوسطاً ، وهو مع ذلك أَضْرَبُ النّاس ، وكان قليلَ الكلام جميلَ الأخلاق ، أحسنَ النّاس وجهاً وجسماً ، وكان الغلام الثالث فحلاً يقال له حجّاج ، حسن الوجه روميٌّ حسن الغناء ، فتعشّق عمرُو بن بانة

1 ل : هارون .

منهم المعروفَ بحسين وقال فيه : [من المنسرح]

وا بأبـــي مفحـــم لغِرّتـــه قلتُ لـــه إذ خلـوت مكتتما

تحـبُّ باللهِ مَـن يخصُّك بالـ ـودِّ فمـا قـال لا ولا نعما

ولم يذكر غير هذا .

وقال محمد بن الحسن : حدَّثني أُبو الحسين العاصميّ قال : دخلت أنا وصديقٌ لِي على عمرو بن بانة في يومٍ صائف ، فصادفْناه جالساً في ظِلٍّ طويلٍ مُمْتع ، فدعاني إلى مشاركته فيه ، وجعل يغنِّينا يومَه كلَّه لحنَه : [من الوافر]

صوت

نِقابُــكِ فاتــنٌ لا تفتنينا ونشرُكِ طيّــبٌ لا تحرِمينا

وخاتَمك اليماني غيرَ شَكٍّ خَتمتِ بــه رقابَ العالمينا

الغناء لعمرو بن بانة ، هزج خفيف بالبنصر .

قال : فما طربت لغناءٍ قطّ طربي له ، ولا سمعت أَشجى ولا أَكثر نَغَماً ، ولا أحسنَ من غنائه .

[عمرو وجعفر الطبّال]

أُخبرني جحظة قال : حدَّثني أَبو حشيشة قال : كنت يوماً عند عمرو بن بانة ، فزاره خادمٌ كان يحبُّه فأقام عنده فطلب عمرٌو في الدنيا كلِّها مَنْ يضرِب عليه فلم يجد أحداً ، فقال له جعفرٌ الطبّال : إنْ أنا غنّيتُكَ اليوم على عُودٍ يُضرَب به عليك ، أيُّ شيءٍ لِي عندك ؟ قال : مائة درهم ودَستيجة نبيذ . وكان جعفرٌ حاذِقاً متقدّماً نادراً طيّباً ، وكان نذلَ الهمّة ، فقال : أَسمِعني مخرج صوتك . ففعلَ فسوَّى عليه طبلَه كما يسوّي الوَتر ، واتّكأ عليه بركبته فأوقعَ عليه . ولم يزل عمرٌ يغنّي بقيّة يومِه على إيقاعه لا ينكِر منه شيئاً حتّى انقضى يومُنا ودفع إليه مائةَ درهم ، وأحضر الدستيجة فلم يكن له مَن يحملها ، فحملها جعفرٌ على عنقه ، وغطّاها بطيلسانه وانصرفْنا .

[جعفر الطبّال يقاضي إبراهيم بن المهديّ]

قال أَبو حشيشة : فحدَّثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بَزيع ، وكان صديقَ إبراهيم بن المهديّ ، فحدّثني أنّ إبراهيم بن المهديّ قال له : يا جعفر حَذِّقْ فلانةَ جاريتي ضربَ الطبل ، ولك مائةُ دينار أعجِّل لك منها خمسين . قال : نعم . فعجِّلت له الخمسون وعلَّمها ، فلمّا حَذِقَت طالبَ إبراهيمَ بتتمَّة المائة فلم يعطِه ، فاستعدى عليه أحمد بن أبي دُوادٍ الحسني خليفتَه فأعداه ، ووكّل إبراهيم وكيلاً ، فلمّا تقدّم مع الوكيل إلى القاضي أراد الوكيلُ

أن يكسِر حجّة جعفر فقال : أُصلحَ اللهُ القاضي ، سَلْه من أين له هذا الذي يدّعِي ؟ وما سببه ؟ فقال جعفر : أُصلح الله القاضي أنا رجلٌ طبّالٌ ، وشارطني إبراهيمُ على مائة دينارٍ على أن أحذِّق جاريتَه فلانة ، وعجّل لي بخمسين ديناراً ومنعني الباقيَ بعد أن رَضِي حِذْقَها ، فيُحضِر القاضي الجارية وطبلَها ، وأُحضِر أنا طبلي ، ويسمعنا القاضي ، فإن كانت مثلي قضى لِي عليه ، وإلاّ حذّقتها فيه حتى يرضى القاضي . فقال له القاضي : قُمْ عليك وعليها لعنة الله ، وعلى مَن يرضى بذلك منك ومنها . فأخذ الأعوانُ بيده فأقاموه .

[رزقٌ غلام علويه]

وقال عليّ بن محمد الهشاميّ[1] : حدَّثني جدّي ابن حمدون قال : كنت عند عمرو بن بانة يوماً ففتح بابَ داره فإذا بخادمٍ أبيضَ شيخٍ قد دخَلَ يقود بغلاً له عليه مَزادة ، فلمّا رآه عمرٌو صرخ : لا إله إلاّ الله ، ما أعجب أمرك يا دنيا ! فقلت له : ما لك ؟ قال : يا أبا عبد الله ، هذا الخادم رِزقٌ غلام علُّويه المغنّي ، الذي يقول فيه الحسين بن الضحّاك الشاعر : [من الكامل]

يا ليت رزقـاً كان من رزقي ... يـا ليتَـه حظِّي مـن الخَلْقِ

قد صار إلى ما تَرى . ثم غنّاني لحناً له في هذا الشعر ، فما سمعت أحسن منه منذ خلقت .

نسبة هذا اللحن

صوت

[من الكامل]

يـا ليت رزقاً كان من رِزقي ... يـا لَيتَـه حظِّـي من الخلقِ
يـا شادنـاً ملَكتُـه رقِّـي ... فلستُ أَرجُـو راحـةَ العتـقِ

الشعر للحسين بن الضحّاك ، والغناء لعمرو بن بانة ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى .

[يطلب من المتوكّل بيتاً]

وقال عليّ بن محمد الهشاميّ[2] : حدَّثني جدّي ، يعني ابن حمدون ، قال : كنّا عند المتوكّل ومعنا عمرو بن بانة ، في آخر يومٍ من شعبان فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، تأمرُ لِي بمنزلٍ فإنّه لا منزل لي يَسَعُنِي . فأمر المتوكّل عبيدَ الله بن يحيى بأن يبتا ع له منزلاً يختاره . قال : وهجم الصوم وشُغِل عبيد الله ، وانقطع عمرٌو عنّا ، فلمّا أهلَّ شوّالٌ دعا

1 ل : البسامي .
2 ل : البسامي .

بنا المتوكّل فكان أوّلَ صوتٍ غنّاه عمرٌو في شعرٍ هذا : [من المنسرح]

صوت

مـلاّك ربّي الأعيادَ تُخلِقها في طولُ عمرٍ يا سيدَ النّاسِ[1]
دُفِعتُ عن منزلٍ أمرتَ بِهِ فإنّني عنه مباعدٌ خاسِ[2]
فمرْ بتسليمِهِ إليّ على رَغْم عدوّي بحرمة الكاسِ
أعوذ باللهِ والخليفةِ أن يرجع ما قلته على راسي

لحن عمرٍو في هذا الموضع هزج بالبنصر .

فدعا المتوكّل بعبيد الله بن يحيى فقال له : لِمَ دافعتَ عمراً بابتياع المنزل الذي كنت أمرتُك بابتياعه ؟ فاعتلّ بدخول الصّوم وتشعُّب الأشغال . فتقدَّم إليه أن لا يؤخِّر ابتياعَ ذلك إليه ، فابتاعَ له الدور في دورِ سُرَّ مَن رأى ، بحضرة المعلَّى بن أيّوب . وفيها توفّي عمرو .

[عبد الله بن طاهر يمتحن المغنّين]

أخبرني محمد بن إبراهيم قِريص قال : سمعت أحمد بن أبي العلاء ، يحدّث أستاذي ، يعني محمد بن داود بن الجرّاح قال : جمع عبد الله بن طاهر بين المغنّين وأراد أن يمتحنهم ، وأخرج بَدرةَ دراهمَ سَبَقاً[3] لَمن تقدَّم منهم وأحسن ، فحضره مُخارق ، وعلّويه ، وعمرو بن بانة ، ومحمد بن الحارث بن بسخُنَّر ، فغنّى فلم يصنَعْ شيئاً ، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيلَه ، وامتدّت الأعينُ إلى مخارقٍ وعمرو ، فبدأ مخارقٌ فغنّى : [من مجزوء الكامل]

إنّي امرؤٌ من خيرهم عمّي وخالي من جذامْ

فما نهنههُ عمرٌو مع انقطاع نَفَسه حتّى غنّى : [من السريع]

يا ربعَ سلاّمة بالمنحنى بخَيف سَلْع جادَكَ الوابلُ

وكان إبراهيم بن المهديّ حاضراً فبكى طرباً وقال : أحسنتَ والله واستحققت ، فإن أعطيتَه وإلاّ فخُذه من مالي ، يا حبيبي عنّي أخذتَ هذا الصوت ، وقد والله زدتَ عليّ فيه وأحسنتَ غاية الإحسان ، ولا يزال صوتي عليك أبداً . فقال له عبد الله : مَن حكَمت له بالسَّبق فقد حصَل . وأمر له بالبَدرة فحُمِلت إلى عمرو .

---

1 ملاك الأعياد : متعك بها وأطال عمرك . تخلقها : تبليها .
2 خاسيء : مبعد .
3 السبق : ما يجعل رهناً على المسابقة .

ثمّ حدَّثنا بعد ذلك أن إسحاق لقِي عمرو بن راشد الخناق فقال له : قد بلغني خبرُ المجلس الذي جمع عبدُ الله فيه المغنّين يمتحنهم ، ولو شاء لكان في راحةٍ من ذلك . قلت : وكيف ؟ قال : أمّا مخارق فأحسنُ القوم غناء إذا اتَّفق له أن يحسن ، وقلّما يتّفق له ذلك . وأمّا محمد بن الحارث فأحسنهم شمائلَ ، وأملحهم إشارةً بأطراف وجهه في الغناء ، وليس له غير ذلك . وأمّا عمرو بن بانة فأعلمُ القوم وأرقاهم . وأمّا علّويه فمَن أدخله ابنُ الزانية مع هؤلاء ؟

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من مجزوء الكامل]

إنّي أمرؤ مـــن خيرهمْ   عمّي وخالي من جُذامْ
خَودٌ كضوء البـدر أو   أضْوا لَدى الليــلِ التمامْ
يجرِي وشاحاهـا عـلى   نحـــرٍ نقـــيٍّ كالرُّخامْ

والغناء لابن جامع ، رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

صوت

[من الخفيف]

يـــا خليـــليَّ مـــن بني شيبانِ   أنـــا لا شكَّ ميّتٌ فابكياني
إنّ روحِي لم يَبقَ منها سِوى شي   ءِ يسير مُعَلّـــقٍ بلسانِـــي

الشعر لأبي العتاهية[1] ، والغناء لإبراهيم ، رمل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وإبراهيم .

---

1 ديوان أبي العتاهية : 658 .

296 ـ [أبو العتاهية وأبناء معن بن زائدة]

[يزيد بن معن غضب عليه]

وهذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبد الله وزائدة بن معن بن زائدة الشيبانيّ ، وكان صديقاً وخاصّاً بهما . ثم إنّ يزيد بن معن غضِب لمولاةٍ لهم يقال لها سُعدى ، وكان أبو العتاهية يشبِّب بها ، فضربه مائة سوط ، فهجاه وهجا إخوته ، ثم أصلحَ بينهم مندلُ بن عليٍّ العبديّ ، وهو مولى أبي العتاهية ؛ فعادَ إلى ما كان عليه لهم .

فأخبرني وكيع قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه . وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني علي بن محمد النوفليّ عن أبيه قالا : قولُ أبي العتاهية : [من الخفيف]

يـا خَليليَّ مـن بني شيبان

يخاطب به عبدَ الله ويزيد ابنَي مَعن بن زائدة ، أو قال عبد الله وزائدة .

[شعره في سعدى]

أخبرني ابن عمّار قال : حدَّثني زيد[1] بن موسى بن حمّاد . وأخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني محمد بن سعيد . قال حدَّثني أبو سويد عبد القوي عن محمد بن أبي العتاهية قال : كان أبو العتاهية في حداثته يهوى امرأةً من أهل الحيرة نائحة ، لها حُسنٌ وجمال ودَماثة ، وكان ممّن يهواها أيضاً عبد الله بن معن بن زائدة أبو الفضل ؛ وكانت مولاةٌ لهم يقال لها سعدى ، وكان أبو العتاهية مغرماً بالنساء فقال فيها[2] : [من الطويل]

ألا يا ذَواتِ السحق في الغرب والشرق ... أفقنَ فإنّ النيكَ أشهى من السحقِ
أفقن فإنَّ الخبز بالأدم يشتَهى ... وليس يسوغ الخبزُ بالخبزِ في الحلقِ
أراكنَّ تَرقعن الخروقَ بمثلِها ... وأيُّ لبيب يرقع الخرق بالخرقِ
وهل يَصلُح المِهراسُ إلاّ بعودِهِ ... إذا احتيج منه ذاتَ يومٍ إلى الدقِّ

قال وقال فيه أيضاً[3] : [من الخفيف]

قلتُ للقلب إذْ طوى وَصْلَ سُعدى ... لهواهُ البعيدة الأنسابِ

1 ل : محمد .

2 ديوانه : 588 .

3 ديوانه : 490 .

أنتُ مثـلُ الذي يفرُّ مـن القَطـ ـــرِ حِـذارَ النّدى إلى الميزابِ

قال محمد بن محمد في خبره : فغضبَ عبد الله بن معنٍ لسُعدى ، فضرب أبا العتاهيةِ مائةً فقال[1] : [من مجزوء الخفيف]

جلدَتْنـــي بكفِّهـــا بنتُ معـــن بن زائدهْ

جلدَتنـــي بكفِّهـــا بأَبـــي أنـــتِ جالـدهْ

جلدَتنـــي وبالغَـــتْ مائـــةً غيـرَ واحـدهْ

اجلدي اجلدي اجلدي إنّمـــا أنـــتِ والـدهْ

[بينه وبين عبد الله بن معن]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني أبو أيّوب المدينيّ قال : احتال عبد الله بن معن فضربَ أبا العتاهيـة ضرباً غير مبرِّح ، إشفاقاً ممّا يغنّى به ، فقال : [من مجزوء الخفيف]

اجلدي اجلدي اجلدي إنّمـــا أنـــت والـدهْ

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغلابيّ قال : حدَّثني مهدي قال : تهدد عبدُ الله بن معن أبا العتاهية وخوَّفَه ونَهاه أن يعرِض لمولاته سُعدى ، فقال أبو العتاهية قوله[2] : [من الهزج]

ألا قل لابن معـن والذ ي في الودِّ قـد حالا

لقد بلِّغـتُ مـا قـال فمـا باليتُ مـا قالا

ولـو كان مـن الأُسدِ لَمـا راعَ ولا هـالا

فصُغْ مـا كنتَ حلّيتَ بِــهِ سيفَـكَ خَلخالا

فمـا تصنع بـالسيفِ إذا لَـم تـكُ قَتّالا

ولَـوْ مَـدَّ إلى أذنيــ ــهِ كفَّيــهِ لَما نـالا

قصير الطُّـولِ والطَّـوْل فـــلا شبَّ ولا طـالا

أرى قومَـــكَ أبطـالا وقــد أصبحـتَ بطّالا

[فزع من الهجاء]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثني الحسن بن عليّ الرّازيّ قال حدَّثني أحمد بن أبي فَنَن قال : كنّا عند ابن الأعرابيّ فذكرَ قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي : [من الطويل]

إذا كلّمتْــهُ ذاتُ دَلٍّ لحاجــةٍ فهمَّ بأن يقضي تنحنحَ أو سعَلْ

1 ديوانه : 523–524 .

2 ديوانه : 609 .

وأنّ عبد الملك بن سليمان بن عمير قال : تركَني والله وإنّ السَّعلة لتَعرِض لِي في الخلاء فاذكر قولَه فأتركها . قال : فقلت له : هذا عبدُ الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية : [من الهزج]

فصُغْ ما كنتَ حلّيتَ ... بِـــهِ سيفـك خلخالا
ومـــا تصنعُ بالسيفِ ... إذا لم تَـــكُ قتّـــالا

قال : فقال عبد الله : ما لبست السيفَ قطُّ فلمحني إنسانٌ إلاّ قلت إنّه يحفظ شعر أبي العتاهية فيَّ ، فينظر إليّ بسببه . فقال ابن الأعرابيّ : اعجبوا إليه لعنه الله يهجو مولاه ! وكان أبو العتاهية من موالي بني شيبان .

[هجاؤه عبد الله بن معن]

وقال محمد بن موسى في خبره : وقال أبو العتاهية يهجو عبدَ الله بن مَعن[1] : [من السريع]

لا تُكثرا يـــا صاحبَيْ رحلي ... في شتم مَـــن أَكثَرَ من عذلِي
سبحانَ مَن خصَّ ابنَ معنٍ بما ... أرى بِـــهِ مـــن قلّـــة العقلِ
قـــال ابن معـــن وجـــلا نفسَه ... على مَـــن الجِلوةُ يـــا أَهْلي
أَنا فتـــاةُ الحـــيِّ مـــن وائلٍ ... في الشَّرَفِ البـــاذخ والنُّبلِ
مـــا في بني شيبان أَهلِ الحِجى ... جاريـــةٌ واحـــدةٌ مثـــلِي
يـــا ليتَنِي أبصرتُ دلاّلـــة ... تدلُّنِـــي اليـــوم على فحلِ
والهفتـــا اليـــومَ عـــلى أمردٍ ... يُلصِق منِّـــي القُـــرط بالحجْلِ
أتيتُـــه يومـــاً فصافحتُه ... فقال دَعْ كَفِّي وخُـذْ رِجلِي
يُكنى أَبا الفضل فيا مَن رأى ... جاريـــةً تكنـــى أَبـــا الفضلِ
قـــد نقّطتْ في خدِّها نقطةً ... مخافـــةَ العـــين مـــن الكُحْلِ
إنْ زُرتموهـــا قـــال حُجّابُها ... نحـــنُ عـــن الزوّارِ في شغلِ
مولاتُنـــا خاليـــةٌ عندَهـــا ... بعـــلٌ ولا إذنَ عـــلى البعلِ
قـــولا لعبـــد الله لا تجهلَنْ ... وأنـــتَ رأس النُّوك والجهْلِ
أتجلِـــد النّاسَ وأنـــتَ امرؤٌ ... تُجلـــدَ في الدُّبْـــرِ وفي القُبْلِ
تبذلُ مـــا يمنع أَهلُ النّدى ... هـــذا لعمري مُنتهى البذلِ
مـــا ينبغِـــي للنّاس أن يَنسُبوا ... مَـــن كان ذا جودٍ إلى البخلِ

---

1 ديوانه : 620–622 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

وقال في ضربِهِ إيّاه[1] : [من الخفيف]

ضربَتْني بكفِّهـا بنـت معـنٍ أوجَعتْ كفَّهـا ومـا أُوجعتْني

ولعمري لـولا أذى كفِّها إذ ضربَتْني بالسَّوْط مـا تركَتني

[هجاؤه يزيد بن معن]

أُخبرني ابن عمّار قال حدَّثني محمد بن موسى . وأُخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثني جبلة بن محمد قالا : لمّا اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن غَضِبَ من ذلك أُخوه يزيدُ بن معن ، فهجاه أبو العتاهية فقال[2] : [من الوافر]

بَنى معـنٌ ويهدِمُه يزيدُ كذاكَ الله يفعلُ مـا يريدُ

فمعـنٌ كان للحسّادِ غَمّاً وهذا قد يُسرُّ به الحسودُ

يزيدُ يزيد في مَنع وبُخل وينقُصُ في النّوالِ ولا يزيدُ

أُخبرني محمد بن يحيى عن جبلة بن محمد قال حدَّثني أبي قال : لمّا هجا أُبو العتاهية بني معن فمَضَوا إلى مندلٍ وحيانَ ابنَيْ عليٍّ العَنَزيَّين الفقيهَيْن ، وكانا من سادات أهل الكوفة ، وهما من بني عمرو بن عمرو ، بطن مَن يقدم بن عنزة ، فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ ولا فرق بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتى من بعيد الولاء لوجَبَ أن تردَعاه . فأحضَرا أبا العتاهية ولَم يكن يمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيدَ ابنَيْ معن ، وضَمِنا عنه خُلوصَ النيّة ، وعنهما ألاّ يتَتبَّعاه بسوء ، وكانا ممّن لا يمكن خلافُهما ، فرجعت الحال إلى المودَّة والصفاء ، وجعل الناسُ يعذِلون أبا العتاهية فيما فرطَ منه ، ولامه آخرون على صُلحه لهم ، فقال[3] : [من مجزوء الرمل]

مـا لعـذّالي وما لِي أمَـروني بـالضلالِ

عَذَلُونـي في اغتفاري لابن معـن واحتمالي

أنا منه كنـت أكْبى زَنـدةً في كلّ حـالِ

كلُّ ما قد كان منه فلقُبـح مـن فِعـالي

إنّمـا كانـت يميني صَرَمتْ جهلاً شمالِي

مالـهُ بـل نفسُه لِي ولـه نفسي ومالِي

---

1 ديوانه : 655 .

2 ديوانه : 520 .

3 ديوانه : 622–624 .

قُل لِمَن يعجَب من حسـ ـن رُجوعِي وانتقالِي
قـد رأينـا ذا كثيراً جارِيـاً بين الرِّجالِ
رُبَّ وصلٍ بعد صَدٍّ وقِلًـى بعـد وصالِ

[يرثي زائدة بن معن]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثنا محمد بن موسى قال : كان أبو العبّاس زائدة بن معن صديقاً لأبي العتاهية ، ولم يُعِنْ أُخَوَيه عليه ، فماتَ فرثاه فقال[1] : [من الوافر]

حزِنتُ لِمَوْتِ زائـدةَ بنِ معن حقيقٌ أن يطولَ عليـه حزنِي
فَتـى الفتيانِ زائـدةُ المصفَّى أبـو العبّاس كان أخِي وخِدنِي
فَتى قَوْمِي وأيُّ فَتًى توارت بِهِ الأَكفانُ تحت ثـرًى ولِبْنِ
أَلا يـا قبرَ زائـدةَ بنِ معـن دعوتُكَ كي تجيبَ فلَم تجِبْنِي
سَلِ الأَيّـامَ عن أَركان قَوْمِـي أُصِبت بهنّ ركناً بعـد رُكْنِ

صوت

[من الطويل]

فمـا روضةٌ بالحَزْنِ طيّبةُ الثَّرى يمجُّ النَّـدى جَثجاثُهـا وعَرارُها
بأَطيبَ مـن أردانِ عَـزّة موهِناً وقد أُوقِدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطبِ نارُها
فإنْ خفِيتْ كانت لعينيك قُرّةً وإن تبدُ يومـاً لَم يعمّك عارُها
من الخَفِراتِ البِيض لم تَـرَ شِقوةً وفي الحسب المكنون صافٍ نِجارُها

الشعر لكثيّر[2] ، والغناء لمعبد في الأوّل والثاني ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

وذكر عمرو بن بانة أنّه لابن سُريج . وللغريض في الرابع والثالث ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرو وحبش .

وذكر الهشاميّ أنّ في الأوّل والثاني رملاً لابن سريج بالوسطى .

وذكر عمرو وحبش أنّ فيه رملاً لابن جامع بالبنصر .

وفي الأبيات خفيف ثقيل يقال إنّه لمعبد ، ويقال إنّه للغريض ، وأحسبه للغريض .

1 ديوانه : 656 .

2 ديوان كثير : 429–430 .

297 ـ [كثيِّر وقطام]

[لقاء كثير لقطام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة هكذا موقوفاً لم يتجاوزه وأخبرني أنّ كثيِّر بن عبد الرحمن كان غالياً في التشيُّع . وأخبر عن قَطامِ صاحبةِ ابن مُلجَم في قَدمةٍ قدِمَها الكوفة فأرادَ الدّخول عليها ليوبِّخها ، فقيل له : لا تزرها فإن لها جواباً . فأبى وأتاها فوقَف على بابها فقرعَه فقالت : مَن هذا ؟ فقال : كثيِّر بن عبد الرحمن الشاعر . فقالت لبناتِ عمٍّ لها : تنحَّينَ حتى يدخل الرجل . فولجنَ البيتَ وأُذِنَتْ له ، فدخلَ وتنحَّت من بين يديه ، فرآها وقد ولّت فقال لها : أنتِ قطامِ ؟ قالت : نعم . قال : صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ قالت : صاحبة عبد الرحمن بن مُلجم . قال : أليس فيك قُتِل علي بن أبي طالب ؟ قالت : بل مات بأجَلِهِ . قال : أمَا والله لقد كنتُ أُحبُّ أن أراكِ ، فلمّا رأيتك نبَتْ عيني عنك ، فما احلوليتِ في خَلَدِي . قالت : والله إنّك لقصير القامة ، عظيم الهامة ، قبيحُ المنظر ، وإنّك لكما قال الأوّل : «تسمع بالمَعيدِيّ خير من أن تراه»[1] . فقال : [من الطويل]

رأَتْ رجلاً أُودى السِّفارُ بوجهه ... فلَم يبقَ إلاّ منظرٌ وجَناجنُ[2]
فإنْ أَكُ معروقَ العِظامِ فإنّني ... إذا وُزِنَ الأقوامُ بالقومِ وازنُ[3]
وإنّي لما استودعتني من أمانةٍ ... إذا ضاعت الأسرار للسرّ دافنُ

فقالت : أنت لله أبوكَ كثيِّر عزّة ؟ قال : نعم . قالت : الحمدُ لله الذي قصَّر بك فصرتَ لا تُعرَف إلاّ بامرأة ! فقال : الأمر كذلكِ ، فوالله لقد سار بها شعري وطار بها ذِكري ، وقَرُبَ من الخليفة مجلسي ، وأنا لكما قلتُ : [من الطويل]

فإن خفيتْ كانت لعينك قُرّةً ... وإن تبدُ يوماً يعمَّك عارُها

---

1 المثل «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» في مجمع الميداني 1 : 129 وجمهرة العسكري 1 : 266 ومستقصى الزمخشري 1 : 370 وفصل المقال : 135 .

2 السفار : السفر . والجناجن : جمع جنجن ، وهي عظام الصدر .

3 معروق العظام : انحسر اللحم عن عظامه فأصبح قليل اللحم . وازن : راجح .

فمـــا روضةٌ بالحزنِ طيبة الثّرى يمــجُّ النّدى جَثجاثَهــا وعَرارُها
بأطيبَ مـــن أردانِ عـــزّة مَوهِناً وقــد أُوقِدتْ بالمندلِ اللَّدنِ نارُها

فقالت : بالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أنقصَ عقلاً منك ، ولا أضعفَ وصفاً ، أين أنت من سيّدك امرىء القيس حيث يقول : [من الطويل]

أَلَـم تَرَيانِـــي كلّما جئتُ طارِقاً وجدت بِها طيباً وإن لَم تَطَيَّبِ

فخرج وهو يقول[1] : [من مجزوء الرمل]

الحقُّ أبلج لا يُخيـــل سبيلُه والحقُّ يعرفه ذوو الألبابِ[2]

صوت

[من مجزوء الرمل]

هـــاكَ فاشربْهـــا خليلي في مَـدى الليـلِ الطويلِ
قهـــوةً في ظـــلّ كـــرم سُبِيتْ مـــن نهـر بِيـلِ
في لسانِ المـــرء منهـــا مثـــلُ طعـــمِ الزنجبيلِ
قـــل لِمَـــن يلحاكَ فيها مِـــن فقيـــهٍ أو نبيـــلِ
أنتَ دعْها وارجُ أُخرى مِـــن رحيـــقِ السلسبيلِ
تعطش اليـــومَ وتُسقـــى في غَـــدٍ نعـتَ الطُّلولِ[3]

الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، هزج بالبنصر عن حبش . ولإبراهيم بن المهديّ في الخامس والسادس والأوّل خفيف رمل بالوسطى عن الهشاميّ . ولهاشم فيها ثاني ثقيل بالبنصر ، وقيل لعبد الرحيم .

---

1 ديوان كثير : 501 وانظر أيضاً 509 حيث أبدلت «ذوو الألباب» إلى «ذوو الأحلام» وربّما كان ممّا تمثل به كثير وليس من نظمه .

2 لا يخيل : لا يشتبه ولا يلتبس .

3 الشطر الأول في ل : تنعم اليوم وتلقى .

[298] ـ ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

[نسبه]

آدم بن عبد العزيز عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمّه أمّ عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أيضاً . وهو أَحَد مَن مَنَّ عليه أبو العبّاس السفّاحُ من بني أُميّة لمّا قتلَ مَن وَجَدَ منهم .

[كان خليعاً ثم نسك]

وكان آدم في أوّل أُمره خليعاً ماجناً منهمِكاً في الشراب ، ثم نسكَ بعد ما عُمِّر ، ومات على طريقة محمودة .

[عتاب المهديّ له]

وأَخبرني الحسين بن عليّ عن أَحمد بن سعيدٍ الدمشقيّ ، عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه : أنّ المهديَّ أُنشِدَ هذه الأبياتَ وغُنِّي فيها بحضرته : [من مجزوء الرمل]

أنتَ دَعْها وارجُ أُخرى ... مـن رحيـق السلسبيلِ

فسأل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فدعا به فقال له : ويلَكَ تزندقتَ ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ومتى رأيتَ قرشيّاً تزندق ؟ والمِحنة في هذا إليك[1] ، ولكنّه طَرَبٌ غلَبَني ، وشِعرٌ طَفَح على قلبي في حال الحَداثة فنطقتُ به . فخلّى سبيله .

قال : وكان المهديُّ يحبّه ويُكرمه ، لظَرَفِه وطِيب نفسه .

ورُوي هذا الخبر عن مصعب الزُّبيريّ وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : كان آدمُ بن عبد العزيز يَشرب الخمر ويُفرِط في المجون ، وكان شاعراً ، فأخذه المهديُّ فضربه ثلثمائة سوط على أن يُقرَّ بالزندقة ، فقال : والله ما أشركتُ بالله طَرفَة عين ، ومتى رأيتَ قرشيّاً تزندق ؟ قال : فأين قولك : [من مجزوء الرمل]

اسقِني واسقِ غُصَيْنـا ... لا تَبِـعْ بالنقـدِ دَينا

اسقنيهـا مُـزّة الطعـ ... ـم تُرِيـك الشَّينَ زَينا

في هذين البيتين لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالوسطى ، ولإبراهيم هزج بالبنصر .

1 المحنة : الامتحان .

قال : فقال لئن كنتَ قلت ذاك فما هو ممّا يشهدُ على قائله بالزندقة . قال : فأينَ قولك : [من مجزوء الرمل]

اسقِنِي واسقِ خليلي في مَدى الليلِ الطويلِ
قهوةً صهباءَ صِرفاً سُبِيت من نهر بِيلِ
لونُها أصفرُ صافٍ وهْيَ كالمِسكِ الفتيلِ
في لسانِ المرءِ منها مثلُ طعم الزّنجبيلِ
ريحُها يَنفَح منها ساطِعاً من رأسِ ميلِ
مَن يَنَلْ منها ثلاثاً يَنْسَ منهاجَ السبيلِ
فمتى ما نال خمساً تركَتْه كالقَتِيلِ
ليس يَدري حينَ ذاكُمْ ما دَبِيرٌ من قَبِيلِ[1]
إنَّ سمعي عن كلام الـ لائِمي فيها الثقيلِ
لشَدِيدُ الوَقْرِ ، إنّي غير مطواعٍ ذليلِ
قُلْ لِمَن يلحاكَ فيها مِن فقيهٍ أو نبيلِ
أنتَ دعها وارجُ أُخرى من رحيقِ السلسبيلِ
نعطش اليومَ ونُسقى في غدٍ نعتَ الطلولِ

فقال : كنت فتًى من فتيان قريش ، أشربُ النبيذ وأقول ما قلتُ على سبيل المجون ، والله ما كفرتُ بالله قطُّ ، ولا شككتُ فيه . فخلّى سبيلَه ورقَّ له .

قال مصعب : وهو الذي يقول : [من مجزوء الخفيف]

صوت

اسقِني يا معاويه سبعةً أو ثمانيَهْ
اسقنيها وغنِّني قبلَ أخذِ الزَّبانيَهْ
اسقنِيها مُدامةً مُزّةَ الطَّعمِ صافِيَهْ
ثمَّ مَن لامَنا عليـ ـها فذاك ابنُ زانيَهْ

فيه خفيف رملٍ بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكّيّ ، وإلى حكم الواديّ .

قال : وآدم الذي يقول : [من الوافر]

1 لا يدري ما دبير من قبيل : لا يعرف شيئاً .

أقولُ وراعَنِي إيوانُ كسرى ... بـرأسِ مَعـانَ أو أدرُوسفانِ
وأبصرتُ البِغـالَ مربّطـاتٍ ... بـهِ مـن بعـد أزمِنةٍ حسانِ
يعـزُّ على أبي ساسان كسرى ... بموقِفِكـنَّ في هـذا المكانِ
شربتُ على تذكُّرِ عيشِ كسرى ... شرابـاً لونُـه كالزعفرانِ
ورحتُ كأنّني كسرى إذا ما ... عَـلاهُ التّاجُ يـوم المِهرجانِ

قال وهو الذي يقول : [من المتقارب]

أُحبُّـكِ حُبَّـينِ لِـي واحدٌ ... وآخـر أنَّـكِ أهـلٌ لذاكِ
فأمّـا الذي هو حـبُّ الطباعِ ... فشيءٌ خُصِصتِ بِهِ عن سواكِ
وأمّا الذي هو حـبُّ الجمال ... فلستُ أرى ذاكِ حتّـى أراكِ
ولستُ أمـنُّ بهـذا عليكِ ... لكِ المـنُّ في ذا وهذا وذاكِ

[عتاب صديقه فليح له بعد لقائِهِ خالصة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي عن فليح بن سليمان قال : مررنا يوماً مع خالصة[1] في موكبها ، فوقفَتْ على آدم بن عبد العزيز فقالت : يا أخي طلبتَ منّا حاجةً فرفعناها لك إلى السيِّدة وأمَرَتْ بها وهي في الديوان ، فساء ظنُّك بها فقعدْتَ عن تنجُّزها . قال : فموّه لها عذراً اعتذرَ به فوقفت عن الموكب حتّى مضت ، ثم قلت له : أخملْتَ نفسَك ، والله ما أحسبُ أنّه حبسك عنها إلاّ الشراب ، أنت ترى النّاسَ يركُضون خلفها وهي تَرِفّ[2] عليك لحاجتك . فقال : والله هو ذاكَ ، إذا أصبحْتَ فكُلْ كسرةً ولو بملحٍ ، وافتَحْ دَنَّكَ فإن كان حامِضاً دبغَ معدتك ، وإن كان حُلواً خَرطك[3] ، وإن كان مدرِكاً فهو الذي أردت . قلت : لا أبارك الله عليك . ومضيت ، ثم أقلع بعد ذلك وتاب . فاستأذن يوماً على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب : ارفعوا الشراب فإنَّ هذا قد تاب وأحسَبُه يكره أن يراه . فرُفع وأُذِن له ، فلمّا دَخَلَ قال : ﴿إنِّي لأَجِد ريحَ يوسفَ لَوْلا أنْ تفنِّدون﴾ . قال يعقوب : هو الذي وجدتَ ، ولكنّنا ظنَنَّا أن يثقل عليك لتركِكَ الشراب . قال : إي والله ، إنّه ليثقُل عليّ ذاك . قال : فهل قلتَ في ذلك شيئاً منذُ تركتَه ؟ قال قلت : [من الطويل]

ألا هل فتًى عن شُربها اليومَ صابر ... ليَجزيَـه يومـاً بذلـك قـادِرُ

---

1 خالصة : إحدى جواري الخيزران .
2 ترف : تعطف وتشفق .
3 خرط : أسهل .

شربتُ فلمّا قيل ليس بنازعٍ نزَعتُ وثوبي من أذى اللُّومِ طاهِرُ

[هجاء لطول اللحية]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال : حدّثني أبو هفّان عن إسحاق قال : كان مع المهديّ رجلٌ من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار ، وكانت له لحيةٌ عظيمة ، فذهب يوماً ليركبَ فوقعت لحيتُه تحت قدمِه في الرّكاب فذهَبَ عامّتُها ، فقال آدمُ بن عبد العزيز قولَه : [من الهزج]

قد استوجَبَ في الحُكمِ سليمانُ بنُ مختارِ
بما طَوَّل من لحيـ ـتِهِ جَزاً بمنشارِ
أو السيفِ أو الحَلْقِ أو التحريقِ بالنّارِ
فقد صار بها أشهـ ـرَ من رايةِ بَيطارِ

فقال : ثم أنشدها عُمر بن بَزِيغ المهديَّ فضحك ، وسارت الأبياتُ ، فقال أسيد بن أسيد ، وكان وافر اللحية : ينبغي لأمير المؤمنين أن يكفَّ هذا الماجِنَ عن النّاس . فبلغت آدَمَ بنَ عبد العزيز فقال : [من مجزوء الرمل]

لحيةٌ تمَّتْ وطالت لأسِيد بن أُسِيدِ
كشِراعٍ من عَباءٍ قطعت حَبْلَ الورِيدِ
يَعجب الناظرُ منها مِن قريبٍ وبَعِيدِ
هي إنْ زادَت قليلاً قطعَتْ حبلَ الوريدِ

وقال : وكان المهديُّ يُدْنِي آدَمَ ويحبّه ويقرّبه ، وهو الذي قال لعبدِ الله بن عليّ لمّا أَمَرَ بقتلِهِ في بني أُميّة بنهر أَبي فُطراس[1] : إنَّ أبي لَم يكن كآبائهم ، وقد علمتَ مذهبَه فيكم . فقال : صدقتَ ، وأطلقَه . وكان طيِّب النَّفس متصوّفاً ، ومات على توبةٍ ومذهب جميل .

صوت

[من مجزوء الوافر]

أَلا يا صاحِ للعَجبِ دعَوتُكَ ثم لَم تُجِبِ
إلى القَيناتِ واللذّا تِ والصَّهباء والطَّرَبِ
ومنهنَّ التي تَبَلَتْ فؤادَك ثمّ لَم تَتُبِ

الشعر ليزيد بن معاوية ، يقوله للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام . والغناء لسائب خاثر ، خفيف رمل بالوسطى عن حبش .

1 أبو فُطرُس موضع قرب الرملة كانت به وقعة بين العباسيين والأمويين .

299 ـ [يزيد والحسين]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني المدائنيّ قال : قَدِمَ سَلْم بن زياد على يزيدَ فنادمه ، فقال له ليلةً : ألا أولِّيك خُراسان ؟ قال : بلى وسجِستان . فعَقَد له في ليلتِهِ فقال : [من الخفيف]

اسقِني شربةً فروٍّ عظامِي ثمّ عُدْ واسقِ مثلَها ابنَ زيادِ
موضع السرِّ والأمانةِ منّي وعلى ثغر مَغْنَمِي وجِهادِي

[لوم الحسين ليزيد]

قال : ولمّا رجع في خلافة أبيه جَلَس بالمدينة على شراب ، فاستأذن عليه عبدُ الله بن العبّاس ، والحسينُ بن علي ، فأمَر بشَرابه فرفع وقيل له : إنَّ ابن عبّاسٍ إن وَجَدَ ريح شرابَكَ عرَفه . فحجَبه وأُذِن للحسين ، فلمّا دخَلَ وجَدَ رائحة الشراب مع الطِّيب فقال : لله درُّ طِيبك هذا ما أطيبه ، وما كنتُ أحسبُ أحداً يتقدّمنا في صنعة الطِّيب ، فما هذا يا ابنَ معاوية ؟ فقال : يا أبا عبد الله ، هذا طِيبٌ يُصنع لنا بالشام . ثم دَعا بقَدح فشربه ، ثم دعا بقدح آخر فقال : اسقِ أبا عبد الله يا غلام . فقال الحسين : عليك شرابَكَ أيـها المرء ، لا عينَ عليك منّي . فشرب وقال : [من مجزوء الوافر]

ألا يـا صاحِ للعجبِ دعوتُكَ ثمّ لَم تُجِبِ
إلى القينـاتِ واللــذّا تِ والصَّهباء والطَّرَبِ
وباطيـــةٍ مُكلَّلَـــة عليهـــا سادةُ العَرَبِ
وفيهـنّ التـي تَبَلَتْ فـؤادَكَ ثـم لَم تتُبِ

فوثب الحسين عليه السلام وقال : بل فؤادَكَ يا ابن معاوية !

صوت

[من الوافر]

أأن نــادى هدِيلاً يـومَ فَلْج مـع الإشراق في فَنَـنٍ حمامُ

ظَلِلتَ كأنّ دمعَكَ دُرُّ سِلكٍ وَهـى خيطــاً وأسلمَه النِّظامُ
تموتُ تشوُّقـاً طــوراً وتحيا وأنــتَ جديــرُ أنّكَ مُستهامُ
كأنّكَ مــن تذكُّرِ أُمِّ عمرٍو وحبــلُ وصالِها خَلَــقٌ رِمامُ[1]
سلامُ اللهِ يـــا مطــر عليها وليس عليكَ يا مطــرُ السّلامُ
فإنْ يكُن النِّكاحُ أَحَلَّ أُنثى فــإنَّ نِكاحهــا مطــراً حرامُ
ولا غَفَــرَ الإلـــه لمُنكحِيها ذُنوبهــمُ وإنْ صلُّوا وصاموا
فطلِّقْها فلستَ لهـــا بكُفْء وإلاّ عــضَّ مَفرِقَــكَ الحُسامُ

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجرى الوسطى . ولإبراهيم الموصليّ في الأربعة الأبيات الأوّل ثاني ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر .

1 الخلق : البالي ومثله الرمام .

300 ـ [الأحوص ومطر]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خَلاّد الأنصاريّ قال : حدَّثني أبو عبد الله بن سعد الأنصاريّ قال : قدِم الأحوص البصرةَ فخطب إلى رجل من تميم ابنته ، وذكر له نسبه ، فقال : هاتِ لي شاهداً واحِداً يشهد أنّكَ ابن حميّ الدَّبر[1] وأُزوِّجك . فجاءه بمَن شهد له على ذلك ، فزوَّجه إيّاها ، وشرطت عليه ألاّ يمنعها من أحَد من أهلها ، فخرج بها إلى المدينة وكانت أُختها عند رجل من بني تميم قريباً من طريقهم ، فقالت له : اعدِل بي إلى أُختي . ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم ، وكانت من أُحسن النّاس ، وكان زوجُها في إبلِه . فقالت زوجة الأحوص له : أَقِمْ حتّى يأتي . فلمّا أُمسَوْا راح مع إبلِهِ ورِعائه ، وراحت غنمُه فراح من ذلك أمرٌ كثير . وكان يُسمَّى مَطَراً ، فلمّا رآه الأحوصُ ازدراه واقتحمتْه عينُه ، وكان قبيحاً دميماً . فقالت له زوجتُه : قُمْ إلى سِلْفِك وسلِّم عليه . فقال وأشار إلى أُخت زوجته : بإصبعه : [من الوافر]

سلامُ اللهِ يـا مطـرٌ عليهـا   وليس عليكَ يـا مطرُ السلامُ

وذكر الأبيات وأشار إلى مطرٍ بإصبعه ، فوثب إليه مطرٌ وبنوه ، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجِز بينهم .

قال الزّبير : قال محمد بن ثابت : أَبو عبد الله بن سعد الذي حدَّث بهذا الحديث ، أُمّه بنت الأحوص ، وأُمّها التميميّة أُخت زوجة مطر .

وأُخبرنا الحسين بن يحيى قال : حدَّثنا حمّاد عن أَبيه ، أنّ امرأة الأَحوص التي تزوّجها ، إحدى بني سعد بن زيد مناه بن تميم . وذكر باقي القصيدة ، وهو قوله : [من الوافر]

كأنَّكَ مِـن تذكُّـرِ أُمِّ عمرٍو   وحبـلُ وِصالهـا خَلَـقٌ رِمامُ
صَريع مُدامـةٍ غَلَبَـتْ عليـهِ   تموتُ لَهـا المفاصِلُ والعِظامُ
وأنَّى مِن بِـلادِك أُمَّ عمرٍو   سقَى داراً تَحُـلُّ بِهـا الغمامُ
تَحلُّ النَّعفَ مـن أُحُدٍ وأَدنى   مَساكنها الشُّبيكـة أَو سَنامُ[2]
فلـو لَم ينكِحـوا إلاّ كفِيّـاً   لَكـانَ كفيَّهـا الملكُ الهمامُ

أُخبرني الحسين قال : قال حمّاد : قرأت على أبي : حدَّثنا ابن كناسة قال : مَرَّ بنا أُشعبُ

1 الدبر : النحل . ابن حمي الدبر هو عاصم بن ثابت جدّ أبي الأحوص .

2 الشبيكة في ل : السكينة . وسنام : جبل بالحجاز .

ونحن جماعةٌ في المجلس ، فأتى جارٌ لنا صاحب جَوارٍ يقال له أبان بن سُليمان ، وعليه رداء خَلَق ، قد بدا منه ظهرُه وبهِ آثار ، فسلَّم علينا فردَدْنا عليه السلامَ ، فلمّا مضى قال بعضُ القوم : مَدَنيٌّ مجلود ! فأراه سَمِعَها أو سمعها رجلٌ يمشي معه فأخبره ، فلمّا انصرفَ وانتهى إلى المجلس قال : [من الوافر]

سلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها ... وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ

فقلت للقوم : أنتم واللهِ مَطَر .

ومثل ما جرى في هذا الخبر من قوله في المرأة ، خبرٌ له آخر شبيه به مع ابن حزم .

[لومه معمر بن عبد الله على تزويجه أخته]

أُخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثنا محمد بن فضالة ، عن جميع بن يعقوب قال : خطب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، بنت عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، إلى أخيها مَعْمَر بن عبد الله ، فزوَّجه إيّاها ، فقال الأحوص أبياتاً وقال لفتًى من بني عمرو بن عوف : أنْشِدْها مَعْمَر بنَ عبدِ الله في مجلسِه ولك هذه الجُبّة . فقال الفتى : نَعم . فجاءه وهو في مجلسه فقال : [من البسيط]

يا معمر يا ابن زيدٍ حين تَنكحها ... وتستبدُّ بأُمرِ الغيِّ والرشَدِ

فقال : كان ذلك الرّجل غائباً . فقال الفتى : [من البسيط]

أَما تذكّرتَ صيفيّاً فتحفظه ... أَو عاصِماً أَو قتيلَ الشِّعبِ من أُحُدِ

قال : ما فعلتُ ولا تذكّرتُ . فقال الفتى : [من البسيط]

أَكنتَ تجهل حزماً حِينَ تَنكحِها ... أم خفتَ ، لا زلتَ فيها جائع الكبِدِ

قال معمر : لم أَجْهَلْ حزماً . فقال الفتى : [من البسيط]

أَبعدَ صهرِ بني الخطاب تجعلهمُ ... صِهراً وبعد بني العوّامِ من أَسَدِ

فقال معمر : قد كان ذلك . فقال الفتى : [من البسيط]

هَبْها سليلةَ خَيلٍ غيرِ مُقْرِفةٍ ... مظلومةً حُبِست للعَيرِ في الجددِ

قال : نعم أعانَها الله وصَبَّرَها . فقال الفتى : [من البسيط]

فكلُّ ما نالَنا من عارِ مَنكَحها ... شَوًى إذا فارقتْه وهِي لَم تَلِدِ

قال : نعم إلى الله عزّ وجلّ في ذلك الرغبة .

قال الزُّبير : أمّا قوله «صهر بني الخطّاب» فإنّ جميلةَ بنتَ أبي الأَقلح كانت عند عمر بن الخطّاب ، فولدت له عاصم بن عمر : وأمّا «صهر بني العوام» فإنّ نهيسة بنت النُّعمان بن عبد الله بن أبي عُقبة ، كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، فولدت له أبا بكر ومحمداً .

[أمّ جعفر تكره أصواتاً من الغناء القديم]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني مصعب قال : قال الهدير : كرهَتْ أُمُّ جعفر أصْواتاً من الغِناء القديم ، فأرسلَتْ لها رسولاً يُلقيها في البحر ، ثم غنّتها جاريةٌ بعد ذلك : [من الوافر]

سلامُ اللهِ يـا مطـرٌ عليهـا   وليس عليك يـا مطرُ السلامُ

فقالت : هذا أرسِلُوا به رسولاً مفرداً إلى دَهلك[1] ليلقيَه في البحر خاصّة . قال : والذي حمل أُمَّ جعفرٍ على هذا التطيّر على ابنها محمد بن الأمين من هذه الأصوات ، أيّام محاربته المأمون فمنها قوله : [من الطويل]

كُليبٌ لَعمـرِي كان أَكثَرَ ناصراً   وأيسَرَ جرمـاً منك ضُرِّج بالدمِ[2]

ومنها قوله : [من الطويل]

همُ قَتلـوه كَـيْ يكونوا مكانَـه   كما غدَرتْ يوماً بِكسرى مَرازِبُهْ[3]

ومنها قوله : [من الطويل]

رأيت زُهيراً تحـت كلكل خالـدٍ   فأقبلتُ أسعـى كالعَجُـولِ أُبادِرُ[4]

ومنها قوله : [من الطويل]

أبـا منـذرٍ أفنيـتَ فاستَبْقِ بعضَنا   حنانَيكَ بعضُ الشرِّ أَهْوَنُ من بعضِ[5]

مضى الحديث .

صوت

[من الطويل]

وكنّـا كنَدْمانَـيْ جَذِيمةَ حِقبـةً   مـن الدَّهْـرِ حتّى قيل لن يتصدَّعا
فلمّـا تفرَّقنـا كأنّـي ومالِكـاً   لِطولِ اجتماعٍ لَم نَبِتْ ليلـةً معا

الشعر لمتمِّم بن نُوَيرة ، يرثي أخاه مالِكاً . والغناء لسياط .

---

1 دهلك : جزيرة في البحر الأحمر .

2 البيت للنابغة الجعدي وقد تقدّم في ترجمته .

3 البيت للوليد بن عقبة .

4 البيت لورقاء بن زهير .

5 البيت لطرفة في ديوانه ، والمثل «بعض الشر أهون من بعض» في مجمع الميداني 1 : 94 ومستقصى الزمخشري 2 : 10 والدرة الفاخرة 2 : 456 وفصل المقال : 244 . وفي بيت أبي خراش الهذلي :

حمـدت إلهي بعـد عروة إذ نجا   خراش وبعض الشر أهون من بعض .

[301] ـ ذكر متمّم وأخباره وخبر مالك[1] ومقتله
[واستطراد بقصة جذيمة والزبّاء]

[نسبه]

هو متمِّم بن نويرة بن عمرو بن شدّاد بن عبيد بن ثَعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . ويكنى متمِّم بن نويرة أبا نهشل .

[أخوه مالك]

ويُكنى أخوه مالك أبا المِغوار . وكان مالكٌ يقال له فارسُ ذي الخِمار ، قيل له ذلك بفرسٍ كان عنده يقال له «ذو الخمار» ، وفيه يقول وقد أحمَدَه في بعض وقائعه : [من الطويل]

جزاني دَوائي ذُو الخمار وصَنعتي ... بِما بــاتَ أطْواءُ بنــيَّ الأصاغِرُ

[مقتل مالك]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : كان مالك بن نويرة شريفاً فارساً شاعراً ، وكان فيه خُيَلاءُ وتقدُّم ، وكان ذا لِمّة كبيرة ، وكان يقال له الجَفول .

وكان مالِكٌ قُتِل في الرِّدّة ، قتله خالدُ بن الوليد بالبِطاح في خلافة أبي بكرٍ ، وكان مقيماً بالبِطاح ، فلمّا تنبأتْ سَجاحِ اتّبعها ثم أظهَرَ أنّه مسلم ، فضربَ خالدٌ عنقَه صَبْراً ؛ فطَعن عليه في ذلك جماعةٌ من الصحابة ، منهم عُمر بن الخطّاب ، وأبو قَتادة الأنصاريّ ، لأنّه تزوّج امرأةَ مالكٍ بعده . وقد كان يقال إنّه يهواها في الجاهلية واتُّهم لذلك أنّه قَتله مسلماً ليتزوّج امرأتَه بعده .

حدَّثنا بالسبب في مقتل مالك بن نويرة محمد بن جرير الطبريّ قال : كتب إليّ السريّ بن يحيى ، يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيميّ ، عن سيف بن عُمر ، عن الصَّقعب بن عطيّة عن أبيه : أنّ رسول الله ﷺ استعمل عمالَه على بني تميم ، فكان مالك بن نويرة عاملَه على بني يربوع . قال : ولّما تنبأت سَجاح بنتُ الحارث بن سويد بن عُقْفان وسارت من الجزيرة ، راسلت مالكَ بن نويرة ودَعَتْه إلى الموادعة ، فأجابَها وفَثّأها[2] عن غَزْوها ، وحَمَلَها على أحياءِ

---

1 ترجمة متمّم بن نويرة في طبقات ابن سلام : 169–174 والشعر والشعراء 254–258 وخزانة البغدادي 2 : 22–24 وتاريخ الطبري 3 : 24 ومعجم المرزباني : 432 وشعره في المفضليات والجمهرة وأمالي اليزيدي وحماسة اليزيدي وكامل المبرد . وقد اتصلت أخباره بأخبار أخيه . وقد جمعت ابتسام مرهون الصفّار شعر مالك ومتمّم من مختلف المصادر مع مقدمة طويلة وتخريج مستفيض .

2 فثأها : كفّها .

من بني تميم ؛ فأجابته وقالت : نَعَمْ فشأنَكَ بمَن رأيت ، وإنّما أنا امرأةٌ من بني يربوع ، وإن كان مُلكٌ فهو مُلككم . فلمّا تزوّجها مسيلمةُ الكذّاب ودخل بها انصرفَتْ إلى الجزيرة وصالحتْه على أن يحمل عليها النِّصفَ من غَلاّت اليمامة . فارعَوى حينئذٍ مالكُ بن نُوَيرة ونَدِمَ وتحيَّر في ادمرِهِ ، فلحِق بالبِطاح ، ولَم يبقَ في بلاد بني حنظلة شيء يُكره إلاّ ما بَقِيَ من أمر مالك بن نويرة ومَنْ تأشَّب إليه[1] بالبِطاح ، فهو على حاله متحيِّر ما يدري ما يصنع .

وقال سيف : فحدَّثني سهلُ بن يوسف ، عن القاسم بن محمد وعمرو بن شعيب قالا : لمّا أراد خالدُ بن الوليد المسيرَ خرج مِن ظَفَر[2] وقد استبرأ أسداً وغطفان وطيئاً . فسار يريد البِطاح دون الحَزْن ، وعليها مالكُ بن نويرة وقد تردّد عليه أمرُه وقد تردَّدت الأنصار على خالد وتخلّفتْ عنه ، وقالوا : ما هذا بِعهدِ الخليفة إلينا ؛ فقد عهد إلينا إن نحنُ فرَغنا من البُزاخة[3] واستبرأنا بلادَ القوم ، أن يكتب إلينا بما نعمل . فقال خالد : إن يكنْ عَهِد إليكم هذا فقد عَهِد إليّ أن أمضي ، وأنا الأميرُ وإليّ تنتهي الأخبار ، ولَو أنّه لَم يأتني له كتابٌ ولا أمْر ثم رأيتُ فرصةً إن أعلمته بها فاتَتْني لم أعلمه حتّى أنتهزَها . وكذلك لو ابتُلينا بأمرٍ ليس منه عهدٌ إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ونَعمَل به . وهذا مالك بن نُويرة بحِيالنا ، وأنا قاصدٌ بمَن معي من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان ، ولستُ أُكرِههم . ومضى خالدٌ وبرِمت الأنصارُ وتذامروا[4] وقالوا : لئن أصاب القومُ خيراً إنّه لخيرٌ حُرِمتموه ، ولئنْ أصابتهم مصيبةٌ ليجتَنِبَنَّكُم النّاس . فأجمعوا على اللَّحاق بخالد ، وجَرّدوا إليه رسولاً ، فأقام عليهم حتّى لحِقوا بِهِ ، ثم سار حتّى لحِقَ البِطاح فلَم يجد بِهِ أحداً .

قال السريّ عن شعيب ، عن سيف عن خزيمة بن شجرة العُقفانيّ عن عثمان بن سُويد ، عن سويد بن المنعبة الرّياحِيِّ قال : قدِم خالد بن الوليد البِطاحَ فلَم يجِدْ عليه أحداً ، ووجد مالك بن نويرة قد فرَّقهم في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع ، فبثَّ السرايا وأمَرَهم بداعيةِ الإسلام ، فمَن أجابَ فسالِموه ومن لم يُجِبْ وامتنَع فاقتلوه .

وكان فيما أوصاهم أبو بكر : إذا نزلتم منزِلاً فأذِّنوا وأقيموا ، فإنْ أذّن القومُ وأقاموا فكُفّوا عنهم ، وإنْ لم يفعلوا فلا شيء إلاّ الغارة . ثم اقتلوهم كلَّ قِتلة : الحرق فما سواه . فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ، فإن هم أقرّوا بالزّكاة قَبِلتم منهم ، وإلاّ فلا شيء إلاّ الغارة ولا كلمة . فجاءته الخيلُ بمالك بن نويرة في نفرٍ معه من بني ثعلبة بن يربوع ، ومن بني عاصم ، وعبيد ،

1 تأشب إليه : تجمع .

2 ظفر : موضع .

3 البزاخة : ماء لبني أسد .

4 تذامروا : حصنوا بعضهم بعضاً على القتال .

وعرين ، وجعفر ، واختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة . وكان ممّن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصَلّوا . فلمّا اختلفوا فيهم أمَرَ بحبسهم ، في ليلةٍ باردة لا يقوم لها شيء ، وجعلَتْ تزداد برداً ، فأمر خالدٌ منادياً فنادى : «دافئوا أسراكم» . وكان في لغة كنانة إذا قالوا : دافأنا الرجل وأدفئوه ، فذلك معنى اقتلوه من الدفء . فظنّ القوم أنّه يريد القتل فقتلوهم . فقتل ضرار بن الأزور مالِكاً ، فسمع خالدٌ الواعية[1] ، فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه . وقد اختلف القومُ فيهم فقال أبو قَتادة : هذا عملك ! فزبره خالد فغضب ومضى حتّى أتى أبا بكر ، فغضِب عليه أبو بكر حتّى كلّمه عمر بن الخطّاب فيه ، فلم يَرضَ إلاّ بأن يرجع إليه ، فرجَع إليه فلم يزل معه حتّى قدِم المدينة . وقد كان تزوّج خالدٌ أمّ تميم بنت المِنهال وتَركها لينقضيَ طُهرها ، وكانت العرب تكره النساءَ في الحرب وتعايرُه ، فقال عُمر لأبي بكر : إنّ في سيف خالدٍ رَهَقا ، وحقّ عليه أن تُقِيده . وأكثَرَ عليه في ذلك . وكان أبو بكرٍ لا يُقِيد من عُمّاله ولا من وزَعَته[2] ، فقال : هيه يا عمر تأوَّل فأخطأ . فارفعْ لسانك عن خالد . ووَدَى مالكاً ، وكتب إلى خالد أن يقدَم عليه ، ففعل وأخبره خبره فعذَره ، وقَبِل منه ، وعنّفه بالتزويج الذي كانت العرب تعيب عليه من ذلك .

فذكر سيفٌ عن هشام بن عروة عن أبيه قال : شهد قوم من السريّة أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، وشهِد آخرون أنّه لم يكن من ذلك شيء فقُتِلوا . وقدِم أخوه متمّم يَنشُد أبا بكرٍ دَمَه ويَطلب إليه في سَبْيِهم ، فكتب له بردّ السَّبي ، وألحَّ عليه عمر في خالد أن يعزله وقال : إنّ في سيفه لرَهَقاً ! فقال له : لا يا عمر ، لم أكن لأشيمَ سيفاً سلّه الله على الكافرين .

حدَّثنا محمد بن إسحاق قال : كتب إليّ السري عن شعيب عن سيف عن خزيمة عن عثمان عن سويد قال : كان مالكٌ من أكثر الناس شَعراً ، وإنّ أهل العسكر أثّفوا القُدور برؤوسهم[3] ، فما منها رأسٌ إلاّ وَصَلت النّارُ إلى بشرته ، ما خلا مالِكاً فإنّ القدر نضِجت وما نضِج رأسُه من كثرة شَعره ، ووقى الشعرُ البشرةَ من حرِّ النّار أن تبلغَ منه ذلك .

قال : وأنشد متمّم عمر بن الخطّاب وذكر خَمَصه ، يعني قوله : [من الطويل]

لقــد كفــن المِنهالُ تحــت ردائه فتًــى غيرَ مِبطانِ العشيّاتِ أروَعا

فقال : أكذاكَ كان يا متمّم ؟ قال : أمَّا ما أعني فنعم .

أخبرني اليزيديُّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن فليح ، عن موسى بن عُقبة ،

1 الواعية : الصراخ على الميت .

2 الوزعة : جمع وازع ، وهو الذي يدير أمور الجيش ويرد من شذ منهم .

3 أثفوا القدور برؤوسهم : جعلوا أثافيها من رؤوس القتلى .

عن ابن شهاب . وحدَّثنيه أحمد بن الجعد قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيَّبيّ قال : حدَّثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب : أنّ مالك بن نويرة كان من أكثر النّاس شَعراً ، وأنّ خالداً لمّا قتله أمَر برأسِهِ فجعل أُثفِيّة لقدرٍ ، فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النّارُ إلى شَواته .

أُخبرني محمد بن جرير قال : حدَّثنا محمد بن حميد قال حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

أنّ أبا بكر كان مِن عهده إلى جيوشه : أنْ إذا غَشِيتم داراً من دُورِ النّاس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسِكُوا عن أَهلِها حتّى تسألوهم ماذا نَقِموا ، وإذا لم تسمعوا أذاناً فشُنُّوا الغارةَ واقتُلُوا وحَرِّقوا . فكان مِمّن شهدَ لمالك بالإسلام أبو قَتادة الأنصاريّ ، واسمه الحارث بن رِبعيّ أُخو بني سَلمة ، وقد كان عاهَدَ اللهَ أنّه لا يشهد حرباً بعدها أبداً . وكان يحدّث أنّهم لمّا غَشُوا القومَ راعُوهم تحت الليل ، فأخذَ القومُ السلاحَ . قال : فقلنا لهم : إنّا المسلمون . فقالوا : ونحن المسلمون . قلنا : فما بالُ السلاحِ معكم ؟ فإن كنتم كما تقولون فضَعُوا السلاح . ففعلوا ثم صلَّينا وصلَّوا . وكان خالدٌ يعتذر في قتلِهِ أنّه قال له وهو يراجعه : ما إخال صاحبَكم ، يعني النبيّ ﷺ ، إلاّ وقد كان يقول كذا وكذا . فقال خالد : أو ما تعدُّه صاحباً ؟ ثم قدَّمَه فضربَ عنقَه وأعناق أصحابِهِ ، فلمّا بلغ قتلُهم عمرَ بن الخطّاب تكلَّم فيه عند أبي بكر رضي الله عنه ، وقال : عدوُّ الله عَدا على امرىء مسلم فقتلَه ، ثم نَزا على امرأته . وأقبل خالدُ بن الوليد قافلاً حتّى دخل المسجِدَ وعليه قباءٌ له ، وعليه صدأُ الحديد ، معتجراً بعمامة غرز فيها أسهُماً ، فلمّا أنْ دخل المسجدَ قام إليه عُمر فانتزع الأسهمَ من رأسِهِ فحطَّمها ثم قال : أقتلتَ امرءاً مسلماً ثم نَزوتَ على امرأته ، والله لأرجُمنّكَ بأحجارك ! ولا يكلِّمه خالد بن الوليد ولا يظنُّ إلاّ أنّ رأي أبي بكر على مثل رأي عمرَ فيه ، حتّى دخل على أبي بكر فأخبره الخبرَ واعتذر إليه ، فعذَره أبو بكرٍ وتجاوَزَ له عمّاً كان في حربه تلك . فخرج خالدٌ حين رضي عنه أبو بكر ، وعمرُ جالسٌ في المسجد الحرام ، فقال : هلمَّ إليّ يا ابن أُمّ شَملة . فعرف عمرُ أنّ أبا بكر قد رضيَ عنه ، فلم يكلِّمه ودخل بيتَه . وكان الذي قتل مالكَ بنَ نويرة عبدُ بن الأزوَر الأسديّ .

وقال محمد بن جرير : قال ابن الكلبيّ : الذي قتل مالكَ بن نويرة ضِرارُ بن الأزور .

[أخبار في عذر خالد]

وهكذا روى أبو زيد عُمر بن شبّة عن أُصحابِهِ ، وأبو خليفة عن محمد بن سلام قال : قَدِم مالِكُ بن نُويرة على النبيّ ﷺ فيمَن قَدِم من أُمثالِهِ من العربِ ، فولاّه صدقاتِ قومِهِ بني يربوع ، فلمّا ماتَ النبيُّ ﷺ اضطربَ فيها فلم يُحمَد أمرُه ، وفرَّقَ ما في يدِهِ من إبل الصدقة ، فكلّمه

الأقرع بن حابسٍ المُجاشعيّ ، والقَعقاع بن مَعبد بن زُرارة الدارِميّ فقالا له : إنَّ لهذا الأَمر قائِماً وطالباً ، فلا تَعْجَلْ بتفرقةِ ما في يدك . فقال[1] : [من الوافر]

أَرانِي اللهُ بالنَّعَمِ المندَّى ببُرقةِ رحرحانَ وقد أَراني
تَمشَّى يا ابنَ عَوذةَ في تميمٍ وصاحبُكَ الأُقيرعُ تَلْحياني
حميتُ جميعَها بالسَّيفِ صَلتاً ولَم تُرعَش يداي ولا بناني

يعني أُمُّ القعقاع ، وهي مُعاذَةُ بنت ضِرار بن عمرو . وقال أيضاً[2] : [من الطويل]

وقُلْتُ خُذوا أموالَكم غيرَ خائفٍ ولا ناظرٍ فيما يجيءُ من الغدِ
فإنْ قامَ بالأَمرِ المخوّف قائمٌ مَنعنا وقلنا الدِّينُ دِينُ محمَّدِ

قال ابن سلام : فمَن لا يعذِر خالداً يقول : إنّه قال لخالد : وبهذا أَمَرَك صاحبُك ، يعني النبيّ ﷺ ، وأنّه أرادَ بهذه القرشيّة . ومَن يعذر خالداً يقول : إنّه أراد انتفاءَ من النبوّة ، ويحتجّ بشعرَيه المذكورَين آنفاً . ويذكُر خالدٌ أنّ النبيّ ﷺ لمّا وجَّهه إلى ابن جُلندَى قال له : يا أبا سليمان ، إنْ رأت عينُك مالِكاً فلا تزايلْه أو تقتلَه .

قال محمد بن سلاّم : وسمعني يوماً يونسُ وأَنا أُرادُّ التميمية في خالدٍ وأعذرُه ، فقال لِي : يا أبا عبد الله ، أَما سمعتَ بساقَيْ أُمّ تميمٍ ؟ يعني زوجةَ مالك التي تزوّجها خالدٌ لما قتله ، وكان يقال إنّه لم يُرَ أحسَنُ من ساقيها . قال : وأحسنُ ما سمعتُ من عذر خالد قول متمّم بأنّ أَخاه لم يُستشهَدْ . ففيه دليلٌ على عذر خالد .

[متمّم ينشد أبا بكر]

أَخبرنا اليزيديّ قال : حدَّثنا الرياشي قال : حدَّثني محمد بن الحكم البَجلي عن الأنصاريّ قال : صلَّى متمّم بن نويرةَ مع أبي بكرٍ الصُّبح ، ثم أنشده قوله[3] : [من الكامل]

نِعمَ القتيلُ إذا الرياحُ تَناوحَتْ تحت الإزار قَتلتَ يا ابن الأزورِ
أَدعوتَه بالله ثُمّ قتلتَه لو هُو دَعاكَ بذِمّة لم يَغدرِ

فقال أبو بكر : والله ما دعوتُه ولا قتلته . فقال :

لا يُضمِر الفحشاءَ تحت ردائِهِ حلوٌ شمائله عفيفُ المِئزرِ
ولَنِعمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنت وحاسراً ولَنِعمَ مأوى الطارقِ المتنوِّرِ

---

1 شعر مالك بن نويرة : 80–81 .
2 شعر مالك : 66 .
3 شعر متمم بن نويرة : 91–92 .

قال : ثم بكى حتّى سالت عينُه ، ثم انخرط على سِيَة قوسِه متكئاً . يعني مغشيّاً عليه .

[وصف متمّم لمالك]

أخبرني اليزيديّ قال حدَّثنا الرياشيّ قال حدَّثني محمد بن صخر بن خلخلة قال : ذَكَرَ متمّم بن نويرة أخاه في المدينة فقيل له : إنّك لتذكر أخاك ، فما كانت صِفتُه ، أو صِفْهُ لنا ؟ فقال : «كان يركب الجَمَل الثّفالَ[1] في الليلة الباردة ، يرتوي لأهلِهِ بين المزادتين المضرَّجتين[2] ، عليه الشَّملةُ الفلوت[3] ، يقود الفَرَس الجرور[4] ، ثم يصبح ضاحِكاً» .

[تكفين المنهال لمالك]

أخبرني اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير ، عن الزُّبير بن حبيب بن بدر الطائيّ وغيره : أنّ المنهال رجلاً من بني يربوع ، مَرَّ على أشلاءِ مالك بن نويرة لمّا قَتَله خالد ، فأخذ ثوباً وكفّنه فيه ودفنه ، ففيه يقول متمّم[5] : [من الطويل]

صوت

لعمري وما دَهري بتأبينِ مالك ... ولا جَـزعٍ ممّـا أَصابَ فأَوجَعا

لقــد كَفَّــنَ المِنهـالُ تحت ردائِهِ ... فتًـى غَيرَ مبطانِ العشيّاتِ أَروعا

غنّاه عمرو بن أبي الكنّاتِ ، ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش .

[متمّم ينشد عمر رثاءه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قال : حدَّثنا الحسن بن محمد البصريّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن إسماعيل القُضاعيّ قال حدَّثني أحمد بن عمّار العبديّ ، وكان من العلم بموضع قال : حدَّثني أبي عن جدِّي قال : صلّيتُ مع عمر بن الخطّاب الصبحَ ، فلمّا انفتلَ من صلاته إذا هو برجلٍ قَصير أعوَرَ متنكّباً قوساً ، وبيدِهِ هِراوة ، فقال : مَن هذا ؟ فقال : متمّم بن نويرة . فاستنشده قولَه في أخيه ، فأنشده : [من الطويل]

لعمرِي وما دَهرِي بتأبين مالك ... ولا جَـزعٍ مِمّا أَصابَ فأَوجعا

لقــد كفَّــنَ المِنهال تحــتَ ثيابه ... فتًـى غيرَ مبطانِ العشياتِ أَروعا

حتّى بَلغ إلى قوله :

---

1 الثفال : البطيء .

2 المضرجتين : المشقوقتين . وفي رواية النضوحتين .

3 الشملة الفلوت : المئزر الذي لا ينضم طرفاه .

4 الفرس الجرور : الذي لا ينقاد فيجب جرّه .

5 هذه العينية هي المفضلية 57 ، فانظرها في شرح ابن الأنباري وفي مجموع شعر متمّم : 106 .

وكنّا كندمانَيْ جَذيمةَ حِقبةً ... من الدَّهرِ حتَّى قِيل لن يتصدّعا[1]

فلمّا تفرَّقنا كأنّي ومالِكاً ... لِطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

فقال عُمر : هذا والله التأبين ، ولَودِدتُ أنّي أُحسِنُ الشِّعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثَيتَ بِهِ أخاك . فقال متمّم : لو أنّ أخي ماتَ على ما مات عليه أخوك ما رثيته ، وكان قُتل باليمامة شهيداً ، وأمير الجيش خالدُ بن الوليد ، فقال عمر : ما عزّاني أحد عن أخي بمثل ما عزّانِي به متمّم .

وقال : وكان عمر يقول : ما هبت الصَّبا من نحو اليمامة إلاّ خُيِّل إليّ أنّي أشم ريح أخي زيد .

قال : وقيل لمتمّم : ما بلغَ من وجدك على أخيك ؟ فقال أُصِبتُ بإحدى عينيّ فما قَطرت منها دمعةٌ عشرينَ سنة ، فلمّا قُتِل أخي استَهلّت فما تَرقأ[2] .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا أبو أحمد الزُّبيريّ قال : حدَّثنا عبد الله بن لاحق ، عن ابن أبي مليكة قال : مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحُبْشيّ[3] خارج مكّة ، فحُمِل فدفن بمكّة ، فقدِمت عائشةُ فوقفَتْ على قبره وقالت متمثلة : [من الطويل]

وكنّا كندمانَيْ جذيمةَ حِقبةً ... من الدَّهر حتّى قيل لن يتصدّعا

فلمّا تفرَّقنا كأنّي ومالِكاً ... لِطولِ اجتماع لم نبِتْ ليلة معا

أمَا والله لو حضرتُكَ لدفنتك حيث مِتّ ، ولو شَهِدتك ما زرتك .

أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدَّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أنّ متمّم بن نويرة دخل على عمر بن الخطّاب فقال له عمر : ما أرى في أصحابك مِثلَك . فقال : يا أمير المؤمنين أمَا والله إنّي مع ذلك لأركب الجمَل الثَّفال ، وأعتقِل الرُّمحَ الشَّطون[4] ، وألبَسُ الشَّملةَ الفَلُوت . ولقد أسرَتْني بنو تغلبَ في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالِكاً فجاء ليفديَني منهم ، فلمّا رآه القومُ أعجبهم جَمالُه ، وحدَّثهم فأعجبهم حديثه ، فأطلقوني له بغير فداء .

1 المثل «هما كندماني جذيمة» في مجمع الميداني 2 : 139 وجمهرة العسكري : 365 وفصل المقال : 257 ومستقصى الزمخشري 2 : 234 .

2 ما ترقأ : ما يجفّ دمعها وينقطع .

3 الحبشيّ : جبل بأسفل مكّة تحالفت عنده قبائل فسمّوا الأحابيش .

4 الرمح الشطون : الطويل الأعوج .

[إنقاذ مالك لمتمّم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني النوفليّ عن أبيه وأهله قالوا: لمّا أنشد متمّم بن نويرة عمرَ بن الخطّاب قولَه يرثي أخاه مالِكاً: [من الطويل]

وكنّا كندمانَيْ جذيمة حِقبةً من الدَّهر حتّى قيل لَن يتصدّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالِكاً لِطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

قال له عمر: هل كان مالِكٌ يحبُّكَ مثلَ محبّتك إيّاه، أم هل كان مثلَكَ؟ فقال: وأين أنا من مالك، وهل أبلغُ مالكاً، والله يا أمير المؤمنين. لقد أَسَرني حيٌّ من العرب فشدّوني وَثاقاً بالقِد، وألقَوني بفنائهم، فبلغه خبري فأقبلَ على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوسٌ في ناديهم. فلمّا نظر إليّ أعرضَ عنّي، ونظر القومُ إليه فعَدَلَ إليهم، وعرفتُ ما أراد، فسلّم عليهم وحادثهم وضاحَكهم وأنشدهم، فوالله إنْ زال كذلك حتى ملأهم سروراً، وحضَر غَداؤهم فسألوه ليتغدَّى معهم فنزلَ وأكل، ثم نظر إليّ وقال: إنّه لقبيح بنا أن نأكلَ ورجلٌ ملقًى بين أيدينا لا يأكل معنا! وأمسكَ يَدَه عن الطّعام. فلمّا رأى ذلك القومُ نَهضُوا وصبُّوا الماء على قدّي حتى لانَ وخلّوني، ثم جاءوا فأجلسوني معهم على الغَداء، فلمّا أكلنا قال لهم: أما ترون تَحرُّم هذا بنا وأكلَه معنا، إنّه لقبيح بكم أن تردُّوه إلى القِدّ. فخلّوا سبيلي فكان كما وصفت. وما كذبتُ في شيء من صفته إلاّ أنّي وصفتُه خميصَ البطن، وكان ذا بطن.

[خلاف متمّم مع زوجته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن نصر العتيقيّ قال: حدَّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزرقيّ، عن أبيه عن مروان بن موسى. ووجدت هذا الخبر أيضاً في كتاب محمد بن عليّ بن حمزة العلويّ، عن عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه: أنّ عمر بن الخطّاب قال لمتمّم بن نويرة: إنّكم أهلُ بيت قد تَفانيتم، فلو تزوّجتَ عسى أن تُرزقَ ولداً يكون فيه بقيّةٌ منكم. فتزوّج امرأةً بالمدينة فلم ترضَ أخلاقه لشدّة حُزنه على أخيه، وقِلّة حَفْلِه، فكانت تُماظُّه[1] وتؤذيه، فطلّقها وقال[2]: [من الطويل]

أقول لهندٍ حينَ لم أَرضَ فِعلَها أَهذا دلالُ الحبّ أم فعلُ فارِكِ[3]
أمِ الصرمُ ما تبغي، وكلُّ مُفارقٍ يسيرٌ علينا فقدُه بعدَ مالكِ

1 تماظه: تخاصمه وتشاتمه.
2 شعر متمم: 128.
3 الفارك: المبغضة لزوجها.

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ النحوي قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أحمد بن معاوية ، عن سلمويه بن أبي صالح ، عن عبد الله بن المبارك عن نعيم بن أبي عمرو الرازيّ قال : بينا طلحةُ والزُّبير يسيران بين مكّة والمدينة إذْ عرَضَ لهما أعرابيّ ، فوقفا ليمضيَ فوقف ، فتعجَّلا ليسبقاه فتعجَّل ، فقالا : ما أثقلَكَ يا أعرابيّ ، تَعجَّلنا لنسبقَك فتعجّلت ، فوقفنا لتمضيَ فوقفت ؟ فقال : لا إله إلاّ الله مُفْني أغدَر النّاس ، أغدر بأصحاب محمد ﷺ ؟ هَبانِي خِفتُ الضَّلالَ فأحببت أن أستدلَّ بكما ؛ أو خِفتُ الوَحشة فأحببت أن أستأنس بكما . فقال طلحة : من أنت ؟ قال : أنا متمّم بن نويرة . فقال طلحة : واسوأتاه ، لقد مَلِلْنا غيرَ مملول . هاتِ بعض ما ذكرتَ في أخيك من البكاء . فزوّجوه أُمَّ خالد ، فبينا هو واضعٌ رأسَه على فخذها إذْ بكى فقالت : لا لإله إلاّ الله ، أما تنسى أُخاك . فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

أقولُ لهـا لـمّا نَهتْني عن البُكا ... أفي مالـكٍ تلحَيْننـي أُمَّ خالدِ

فإن كان إخواني أُصيبوا وأخطأتْ ... بني أُمّك اليومَ الحُتوف الرواصدُ[2]

فكـلُّ بنـي أُمّ سيمسونَ ليلـةً ... ولَم يَبْقَ مـن أُعيانِهِم غيرُ واحدِ

أمّا معنى قول متمّم : [من الطويل]

وكنّا كندمانَيْ جذيمـة حِقبة

فإنّه يعني نديمي جذيمة الأبرش الملك ، وهو جذيمة بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عُدثان الأسْديّ[3] .

وكان الخبر في ذلك ما أخبرنا به علي بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السكري ، عن محمد بن حبيب . وذكر ابن الكلبيّ عن أبيه والشرقيّ وغيره من الرّواة أنّ جذيمة الأبرش ، وأصله من الأزد ، وكان أوّل مَن ملك قُضاعة بالحِيرة ، وأوّل مَن حَذا النِّعال ، وأُدلج من الملوك ، ورُفِع له الشَّمَع ، قال يوماً لجلسائه : قد ذُكِر لي عن غلامٍ من لخم ، مُقيم في أخوالِهِ من إيادٍ ، له ظَرف ولُبٌّ ، فلو بعثتُ إليه يكون في نِدماني ، وولّيته كأسي والقيامَ بمجلسي ، كانَ الرأي ، فقالوا : الرأي ما رأى الملكُ ، فليبعثْ إليه . ففعل فلمّا قَدِم فَعل به ما أراد له ، فمكث كذلك مدّة طويلةً ثم أشرفَتْ عليه يوماً رَقاشِ ابنةُ الملك ؛ أختُ جذيمة ، فلَم تزلْ تراسلُه حتَّى اتّصل بينهما ، ثم قالت له : يا عديّ ، إذا سقيتَ القوم فامزجْ لهم واسقِ الملك صِرفاً ، فإذا أخذَتْ منه

1 شعر متمم : 88 .

2 في هذا البيت إقواء .

3 الأسد : بسكون السين لغة في الأزد .

الخمر فاخطُبني إليه فإنّه يزوّجك ، وأَشهِد القومَ عليه إنْ هو فعل . ففعل الغلام ذلك فخطَبها فزوّجه ، وانصرف الغلامُ بالخير إليها فقالت : عرِّسْ بأهلك . ففعل فلمّا أصبحَ غَدا مضرَّجاً بالخَلُوق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثارُ يا عديّ ؟ قال : آثار العُرس . قال : أيُّ عرس ؟ قال : عرس رَقاشِ . قال : فنخرَ وأكبَّ على الأرض ، ورفع عديٌّ جراميزه[1] ، فأسرع جذيمةُ في طلبه فلم يحسسْهُ ، وقيل إنّه قتله وكتب إلى أُخته : [من الخفيف]

حَدِّثيني رَقاشِ لا تكذِبيني ... أَبِحُرٍّ زنيتِ أم بهجينِ

أم بعبدٍ فأنتِ أهلٌ لعبدٍ ... أم بِدُونٍ فأنتِ أهلٌ لدونِ

قالت : بل زوّجْتَني امرءاً عربيّاً . فنقَلَها جذيمة وحصَّنها في قصره ، واشتملت على حَملٍ فولدت منه غلاماً وسمّته عمراً وربَّتْه ، فلمّا ترعرع حَلَّته وعَطَّرته وألبسَته كُسوةَ مثلِهِ ، ثم أرَته خالَه فأعجِبَ بِهِ ، وأُلقيَتْ عليه مِنه مَحَبّةٌ ومودّة ، حتّى إذا وصُف[2] خرجَ الغلمان يجتنون الكمأة في سنةٍ قد أكمأتْ ، وخرجَ معهم ؛ وقد خرج جذيمة فبسِط له في روضةٍ ، فكان الغلمانُ إذا أصابوا الكمأة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خَبأها ، ثم أقبلوا يتعادَوْن وهو معهم يَقدُمهم ويقول : [من الرجز]

هـذا جنـايَ وخِيارُه فيـه ... إذْ كلُّ جانٍ يـده إلى فيـهِ[3]

فالتزمه جذيمةُ وحَباه وقرُبَ من قلبه ، وحلَّ منه بكلّ مكان . ثم إنّ الجنّ استطارته ، فلَم يزلْ جذيمةُ يرسِل في الآفاق في طلبِهِ فلم يُسمَع له بخبر ، فكفّ عنه . ثم أقبل رجلانِ يقال لأحدهما عَقيل والآخر مالك ، ابنا فالج ، وهما يريدان الملكَ بهدية ، فنزلا على ماء ومعهما قينةٌ يقال لها أُمّ عمرو ، فنصبَتْ قدراً وأصلحت طعاماً ، فبينما هما يأكلانِ إذْ أقبل رجلٌ أشعثُ أغبر ، قد طالت أظفارُه وساءَت حاله ، حتّى جلس مَزْجَر الكلب ، فمدَّ يدَه فناولتْه شيئاً فأكله ، ثم مدّ يده فقالت : «إن يُعطَ العبدُ كُراعاً يتّسع ذراعاً»[4] فأرسلَتْها مثلاً . ثم ناولتْ صاحبيها من شرابها وأوكت[5] دَنَّها ، فقال عمرو بن عديّ[6] : [من الوافر]

---

1 الجراميز : ما انتشر من الثياب .

2 وصف : شب .

3 هذا المثل في مجمع الميداني 2 : 138 و397 وجمهرة العسكري 2 : 136 ومستقصى الزمخشري 2 : 386 .

4 المثل «إن تعطِ العبد كراعاً يطلب ذراعاً» في مستقصى الزمخشري . وبلفظ «أعطي . . . فطلب . . .» في جمهرة العسكري 1 : 107 وفصل المقال : 397 .

5 أوكت : ربطت .

6 هذان البيتان في معلقة عمرو بن كلثوم .

صوت

صَددتِ الكأسَ عنّا أُمَّ عمرٍو   وكان الكأسُ مَجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثة أُمَّ عمرو   بصاحبِك الذي لا تَصبَحينا

غنّاه معبد فيما ذكر عن إسحاق في كتابه الكبير . وقد زعم بعض الرّواة أنّ هذا الشعر لعمرو بن معديكرب .

وأخبرنا اليزيديّ قال : حدَّثنا الخليل بن أسد النُّوشجانيّ قال : حدّثنا حفص بن عمرو ، عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، أنّ هذا الشعر لعمرو بن معديكرب في ربيعةٍ بن نصرٍ اللخميّ .

رجع الحديث إلى سياقه

فقال الرجلان : ومَن أنت ؟ فقال : «إن تنكراني أو تنكرا نسبي ، فإنّني عمرو وعديّ أبي» ، فقاما إليه فلَثماه ، وغَسَلا رأسه وقلّما أظفاره ، وقصّرا من لِمَّتِه ، وألبساه من طرائفِ ثيابهما وقالا : ما كُنّا لنهديَ إلى الملك هديّةً أنفس عنده ولا هو عليها أحسن صَفَدا[1] من ابن أخته ، فقد ردّه الله عزّ وجلّ إليه . فخرجا حتى إذا دَفَعا إلى باب الملك بشَّراه به ، فصرفَه إلى أُمِّه ، فألبستْه ثياباً من ثياب الملوك ، وجعلَتْ في عنقه طوقاً كانت تُلبسه إيّاه وهو صغير ، وأمرَتْه بالدّخول على خالِهِ ، فلمّا رآهُ قال : «شبّ عمرٌو عن الطوق»[2] فأرسلها مثلاً . وقال للرجلين اللذين قدما به : احكما فلكما حكمكما . قالا : منادمتُك ما بقيتَ وبقِينا . قال : ذلك لكما . فهما نديماً جذيمةَ اللذان ذكرهما متمّم ، وضَربت بهما الشعراءُ المَثَل . قال أبو خِراشٍ الهذَليّ :   [من الطويل]

أَلَم تَعلمِي أنْ قد تفرَّقَ قبلنا   خليلا صفاءٍ مالِكٌ وعقيلُ

قال ابن حبيب في خبره : وكان جذيمةُ من أفضل الملوك رأياً ، وأبعَدِهم مُغاراً ، وأشدِّهم نكاية ، وهو أوّل من استجمع له الملكُ بأرض العراق ، وكانت منازلُه ما بين الأنبار وبَقّة وهِيت وعَين التمر ، وأطراف البرّ والقُطقطانة[3] والحيرة ، فقَصد في جموعه

---

1 الصفد : العطية .

2 المثل «شبّ عمرو عن الطوق» في جمهرة العسكري 1 : 547 ومستقصى الزمخشري 2 : 126 وفصل المقال : 125 وبلفظ «كبر عمرو . . .» في مجمع الميداني 2 : 137 .

3 القطقطانة : موضع قرب الكوفة .

عمرو بن الظَّرِب بن حسّان بن أُذينة بن السميدع بن هَوبر العامليّ ، من عاملة العماليق ، فجمَع عمرو جموعَه ولقيه ، فقتله جذيمةُ وفضَّ جموعه . فانفلّوا[1] وملَّكوا عليهم ابنته الزبّاء ، وكانت من أحزم الناس ، فخافت أن تغزوَها ملوكُ العرب فاتّخذتْ لنفسها نَفَقاً في حصنٍ كان لها على شاطىء الفرات ، وسَكّرت الفراتَ في وقت قِلّة الماء ، وبنت أزجا[2] من الآجُرّ والكِلْس ، متَّصِلاً بذلك النفق ، وجعلتَ نَفقاً آخر في البرِّيّة متّصلاً بمدينةٍ لأختها ، ثم أُجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدُوّاً دخَلت النفَق . فلمّا اجتمعَ لها أمرُها واستحكم مُلكها أجمعت على غَزْو جذيمة ثائرةً بأبيها ، فقالت لها أختُها وكانت ذاتَ رأيٍ وحزم : إنّك إن غزوتِ جذيمة فإنّه امرؤٌ له ما يصدّه ، فإن ظفرتِ أصبتِ ثأرَكِ ، وإن ظفِر بك فلا بقيّة لك ، والحربُ سِجال ، ولا تَدرين كيفَ تكون أَلَكِ أَم عليك ؛ ولكن ابعثي إليه فأعلميه أنّكِ قد رغبتِ في أن تتزوّجيه وتجمعي ملكَك إلى ملكه ؛ وسَليه أن يجيبَك إلى ذلك ، لأنّه إن اغتر ففعل ظفِرتِ به بلا مُخاطَرة . فكتبت الزباءُ في ذلك إلى جَذيمة تقول له : إنّها قد رغِبَت في صلة بلدها ببلده ، وإنَّها في ضعفٍ من سلطانها ، وقلَّة ضبطٍ لمملكتها ، وإنّها لم تجد كفئاً غيره ، وتسأله الإقبالَ عليها وجَمْعَ مُلكِها إلى مُلكِهِ . فلمّا وصلَ ذلك إليه استخفَّه وطمع فيه ، فشاور أصحابَه فكلٌّ صوَّبَ رأيهُ في قصدها وإجابتها ، إلاّ قصيرَ بنَ سعدِ بن عمرو بن جَذيمة بن قيس بن هلال بن نُمارة بن نخم ، فقال : هذا رأيٌ فاتر ، وغَدرٌ حاضر[3] ، فإن كانتْ صادقة فلتُقْبلْ إليك وإلاّ فلا تمكنها من نفسك فتقعَ في حبالها وقدْ وتَرتها في أَبيها . فلم يوافقْ جذيمةَ ما قال وقال له : «أنت امرؤٌ رأيك في الكِنّ لا في الضِّحّ»[4] . ورحلَ فقال له قصير في طريقه : انصرفْ ودمُك في وجهك . فقال جذيمة : «ببَقَّةَ قُضِيَ الأمر»[5] فأرسلَها مثلاً . ومضى حتّى إذا شارف مدينتَها قال لقَصير : ما الرأي ؟ قال : «ببقّة تركتُ الرأي» . قال : فما ظنُّك بالزبّاء ؟ قال : «القولُ رِدافٌ ، والحزمُ عَيْرانَةٌ لا تخاف»[6] . واستقبله رسلُها بالهدايا والألطاف فقال : يا

1 أنفلوا : انهزموا .

2 الأزج : البيت المستطيل .

3 المثل «رأي فاتر وغدر حاضر» في مجمع الميداني 1 : 233 ومستقصى الزمخشري 2 : 92 .

4 الضح : الشمس والبارز من الأرض . والكن : البيت . وهذا المثل في مجمع الميداني 1 : 233 ومستقصى الزمخشري 2 : 380 .

5 المثل «ببقة قضي (صرم) الأمر» في مجمع الميداني 1 : 90 ومستقصى الزمخشري 2 : 6 وجمهرة العسكري 1 : 203 وفصل المقال : 125 ، وكذلك المثل «ببقة تركت (خلفت) الرأي» .

6 المثل «القول رداف والحزم عيرانة لا تخاف ، أو والحزم عترانة تخاف» في مجمع الميداني 1 : 234 .

قَصير ، كيف ترى ؟ قال «خطر يسير في خطب كبير»[1] ، وستلقاك الخيول ، فإن سارتْ أمامَك فالمرأةُ صادقة ، وإن أخذَتْ في جنبيك وأحاطت بِكَ فالقومُ غادرون . فلقيته الخيولُ فأحاطت به ، فقال له قصير : اركبِ العصا فإنّها لا تُدرَك ولا تُسبَق ، يعني فرساً له كانت تُجنَب ، قبلَ أن يَحُولوا بينك وبين جنودك . فلم يفعلْ ، فجال قصيرٌ في ظهرها فمرّتْ به تعدو في أوّل أصحاب جذيمة . ولّما أُحيط بجذِيمةَ التفتَ فرأى قصيراً على فرسه العصا في أوّل القوم ، فقال : «لَحازمٌ مَنْ يُجرِي العصا في أوّل القوم»[2] . فذكر أبو عبيدة والأصمعيّ أنّها لم تكن تَقِف ، حتّى جرت ثلاثين ميلاً ، ثم وقفت فبالت هناك ، فبُني على ذلك الموضع برجٌ يسمَّى العصا ، وأُخِذ جذيمةُ فأُدخِلَ على الزباء فاستقبلتْه قد كشفت عن فرجها ، فإذا هي قد ضَفَرتِ الشعر عليه ، فقالت : يا جَذِيم أذاتَ عروسٍ تَرى ؟ قال : بل أُرى مَتاعٍ أَمَةٍ لكْعاءَ غيرِ ذاتِ خفر . ثم قال : بُلغ المَدى ، وجفَّ الثَّرى ، وأمرَ غدرٍ أُرى . قالت : واللهِ ما ذلك من عَدم مَواسٍ ، ولا قلّة أواسٍ[3] ، ولكنّها شيمةُ ما أناسٍ . ثم قالت لجواريها : خُذْنَ بعَضُدِ سيِّدِكنَّ . ففعلنَ ثم دَعَتْ بنطعٍ فأجسلتْه عليه ، وأمرَت برواهشه[4] فقُطعت في طَستٍ من ذهب يسيلُ دمه فيه ، وقالت له : يا جَذيم لا يضيعنّ مِن دمك شيءٌ فإنّي أريده للخَبْل[5] . فقال لها : وما يَحزنُكِ مِن دمٍ أَضاعَه أَهله[6] . وإنّما كان بعض الكهّان قال لها : إنْ نَقط من دمه شيءٌ في غير الطست أُدرِكَ بثأره . فلم يزلْ دمُه يجري في الطِّست حتى ضعُف ، فتحرّكَ فنقطت من دمه نُقطة على أسطوانة رخامٍ ومات .

قال : والعرب تتحدّث في أنَّ دماء الملوك شفاءٌ من الخَبْل . قال المتلمس : [من الطويل]

من الدارِميِّينَ الذين دماؤهـــمْ شِفاءٌ من الداءِ المجَنَّةِ والخبلِ

قال : وجمعت دمَه في بَرنيّة وجعلتْه في خزانتها ، ومضى قصيرٌ إلى عمرو بن عبد الحُرّ التَّنوخيّ فقال له : اطلبْ بدم ابن عمّك وإلاّ سبَّتْك به العرب ، فلم يحفِل بذلك . فخرج قصيرٌ إلى عمرو بن عديّ ابن أخت جذيمة فقال : هل لك في أن أصرفَ الجنودَ إليك على

---

1 في سياق شرح المثل «خطب (خطر) يسير في خطب كبير» . وانظر مستقصى الزمخشري 2 : 174 .
2 المثل «ويل أمه حزماً على متن العصا» في مجمع الميداني 1 : 234 .
3 أواسي : جمع آسية وهي الخاتنة .
4 الرواهش : عروق في باطن الذراع .
5 الخبل : الجنون .
6 المثل «لا يحزنك دم أضاعه (هراقة) أهله» في مجمع الميداني 2 : 231 . ومستقصى الزمخشري 2 : 268 وجمهرة العسكري 2 : 235 .

أن تطلبَ بثأر خالك ؟ فجعلَ ذلك له ، فأتى القادةَ والأعلامَ فقال لهم : أنتم القادةُ والرؤساء ، وعِندنا الأموالُ والكنوز . فانصرفَ إليه منهم بشَرٌ كثير ، فالتقى بعمرٍو التنوخيّ فلمّا صافُّوا القتال تابَعَه التنوخيّ ومالك بن عمرٌو بن عديّ . فقال له قصير : انظرْ ما وعدتَني في الزبّاء . فقال : وكيف وهي أمنعُ من عُقاب الجوّ[1] ؟ فقال : أمّا إذْ أبيتَ فإنّي جادعٌ أنفي وأُذُني ، ومحتالٌ لقتلها ، فأعِنّي وخَلاك ذم[2] . فقال له عمرو : وأنت أبصَر . فجدعَ قصيرٌ أنفه[3] ثم انطلق حتّى دخل على الزبّاء فقالت : مَن أنت ؟ قال : أنا قصير ، لا وربِّ البشَر ما كان على ظهر الأرضِ أحدٌ أنصحَ لجذيمة منّي ولا أغشّ لكِ حتّى جدَع عمرو بن عديّ أنفي وأُذُني ، فعرفتُ أنّي لن أكونَ مع أحد أثقلَ عليه منك . فقالت : أيْ قصيرُ نقبَل ذلك منك ، ونصرّفك في بِضاعتنا . وأعطتْه مالاً للتجارة ، فأتى بيت مالِ الحيرة فأخذ منه بأمر عديّ ما ظنَّ أنّه يُرضيها ، وانصرف إليها به ، فلمّا رأت ما جاء به فرِحَتْ وزادته . ولم يزلْ حتّى أنستْ به فقال لها : إنّه ليس مِن ملكٍ ولا ملِكة إلاّ وقد ينبغي له أن يتَّخذ نَفقاً يهرُب إليه عند حُدوث حادثة يخافها . فقالت : أمَا أنّي قد فعلتُ واتّخذْت نفقاً تحت سريري هذا ، يخرجُ إلى نفَقٍ تحت سرير أُختي . وأرَتْه إيّاه ، فأظهـرَ لها سروراً بذلك . وخرج في تجارته كما كان يفعل ، وعرف عمرُو بنُ عديٍّ ما فعله ، فركب عمرو في ألفَيْ دارعٍ على ألف بعير في الجَوالق حتّى إذا صاروا إليها تقدَّمَ قصيرٌ يسبق الإبـل ودَخَـل على الزبّاء فقال لها : اصعَدي في حائط مدينتك فانظُري إلى مالكِ ، وتَقدّمي إلى بوّابِك فلا يعرضْ لشيءٍ من أعكامنا[4] ، فإنّي قد جئتُ بمالٍ صامت . وقد كانت أمِنته فلم تكن تتَّهمه ولا تخافه ، فصعِدت كما أمرها فلمّا نظَرتْ إلى ثِقل مَشْي الجمال قالت ، وقيل إنّه مصنوع منسوب إليها : [من الرجز]

مـــا للجمالِ مشيُها وئيدا أجندلاً يَحمِلنَ أم حديدا
أم صَرَفاناً بـارِداً شديداً أم الرجـــالُ جُثَّما قُعودا[5]

---

1 المثل «أمنع من عقاب الجو» في مجمع الميداني 1 : 235 والدرة الفاخرة 2 : 386 وجمهرة العسكري 2 : 227 ومستقصى الزمخشري 1 : 369 .

2 المثل «. . . وخلاك ذم» في مجمع الميداني 1 : 224 وفصل المقال : 313 ومستقصى الزمخشري 1 : 224 .

3 المثل «لأمر ما جدع قصير أنفه» في مجمع الميداني 1 : 235 والدرة الفاخرة 1 : 106 ومستقصى الزمخشري (حز) 1 : 240 وأمثال الضبي : 146 .

4 الأعكام : جمع عكم وهو العدل .

5 الصرفان : ضرب من التمر . وقيل الرصاص .

فلمّا دخل آخِرُ الجمال نَخس البوّابُ عِكماً من الأعكام بمِنخسةٍ معه ، فأصابت حاضرةَ رجلٍ فضَرَط ، فقال البوّاب : «شرٌّ والله عكمتم به في الجُوالقات[1] . فثاروا بأهل المدينة ضرباً بالسيف ، فانصرفت راجعةً فاستقبلها عمرو بن عدي فضربَها فقتلها ، وقيل بل مَصَّت خاتَمها وقالت : «بيدي لا بيدِ عمرو[2] . وخُربت المدينة وسُبيت الذراريّ ، وغنم عمرٌو كلَّ شيء كان لها ولأبيها وأختها . وقال الشعراء في ذلك تَذكُر ما كان من قصير في مَشُورته على جَذيمة ، وفي جدعه أنفَه ، فأكثروا . قال عديٌّ بن زيد : [من الوافر]

ألا يـا أيُّها المُثرِي المرجِّـي ... ألَـم تَسمع بخَطْـب الأوّلينا
دَعـا بالبَقَّـة الأُمـراءُ يَومـاً ... جذيمـةَ ينتحـي عُصَباً ثُبينا[3]
فطاوَعَ أمرَهم وعصى قَصيراً ... وكان يقـول لـو سَمِع اليقينا

وهي طويلة . وقال المتلمّس يذكر جَدْع قصير أنفه :

ومِن حَـذَر الأيّـامِ ما حَزَّ أنفَه ... قصيرٌ وخاضَ الموتَ بالسيف بيهسُ

وفي هذا المعنى أشعارٌ كثيرة يطول ذِكرها .

[كان جذيمة ملكاً شاعراً]

وكان جَذيمة الملكُ شاعراً ، وإنّما قيل له الوضاح لبرصٍ كان به ، وكان يُعظِم أن يسمَّى بذلك ، فجعل مكانه الأبرشَ والوضَّاح . وهو الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

والمُلكُ كان لذي نُـوا ... سٍ حَولـه تَردِي يحابرْ
بالسابغـات وبالقَنـا ... والبِيض تَبرق والمَغافرْ
أزمَـانَ لا مُلكٌ يُجيـ ... ـر ولا ذِمامَ لِمَن يُجاورْ
أودى بهـم غِيَرُ الزما ... نِ فمنجـدٌ منهم وغائرْ

وهو الذي يقول : [من المديد]

ربَّمـا أوفيـتُ في عَلَـم ... تَرْفَعـنْ ثوبـي شمالاتُ
في شبابٍ أنـا رابئهـم ... هـمْ لذي العَورةِ صِمّاتُ

---

1 المثل «شر في الجوالق» في مجمع الميداني 1 : 236 ومستقصى الزمخشري 2 : 130 .

2 المثل «بيدي لا بيد عمرو» في جمهرة العسكري 1 : 203 ، 226 وأمثال الضبي : 147 .

3 ينتحي : يقصد . والثبون : الجماعات من الناس ، مفردها ثُبة .

لیتَ شعري ما أطافَ بهم   نحن أدلجنا وهُم باتوا
ثُمَّ أُبنا غانِمِينَ وكَم   كَرَّ ناسٌ قبلنا ماتوا

فيه غناء يقال إنّه ليمانٍ ، ويقال إنّه لمعبد ، ولم يصحّ .

صوت

[من البسيط]

في كَفِّه خَيزُرانٌ ريحُه عَبِقٌ   من كفٍّ أروعَ في عِرنينه شَمَمُ
يُغضي حياءً ويُغضى من مَهابته   فما يُكلَّم إلاّ حين يبتسمُ

الشعر لحزينِ بن سُليمان الدِّيليّ ، والغناء لإسحاق ، ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش ، وفيه لعريب رملٌ عملته على لحن ابن سُريج .

[302] ـ أخبار الحزين ونسبه[1]

[نسبه]

ذكر الواقديّ أنّه من كِنانة وأنّه صَليبة ، وأنَّ الحزين غلب[2] عليه ، وأن اسمه عمرو بن عبيد بن وُهَيب بن مالك ، ويكنى أبا الشّعثاء ، بن حُرَيث بن جابر بن بُجير ، وهو راعي الشمس الأكبر ، بن يعمر بن عديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة .

أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة ، عن الواقديّ .

قال : وأمّا عمر بن شبّة فإنّه ذكر أنَّ الحزين مولًى ، وأنّه الحزين بن سليمان ، ويُكنى سُليمان أبا الشعثاء ، ويُكنى الحزين أبا الحَكَم . من شعراء الدولة الأُمويّة حجازيّ مطبوعٌ ليس من فُحول طبقته . وكان هَجَّاءً خبيثَ اللسان ساقِطاً ، يُرضيه اليسير ، ويتكسَّب بالشَّرّ وهجاء النّاس ، وليس مِمّن خَدَم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ، ولا كانَ يَرِيم الحجاز حتّى مات .

[تعريف بعبد الله بن عبد الملك]

وهذا الشّعر يقوله الحزينُ في عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وكان عبد الله من فِتيان بني أُميّة وظرفائهم . وكان حسنَ الوجه حسنَ المذهب ، وأُمُّه أُمُّ ولد . وزَوجةُ عبدِ الله رملةُ بنت عبد الله بن عبد الله ، وعبد الله هذا هو عبد الحجر بن عبد المدان بن الديّان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو . وزوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن مطّلب بن أسَد بن عبد العزى بن قُصيّ ، تزوّجها[3] لِما كان يُقال إنّها ناتق[4] في وِلادها[5] ، فمات عنها ولم تَلِدْ له . فخلَفَه محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس على رملة فولدت له محمداً وإبراهيم وموسى ، وبناتٍ .

أخبرني بذلك عُمر بن عبد الله بن جميل العَتَكي ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، ويحيى بن علي بن يحيى ، قالوا : حدَّثنا عمر بن شبّة عن ابن رَواحة وغيره . وأخبرني به الطّوسيّ والحِرْميّ عن الزّبير عن عمّه .

---

1 للحزين الديلي ترجمة في المؤتلف والمختلف : 122–123 وانظر أعلام الزركلي .

2 ل : وقع .

3 الضمير هنا عائد إلى رملة .

4 الناتق : الكثيرة الأولاد .

5 الولاد : الولادة .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثني عمِّي أنّ عبد الله بن عبد الملك حَج ؛ فقال له أبوه : سيأتيك الحزينُ الشاعر بالمدينة ، وهو ذَرِب اللسان ، فإيّاك أن تحتَجب عنه ، وأرضِه . وصِفتُه أنّه أشعر [1] ذو بطنٍ عظيمُ الأنف . فلمّا قَدِمَ عبد الله المدينة وصفَه لحاجبه وقال له : إيّاك أن تردَّه . فلم يأتِ الحزين حتى قام فدخَلَ لينام ، فقال له الحاجب : قد ارتَفَعَ . فلمّا ولّى ذَكَرَ فلحقَه فقال : ارجعْ ، فاستأذنْ له فأدخِلْه . فلمّا صار بين يديه ورأى جمالَه وبهاءه ، وفي يده قضيبُ خيزُران ، وقف ساكتاً . فأمهله عبدُ الله حتّى ظنَّ أنّه قد أراح ثم قال له : السلامُ رحمك اللهُ أوّلاً . فقال : عليك السلامُ وحيّا الله وجهَك أيُّها الأمير ، إنّي قد كنت مدحتُك بشعر ، فلمّا دخلتُ عليك ، ورأيت جمالَك وبهاءَك أذهلَني عنه فأُنْسِيتُ ما كنتُ قلته ، وقد قلتُ في مقامي هذا بيتين . فقال : ما هما ؟ قال : [من البسيط]

في كفِّه خيزرانٌ ريحُها عبِقٌ ... من كفٍّ أروعَ في عرنينه شممُ

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته ... فما يكلَّم إلاّ حين يبتسمُ

فأجازه فقال : أخدمْني [2] أصلحك الله ، فإنّه لا خادم لِي . فقال : اختر أحد هذين الغلامين . فأخذ أحدَهما فقال له عبد الله : أعلينا تُرذِل [3] ، خُذ الأكبر .

[الخلاف في نسبة بيتين للحزين]

والنّاس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام ، التي أوّلها : [من البسيط]

هذا الذي تعرِف البطحاءُ وطأتَه ... والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرمُ

وهو غلطٌ ممّن رواه فيها . وليس هذان البيتان ممّا يُمدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المُتعالَم ما ليسَ لأحد .

حدَّثني محمد بن محمد بن سليمان الباغندي قال : حدَّثني محمد بن عمر العدني قال : حدَّثني سفيان بن عيينة عن الزّهري قال : ما رأيت هاشِمِيّاً أفضلَ من علي بن الحسين .

[أخلاق علي بن الحسين]

حدَّثني محمد قال حدَّثنا يوسف بن موسى القطّان قال : حدَّثنا جرير بن المغيرة قال : كان علي بن الحسين يُبخَّل ، فلمّا مات وجدُوه يَعول مائةَ أهل بيتٍ بالمدينة .

---

1 الأشعر : الكثير الشعر .

2 أخدمني : اجعل لي خادماً .

3 ترذل : تأخذ الرذل الدون .

حدَّثني الحسن بن علي قال : حدَّثني محمد بن معرّس قال حدَّثنا محمد بن ميمون قال حدَّثنا سفيان عن ابن أبي حمزة الثُّمالي قال : كان علي بن الحسين يحمل جِرابَ الخبز على ظهره فيتصدّق به ويقول : «إنّ صدقة اللَّيْل تطفىء غضبَ الربّ» .

حدَّثني أبو عبد الله الصَّيرفيّ قال حدَّثنا الفضل بن الحسين المصري قال : حدَّثنا أحمد بن سليمان قال حدَّثنا ابن عائشة قال : حدَّثنا سعد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع قال : قال علي بن الحسين : ما أكلتُ بقرابتي من رسول الله ﷺ شيئاً قطّ .

حدَّثنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدَّثني إسحاق بن موسى الأنصاريّ قال : حدَّثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يَدرون من أين عَيشُهم ، فلمّا مات علي بن الحسين فَقَدوا ما كانوا يُؤتَوْن به بالليل .

[أبيات الفرزدق]

وأمّا الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين وخبره فيها ، فحدَّثني بها أحمد بن محمد بن الجعد ، ومحمد بن يحيى قالا : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغلابيّ قال : حدَّثنا ابن عائشة قال : حجّ هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساء أهل الشام ، فجهد أن يستلم الحجَر فلم يقدِر من ازدحام الناس ، فنُصِب له منبرٌ فجلس عليه ينظر إلى الناس ، وأقبل علي بن الحسين وهو أحسنُ النّاس وجهاً ، وأنظفُهم ثوباً ، وأطيبهم رائحة ، فطاف بالبيت ، فلمّا بلغ الحجرَ الأسودُ تنحَّى النّاس كلُّهم وأخلَوْا له الحَجَر ليستلمه ، هيبةً وإجلالاً له ، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : مَن هذا أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أعرفه ، وكان به عارفاً ، ولكنّه خافَ أن يَرغَب فيه أهل الشام ويَسمعوا منه . فقال الفرزدق وكان لذلك كلِّه حاضراً : أنا أعرِفه ، فسَلْنِي يا شاميّ . قال : ومَن هو ؟ قال[1] : [من البسيط]

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأتَه ... والبيتُ يعرِفه والحِلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عباد الله كلِّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطّاهر العلمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
يكادُ يُمسِكه عِرفانَ راحته ... رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
فليس قولُك مَن هذا بضائرِه ... العُرْب تعرِف مَن أنكرتَ والعجمُ

1 ديوان الفرزدق 2 : 179–180 .

أيُّ الخَلائق ليست في رقابهم ... لأَوّليّةِ هذا أو لَهُ نِعَمُ[1]
مَن يعرِف اللهَ يعرفُ أوّليةَ ذا ... فالدِّين من بيتِ هذا ناله الأمُمُ

[حبس هشام للفرزدق لمديحه للحسين]

فحبسه هشام فقال الفرزدق[2] : [من الطويل]

أيحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوبُ الناس يَهوِي مُنِيبُها
يُقلّب رأساً لم يكن رأسَ سيدٍ ... وعيناً له حَولاءَ بادٍ عيوبُها

فبعث إليه هشامٌ فأخرجه ، ووجّه إليه عليٌّ بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال : أعذِرْ يا أبا فراس ، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثرُ من هذا لوصَلْناك به . فردّها وقال : ما قلت ما كانَ إلاّ لله ، وما كنتُ لأرزأ عليه شيئاً . فقال له عليّ : قد رأى الله مكانَكَ فشكرك ، ولكنّا أهلُ بيت إذا أنفذنا شيئاً ما نرجع فيه . فأقسم عليه فقبِلها .

[الخلاف في نسبة هذا الشعر]

ومن الناس أيضاً مَن يروي هذه الأبياتَ لداود بن سَلْم في قُثَم بن العبّاس ، ومنهم مَنْ يرويها لخالد بن يزيد فيه ؛ فهي في روايته : [من البسيط]

كم صارخٍ بِك من راجٍ وراجيةٍ ... يَرجُوك يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثمُ
أيُّ العمائر ليست في رقابهمُ ... لأوّليّةِ هذا أوْله نِعَمُ[3]
في كفِّه خيزُرانٌ ريحُها عَبِقٌ ... من كفِّ أَروَعَ في عِرنينه شممُ
يُغضِي حياء ويُغضى من مهابته ... فما يُكلَّم إلاّ حينَ يبتسِمُ

وممّن ذكر لنا ذلك الصوليّ عن الغلابيّ عن مَهديّ بن سابق ، أنَّ داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأوّل في شعره في علي بن الحسين عليه السلام .

وذكر الرياشيّ عن الأصمعيّ أنّ رجلاً من العربِ يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال : [من البسيط]

يكاد يُمسِكه عِرفانَ راحتِهِ ... رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يَستلمُ
كم صارخ بِك من راجٍ وراجيةٍ ... في النّاس يا قثمَ الخيراتِ يا قثمُ

فأمر له بجائزة سنيّة .

---

1 الأولية : مفاخر الآباء والأجداد .

2 ديوان الفرزدق 1 : 47 مع بعض اختلاف .

3 العمائر : جمع عمارة ، وهي الحي العظيم أو هي دون القبيلة .

والصحيح أنّها للحزين في عبدالله بن عبد الملك . وقد غلط ابن عائشة في إدخالِهِ البيتين في تلك الأبيات . وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة ، تنبىء عن نفسها . وهي : [من البسيط]

اللهُ يعلمُ أنْ قد جُبت ذا يمنٍ ثمَّ العراقَين لا يَثنيني السَّأَمُ
ثم الجزيرةَ أعلاها وأسفَلها كذاك تَسري على الأهوالِ بِي القدمُ
ثم المواسِمَ قد أُوطنْتها زمناً وحيث تُحلَقُ عند الجمرة اللِّممُ
قالوا دِمشقُ يُنبِّيك الخبيرُ بها ثم ائتِ مصرَ فثَمَّ النائلُ العَمَمُ[1]
لمّا وقفت عليها في الجموع ضُحًى وقد تعرّضَتِ الحجّابُ والخَدَمُ
حَيّيته بسَلامٍ وهو مرتفقٌ وضَجَّةُ القومِ عند الباب تَزدحِمُ
في كفِّه خيزُران ريحُها عبقٌ من كفِّ أروعَ ، في عِرنينه شممُ
يُغْضي حياءً ويُغضى مِنْ مهابته فما يكلَّم إلاّ حينَ يبتسمُ
ترى رؤوسَ بَني مَرْوانَ خاضعةً يمشُون حولَ ركابِهِ وما ظلموا
إنْ هشَّ هشُّوا له واستبشَروا جذَلاً وإنْ هُمُ آنسوا إعراضَه وجَموا
كلتا يديه ربيعٌ عند ذي خُلُفٍ بحرٌ يفيض وهادِي عارضٍ هزِمُ[2]

ومن الناس مَن يقول : إنّ الحزينَ قالها في عبد العزيز بن مروان ، لذكره دمشق ومصر . وقد كان ثَمَّ عبدُ الله بن عبد الملك أيضاً في مصر ، والحزين بها .

[الحزين يستهدي غلاماً]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى أبو غسّان عن عبد العزيز بن عمران الزُّهريّ قال : وفد الحزين على عبد الله بن عبد الملك ، وفي الرقيق أَخَوانِ ، فقال عبدُ الله للحزين : أيُّ الرّقيق أعجبُ إليك ؟ قال : ليخترْ لِي الأمير . قال عبد الله : قد رضيتُ لك هذا ، لأحدهما ، فإنّي رأيته حسنَ الصلاح . قال الحزين : لا حاجة لِي بِهِ فأعطِني أخاه . فأعطاه إيّاه . قال : والغلامان مزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز ، وتميم أبو محمد بن تميم ، وهو الذي اختاره الحزين . قال : فقال في عبد الله يمدحه : [من البسيط]

الله يعلم أنْ قد جُبْتَ ذا يمنٍ

وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل .

---

1 العمم : الكثير .

2 الهادي : المقدم . والعارض : السحاب . والهزم : المتبعق الذي لا يستمسك .

[إقامة الحد على الحزين في الخمر]

أخبرني وكيع عن محمد بن عليّ بن حمزة العلويّ قال : حدَّثنا أبو غسّان دَماذ ، عن أبي عبيدة قال : كان على المدينة طائفٌ يقال له صفوان ، مولى لآلِ مَخرمةَ بن نوفل . فجاء الحزينُ الدِّيليّ إلى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حمارَه وذهب إلى العقيق فشرِب ، وأقبلَ على الحمار وقد سكر ، فجاء به الحِمارُ حتّى وقفَ به على باب المسجد كما كان صاحبُه عوّده إيّاه . فمرّ به صفوانُ فأخذه فحبسَه وحبسَ الحِمار ، فأصبح والحِمارُ محبوسٌ معه . فأنشأ يقول : [من الوافر]

أيا أهلَ المدينةِ خبِّروني ... بأيِّ جريرة حُبِس الحِمارُ
فما للعَيرِ من جُرمٍ إليكم ... وما بالعير إنْ ظُلِم انتصارُ

فرَدُّوا الحِمار على صاحبه ، وضربوا الحزينَ الحدّ ، فأقبل إلى مولى صفوان وهو في المسجد فقال : [من الطويل]

نشَدْتُك بالبيت الذي طيفَ حولَه ... وزمزمَ والبيتِ الحرامِ المحجّبِ
لِزانيةٍ صفوانُ أم لعفيفةٍ ... لأعلمَ ما آتي وما أتجنّبُ[1]

فقال مولاه : هو لِزانية . فخرج وهو ينادي : إنّ صفوان ابن الزانية ! فتعلّق به صفوانُ فقال : هذا مولاك يشهدُ أنّك ابنُ زانية . فخلّى عنه .

[نصيحته لابن عمّه في الزواج]

وقال محمد بن عليّ بن حمزة : وأخبرني الرياشيّ أنّ ابن عمٍّ للحزين استشارَه في امرأةٍ يتزوّجها ، فقال له : إن لها إخوة مشائيم وقد رَدُّوا عنها غيرَ واحد ، وأخشى أن يردّوك فتُطْلِق عليك ألسُناً كانت عنكَ خُرْساً . فخطبها ولم يُقبل منه فردّوه ، فقال الحزين : [من الطويل]

نهيتُك عن أمرٍ فلَم تَقبل النُّهى ... وحذّرتك اليومَ الغُواةَ الأشائما
فصرتَ إلى ما لَم أكُنْ منه آمِناً ... وأشمتَّ أعدائي وأنطقتَ لائِما
وما بهمُ مِن رغبةٍ عنك قلْ لَهم ... فإن تسألوني تسألوا بِيَ عالِما

نسخت من كتاب لعليّ بن محمد الشاميّ[2] : حدَّثني أبو محلّم . ولَم يتجاوزه .

[يهجو ابن سهيل ويمدح سفيان بن عاصم]

وأخبرني عيسى بن الحسن قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثني عمر بن سلام

---

1 في البيت إقواء .

2 ل : الساعي .

مولى عمر بن الجعّاب : أنّ الحزين الدِّيليّ خرجَ مع ابنٍ لسهيل بن عبد الرّحمن بن عوف ، إلى منتزهٍ لهم ، فسكر الحزينُ وانصرف ، فبات في الطريق وسُلِب ثيابَه ، فأرسل إلى ابن سهيلٍ يخبره الخبرَ ويستمنحه فلم يمنحْه ، وبلغ الخبرُ سفيانَ بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فأرسل إليه بجميع ما يحتاج إليه ، وعوّضه ثمنَ ثيابه ، فقال الحزينُ في ذلك : [من المنسرح]

هَلاَّ سُهيلاً أشبهتَ أو بعض أعما ... مك يـــا ذا الخلائقِ الشكسَهْ

ضيَّعتَ نَدمانك الكريمَ ولَم تُشْـ ... ـفِقْ عليــه مـــن ليلـةٍ نَحسَهْ

ثـــم تعالَلـــتَ إذْ أتـاك لـــه ... صُبحـــاً رسولٌ بعِلّـــة طفِسَهْ[1]

لكـــنّ سفيـــانَ لَم يكن وَكَلاً ... لَمّـــا أتتنـــا صِلاتُـــه سلِسَهْ[2]

سما بـــه أروعٌ ونفسُ فتًـــى ... أروعَ ليست كنفسك الدنِسَهْ

[هجاء بني كعب]

حدَّثنا الصُّولي قال : حدَّثنا ثعلب قال حدَّثني عبد الله بن شبيب قال : مرّ الحزين الدِّيليّ على مجلسٍ لبني كعب بن خُزاعة وهو سكران ، فضحكوا عليه ، فوقف عليهم وقال : [من البسيط]

لا بارَكَ اللهُ في كعبٍ ومجلِسِهم ... ماذا تجمَّعَ من لؤمٍ ومن ضَرَعِ[3]

لا يدرُسون كتـــابَ الله بينهـــمُ ... ولا يصومون من حِرص على الشبعِ

فوثب إليه مشايخُهم فاعتذروا منه ، وسألوه الكفَّ وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله ، فأجابهم وانصرف .

[يصرّ على هجاء كثير]

أخبرني الحِرْميّ قال : حدّثنا الزُّبير قال : حدّثنا عمرو بن أبي بكر المؤمّليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال : كان الحزين قد ضرب على كلّ رجلٍ من قريش درهمين درهمين في كلّ شهر ، منهم ابن أبي عَتيق ، فجاءهُ لأخذ دِرهميه وهو على حمارٍ أعجفَ ، قال : وكثيّر مع ابن أبي عتيق ، فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين : مَن هذا معك ؟ قال : هذا أبو صخر كثيِّر بن أبي جمعة . قال : وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزين : أتأذن لِي أن أهجوَه ببيت ؟ قال : لا لعمري لا آذنُ لك أن تهجو جليسي ، ولكن أشتري عرضَه منك بدرهمين آخرين . ودعا له بهما ، فأصغى ثمّ قال : لا بُدَّ لِي من هجائِهِ ببيت . قال : أَوَ أشتري

1 طفسة : قذرة .
2 الوكل : الذي يتكل على غيره .
3 الضرع : الذلّ والمهانة .

ذلك منك بدرهمين آخرين . ودَعا له بهما فأخذهما وقال : ما أنا بتارِكِه حتّى أُهجوَه . قال : أوَ أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ فقال له كثيّر : ائذن له ، وما عسى أن يقول فيَّ ؟ فأذِن له ابن أبي عتيق فقال : [من الطويل]

قصير القميص فاحش عند بيته يَعَضُّ القُراد باستِهِ وهـو قائمُ

فوثب كثيٌر إليه فوكَزه فسقط هو والحمار ، وخلَص ابن أَبي عتيق بينهما وقال لكثيّر : قَبَحك الله ، أتأذن له وتبسطَ إليه يَدَك . قال كثيٌر : وأنا ظننته يبلغ في هذا كلّه في بيتٍ واحد !

ولكثيٍّر مع الحزين أخبار أُخَر قد ذُكِرَت في أَخبار كثيٍّر .

[جزعه لبيع قينة أخرجت عن المدينة]

أَخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني عمِّي عن الضحّاك بن عثمان قال : حدَّثني ابن عُروة بن أذينة قال : كان الحزين صديقاً لأبي وعشيراً على النبيذ ، وكان كثيراً ما يأتيه . وكان بالمدينة قَينةٌ يهواها الحزينُ ويُكثِر غِشيانَها ، فبِيعت وأُخرِجت عن المدينة ، فأَتى الحزينُ أبي وهو كئيبٌ حزين كاسمه ، فقال له أبي : ما لك يا أَبا حكيم ؟ قال : أَنا والله يا أَبا عامر كما قال كثيّر[1] : [من الطويل]

لعمرِي لئن كانَ الفؤادُ من الهوى بَغـى سَقَمـاً إنّـي إذاً لسقيمُ
سألت حكيماً أين شطَّت بها النَّوى فخبَّرني مـا لا أُحـبُّ حكيمُ

فقال له أَبي : أنتَ مجنونٌ إن أَقمتَ على هذا .

[كساه جعفر بن محمد فمدحه]

أَخبرني أَحمد بن سليمان الطُّوسيّ قال : حدَّثنا الزُّبير قال : حدَّثني مصعب قال : مرَّ الحزينُ على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث ، وعليه أطمارٌ ، فقال له : يا ابنَ أبي الشعثاء ، إلى أين أُصبحت غادياً ؟ قال : أمتع الله بك ، نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرَّةَ يريد الحجّ ، وقد كنت وفدتُ إليه بمصرَ فأَحسنَ إليَّ . قال : أَفَما وجدتَ شيئاً تلبسُه غير هذه الثياب ؟ قال : قد استعرت من أَهل المدينة فلَم يُعِرني أَحد منهم غير هذه الثياب . فدَعا جعفرٌ غلاماً فقال : ائتني بجبّة صوف ، وقميصٍ ورداء . فجاه بذلك فقال : أَبْلِ وأَخلِقْ . فلمّا ولَّى الحزينُ قال جُلساء جعفرٍ له : ما صنعتَ ؟ إنّه يَعمِد إلى هذه الثياب التي كسوتَه إيّاها فيبيعها ، ويُفسد بثمنها . قال : ما أُبالي إذا كافأتُه بثيابه ما صنعَ بها . فسمع الحزينُ قولَهم وما ردَّ عليهم ، ومضى حتّى أَتى عبدَ الله بن عبد الملك فأَحسنَ إليه وكساه . فلمّا أصبح

1 ديوان كثير : 127 .

الحزينُ أَتى جعفراً ومعه القومُ الذين لاموه بالأَمس وأَنشده : [من الطويل]

وما زال ينمو جعفرُ بنُ محمّدٍ إلى المجدِ حتّى عَبْهَلَتْهُ عواذِلُهْ[1]

وقُلن لـه هلْ مِن طريفٍ وتالد من المال إلاّ أنت في الحقِّ باذلُهْ

يُحاولنَه عن شيمةٍ قد علِمنَها وفي نفسه أَمرٌ كريـمٌ يُحاوِلُهْ

ثم قال له : بأَبي أَنتَ وأُمِّي ، سمعتُ ما قالوا وما رددْتَ عليهم .

[هجاؤه لأبي بعرة]

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن الضحّاك عن أَبيه قال : صَحِبَ الحزينُ رجلاً من بني عامر بن لؤيّ يلقّب أبا بعرة ، وكان استُعمِل على سِعايات[2] فلَم يصنعْ إليه خيراً ، وكان قد صحب قبله عَمرو بن مُساحق وسعد بن نوفل فأَحمدهما[3] ، فقال له : [من الطويل]

صحبتُك عامـاً بعد سَعدِ بن نوفلٍ وعمرٍو فما أَشبهتَ سعداً ولا عمرا

وجـادا كما قصّرت في طلبِ العُـلا فحُـزتَ بـه ذمّـاً وحازا بِه شكرا

قال : وأبو بعرة هذا هو الذي كان يعبث بجاريةٍ لابن أَبي عتيق ، فشكته إليه فقال لها : عِدِيهِ فإذا جاءَكِ فأَدخِليه إليّ . ففعلَتْ فأَدخلته عليه ، وهو وشيخ من نظرائه جالسان في حَجَلة[4] ، فلمّا رآهما قال : أقسم بالله ما اجتمعتما إلاّ على ريبة . فقال له ابن أَبي عتيق : استُر علينا ستَرَ الله عليك .

قال : وآل أَبي بعرة هم موالي آل أَبي سمير . قال : فلمّا وَلِيَ المهديُّ باعوا ولاءهم منه .

قال الزُّبير : وأَنشدني عمِّي تمامَ الأبياتِ التي هجا بها أَبا بعرة ، وسمّاه لِي فقال : وكان اسمه عيسى ، وهي : [من الطويل]

أُولاك الجِعاد البِيض من آلِ مالكٍ وأَنتـم بنـو قَينٍ لحِقتم بِهِ نَزْرا

نصب «نزرا» على الحال ، كأنّه قال : لحقتم به نزراً قليلاً من الرِّجال .

نسوِّق بيعـوراً أَميراً كأَنّمـا نَسوق بِـهِ في كلِّ مَجمعةٍ وَبْرا[5]

فإن يكـن البيعـور ذمَّ رفيقُـه قـراه فقـد كانت إمارتُه نكْرا

---

1 عبهل : لام وعاتب .

2 السعاية : العمل على الصدقات .

3 أحمده : رضي فعله .

4 الحجلة : موضع يزين بالثياب والأسرة والستور للعروس ، أو هي ستر العروس في جوف البيت .

5 بيعور : عبث باسم أبي بعرة . والوبر : دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء يشبه بها الرجل تحقيراً له .

ومتَّبع البيعورِ يرجُو نوالَه فقد زاده البيعورُ في فَقره فَقْرا

[هجاؤه لعمرو بن عمرو]

أُخبرني الحِرْميّ قال : حدَّثني الزُّبير قال : حدَّثني صالح ، عن عامر بن صالح قال : مدح الحزينُ عمرو بن عمرو بن الزُّبير فلَم يُعطِهِ شيئاً .

وأُخبرني بهذا الخبر عمِّي تامّاً واللَّفظ له ، ولَم يذكر الزُّبير منه إلاّ يسيراً ، قال : حدَّثنا الكُراني قال : حدَّثنا العمريّ قال : حدَّثني عطاء بن مصعب ، عن عاصم بن الحدثان قال : دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزُّبير بن العوّام منزلَه ، فامتدحَه وسأَله حاجةً ، فقال له : ليس إلى ما تطلبُ سبيل ، ولا نقدر أن نملأَ الناس معاذيرَ ، وما كلُّ مَن سألَنا حاجةً استحقّ أن نقضيها ، ولرُبَّ مستحقٌّ لها قد منعناه حاجتَه . فقال الحزين : أَفَمِنَ المستحقِّين أنا ؟ قال : لا والله ، وكيف تكون مستحقّاً لشيءٍ من الخير وأنت تشتم أعراضَ النّاسِ وتهتِك حريمَهم ، وترميهم بالمُعضِلاتِ ، إنّما المستحقّ من كفَّ أذاه ، وبذل نداه ، ووقَمَ[1] أعداه . فقال له الحزين : أفمن هؤلاء أنت ؟ فقال له عمرو : أين تُبعِدني لا أُمّ لك من هذه المنزلة وأفضلَ منها ! فوثب الحزينُ من عنده وأنشأ يقول : [من الوافر]

حَلفتُ وما صبَرتُ على يمينٍ ولَو أُدعى إلى أيمان صبرِ[2]

بربِّ الراقصاتِ بشُعثٍ قومٍ يُوافون الجِمارَ لصُبحِ عشرِ[3]

لَوَ انَّ اللؤم كان مع الثريَّا لكان حليفَه عمرُو بنُ عمرو

ولو أنِّي عرفتُ بأنّ عمراً حليفُ اللؤم ما ضيَّعت شِعري

فقال العمري : وحدَّثني لقيطٌ أنّ الحزين قال فيه أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن الحكم ، وجاءه فشكا إليه عَمراً ، فوصله وأحسن إليه . قال : [من الطويل]

إذا لَم يَكُنْ للمرء فضلٌ يَزِينُه سِوى ما ادَّعى يوماً فليس له فَضلُ

وتَلقى الفتى ضخماً جميلاً رُواؤه يَرُوعك في النّادِي وليس له عقلُ

وآخرُ تنبو العين عنه مهذَّب يجود إذا ما الضَّخم نَهْنَهَهُ البخلُ

فيا راجياً عمرو بنَ عمرٍو وسَيبَه أَتعرف عمراً أَم أَتاه بك الجهلُ

1 وقم : أذل وقهر .

2 يمين الصبر : هي اليمين التي يحبسه السلطان حتى يحلفها .

3 الراقصات : الإبل ترقص في مشيها .

فإن كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخطىء الفتى ... وإن كنتَ ذا حزم إذاً جارت النّبلُ
جهِلَت ابنَ عمرو فالتمس سيبَ غيره ... ودونك مرمًى ليس في جدِّه هزلُ
عليك ابنَ مروان الأغرَّ محمداً ... تجدْه كريماً لا يطيش له نَبلُ

قال لقيط : فلمّا أنشد الحزينُ محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال له : اكففْ يا أخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمُك . فقال : لا والله ولا بحُمْرِ النَّعَم وسُودِها ، لو أُعطيتُها ما كففتُ عنه ، لأنّه ما علمتُ كثيرُ الشرِّ ، قليل الخير ، متسلِّط على صديقه ، فَظٌّ على أهله . «وخير ابن عمرو بالثريا معلق» .

فقال له محمد بن مروان : هذا شعر . فقال : بعد ساعةٍ يصير شعراً ، ولو شئت لعجَّلته . ثم قال : [من الطويل]

شرُّ ابنِ عمرٍو حاضرٌ لصديقه ... وخَير ابن عمرٍو بالثريّا معلَّقُ
ووجهُ ابن عمرٍو باسرٌ إن طلبته ... نوالاً إذا جاد الكريم الموفَّقُ[1]
فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدَتْ ... كتائب هيجاء المنيّة تبرَقُ
فلا زال عمروٌ للبلايا دريّةً ... تباكِره حتّى يموت وتطرقُ[2]
يهرّ هريرَ الكلب عمرٌو إذا رأى ... طعاماً فما ينفكّ يبكي ويَشهقُ

قال : فزجره محمد عنه ، وقال له : أُفٍّ لك ، قد أكثرتَ الهجاء ، وأبلغت في الشَّتيمة .

قال العمريّ : وحدَّثني عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثي ، قال : قال الحزين الدِّيلِيّ يهجو عمرو بن عمرو بن الزُّبير : [من الطويل]

لعمرك ما عمرو بن عمرٍو بماجدٍ ... ولكنّه كزُّ اليدينِ بخيلُ
ينام عن التّقوى ويُوقِظه الخنا ... فيخبطُ أثناءَ الظّلامِ يجولُ
فلا خَير في عمرٍو لجارٍ ولا له ... ذِمامٌ ولكنْ للئام وصولُ
مواعيدُ عمرٍو تُرَّهاتٌ ووجهُه ... على كلِّ ما قد قلت فيه دليلُ
جبانٌ وفحّاشٌ لئيمٌ مذمَّمٌ ... وأكذبُ خَلقِ الله حين يقولُ
كلام ابنِ عمرٍو صُوفةٌ وسطَ بَلقع ... وكفُّ ابنِ عمرٍو في الرَّخاء تطولُ
وإن حَزَبته الحازباتُ تَشنَّجتْ ... يداه ورمحٌ في الهَياجِ كليلُ

---

1 باسر : كالح .

2 الدريئة والدرية : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها .

فبلغ شعرُه عمراً فقال : ما له لعنَه الله ولعنَ مَن ولده ، لقد هجانِي بنيّةٍ صادقة ولسان صَنَعٍ ذَلْق ، وما عَداني إلى غيري . قال : فلقي الحزين عروة بن أُذينة الليثيّ فأنشده هذه الأبيات فقال له : وَيْحك ، بعضُها كان يكفيكَ ، فقد بنيتَها ولَم تُقِمْ أَوَدَها ، وداخَلْتَها وجعلتَ معانيها في أكمَّتها . قال الحزين : ذلك والله أرغبُ للناس فيها . فقال له عروة : خيرُ الناس مَن حَلُم عن الجهّال ، وما أراه إلاّ قد حَلم عنك . فقال الحزين : حَلُم والله عنّي شاءَ أو أبى ، برغمه وصَغَره[1] .

[هجاؤه بني الزُّبير]

قال العمريّ : فحدّثنا عطاء عن عاصم بن الحدثان قال : لَقِيَ شُبّانٌ من ولد الزُّبير الحزينَ ، فتناولوه بألسنتهم ، وهمُّوا بضربه ، فحال بينهم وبينه ابنٌ لُمصعب بن الزبير . فقال الحزينُ يهجوهم ويهجو جماعةً من بني أَسد بن عبد العُزّى ، سوى بني مصعب الذين منعوهم منه ، قال : [من الطويل]

لحـا الله حيّاً مـن قُريشٍ تحالفوا	على البُخل بالمعروف والجودِ بالنُّكْرِ
فصاروا لخَلق اللهِ في اللؤمِ غاية	بهم تُضرب الأَمثال في النثر والشعرِ
فيا عمرو لو أشبهت عمراً ومصعباً	حُمِدتَ ولكنْ أنت منقبضُ البِشرِ[2]
بني أسدٍ ، سادَتْ قريشٌ بجودِها	معـداً وسادتْكُمْ معدٌّ يَـدَ الدَّهرِ
تجود قريشٌ بالنَّـدى ورضيتمُ	بنـي أَسد باللُّـؤم والذّلّ والغدرِ
أَعمرو بنَ عمرٍو ، لست ممّن تَعدُّه	قريشٌ إذا ما كاثَروا الناسَ بالفخرِ
أبَـتْ لك يا عمرو بنَ عمرٍو دناءةٌ	وخُلقٌ لئيم أن تَرِيش وأن تَبرِي

[يهجو ويمدح على إطعامه]

أَخبرني الحِرْمي قال : حدَّثنا الزبير قال : حدَّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال : حدَّثني أبي قال : كان الحزين سفيهاً نَذْلاً يمدح بالنَّزْر إذا أُعطِيَه ، ويهجو على مثله إذا مُنِع ، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يَقْرِه ، فقال يهجوه بقوله : [من الطويل]

سِيروا فقـد جُـنَّ الظَّلامُ عليكـم	فباستِ الذي يرجو القِرى عند عاصمِ
ظَلِلنـا عليـه وهـو كالتّيس طاعِماً	نَشُـدّ عـلى أكبادِنـا بـالعمائمِ

1 الصَّغَر : الذل والمهانة .

2 البشر في ل : الشبر .

وما لِي من ذنبٍ إليه علمتُه ... سوى أنّني قد جئتُه غيرَ صائمِ

فقيل له : إنّ عاصماً كثيراً ما تسمِّي به قريش . فقال : أَما والله لأُبيِّننّه لهم فقال : [من الطويل]

إليك ابن عثمان بن عفّان عاصم بـ ... ـنَ عمرٍو سرَتْ عَنْسي فخابَ سُراها

فقد صادفَتْ كزَّ اليَدَينِ مبخَّلا ... جباناً إذا ما الحرب شُبَّ لظاها

بخيلاً بما في رحلِه غير أنّه ... إذا ما خَلَتْ عِرسُ الخليل أَتاها

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن الضحّاك عن أَبيه قال : قال الحزين لهلالِ بن يحيى بن طلحة قوله : [من الطويل]

هلالُ بن يحيى غُرّةٌ لا خَفَا بها ... على النّاسِ في عُسرِ الزّمانِ ولا اليُسرِ

وسعدُ بن إبراهيم ظُفرٌ موسَّخٌ ... فهل يستريح الناسُ من وَسَخ الظفرِ

يعني سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان ولِيَ قضاءَ المدينة من هشام بن عبد الملك ، فلَم يُعطِ الحزينَ شيئاً فهجاه . وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

أتيتُ هلالاً أَرتجي فَضْلَ سَيبِهِ ... فأفلتَنِي مِمّا أحبُّ هلالُ

هِلال بن يحيى غُرّةٌ لا خفا بها ... لكلِّ أُناس غُرّةٌ وهلالُ

صوت[1]

[من الطويل]

أَلَم تَشهدِ الجونينِ والشِّعب ذا الصَّفا ... وكَرَّاتِ قَيس يوم دَيْرِ الجَماجِمِ

تحرِّض يا ابنَ القَينِ قيساً ليَجعلوا ... لقومك يوماً مثلَ يوم الأَراقِمِ

بسيفِ أبي رَغْوان سيف مُجاشع ... ضربتَ ولَم تَضربْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

ضربتَ به عند الإمام فأُرعِشَتْ ... يداك وقالوا مُحدَثٌ غير صارمِ

الشعر لجرير ، والغناء لابن محرز ، ثقيل أوّل بالبنصر .

---

1 ديوان جرير : 461–462 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

303 ـ [جرير والفرزدق وضربة الرومي]

وهذه الأبياتُ يقولها جريرٌ يهجو الفرزدق ، ويعيِّره بضربةٍ ضربَها بسيفه رجلاً من الرّوم ، بحضرة سليمان بن عبد الملك فلَم يَصنَعْ شيئاً .

فحدّثنا بخبره في ذلك محمَّد بنُ العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أَبي شيخ قال : حدَّثنا صالح بن سليمان ، عن إبراهيم بن جبلة بن مَخْرَمة الكنديّ ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان ، ثم كان من أصحاب المنصور ، قال : كنتُ حاضراً سليمان بن عبد الملك .

وأَخبرنا عليّ بن سليمان الأَخفش واليزيديّ عن السّكريّ عن محمد بن حبيب عن أَبي عبيدة ، وعن قتادة عن أبي عبيدة في كتاب النقائض ، عن رؤبة بن العجّاج قال : حجَّ سليمان بنُ عبد الملك ومعه الشُّعراءُ ، وحججْتُ معهم ؛ فمرَّ بالمدينة منصرِفاً فأُتِيَ بأسرى من الرُّوم نحوٍ من أربعمائة . فقعدَ سليمانُ وعنده عبد الله بن الحسن بن الحسَن بن علي عليهم السلام ، وعليه ثوبان ممصَّران[1] ، وهو أَقربهم منه مجلساً ، فأَدنَوْا إليه بِطْرِيقَهم وهو في جامعةٍ[2] . فقال لعبد الله بن الحسن : قُمْ فاضرِب عنقه . فقام فما أعطاه أحدٌ سيفاً حتى دفع إليه حَرَسيٌّ سيفاً كليلاً ، فضربَه فأَبانَ عنقَه وذراعَه ، وأَطَنَّ[3] ساعدَه وبعضَ الغُلّ . فقال له سليمان : اجلسْ فوالله ما ضربتَه بسَيفك ولكن بحسَبك . وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه وإلى الناس فيقتلونهم ، حتّى دفع إلى جريرٍ رجلاً ، فدسَّتْ إليه بنو عبسٍ سَيفاً قاطِعاً في قِرابٍ أبيض ، فضربَه فأبانَ رأسَه ، ودفع إلى الفرزدق أسيراً فدسَّت إليه القيسية سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسيرَ ضَرَباتٍ فلم يصنع شيئاً . فضحك سليمانُ وضَحِكَ النّاس معه .

هذه رواية أبي عبيدة عن رؤبة .

وأمّا سليمان بن أَبي شَيخ فإنّه ذكر في خبره أنّ سليمان لمّا دفع إليه الأسير دفعَ إليه سيفاً وقال له : اقتلْه به . فقال : لا بل أضربهُ بسيفِ مُجاشِع ، واخترط سيفَه فضربَه به فلم يُغْنِ شيئاً . فقال له سليمان : أَما والله لقد بَقِيَ عليك عارُها وشنارُها ! فقال جرير قَصيدتَه التي يهجوه فيها ، ومنها الصوت المذكور ، وأوّلها قوله : [من الطويل]

---

1 الثوب الممصر : المصبوغ بالحمرة أو الصفرة الخفيفة .

2 الجامعة : الغل الذي يجمع اليدين إلى العنق .

3 أطن : قطع .

أَلاَّ حـيِّ رَبْعَ المنزلِ المتقادِمِ ... ومـا حُلَّ مُذْ حَلَّتْ بِهِ أُمُّ سالِمِ

وهي طويلة . فقال الفرزدق[1] : [من الطويل]

صوت

فهل ضَربةُ الرُّوميِّ جاعلـةٌ لكم ... أبـاً عـن كُليبٍ أو أباً مِثـلَ دارمِ

كذاك سيوفُ الهِندِ تَنْبو ظُباتُها ... وتَقطع أحيانـاً مَنـاطَ التمائمِ

ولا نَقتُل الأَسرى ولكـنْ نفكُّهمْ ... إذا أَثقَـلَ الأَعناقَ حمـلُ المَغارِمِ

ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحناً لابن محرز ، ولم يجنّسه .

وقال يعرِّض بسليمان ويعيِّره بنبوِّ سيفِ ورقاءَ بن زهيرٍ العبسيّ عن خالدِ بن جعفر ، وبنو عبسٍ أخوال سليمان ، قال[2] : [من الطويل]

فإنْ يـكُ سيفٌ خانَ أو قدرٌ أَتى ... بتعجيلِ نفسٍ حَتْفُهـا غير شاهدِ

فسيفُ بني عَبسٍ وقد ضَربوا بـه ... نَبا بيدَيْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ

كذاك سيوفُ الهنـدِ تنبو ظُباتُها ... وتقطـع أحيانـاً مَنـاطَ القلائدِ

ورُوِيَ هذا الخبرُ عن عَوانة بن الحَكَم ، قال فيه : إنّ الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هبْ لِي هذا الأسير . فوهَبَهُ له فأَعتَقَه ، وقال الأبياتَ التي تقدَّم ذِكرُها ، ثم أقبلَ على رُواته وأَصحابه . فقال : كأنّي بابنِ المراغةِ وقد بلغه خَبري فقال : [من الطويل]

بِسَيفِ أَبي رَغْوان سيفِ مُجاشع ... ضَربتَ ولم تَضْرِب بسيفِ ابنِ ظالمِ

ضربتَ بـه عِند الإمام فأُرْعِشَتْ ... يداكَ وقالوا مُحـدَث غير صارِمِ

قال : فما لبثنا غير مدّةٍ يسيرة حتى جاءتنا القصيدةُ وفيها هذان البيتان ، فعجبنا من فِطنة الفرزدق .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدَّثنا محمد بن عيسى بن حمزة العلويّ ، قال : حدَّثنا أبو عثمان المازنيّ قال : زعم جهم بن خلف أنّ رؤبة بن العجّاج حدَّثه ، فذكر هذه القصيدةَ وزاد فيها .

قال : واستوهب الفرزدقُ الأسيرَ فوهبَه له سليمان ؛ فأَعتَقَه وكساه ، وقال قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

---

1 ديوان الفرزدق 2 : 314 .

2 ديوان الفرزدق 1 : 157 .

ولا نقتُل الأَسرى ولكن نفكُّهمْ إذا أُثقَلَ الأَعناقَ حملُ المغارمِ

قال : وقال في ذلك : [من الطويل]

تَباشَرَ يربوعٌ بنبوةِ ضربةٍ ضَربتُ بها بين الطُّلا والحراقِدِ[1]

ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقه إلى عَلَق بين الحجابين جامدِ

فإنْ يَنبُ سيفٌ أو تراخَتْ منيَّةٌ لميقاتِ نَفْسٍ حتفُها غيرُ شاهِدِ

فسيفُ بني عبسٍ وقد ضَرَبوا بهِ نَبا بيدَيْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ

قال : وقال في ذلك[2] : [من البسيط]

أَيَضْحَكُ النّاسُ أن أَضحكتُ سيِّدَهم خليفةَ الله يُستَسْقى بهِ المطرُ

فما نبا السيفُ عن جُبنٍ ولا دَهَش عند الإمام ولكنْ أُخِّرَ القدرُ

ولو ضَربتُ بهِ عمراً مقلَّدَه لخرَّ جُثمانُه ما فوقَه شَعَرُ[3]

وما يقدِّم نفساً قبل مِيتَتِها جَمعُ اليَدَينِ ولا الصَّمصامةُ الذكَرُ[4]

[خبر يوم الجونين]

فأمَّا يوم الجونين الذي ذكره جرير ، فهو اليوم الذي أُغار فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب على بني كلاب ، وهو يوم الرَّغام[5] .

أُخبرني بخبره عليّ بن سليمان الأَخفش ومحمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن السكريّ عن ابن حبيب ، ودماذ عن أبي عبيدة وعن إبراهيم بن سعدان عن أبيه : أنّ عتيبةَ بن الحارث بن شهابٍ أغار في بني ثعلبة بن يربوع على طوائفَ من بني كلابٍ يوم الجونين فاطّرد إبلَهم ، وكان أنسُ بن العبّاس الأَصمُّ ، أُخو بني رعلٍ من بني سليم ، مجاوِراً في بني كلاب ، وكان بين بني ثعلبة بن يربوع وبين بني رِعْل عهد : لا يُسفَك دم ولا يؤكل مال . فلمّا سمِع الكلابيّون الدّعوى : يالَ ثعلبة ! يالَ عبيد ! يالَ جعفر ! عرفوهم ، فقالوا لأنس بن العبّاس : قد عَرَفنا ما بين بني رِعل وبني ثعلبة بن يربوع ، فأدرِكْهم فاحبسْهم علينا حتّى نلحق . فخرج أنسٌ في آثارهم حتى أدركَهم ، فلمّا دنا منهم قال عُتيبة بن

1 لم يرِد هذا البيت في الديوان . والطلا : أصل الرقبة . والحراقد : جمع حرقدة وهي عقدة الحنجور .

2 ديوان الفرزدق 1 : 291 .

3 الديوان : ولو ضربت على عمد . . .

4 الديوان : ما يعجل السيف نفساً .

5 أيام العرب في الجاهلية : 370–372 والنقائض : 410 وما بعدها . والرغام : رملة بعينها في نواحي اليمامة .

الحارث لأخيه حنظلة : أغنِ عنّا هذا الفارس . فاستقبله حنظلةُ فقال له أنس : إنّما أنا أخوكم وعَقيدُكم ، وكنتُ في هؤلاء القوم فأغرتم على إبلي فيما أغرتم عليه ، وهو معكم . فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقال له : حيّاك الله ، وهلمّ فَوالِ إبلك ، أي اعزلْها . قال : والله ما أعرفها ، وبنو أخي وأهل بيتي معي وقد أمرتُهم بالركوب في أثري ، وهم أعرفُ بها منّي . فطلع فوارس بني كلاب فاستقبلَهم حنظلة بن الحارث في فوارس فقال لهم أنس : إنّما هم بَنيَّ وبنو أخي . وإنّما يريِّثُهم لتلحق فوارسُ بني كلاب . فلحقوا فحمَل الحَوثرةُ بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر على حنظلة فقتَلَه ، وحَمَل لأُم بن سَلَمة أخو بني ضِبارى بن عبيد بن ثعلبة على الحوثرة هو وابن مُزنة أخو بني عاصم بن عبيد ، فأسَراه ودفعاه إلى عتيبة فقتله صَبْراً ؛ وهُزِم الكلابيّون ومضى بنو ثَعلبة بالإبل وفيها إبلُ أنس ، فلم تُقِرَّ أنساً نفسُه حتى اتّبعهم رجاءَ أن يُصيب منهم غِرّة وهم يسيرونَ في شَجْراء[1] . فتخلّف عتيبةُ لقضاء حاجته ، وأمسك برأسِ فرسه فلم يشعرْ إلاّ بأنسٍ قد مرّ في آثارهم ، فتقدَّم حتى وثب عليه فأَسَره ، فأتى به عتيبةُ أُصحابَه ، فقال بنو عبيدة : قد عرفنا أنّ لأم بن سلمة وابن مزنة قد أُسرا الحوثرة فدفعاه إليك فضربت عنقه ؛ فأعقِبْهما في أنس بن عبّاس ، فمن قَتَلْتَه خيرٌ من أنس . فأبى عتيبةُ أن يفعل ذلك حتّى افتدى أنسٌ نفسَه بمائتي بعير . فقال العبّاس بن مرداس يعيِّر عتيبة بن الحارث بفعله : [من الكامل]

كثُر الضِّجاجُ وما سمعتُ بغادرٍ كعُتيبةَ بنِ الحارث بن شهابِ
جَلّلتَ حنظلة المَخانَةَ والخنا ودنِسْتَ آخَر هذه الأحقابِ[2]
وأَسَرتـمُ أنساً فمـا حاولتمُ بإسارِ جارِكُـم بني المِيقابِ

الميقاب : التي تلد الحمقى . والوقْب : الأحمق . [من الكامل]

باستِ التي ولدتك واستِ معاشرٍ تَرَكـوك تمرسهم من الأَحسابِ

فقال عتيبة بن الحارث : [من الوافر]

غدرتمْ غدرةً وغدرتُ أُخرى فليسَ إلى توافينـــا سبيــلُ
كأَنّكـمْ غـداة بنـي كلابٍ ـ تفاقدتـمْ ـ عليَّ لكم دليلُ

قوله : تفاقدتُمْ ، دعاء عليهم أن يفقد بعضُهم بعضاً .

1 الشجراء : الأرض الكثيرة الشجر .

2 المخانة : الخيانة .

صوت

[من الطويل]

وبالعُفْر دارٌ مِن جميلةَ هيجت ... سوالفَ حُبٍّ في فؤادكَ مُنصِبِ
وكنتَ إذا ناءت بها غربة النوى ... شديدَ القِوى لم تدر ما قولُ مِشْغَبِ
كريمة حُرِّ الوجه لم تدْعُ هالِكاً ... من القوم هُلكاً في غدٍ غيرِ مُعْقِبِ
أسِيلةُ مَجرى الدّمع خُمصانةُ الحشا ... بَرُوق الثّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشرعَبِ

العُفْر : منازِل لقيس بالعالية . سوالف : مواضٍ . يقول : هيّجَتْ حبّاً قد كان ثُمَّ انقطع . ومُنصِب : ذو نصب . ونأت وناءت وبانت بمعنًى واحد ، أي بعدت . ومِشْغَب : ذو شغَبٍ عليك وخلافٍ في حبّها . ويروى : «مشعب» أي متعدّد يصرفك عنها . وقوله : «لم تَدعُ هالِكاً» أي لم تندبْ هالِكاً هلكَ فلم يُخْلِف غيره ولم يُعْقِب . ومعنى ذلك أنّها في عددٍ وقوم يخلفُ بعضُهم بعضاً في المكارم ، لا كمَن إذا مات سيد قومها أو كريمٌ منهم لم يقُمْ أحد منهم مقامه . والمشرعب : الجسيم الطويل . والشَّرعبيّ : الطويل .

الشعر لطفيلٍ الغنوي[1] ، والغناء لجميلة ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشامي . وذكره حماد عن أبيه أنّه لها ولم يجنّسه . وروى إسحاق عن أبيه عن سياط عن يونس أنّ هذا أحسن صوتٍ صنعته جميلة .

1 ديوان الطفيل الغنوي (تحقيق محمد عبد القادر أحمد ـ دار الكتاب الجديد) : 17-18 .

[304] ـ نسب الطُّفَيل الغَنَويّ وأَخباره[1]

قال ابن الكلبيّ : هو طفيل بن عوف بن كعب بن خلف بن ضُبَيْس بن خُليف بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غَنمْ بن غَنيّ بن أَعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان .

ووافقه ابن حبيب في النسب إلاّ في خلف بن ضبيس فإنّه لم يذكر خلَفا وقال : هو طفيل بن عوف بن ضبيس . قال أبو عبيدة : اسم غنيّ عمرو ، واسم أَعصُر منبه ، وإنّما سمِّيَ أَعصُرَ لقوله : [من الكامل]

قالتْ عُميرةُ ما لرأسِكَ بعدما فُقِدَ الشبابُ أَتى بلونٍ منكَرِ
أَعُمَير إنَّ أَبـــاكِ غيَّر رأسَه مــرُّ الليالي واختلافُ الأعصرِ

فسمِّي بذلك .

وطفيلٌ شاعر جاهليّ من الفحول المعدودين ، ويكنى أَبا قُرَّان ، يقال إنّه من أَقدَم شعراء قيس . وهو من أوصف العرب للخيل .

[نعّات الخيل]

أَخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دُلَفَ الخُزاعيّ ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريبٍ الأنصاريّ قال : قال لِي عمِّي : إنّ رجلاً من العربِ سمِعَ الناسَ يتذاكرون الخيل ومعرفتَها والبَصَر بها ، فقال : كان يقال إنّ طفيلاً رَكِبَ الخيلَ ووليَها لأهله ، وإنّ أبا دُوادٍ الأياديَّ مَلكها لنفسه ووليها لغيره ، كان يليها للملوك ، وأنّ النابغة الجعديّ لّما أسلمَ النّاسُ وآمَنوا اجتمعوا وتحدَّثوا ووصفوا الخيل ، فسمِعَ ما قالوه فأضافَه إلى ما كان سمِعَ وعَرَف قبل ذلك في صفة الخيل . وكان هؤلاء نُعَّاتَ الخيل .

أَخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثنا عبد الرحمن ، قال حدَّثني عمِّي قال : كان طفيلٌ أَكبرَ من النابغة ، وليس في قيس فحلٌ أقدَم منه .

قال : وكان معاوية يقول : خلُّوا لِي طُفَيلاً وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء .

أَخبرني عبد الله بن مالك النحويّ قال : حدَّثنا محمد بن حبيب قال : كان طفيلٌ الغنويّ يُسمَّى «طُفيلَ الخيل» لكثرة وصفِهِ إيّاها .

---

1 للطفيل بن كعب الغنويّ ترجمة في الشعر والشعراء : 364–365 والمؤتلف والمختلف : 207 والسمط : 210 وخزانة البغدادي 9 : 45–46 .

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ خطيب مسجد القادسية ، قال : حدَّثني الرياشيّ قال : حدَّثني الأصمعيّ قال : كان أهل الجاهلية يسمُّون طفيلاً الغَنَويَّ «المحبِّر» ؛ لحُسْن وصْفِه الخيل .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن يزيد قال : قال أبو عبيدة : طُفيلٌ الغَنَويّ ، والنّابغة الجَعْدِيّ ، وأبو دُوادٍ الإياديّ ، أعلَم العرب بالخيل وأوصفُهم لَها .

[أعفّ بيت وأجود بيت في الحرب والصبر]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال : حدَّثنا العمريّ عن لقيط قال : قال قتيبة بن مسلم لأعرابيّ من غَنيّ قِدَم عليه من خُراسان : أيُّ بيتٍ قالته العربُ أعفُّ ؟ قال : قولُ طفيلٍ الغنويّ[1] : [من البسيط]

ولا أكونُ وِكاءَ الزّادِ أحبسه ... لقد علمت بأنّ الزّادَ مأكولُ

قال : فأيُّ بيتٍ قالته العرب في الحرب أجْودَ ؟ قال : قول طفيل[2] : [من الطويل]

بحـيٍّ إذا قيـل اركبوا لم يقل لهم ... عَواويرُ يَخْشَوْنَ الرَّدى أين نَركَبُ

قال : فأيّ بيتٍ قالته العرب في الصَّبر أجود ؟ قال : قول نافع بن خليفة الغنويّ : [من الطويل]

ومِن خيرِ مـا فينا من الأمر أنّنا ... متى ما نُوافِي مَوطِنَ الصَّبر نصبِرُ

قال : فقال قتيبة : ما تركت إخوانك من باهلة ؟ قال : قول صاحبهم[3] : [من الطويل]

وإنّا أُنـاسٌ مـا تَزالُ سَوامُنا ... تنـوِّر نيـرانَ العـدوِّ مَناسِمُه

وليس لنا حـيٌّ نُضافُ إليهمُ ... ولكن لَنا عَودٌ شديد شكائمه

حـرامٌ وإن صَلَّيتَـه ودَهنته ... تأوُّده ما كان في السيف قائمُه

وهذه القصيدة المذكورة فيها الغناء يقولها طفيلٌ في وَقْعةٍ أوقَعها قومُه بطيء ، وحربٍ كانت بينَه وبينهم .

[غزوه لطيىء]

وذكر أبو عمرٍو الشيبانيُّ والطُّوسيُّ فيما رواه عن الأصمعيّ وأبي عبيدة : أنَّ رجلاً من غنيّ ، يقال له قيس النَّدامى ، وَفَدَ على بعض الملوك ، وكان قيسٌ سيِّداً حواداً ، فلمّا حفَل

---

1 ديوانه : 58 .

2 ديوانه : 42 . والعواوير : جمع عُوّار وهو الضعيف الجبان السريع إلى الفرار .

3 جاء البيتان الأول والثاني في ديوان طفيل : 112-113 ولم يرد الثالث ، مع أن النص هنا يقطع بأن الأبيات لرجل من باهلة ، ولم يشر محقق الديوان إلى شيء من ذلك .

المجلسُ أقبلَ الملك على مَن حضره من وفود العرب فقال : لأَضَعَنَّ تاجي على أكرمِ رجلٍ من العرب . فوضعه على رأسِ قيس وأعطاه ما شاء ، ونادمَه مُدّة ، ثم أَذِن له في الانصراف إلى بلده . فلمّا قرُب من بلاد طيىءٍ خرجوا إليه وهم لا يعرفونه ، فلقُوه برَمّان فقتلوه . فلمّا علِموا أنّه قيس ندِموا لأياديه كانت فيهم ، فدفنوه وبنوا عليه بيتاً . ثم إنّ طُفيلاً جمع جموعاً من قيس فأَغارَ على طيىءٍ فاستاقَ من مواشيهم ما شاء ، وقتل منهم قَتلى كثيرة . وكانت هذه الوقعة بين القَنان وشرقيّ سَلْمى ، فذلك قول طفيل في هذه القصيدة[1] : [من الطويل]

فذُوقــوا كما ذُقْنــا غَداةَ محجَّرٍ ... مــن الغَيْظِ في أكبادِنا والتحوُّبِ[2]

فبِالقتــلِ قَتْــلٌ والسَّوامُ بمثلِــهِ ... وبــالشَّلّ شَلٌّ الغائــطِ المتصوِّبِ[3]

أخبرني عليّ بن الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الحارث بن محمد ، عن المدائنيّ ، عن سلمة بن محارب قال : لمّا مات محمد بن الحجّاج بن يوسف جزِعَ عليه الحجّاجُ جزَعاً شديداً ، ودخل النّاسُ عليه يعزُّونه ويسلُّونه ، وهو لا يَسلُو ولا يزداد إلاّ جزَعاً وتفجُّعاً ، وكان فيمن دَخَلَ عليه رجلٌ كان الحجّاج قتلَ ابنَه يومَ الزاوية ، فلمّا رأى جزعَه وقلّة ثَباته للمصيبة شمِتَ بِهِ وسُرّ لما ظَهَر له منه ، وتمثَّلَ بقول طُفيل : [من الطويل]

فذُوقوا كما ذُقْنـا غـداةَ محجَّرٍ ... من الغَيظ في أكبادِنا والتحوّبِ

وفي هذه القصيدة يقول طُفيل : [من الطويل]

تَرى العينُ ما تَهوى وفيها زيادةٌ ... من اليُمْنِ إذْ تبدو ومَلْهًى لملعبِ

وبيت تهـبُّ الرِّيحُ في حَجَراتِهِ ... بـأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّبِ[4]

سَماوتُـه أسمــالُ بُــرْدٍ محبَّرٍ ... وصَهوتـه مِنْ أتحميّ معصَّبِ[5]

[أكرم بيت وصفته العرب]

أخبرني عيسى بن الحسين بن الورّاق قال : حدَّثنا الرياشيّ عن العتبيّ عن أبيه قال : قال عبد الملك بن مَرْوان لولده وأهلِهِ : أيُّ بيتٍ ضربته العربُ على عصابة ووصفَتْه أشرفُ حِواء ، وأهْلاً وبنـاء ؟ فقالوا فأكثروا ، وتكلَّم مَن حضَرَ فأطالوا ، فقال عبد الملك : أكرم بيتٍ وصفته العرب بيت طُفيلٍ الذي يقول فيه : [من الطويل]

---

1 هذه البائية أولى قصائد الديوان وتتألف من 77 بيتاً (17–36) .

2 التحوب : التوجع .

3 الغائط : يقال غاط في الوادي إذا ذهب إليه . والتصويب : الانحدار .

4 الحجرات : النواحي ، مفردها حَجرة .

5 وصهوته في ل : وسائره .

وبيتٍ تهبُّ الرّيحُ في حَجَراتِهِ ... بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّبِ
سَماوتُهُ أسمالُ بُردٍ محبَّرٍ ... وصَهوتُه من أتحميٍّ معصَّبِ[1]
وأطنابُه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها ... صُدورُ القَنا من بادىءٍ ومعقبِ[2]
نصبتُ على قومٍ تُدِرّ رماحُهم ... عروقَ الأعادِي من غَرِيرٍ وأشْيَبِ

[طفيل يمنّ على قبيلتين]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : كانت فزارةُ لقِيتْ بني أبي بَكر بن كلاب وجيرانَهم من مُحارب ، فأوقعت بهم وقعةً عظيمة ، ثم أدركتْهم غنِيٌّ فاستنقذَتْهم ، فلمّا قتلتْ طيّىءٌ قيس النَّدامى ، وقتلتْ بنو عَبسٍ هُرَيم بنَ سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشة بن عبيد بن سعد بن كعب بن جِلاّن بن غَنْم بن غنيّ ، وكان فارساً حَسِيباً قد ساد ورأس ، قتله ابن هِدْم العبسيّ طريد الملك ، فقال له الملك[3] : كيف قتلته ؟ قال : «حملت عليه في الكَبّة ، وطعنتُه في السَّبّة ، حتى خرجَ الرّمح من اللَّبّة[4]» . وقُتِل أسماءُ بن واقدِ بن رُفَيد بن رياح بن يربوع بن ثَعْلبة بنِ سعد بن عوف بن كعب بن جِلاّن ، وهو من النجوم ، وحصن بن يربوع بن طريف وأمُّهم جُندع بنت عمرو بن الأغرّ بن مالك بن سعد بن عوف . فاستغاثت غنِيٌّ ببني أبي بكر وبني محارب فقعدوا عنهم . فقال طُفيل في ذلك يمنُّ عليهم بما كان منهم في نُصرتهم ، ويرثي القتلى ، قال[5] : [من الطويل]

تأوَّبَنِي هَمٌّ من اللَّيْلِ مُنْصِبُ ... وجاء من الأخبارِ ما لا أُكذِّبُ
تتابَعْنَ حتّى لم تكنْ لِيَ رِيبةٌ ... ولَم يَكُ عمّا خبَّروا مُتعقَّبُ[6]
وكان هُرَيمٌ من سِنانٍ خليفةً ... وحصنٍ ومن أسماءَ لَمّا تَغَيَّبوا
ومن قيسٍ الثّاوي بِرَمّانَ بيتُه ... ويومَ حَقِيلٍ فادَ آخرُ مُعجِبُ[7]
أشمُّ طويلُ السّاعدين كأنّه ... فَنِيقُ هِجانٍ في يديه مُركَّبُ[8]

---

1 سماوتُه : أعلاه . الأتحمي المعصب : ضرب من برود اليمن .
2 البادىء : الذي غزا أول غزوة . والمعقب : الذي غزا مراراً .
3 هو النعمان بن المنذر كما في اللسان (سبب) .
4 الكبة : الحملة في الحرب . والسبة : الإست . واللبة : وسط الصدر والمنحر .
5 ديوان : 37–40 .
6 الديوان : تظاهرن . ولم يك . . . متعقب : لم أستطع تعقب أخبارهم بتكذيب ما ظهر .
7 رَمان : الموضع الذي قتل فيه قيس الندامى كما تقدم . وحقيل : موضع في بلاد بني أسد . وفاد : مات .
8 لم يرد هذا البيت في الديوان . والفنيق : الفحل المكرم .

ربالسَّهبِ ميمـونُ النَّقيبة قولُـــه   لملتمس المعروف أُهـلٌ ومَرحَبُ

صوت

كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضّ كوكبٌ   بَدا وانجلت عنه الدُّجُنَّةُ كَوكبُ

الغناء لسليم أُخِي بابويه ، ثاني ثقيل عن الهشامي . وهي قصيدةٌ طويلة ، وذكرتُ منها هذه الأبياتَ من أجلِ الغناء الذي فيها . ومن مختار مرثيته فيها قوله : [من الطويل]

لعمري لقد خَلَّى ابنُ جندع ثَلمةً   ومن أَينَ إنْ لَم يرأَب اللهُ تُرأَبُ[1]

ندامايَ أَمسَوْا قـد تخلَّيتُ عنهمُ   فكيف أَلَذُّ الخمرَ أَم كيف أُشربُ

مضَوْا سلَفـاً قَصْدَ السَّبيل عليهم   وصَرْف المنايـــا بالرِّجالِ تقلّبُ

صوت

[من السريع]

فَدَيت مَن بـاتَ يغنّيني   وبـــتُّ أُسقِيـهِ ويَسْقيني

ثم اصطبَحْنا قَهوةً عُتِّقَتْ   مِن عَهـدِ سابورَ وشِيرِينِ[2]

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القَرْعة ، ولحنه فيه رمل أوّل بالبنصر ، لا نعرف له صنعة غيره .

---

1 ابن جندع في الديوان : ابن خندع .

2 وشيرين في ل : وشروين .

[305] ـ نسب محمد بن حمزة بن نُصَير الوصيف وأخباره

هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور ، ويُكنى أبا جعفر ، ويلقَّب وَجهَ القَرعة .

وهو أحد المغنِّين الحُذّاق الضُرّاب الرُّواة . وقد أخَذ عن إبراهيم الموصليّ وطبقتِه ، وكان حسنَ الأداء طيِّبَ الصوت ، لا علّة فيه ، إلاّ أنّه كان إذا غنَّى الهَزَجَ خاصّةً خرج بسببٍ لا يعرف ، إلا لآفة تعرض للحِسّ في جنسٍ من الأجناس فلا يصحُّ له بتَّةً .

[إسحاق يثني عليه]

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أنّ إسحاق بن محمد الهاشميّ حدَّثه عن أبيه ، أنّه شهد إسحاقَ بن إبراهيم الموصليَّ عند عمّه هارون بن عيسى ، وعنده محمد بن الحسن بن مُصعَب ، قال : فأتانا محمدُ بن حمزةَ وجهُ القَرعة ، فسرَّ به عمِّي . وكان شرسَ الخُلُق أبيَّ النَّفس ، فكان إذا سُئِل الغِناءَ أباهُ ، فإذا أُمسِكَ عنه كان هو المبتدىء بِهِ ، فأمسكْنا عنه حتّى طلبَ العُودَ فأُتِيَ بِهِ فغنَّى ، وقال : [من مجزوء الرمل]

مـرَّ بِـي سِربُ ظِباء رائحـاتٍ مـن قُبـاء

قال : وكان يُحسِنه ويُجيده ، فجعل إسحاقُ يشرب ويستعيده حتّى شرب ثلاثة أرطال ثم قال : أحسنتَ يا غلام ، هذا الغناء لِي وأنت تتقدّمُني فيه ، ولا يُخلقُ الغناءُ ما دام مثلُك ينشأ فيه .

[مخارق يعجب بغنائه]

قال : وحدَّثني إسحاق الهاشميّ عن أبيه قال : كنّا في البستان المعروف ببستان خالصٍ النصرانيّ ببغداد ، ومعنا محمد بن حمزة وجهُ القرعة ، فيغنِّينا قولَه : [من مجزوء الكامل]

يـا دارُ أقفـرَ رسمُهـا بين المحصَّبِ والحَجُونِ

يـا بشرُ إنِّي فاعلمي واللهِ مجتهـداً يمينـي

فإذا برجل راكب على حمارٍ يؤمُّنا وهو يصيح : أحسنتَ يا أبا جعفر ، أحسنتَ واللهِ ! فقلنا : اصعد إلينا كائناً مَن كنت . فصعِد وقال : لو منعتموني من الصُّعود لما امتنعتُ . ثم سَفَرَ اللِّثامَ عن وجهه فإذا هو مُخارِق ، فقال : يا أبا جعفر أعِدْ عليَّ صوتَك . فأعاده فشرِب رِطلاً من شرابنا وقال : لولا أنّي مدعوّ إلى خدمة الخليفةِ لأقمتُ عندكم واستمعتُ هذا الغناء الذي هو أحسَنُ من الزَّهَر ، غِبَّ المَطَر .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

منها : [من مجزوء الكامل]

صوت

مرَّ بِـي سِربُ ظِباء رائحـاتٍ مـن قُباء
زُمَـراً نحـوَ المصلَّى يَتَمشَّينَ حِـذائِي
فتجاسَـرتُ وأَلقيْـ ـتُ سَرابيـلَ الحياء
وقديمـاً كان لَهْوِي وفُتونِـي بـالنِّساء

الغناء لإسحاق ممّا لا يشكّ فيه من صنعته ، ولحنه من ثقيلٍ أوَّلَ مطلقٍ في مجرى الوسطى . وذكر محمد بن أحمد المكّي أنّه لجدِّه يحيى . وذكر حبشٌ أنّ فيه لابنَ جامع ثانِيَ ثقيلٍ بالوسطى .

ومنها[1] : [من مجزوء الكامل]

صوت

يـا بِشرُ إنّي فاعلمِي واللهِ مُجتهـداً يمينـي
ما إن صرمتُ حِبالَكمْ فصِلِي حبالِي أو ذَرِينِي
استبدَلُوا طَلَـبَ الحِجا زِ وسُرّةِ البلـدِ الأَمينِ
بحدائـقٍ محفوفـةٍ بالبيتِ من عِنَبٍ وتِينِ
يـا دارُ أقفـرَ رسمُهـا بين المحصَّبِ والحَجُونِ
أقـوَتْ وغيَّرَ آيَـهـا طُـولُ التَّقادُم والسِّنين

الشعر للحارث بن خالد ، والغناء لابن جامع في الأربعة الأبيات الأُوَل ، رمل بالوسطى ، ولابن سريج في الخامس والسادس والأوّل والثاني ثقيل أوّل بالبنصر .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني محمد بن مهرويَه قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني الفضل بن المغنِّي ، عن محمد بن جبر قال : دخلنا على إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ نعودُه من علّةٍ كانَ وجدَها ، فصادفْنا عنده مُخارِقاً ، وعَلُّويَه ، وأحمد بن المكّيّ وهم يتحدَّثون ، فاتّصل الحديث بينهم ، وعرضَ إسحاقُ عليهم أن يقيموا عندَه ليتفرَّجَ بهم ، ويُخرجَ إليهم سِتارَته يغنُّون من ورائها . ففعَلوا وجاء محمد بن حمزة وجهُ القَرعة على تفئة

1 شعر الحارث بن خالد : 107 وفيه يا بسر .

ذلك فاحتبسه إسحاقُ معهم ، ووُضِع النبيذُ وغَنَّوا ، فغنَّى مخارقٌ أو عَلُّويَه صوتا من الغناء القديم ، فخالفه محمدٌ فيه وفي صانعه ، وطال مِراؤهما في ذلك ، وإسحاقُ ساكت ، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمدٍ . وراجعه علويه ، فقال له إسحاق : حسبُك ، فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسِهِ منه . ثم غنَّى أحمد بن يحيى المكّيّ قوله :

قُل للجُمانةِ لا تَعْجَلْ بإسراج

فقال محمد : هذا اللَّحن لمعبد ولا يُعرف له هزَجٌ غيره . فقال أحمد : أمّا على ما شَرَطَ أبو محمّد آنفاً من أنّه ليس في الجماعة أدرى بِما يَخرُج من رأسِهِ منك فلا مُعارِضَ لك . فقال له إسحاق : يا أبا جعفرٍ ، ما عنيتُك والله فيما قلتُ ، ولكِنْ قد قال إنّه لا يُعرفُ لمعبدٍ هزجٌ غير هذا ، وكلّنا نعلم أنّه لمعبد ، فأكذِبْه أنتَ بهزَجٍ آخَر له مِمّا لا يُشَكّ فيه . فقال أحمد : ما أعرف .

نسبة هذا الصوت

قال محمد بن الحسن : وحدَّثني إسحاقُ الهاشميّ عن أبيه : أنّ محمداً دخلَ معه على إسحاقَ الموصليّ مهنّئاً له بالسلامة من عِلّةٍ كان فيها ، فدَعا بعُود ، فأمر به إسحاقُ فدُفِع إلى محمد ، فغنّى أصواتاً للقدماء وأصواتاً لإبراهيم ، وأصواتاً لإسحاق ، في إيقاعاتٍ مختلفة . فوجَّه إسحاقُ خادِماً بين يديه إلى جوارِي أبيه ، فخرجْنَ حتّى سمعْنَه من وراء حجابٍ ، ثم ودّعَهُ وانصرف ، فقال إسحاقُ للجواري : ما عندكنّ في هذا الفَتى ؟ فقلن : ذكَّرَنا والله أباك فيما غنّاه . فقال : صَدَقتنّ . ثم أقبلَ علينا فقال : هو مغنٍّ مُحْسِن ، ولكنّه لا يصلحُ للمطارحة لكثرة زوائدِه ، ومثله إذا طارحَ جَسَرَ الذي يأخُذُ عنه فلم ينتفعْ بِهِ ، ولكنّه ناهيك به مِنْ مغنٍّ مُطْرب .

[يصلح غناء جواري مخارق]

قال إسحاق : وحُدِّثتُ أنّه صار إلى مخارقٍ عائداً ، فصادف عنده المغنِّين جميعاً ، فلمّا طلَعَ تغامَزُوا عليه ، فسلَّم على مخارقٍ وسأله به ، فأقبل عليه مخارقٌ ثم قال له : يا أبا جعفر ، إنّ جواريكَ اللواتي في مِلكي قد تَرَكْنَ الدَّرسَ من مُدّة ، فأُحِبُّ أن تدخلَ إليهمّ وتأخذَ عليهنّ وتُصلِح من غنائهنّ . ثم صاحَ بالخدم فسعَوْا بين يديه إلى حُجرةِ الجواري ، ففعلَ ما سأله مخارق ، ثم خرجَ فأعلَمَه أنّه قد أتى ما أحبَّه ، والتفت إلى المغنِّين فقال : قد رأيتُ غَمْزكم ، فهل فيكم أحدٌ رضيَ أبو المهَنّا أعزّه الله حِذقَه وأدَبه وأمانته ، ورضِيَه لجواريه غَيري ؟ ثم ولَّى فكأنّما ألقمَهُم حَجرا ، فما أجابه أحد .

صوت[1]

[من الكامل]

عَفَتِ الدِّيارُ مَحلُّها فمُقامُها ... بِمنى تأبَّــدَ غَوْلُهــا فرِجامُها

فَمَدافعُ الرَّيّانِ عُــرِّي رسْمُها ... خَلَقاً كما ضَمِنَ الوحِيَّ سِلامَها[2]

فاقنعْ بما قسمَ الإلــهُ فإنَّما ... قَسَم الخلائـــقَ بيننا عَلاّمُها

عروضه من الكامل . عفت : درست . ومِنًى : موضعٌ في بلاد بني عامر ، وليس مِنى مكّة . تأبّد : توحَّشَ . والغَول والرِّجام : جَبَلانِ بالحِمى . والرّيانُ : وادٍ . مدافعهُ : مَجاري الماء فيه . وعُرِّيَ رسمها ، أي تُرِك وارتُحِل عنه . يقول : عُرِّيَ من أُهلِهِ . وسِلامها : صُخورها ، واحدتها سَلِمة .

الشعر للبِيدِ بن ربيعةَ العامريّ ، والغناء لابن سُرَيج ، رملٌ بالسبابة في مجرى البِنصِر عن إسحاق ، وفيه لابن مُحرز خفيفُ رملٍ أوّلَ بالوسطى عن حَبَش ، وذكر الهشاميّ إنّ فيه رملاً آخَر للهذليّ في الثالث والأوّل .

1 هذه الأبيات من معلقة لبيد .

2 الوحي : الكتابة .

[306] ـ نسب لبيد وأخباره[1]

[نسبه]

هو لَبِيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر .

وكان يقال لأبيه «ربيعُ المقْتِرين» لجوده وسخائه . وقتلته بنو أسد في الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه .

وعمُّه أبو بَراء عامرُ بن مالك ملاعب الأسنّة ، سُمِّي بذلك لقول أوسِ بن حجر فيه[2] : [من الطويل]

فلاعَبَ أطرافَ الأسنّة عامرٌ فـراحَ لـه حظُّ الكتيبةِ أجمعُ

وأمُّ لبيد تامرة بنت زِنباع العبسيّة ، إحدى بنات جَذِيمة بن رَواحة .

[صفات لبيد]

ولبيدٌ أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرَمين ممّن أدركَ الإسلام ، وهو من أشراف الشُّعراء المُجيدين الفُرسان القُرّاء المعمَّرين ، يقال إنّه عمِّر مائةً وخمساً وأربعين سنة .

أخبرني بخبره في عُمره أحمد بن عبد العزيزي الجوهريّ قال : حدَّثنا عُمَر بن شبّة عن عبد الله بن محمد بن حكيم ؛ وأخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا بن مهرويه قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن علي بن الصباح ، عن ابن الكلبيّ ، وعن عليّ بن المِسور عن الأصمعيّ ، وعن المدائنيّ وعن رجالٍ ذكرهم ، منهم أبو اليقظان وابن دأب ، وابن جعدبة ، والوقاصيّ .

أنّ لَبيد بن ربيعة قدِم على رسول الله ﷺ في وفدِ بني كلاب بعدَ وفاة أخيه أرْبَدَ وعامِر بن الطُّفيل ، فأسلَمَ وهاجر وحسُن إسلامه ، ونزل الكوفةَ أيّام عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه فأقام بها . ومات بها هناك في آخر خلافة معاوية ، فكان عمره مائةً وخمساً وأربعين سنة ، منها تسعون سنةً في الجاهلية ، وبقيّتُها في الإسلام .

1 ترجمة لبيد في الشعر والشعراء : 194–204 وطبقات ابن سلام : 113 وخزانة البغدادي 2 : 246–257 وطبقات ابن سعد والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ومقدمة ديوان لبيد (إحسان عبّاس ـ الكويت) وإليه نشير .

2 ديوان أوس : 58 .

[توقيته مراحل عمره]

قال عمر بن شبّة في خبره : فحدّثني عبد الله بن محمد بن حكيم أنّ لبيداً قال حين بلغ سبعاً وسبعين سنة[1] : [من البسيط]

قامت تَشَكَّى إليَّ النَّفسُ مُجْهِشةً وقـد حَمَلتك سبعا بعـد سبعينا

فـإنْ تُـزادِي ثلاثـاً تبلُغـي أملاً وفِـي الثّـلاثِ وفـاءٌ للثمانينا

فلمّا بلغ التسعينَ قال[2] : [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزتُ تسعين حِجَّةً خلعـتُ بِهـا عـن مَنكِبيَّ ردائِيا

فلمّا بلغ مائةً وعشراً قال[3] : [من البسيط]

أَلَيس في مائـةٍ قـد عاشَها رجلٌ وفي تكامُـلِ عَشْرٍ بعدَهـا عُمُرُ

فلمّا جاوزها قال[4] : [من الكامل]

ولقد سئِمتُ من الحياةِ وطُولها وسُؤالِ هذا الناسِ كيفَ لَبيدُ

غَلَب الرّجالَ وكان غيرَ مغلَّب دَهـر طويـلٌ دائـمٌ ممدودُ

يومـاً أرى يأتـي عليَّ وليلةٌ وكلاهمـا بَعـدَ المضاءِ يعودُ

وأَراه يأتـي مثلَ يـوم لقيتُه لم يُنتَقَص وضَعُفتُ وهو يزيدُ

[خبره مع الربيع بن زياد]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا أَبو حاتم السجستاني قال حدَّثنا الأصمعيّ قال : وفد عامر بن مالكٍ ملاعبُ الأسنّة ، وكان يكنى أبا البَراء ، في رهطٍ من بني جعفر ، ومعه لبيدُ بن ربيعة ، ومالكُ بن جعفر ، وعامر بن مالكٍ عمّ لبيد ، على النُّعمان ، فوجدوا عنده الربيعَ بن زيادٍ العبسيّ ، وأمُّه فاطمةُ بنت الخُرشُب ، وكان الرّبيع نديماً للنُّعمان مع رجلٍ من تُجّار الشام يقال له زَرجون بن توفيل ، وكان حرِيفاً[5] للنُّعمانِ يُبايعه ، وكان أَدِيباً حسنَ الحديث والنِّدام ، فاستخفّه النُّعمان ؛ وكان إذا أراد أن يخلوَ على شرابه بَعَثَ إليه وإلى النِّطاسيّ : متطبِّب كان له ، وإلى الربيع بن زياد فخَلا بهم . فلمّا قدِم الجعفريُّون كانوا

1 ديوانه : 352 .
2 لم يرد هذا البيت في الديوان .
3 ديوانه : 350 .
4 ديوانه : 35 مع بعض اختلاف .
5 حريف الرجل : الذي يعامله في حرفته .

يحضُرون النُّعمانَ لحاجتهم ، فإذا خرجوا من عنده خَلا به الرّبيعُ فطعَن فيهم وذكر مَعايبَهم . وكانت بنو جعفرٍ له أعداء ، فلم يزَل بالنُّعمانِ حتّى صَدَّه عنهم . فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاءً ، وقد كان يُكرمهم ويُقرِّبهم . فخرجوا غِضاباً ولبيدٌ متخلِّف في رِحالِهم يَحْفظ متاعهم ، ويغدو بإبلهم كلّ صباحٍ يرعاها ، فأتاهم ذاتَ ليلةٍ وهم يتذاكرون أمرَ الرَّبيع ، فسألهم عنه فكتموه ، فقال : والله لا حفِظتُ لكم متاعاً ، ولا سرّحتُ لكم بعيراً أو تُخْبروني فيم أنتم ؟ وكانت أُمّ لبيدٍ يتيمةً في حِجْر الرّبيع ، فقالوا : خالُكَ قد غَلَبنا على الملكِ وصَدَّ عنّا وجهَه . فقال لبيد : هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأَزجُرَه عنكم بقول مُمِضّ لا يلتفت إليه النُّعمان أبداً ؟ فقالوا : وهل عندك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنّا نبلوك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : تشتم هذه البَقْلة ، وقدّامهم بَقلةٌ دقيقة القُضْبان ، قليلةُ الورق ، لاصقة بالأرض ، تدعى التَّرِبَة[1] ، فقال : «هذه التَّرِبة التي لا تُذكِي ناراً ولا تُؤهِل داراً ، ولا تسُرُّ جاراً ، عودُها ضئيل ، وفرعها كليل ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مرعًى ، وأقصرها فرعاً ، وأشدُّها قلعاً . بلدها شاسع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع ، فالقَوْا بي أخا عَبْس ، أردّه عنكم بتَعْس ، وأتركه من أمره في لَبْس» . قالوا : نصبحُ ونَرى فيك رأينا . فقال عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، يعني لبيداً ، فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، إنّما هو يتكلّم بما جاء على لسانه ، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبُه . فرمَقوه فوجدوه وقد ركب رحْلاً وهو يكدم[2] وسطه حتّى أصبح ، فقالوا : أنت والله صاحبُه . فعَمَدوا إليه فحلقوا رأسَه وتركوا ذؤابته ، وألبسوه حُلَّةً ثم غدا معهم وأدخلوه على النُّعمان ، فوجدوه يتغدّى ومعه الربيعُ بن زيادٍ ، وهما يأكلان لا ثالثَ لهما ، والدّار والمجالس مملوءة من الوُفود . فلمّا فَرغ من الغداء أَذِن للجعفريِّين فدَخلوا عليه ، وقد كان أمْرُهم تقارَبَ ، فذكروا الذي قدِموا له مِن حاجتهم ، فاعترض الربيعُ بن زياد في كلامهم ، فقال لبيد في ذلك[3] : [من الرجز]

أكلَّ يومٍ هامتي مقَزَّعَهْ ... يا رُبَّ هيجا هي خيرٌ من دَعَهْ
نحن بني أُمِّ البنينَ الأربعه ... سيوفُ حَزٍّ وجفانٌ مُترَعَهْ
نحن خيارُ عامرِ بن صعصعه ... الضاربون الهام تَحتَ الخَيْضَعه[4]

1 التربة : شجرة شاكة ثمرتها كالبسرة المعلقة (اللسان ــ ترب) .
2 يكدم : يعض .
3 ديوانه : 340-343 .
4 الخيضعة : الغبار والمعركة واختلاف الأصوات في الحرب . وقيل هي البيضة .

والمطعمون الجَفنةَ المُدعدَعه مهلاً أبيتَ اللَّعْنَ لا تأكلْ معه[1]
إنّ استَه من بَرَص مُلمَّعه وإنّه يُدخِل فيها إصبعَهْ
يُدخِلها حتّى يُوارِي أشجعَهْ كأنّه يطلبُ شيئاً ضيعَهْ[2]

فرفع النُّعمانُ يَدَه من الطّعام وقال: خَبَّثْتَ واللهِ عليَّ طعامِي يا غلام؛ وما رأيتُ كاليوم. فأقبل الربيعُ على النُّعمان فقال: كذَبَ واللهِ ابنُ الفاعلة[3]، ولقد فعلتُ بأمّه كذا وكذا. فقال له لبيد: مثلُك فعلِ ذلك بربيبةِ أهلِهِ والقريبةِ من أهلِهِ، وإنّ أُمِّي من نساءٍ لم يكنَّ فواعلَ ما ذكرت. وقضى النُّعمانُ حوائج الجعفريِّين، ومضى مِن وقتِهِ وصَرَفهم، ومضى الرّبيعُ بن زياد إلى منزلِهِ مِن وقتِه. فبعث إليه النُّعمانُ بضِعفِ ما كان يَحبوه، وأمره بالانصراف إلى أهلِهِ. فكتب إليه الربيع: إنِّي قد عرفتُ أنّه وَقَعَ في صدرِك ما قال لبيد، وإنِّي لستُ بارِحاً حتّى تبعثَ إليّ مَن يجرِّدني فيعلمَ مَنْ حضَرَكَ من النّاسِ أنِّي لست كما قال لبيد. فأرسل إليه: إنّك لستَ صانِعاً بانتفائك ممّا قال لبيدٌ شيئاً، ولا قادِراً على ردِّ ما زَلّت به الألسُن، فالحقْ بأهلِك. فلَحِقَ بأهلِهِ ثم أرسل إلى النُّعمان بأبياتِ شعرٍ قالها، وهي: [من البسيط]

لئن رحلتُ جمالِي لا إلى سَعةٍ ما مثلُها سَعةٌ عرضاً ولا طُولا
بحيثُ لو وردَتْ لخمٌ بأجمعها لم يَعدِلوا ريشةً من ريش سَمويلا[4]
ترعى الروائمُ أحرارَ البقولِ بها لا مثلَ رَعيكم مِلحاً وغَسْويلا[5]
فاثبُتْ بأرضك بعدي واخلُ متكئاً مع النِّطاسيّ طوراً وابن تُوفيلا

فأجابه النُّعمانُ بقوله: [من البسيط]

شرِّدْ برحلكَ عنِّي حيثُ شئتَ وَلا تُكثِر عليَّ ودعْ عنكَ الأباطِيلا
فقد ذُكِرتَ بشيءٍ لستُ ناسيَه ما جاورت مصرُ أهلَ الشّام والنِّيلا
فما انتفاؤك منه بعد ما جَزَعَتْ هُوجُ المطيِّ به نحو ابن سَمويلا[6]

1 المدعدعة: المملوءة.
2 الأشجع: أصل الإصبع.
3 ل: الحمق.
4 السمويل: طائر أو بلد كثير الطيور.
5 الروائم: التي تعطف على أولادها. وأحرار البقول: ما رق منها ورطب. والغسويل: نبت ينبت في السبخات.
6 جزعت: قطعت.

قـد قيل ذلك إنْ حقّـاً وإنْ كذباً فمـا اعتذارُك من قـول إذا قيلا[1]
فالحقْ بحيثُ رأيـتَ الأرضَ واسعةً فانْشر بها الطَّرفُ إنْ عرضاً وإن طُولا

قال : وقال لبيد يهجو الربيعَ بنَ زياد ، ويزعمون أنّها مصنوعة . قال : [من الرجز]

رَبيعُ لا يَسُقكَ نحـوي سائقُ فتُطلَـبَ الأَذْحـالُ والحقائقُ[2]
ويُعلَـمَ المُعْيـا بـه والسّابقُ ما أَنتَ إن ضُمَّ عليك المازِقُ
إلاّ كشيءٍ عاقَـه العوائـقُ إنّـك حـاسٍ حُسوةً فذائقُ
لا بـدّ أن يغمز منك العاتقُ غمزاً تـرى أنّك منه ذارقُ
إنّـك شيخٌ خائـن منافـقُ بالمخزيـات ظاهـرٌ مطابقُ

[أظهر شعره بعد المعلقة]

وكان لبيد يقول الشعر ويقول : لا تُظْهِروه ، حتى قال : [من الكامل]

عفَت الدِّيـارُ محلُّهـا فمُقامها

وذكر ما صنع الرّبيع بن زياد ، وضَمْرة بن ضَمرة . ومَنْ حَضَرهم من وجوه النّاس ، فقال لهم لبيدٌ حينئذٍ : أظهروها .

قال الأصمعيّ في تفسير قوله : الخيضعة ، أُصله الخضعة بغير ياء ، يعني الجلبة والأصوات ، فزاد فيها الياء . وقال في قوله «بالمخزيات ظاهر مطابق» : يقال طابق الدّابّةُ ، إذا وضع يديه ثم رفَعهما فوضع مكانَهما رجليه ، وكذلك إذا كان يطأ في شوك . والمأزق : المضيق . والنازق : الخفيف .

نسخت من كتاب مرويٍّ عن أَبي الحَكَم قال : حدَّثني العلاء بن عبد الله الموقِّع قال : اجتمع عندَ الوليد بن عقبة سُمّارُه وهو أمير الكوفة وفيهم لبيدٌ ، فسأل لبيداً عمّا كان بينه وبين الرَّبيع بن زيادٍ عند النُّعمان ، فقال له لبيد : هذا كانَ من أمر الجاهليّة وقد جاء اللهُ بالإسلام . فقال له : عزمتُ عليك ، وكانوا يَرَون لعَزْمة الأميرِ حقّاً ، فجعَل يحدِّثُهم ، فحسده رجلٌ من غنِيٍّ فقال : ما عَلِمْنا بهذا . قال : أَجَلْ يا ابن أخي ، لم يُدْرِكْ أبوك مثلَ ذلك ، وكان أبوك مِمّن لم يشهد تلك المشاهدَ فيحدّثك .

[ما سمع من فخره في الإسلام]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكرانيّ قال حدَّثني العمريُّ قال : حدَّثني الهيثم عن ابن عيّاش عن

1 المثل «قد قيل . . . إذا قيلا» في أمثال الضبّيّ : 172 وجمهرة العسكري 2 : 118 ومستقصى الزمخشري 2 : 191 وفصل المقال : 90 ، 92 .

2 الأذحال : جمع ذحل ، وهو الثأر .

محمد بن المنتشر قال : لم يُسمَع من لبيدٍ فخرُه في الإسلام غيرَ يومٍ واحد ، فإنّه كان في رَحَبة غنيٍّ مستلقياً على ظهره قد سَجَّى نفسَه بثوبه ، إذ أقبل شابٌّ من غنيٍّ فقال : قَبَحَ الله طُفَيْلاً حيث يقول[1] : [من الطويل]

جَزى الله عنّا جعفراً حيثُ أشرفَتْ ... بنا نعلُنا في الواطئين فزلَّتِ
أبَوْا أن يَملُّونا ولَو أنَّ أُمَّنا ... تُلاقِي الذي يَلقَوْن منّا لملَّتِ
فذو المال موفورٌ وكلّ مُعصِّبٍ ... إلى حُجُرات أدفأت وأظَلَّتِ[2]
وقالت هلُمُّوا الدّار حتّى تبيَّنُوا ... وتنجَلِيَ الغَمَّاءُ عمّا تجلَّتِ

ليت شعرِي ما الذي رأى من بني جعفر حيث يقول هذا فيهم ؟ قال : فكشفَ لبيدٌ الثَّوبَ عن وجهه وقال : يا ابن أخي ، إنّكَ أدركتَ الناسَ وقد جُعِلت لهم شُرطةٌ يَزعُون بعضَهم عن بعض ، ودارُ رزقٍ تَخرجُ الخادِمُ بجرابها فتأتي برزقِ أهلها ، وبيتُ مال يأخذون منه أعطيتَهم ، ولو أدركتَ طُفيلاً يوم يقول هذا لم تَلُمْه . ثم استلقى وهو يقول : أستغفر الله . فلَم يزل يقول : أستغفر الله ؛ حتى قام .

[سؤال عن أشعر العرب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثنا محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد قال : قال مَرَّ لبيدٌ بالكوفة على مجلسِ بني نَهد وهو يتوكّأ على مِحجن له فبعثوا إليه رسولاً يسأله عن أشعر العرب . فسأله فقال : الملك الضِّليل ذو القُروح . فرجعَ فأخبرهم فقالوا : هذا امرؤ القيس . ثم رجع إليه فسأله : ثم مَن ؟ فقال له : الغلامُ المقتول من بني بكر . فرجَع فأخبرهم فقالوا : هذا طرفة . ثم رجع فسأله ثم من ؟ فقال : ثم صاحب المِحجَن ، يعني نفسه .

[شعره في الإسلام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو عبيدة قال : لم يقل لبيدٌ في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً ، وهو[3] : [من البسيط]

1 ديوان الطفيل الغنوي : 98 .

2 المعصب : الذي يعصب بطنه من الجوع . صدر البيت في الديوان :
«هم خلطونا بالنفوس وألجأوا»

3 قال ذلك ابن قتيبة في الشعر والشعراء : 195 ، وعنه أخذه صاحب الخزانة وأضاف ابن قتيبة قال إنّ أبا اليقظان ، وهو : الحمد لله . . . وقال غيره ، بل هو :
ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح
وفي الاستيعاب والإصابة ومعجم المرزباني أن البيت الأوّل لقردة بن نفاثة . والصواب أنّ لبيداً قال شعراً كثيراً في الإسلام كما يستدلّ من مراجعة قصائده . وانظر شعره فيما تقدم من ترجمته عندما بلغ المائة وعندما جاوزها ، وكان وقتئذٍ مسلماً . وانظر فيما بعد شعره عند احتضاره .

الحمدُ لله إذْ لم يأتِني أجَلي حتّى لبستُ من الإسلام سِربالا

أُخبرني أحمد قال : أخبرني عمِّي قال : حدَّثني محمد بن عباد بن حبيب المهلَّبيّ قال : حدَّثنا نصر بن دأب عن داود بن أبي هند عن الشَّعبيّ قال : كتبَ عمر بن الخطّاب رضيَ الله عنه إلى المغيرة بن شُعبة وهو على الكوفة : أن استنشِد من قِبَلك من شُعراء مِصرك ما قالوا في الإسلام . فأرسل إلى الأغلب الراجزِ العِجْلِيّ ، فقال له : أنشدني . فقال : [من الرجز]

أَرَجَزاً تريدُ أم قصيدا لقد طلبتَ هيّناً موجودا

ثم أُرسل إلى لبيدٍ فقال : أَنشِدْني . فقال : إنْ شئت ما عُفِيَ عنه ، يعني الجاهلية ، فقال : لا ، أنشِدْني ما قلتَ في الإسلام . فانطلق فكتب سُورة البقرة في صحيفةٍ ثم أَتى بِها وقال : أبدلَنِي الله هذه في الإسلام مكانَ الشعر . فكتب بذلك المغيرةُ إلى عمرَ ، فنقص من عَطاءِ الأَغلبِ خمسمائةٍ وجَعَلَها في عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة ، فكتب الأغلب : يا أَمير المؤمنين أتنقُص عطائي أن أطَعتُك ؟! فردَّ عليه خمسمائة وأقرَّ عطاءَ لبيدٍ على ألفين وخمسمائة .

[معاوية يحاول إنقاص عطائه]

قال أَبو زيد : وأَراد معاويةُ أن ينقُصَه من عطائه لمّا ولِي الخلافة ، وقال : هذان الفَودان ، يعني الألفين ، فما بال العِلاوة ؟ يعني الخمسمائة . فقال له لبيد : إنّما أَنا هامةُ اليومِ أو غد ، فأعِرني اسمها ، فلعلّي لا أَقبضُها أبداً فتبقى لك العلاوة والفودان . فرقَّ له وترك عطاءه على حالِهِ ، فمات ولم يقبضْه .

[نحره كلّما هبت صبا]

وقال عمر بن شبّة في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم . وأَخبرني به إبراهيم بن أَيّوب عن عبد الله بن مسلم قالا : كان لبيد من جُوداء العرب ، وكان قد آلى في الجاهليّة أن لا تَهُبَّ صبا إلاّ أَطعم ، وكان له جفنتان يَغدو بهما ويَروحُ في كلِّ يومٍ على مسجد قومه فيُطعِمهم . فهبّت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة ، فصعِد الوليدُ المنبر فخطبَ النّاس ثم قال : إنّ أخاكم لبيدَ بن ربيعة قد نذَر في الجاهلية ألاّ تهبَّ صَباً إلاّ أَطعم ، وهذا يومٌ من أيّامه ، وقد هبَّتْ صباً فأعينوه ، وأنا أوّلُ من فَعَل . ثم نزل عن المنبر فأَرسل إليه بمائةِ بكرة ، وكتب إليه بأبياتٍ قالها : [من الوافر]

أرى الجزّارَ يشحَذُ شفرتَيهِ إذا هبَّتْ رياحُ أَبي عَقيلِ
أشمُّ الأنفِ أَصيدُ عامريٌّ طويلُ البّاعِ كالسَّيفِ الصَّقيلِ

وَفى ابنُ الجعفريِّ بحَلْفَتِهِ ... على العِلاّتِ والمالِ القليلِ[1]
بِنَحرِ الكُوم إذ سُحِبت عليه ... ذيولُ صباً تَجاوَبُ بالأَصيلِ

فلمّا بلغت أبياتُه لبيداً قال لابنته : أجيبيه ، فلعمري لقد عشتُ برهةً وما أُعيا بجوابِ شاعر . فقالت ابنته : [من الوافر]

إذا هبَّتْ رياحُ أبي عَقيلٍ ... دعَوْنا عند هَبَّتِها الوليدا
أشمَّ الأنف أَروعَ عبشميّاً ... أعانَ على مروءته لَبيدا
بأَمثالِ الهضابِ كأنّ رَكْباً ... عليها من بني حامٍ قُعودا
أَبا وهبٍ جَزاكَ اللهُ خيراً ... نَحرناها فأَطعَمْنا الثَّريدا
فعُدْ إنَّ الكريمَ له مَعادٌ ... وظنّي يا ابنَ أروى أن تَعُودا

فقال لها لبيد : أحسنتِ لولا أنّكِ استطعمتِهِ . فقالت : إنّ الملوك لا يستحيا من مسألتهم . فقال : وأنتِ يا بُنيّةُ في هذه أشعَر .

[سمع الفرزدق شعراً له فسجد]

أَخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني محمد بن عمران الضبّيّ قال : حدَّثني القاسم بن يعلى عن المفضّل الضبّيّ قال : قدِم الفرزدق فمرَّ بمسجد بني أُقَيْصِر ، وعليه رجلٌ يُنشِد قول لبيد : [من الكامل]

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنّها ... زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونَها أَقلامُها

فسجَدَ الفرزدق فقيل له : ما هذا يا أَبا فِراس ؟ فقال : أنتم تعرفونَ سجدة القرآن ، وأَنا أَعرفُ سجدةَ الشعر .

[سؤال عن أشعر الشعراء]

أَخبرنا أحمد بن عبد الله بن عمّار قال : حدَّثنا يعقوب الثقفيّ ، وابن عَيّاش ، ومسعر بن كدام ، كلُّهم عن عبد الملك بن عُمَير قال : أخبرني مَنْ أرسله القراء الأَشراف ، قال الهيثم : فقلت لابن عيّاش : من القرّاء الأشراف ؟ قال : سُليمان بن صُرَد الخُزاعيّ ، والمسيَّب بن نَجَبة الفزاريّ ، وخالد بن عُرفُطة الزُّهريّ ، ومسروق بن الأَجْدَع الهَمْدانيّ ، وهانىء بن عروة المُرادي ، إلى لبِيد بن رَبيعة وهو في المسجد ، وفي يده مِحجَن فقلت : يا أبا عَقِيل ، إخوانك يُقرونك السّلام ، ويقولون : أيّ العربِ أَشعَر ؟ قال : الملك الضِّليل ذو القروح .

1 على العلات : في حال عسره ويسره .

فرَدُّوني إليه وقالوا : ومَنْ ذو القروح ؟ قال : امرؤ القيس . فأعادوني إليه وقالوا : ثم مَنْ ؟ قال : الغلام ابن ثمانِ عَشْرة سنة . فرَدُّوني إليه فقلت : ومن هو ؟ فقال : طَرَفة . فردُّوني إليه فقلت . ثمّ من ؟ قال : صاحب المِحجَن حيث يقول[1] : [من الرمل]

إنَّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ   وبإذن الله رَيثي وَعَجَلْ
أَحمَدُ اللهَ ولا نِدَّ لهُ   بيديهِ الخيرُ ما شاءَ فعَلْ
مَن هَداه سُبلَ الخيرِ اهتدى   ناعمَ البالِ ومَنْ شاءَ أَضلّ

يعني نفسه . ثم قال : أستغفرُ الله .

[المعتصم يعجب بشعر لبيد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن ابن البوّاب قال : جلس المعتصمُ يوماً للشراب ، فغنَّاه بعض المغنِّين قولَه[2] : [من الرمل]

وبَنُو العبّاسِ لا يأتون «لا»   وعلى أَلسنهم خفَّتْ «نَعَمْ»
زَيّنت أَحلامُهم أَحسابَهُمْ   وكذاك الحلمُ زَينٌ للكرمْ

فقال : ما أَعرِفُ هذا الشعر ، فلِمَن هو ؟ قيل : للبيد . فقال : وما للبيد وبني العبّاس ؟ قال المغنّي : إنّما قال :

وبنو الدّيان لا يأتون

فجعلتُه «وبنو العبّاس» . فاستَحْسَنَ فعلَه ووصلَه .

وكان يُعجَب بشعر لبيدٍ فقال : مَن منكم يروي قوله : [من الطويل]

بلينا وما تَبْلَى النّجومُ الطوالع

فقال بعض الجلساء : أنا . فقال : أَنشِدْنيها . فأنشد[3] : [من الطويل]

بَلِينا وما تَبلى النُّجومُ الطوالِعُ   وتَبقى الجِبالُ بعدَنا والمَصانِعُ
وقد كنتُ في أَكنافِ جارِ مَضَنّةٍ   ففارقني جارٌ بأربدَ نافعُ

فبكى المعتصمُ حتّى جرت دموعهُ ، وترحَّم على المأمون ، وقال : هكذا كانَ رحمة الله عليه ! ثم اندفعَ وهو يُنشِد باقيها ويقول : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 175 .
2 ديوانه : 352 .
3 ديوانه : 168 .

فـلا جزِعٌ إنْ فرَّقَ الدَّهرُ بيننا ... فكلُّ امرىءٍ يوماً له الدَّهرُ فاجعُ
ومـا النّاسُ إلاّ كالدِّيارِ وأَهلِها ... بِها يـومَ حلُّوهـا وبَعْـدُ بلاقِعُ
ويَمْضُون أرسالاً ونخلُف بعدَهمْ ... كما ضَمَّ إحدى الراحتينِ الأَصابعُ
ومـا المرءُ إلاّ كالشِّهابِ وضوئه ... يَحُورُ رَماداً بعدَ إذْ هـو ساطِعُ
وما البرُّ إلاّ مُضمَراتٌ من التُّقى ... ومـا المـالُ إلاّ عاريـاتٌ ودائعُ
أَليسَ ورائِـي إنْ تراخَتْ منيَّتِي ... لُزومُ العَصا تُحنى عليها الأَصابعُ
أُخبِّر أَخبـارَ القرونِ التي مَضَت ... أَدبُّ كأنِّـي كلّما قمـتُ راكِعُ
فأَصبحتُ مثلَ السَّيف أَخلَقَ جَفنَه ... تقادُمُ عهدِ القَـينِ والنصلُ قاطِعُ
فـلا تبعَـدَنْ إنّ المنيّـةَ مَوعِدٌ ... علينـا فـدانٍ للطُّلـوعِ وطالِعُ
أَعـاذلُ مـا يُدريكِ إلاّ تَظَنِّياً ... إذا رَحَلَ الفِتيانُ مَـنْ هـو راجعُ
أَتجزعُ مِمّا أَحدَثَ الدَّهرُ بالفتى ... وأَيُّ كريـم لم تُصِبْـه القوارِعُ
لعمركَ ما تَدرِي الضَّوارِبُ بالحَصى ... ولا زاجراتُ الطَّيرِ مـا اللهُ صانِعُ

قال : فعَجِبنا والله من حُسنِ أَلفاظه ، وصحّة إنشاده ، وجودة اختياره .

[موقف عثمان بن مظعون]

أَخبرني الحسين بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه . وحدَّثنا محمد بن جرير الطبريّ قال : حدَّثنا محمد بن حميد الرّازيّ قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق قال : كان عثمان بن مظعون في جوارِ الوليد بن المغيرة ، فتفكَّر يوماً في نفسِهِ فقال : والله ما ينبغِي لمسلمٍ أن يكون آمناً في جوارِ كافر ورسولُ الله ﷺ خائف . فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له : أُحبُّ أن تبرأ من جِوارِي . قال : لعلَّه رابَكَ رَيب . قال : لا ، ولكن أُحبُّ أَن تفعل . قال : فاذهبْ بِنا حتّى أبرأَ منك حيثُ أُجرتك . فخَرجَ معه إلى المسجد الحَرام فلمّا وقَفَ على جماعةِ قريش قال لهم : هذا ابن مظعونٍ قد كنتُ أجرتـه ثـم سألني أن أبرأ منه ، أَكذاك يا عثمان ؟ قال : نعم . قال : اشهدوا أنّي منه بريء . قال : وجماعةٌ يتحدَّثون من قريش معهم لبيدُ بن ربيعة يُنشدهم ، فجلس عثمان مع القوم فأنشَدهم لبيد :

أَلا كلُّ شيءٍ ما خَـلا اللهَ باطِلُ

فقال له عثمان : صدَقت . فقال لبيد :

وكلُّ نعيـم لا محالـةَ زائـلُ

فقال عثمان : كذبتَ . فلم يَدْرِ القومُ ما عَنى . فأَشار بعضُهم إلى لبيدٍ أن يُعيد ، فأَعاد

فصدَّقه في النصف الأوّل وكذَّبه في الآخر ، لأنّ نعيم الجنّة لا يزول . فقال لبيد : يا معشرَ قريش ، ما كان مثلُ هذا يكون في مجالسكم . فقام أُبَيُّ بن خَلَف أو ابنُه فلطم وجهَ عثمان ، فقال له قائل : لقد كنتَ في مَنَعَةٍ من هذا بالأمس . فقال له : ما أحوجَ عيني هذه الصحيحةَ إلى أن يُصيبها ما أصابَ الأُخرى في الله .

[بين الشعبيّ وعبد الملك]

أخبرني محمد بن خلفِ بن المرزُبان قال : حدَّثنا أَحمد بن الهيثم قال : حدَّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عَيّاش قال : كتب عبدُ الملك إلى الحَجّاج يأمره بإشخاص الشعبيِّ إليه ، فأشخصَه فألزمه ولَده ، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم ، قال : فدَعاني يوماً في عِلّتِه التي مات فيها فغَصَّ بلقمةٍ وأنا بين يديه ، فتساندَ طويلاً ثم قال : أصبحتُ كما قال الشّاعر[1] : [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزت سبعين حجّة خلعتُ بِهـا عنّـي عذارَ لجامِ
إذا ما رآني النّاسُ قالوا أَلَم يكنْ شديـدَ مَحـال البطشِ غيرَ كَهامِ
رمَتنِي بناتُ الدَّهر من حيث لا أرى وكيف بِمـن يُرمـى وليس بِرامِ
ولَـو أنّنِي أُرمـى بسهـمٍ رأيْتُه ولكنّنِـي أُرمـى بغيرِ سهامِ

فقال الشعبيّ : فقلت : إنّا لله ، استسلم الرّجل واللهِ للموت ! فقلتُ : أُصلحَكَ الله ، ولكن مثلك ما قال لبيد : [من البسيط]

باتت تَشَكَّى إليّ الموتَ مُجْهشةً وقـد حملتُك سبعاً بعـد سبعينا
فـإن تُزادِي ثلاثـاً تبلغي أَملاً وفي الثّـلاثِ وفـاءٌ للثمانينا

فعاشَ إلى أن بلغ تسعين سنة فقال : [من الطويل]

كأنّي وقد جاوزتُ تِسعِينَ حِجّةً خلعـتُ بِهـا عن مَنكبيّ ردائيا

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشر سنين . فقال : [من البسيط]

أليس في مائةٍ قـد عاشها رجـلٌ وفي تكامـلِ عَشْرٍ بعدها عُمُرُ

فعاشَ إلى أن بلغ مائةً وعشرين سنة فقال : [من الكامل]

ولقد سئِمتُ من الحياة وطولِها وسؤَال هـذا النّاسِ كيفَ لبيدُ
غَلَبَ الرّجالَ وكان غير مغلَّبٍ دَهـرٌ جديـدٌ دائـم ممدودُ

---

1 ديوان عمر بن قميئة (دار صادر ـ بيروت) : 38–39 . :

يـومٌ أرى يأتِـي عليـه وليلةٌ وكلاهما بَعـدَ المضـاء يَعودُ

ففرِح واستبشر وقال : ما أرى بأساً ، وقد وجَدْتُ خَفّاً[1] . وأَمَرَ لِي بأربعة آلافِ دِرهم ، فقبضْتُها وخرجت ، فما بلغتُ البابَ حتّى سمِعتُ الواعيةَ عليه[2] .

وغنّى في هذه الأبيات التي أوّلها :

غَلَـبَ الرِّجالَ وكان غيرَ مغلَّبِ

عمرُ الوادِي خفيفَ رملٍ مطلقٍ بالوسطى عن عمرو .

[شهادة النابغة له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويَه قال : حدَّثنا هارون بن مسلم عن العمريّ عن الهيثم بن عدِيّ عن حمّادٍ الرّاوية قال : نظر النابغةُ الذُّبيانيّ إلى لبيدِ بن ربيعة وهو صبيٌّ ، مع أعمامِهِ على باب النُّعمان بن المُنذر ، فسأل عنه فنُسِب له ، فقال له : يا غلام ، إنّ عَينَيك لَعَينا شاعرٍ ، أفتقرِض من الشِّعرِ شيئاً ؟ قال : نَعَمْ يا عمّ . قال : فأنشِدْنِي شيئاً مِمّا قلته . فأنشَدَه قوله :

أَلَم ترَبـعْ على الدِّمـن الخَوالِي[3]

فقال له : يا غلامُ ، أنتَ أشعَر بني عامر ، زِدْنِي يا بنيّ . فأنشده :

طلـلٌ لخولـة بالرُّسَيس قديمُ

فضرب بيَدَيه إلى جنبيه وقال : اذهبْ فأنتَ أشعرُ من قيسٍ كلِّها ، أو قال : هوازنَ كلّها .

وأخبَرَني بهذا الخبر عمّي قال : حدَّثنا العمري عن لقيط عن أبيه ، وحمّادٌ الرّاويةُ عن عبد الله بن قَتادة المحاربيّ قال : كنتُ مع النّابغة بباب النُّعمان بن المنذر ، فقال لِي النّابغة : هل رأيتَ لبيد بن ربيعة فِيمَن حَضَر ؟ قلت : نعم . قال : أيُّهم أشعَر ؟ قلت : الفتى الذي رأيتَ من حالِهِ كَيْتَ وكَيْت . فقال : اجلسْ بنا حتّى يخرج إلينا . قال : فجلسنا فلمّا خرَجَ قال له النّابغة : إليَّ يا ابن أخي . فأتاه فقال : أنشِدْني . فأنشَدَه قوله : [من الوافر]

أَلَم تُلمِمْ على الدِّمن الخـوالي لسَلْمـى بالمَذانِـبِ فالقُفالِ

فقال له النّابغة : أنتَ أشعَرُ بني عامر ، زِدْنِي ، فأنشَدَه : [من الكامل]

---

1 الخف : الخفّة .

2 الواعية : الصراخ على الميت .

3 ربع : وقف .

طَلَلٌ لخولـةَ بالرَّسَيسِ قديمُ فبعاقـلٍ فالأنعَمَـين رُسومِ

فقال له : أنتَ أشعَرُ هوازنَ ، زِدْني . فأنشَدَه قوله : [من الكامل]

عَفَت الدِّيارُ محلُّهـا فمُقامها بمنًى تأبَّـدَ غَولُهـا فرِجامها

فقال له النّابغة : اذهبْ فأنتَ أشعَر العرب .

[وصيّته لابن أخيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، أنّ لبيداً لمّا حضرتْه الوفاة قال لابن أخيه ولَم يكن له ولدٌ ذكر : يا بنيّ ، إنّ أباكَ لَم يمُتْ ولكنّه فني . فإذا قُبِض أبوكَ فأقبِلْه القِبلةَ وسجِّه بثوبه ، ولا تَصرُخَنّ عليه صارخةٌ ، وانظُر جَفنتيَّ اللّتين كنت أصنعُهما فاصنَعْهما ثم احملْهما إلى المسجد ، فإذا سلَّمَ الإمامُ فقدِّمْها إليهم ، فإذا طَعِموا فقُلْ لهم فليحضُروا جِنازةَ أخيهم . ثم أنشد قوله : [من مجزوء الكامل]

وإذا دفنـتَ أبـاكَ فاجـ ـعَلْ فوقَـه خشباً وطِينا

وسَقائفـاً صُمّـاً رَوَا سِيهـا يسدِّدن الغصونا

ليقين حُـرَّ الوجـهِ سفـ ـسافَ التُّراب ولَن يَقِينا

قال : وهذه الأبيات من قصيدةٍ طويلة .

وقد ذكر يونس أنّ لابن سُريجٍ لحناً في أبياتٍ من قصيدة لبيدٍ هذه ، ولم يجنّسه .

صوت

[من مجزوء الكامل]

أبنـيَّ هـل أبصرتَ أعـ ـمامي بنـي أمِّ البنينـا

وأبـي الـذي كان الأرا مـلُ في الشّتـاء لـه قَطِينا

وأبـا شَرِيـك والمَنـا زِلَ في المضيـق إذا لقِينـا

مـا إنْ رأيـتُ ولا سمعـ ـتُ بمثلهـمْ في العالَمينـا

فبقيـتُ بعدَهـمُ وكنـ ـتُ بطـولِ صُحبتهم ضَنينا

دَعْنِـي ومـا ملكت يَميـ ـني إنْ سددت بها الشؤونا

وافعـل بمالِـك مـا بـدا لـك مُستعانـاً أو مُعِينا

[شعره لابنتيه حين احتضر]

قال : وقال لابنتَيه حين احتُضِر ، وفيه غناء : [من الطويل]

تمنَّـــى ابنتايَ أن يعيشَ أبوهمـا وهَلْ أنا إلاّ من ربيعةَ أو مُضَرْ
فإنْ حانَ يوماً أن يموت أبوكما فلا تَخمِشا وجْهاً ولا تحلِقا شَعَرْ
وقولا هـــو المـرءُ الذي لا حليفَه أضاعَ ، ولا خانَ الصَّديقَ ولا غَدَرْ
إلى الحَولِ ثم اسمُ السَّلامِ عليكما ومَن يَبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرْ

في هذه الأبيات هزج خفيف مطلق في مجرى الوسطى . وذكر الهشاميّ إنّه لإسحاق . وذكر أحمد بن يحيى أنّه لإبراهيم .

قال : فكانت ابنتاه تَلبسان ثيابَهما في كلِّ يوم ، ثم تأتيان مجلسَ بني جعفر بن كلاب فتَرثِيانِه ولا تُعْوِلانِ ، فأقامتا على ذلك حولاً ثم انصرفَتا .

صوت[1]

[من الوافر]

سألناهُ الجزيـــلَ فما تأبّى فأعطى فـــوقَ مُنْيتِنا وزادا
وأحسَنَ ثمّ أحسَنَ ثم عُدْنا فأحسَنَ ثم عُدت لــه فعادا
مراراً مـــا دنوتُ إليــه إلاّ تبسَّم ضاحِكاً وثَنى الوِسادا

الشعر لزياد الأعجم ، والغناء لشارية ، خفيف رمل بالبنصر مطلق .

1 شعر زياد الأعجم (يوسف بكار – دار المسيرة) : 66 .

[307] ـ أَخبار زيادٍ الأعجم ونسبه[1]

[نسبه]

زياد بن سليمان[2] ، مولى عَبد القيس ، أَحَد بني عامر بن الحارث ، ثم أُحد بني مالك بن عامر الخارجية .

أَخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أَبي سعيد السكري . وأَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، عن عمِّه عن ابن حبيب قال : هو زياد بن جابر بن عمرو ، مولى عبد القيس . وكان ينزل إصطَخْر فغلبت العجمةُ على لسانه ، فقيل له الأعجم .

وذكر ابنُ النطَّاح مثلَ ذلك في نسبه ، وخالف في بلده ، وذكر أنّ أَصلَه ومولده ومنشأه بأصفهان ثمّ انتقل إلى خُراسان ، فلَم يَزَلْ بها حتّى مات .

وكان شاعراً جزْل الشعر فصيح الألفاظ على لُكنةِ لسانِه ، وجَريه على لفظ أَهل بلدِه .

أَخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا محمد بن موسى قال : حُدِّثت عن المدائنيّ أنّ زياداً الأعجَم دَعا غلاماً له ليُرسِله في حاجة ، فأَبطأ فلمّا جاءه قال له : منذ لدُنْ دأَوْتُك إلى أَن قلتَ لَبَّي ما كنت تسنأ ؟ يريد منذُ لدُنْ دعوتُك إلى أن قلتَ لبَّيك ماذا كنتَ تصنع .

فهذه أَلفاظه. كما ترى في نهاية القُبْح واللُّكنة .

[رثاؤه للمغيرة بن المهلّب]

وهو الذي يقول يرثي المُغيرةَ بن المهلّب بقوله[3] : [من الكامل]

صوت

قُلْ للقَوافِـلِ والغـزِيِّ إذا غَزَوْا ... والباكريـن وللمجـدِّ الرائـحِ
إنّ المـروءَةَ والسّماحَـةَ ضُمِّنا ... قبراً بمَـرْوَ على الطّريق الواضحِ
فإذا مـررتَ بقبرِهِ فاعقِـرْ بِـهِ ... كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِـرفٍ سابحِ

1 ترجمة زياد الأعجم في الشعر والشعراء : 343–345 والمؤتلف والمختلف : 193–195 وكامل المبرد (الدالي) : 769 ومعجم الأدباء : 1329–1330 وخزانة البغدادي 10 : 4–9 ومعاهد التنصيص 2 : 173 وقد جمع شعره د . يوسف بكار (دار المسيرة) ووضع له مقدمة مستفيضة .

2 في الشعر والشعراء والخزانة : ابن سلمى .

3 ديوانه : 52–56 .

وانضَحْ جوانِبَ قَبرِهِ بدِمائها ... فلقد يكون أخا دمٍ وذبائحِ
يا مَن بمغدى الشَّمس من حيٍّ إلى ... ما بين مَطلع قَرنها المتنازِح[1]
ماتَ المُغيرةُ بعد طولِ تعرُّضٍ ... للموتِ بين أسِنّةٍ وصفائحِ
والقتلُ ليس إلى القتال ولا أرى ... حَيّاً يؤخّر للشَّفيق الناصحِ

وهي طويلة . وهذا من نادر الكلام ، ونقيِّ المعاني ، ومختار القصيد ، وهي معدودة من مراثي الشُّعراء في عصر زياد ومقدَّمها .

لابن جامع في الأبيات الأربعة الأُوَل غناءٌ أوّله نشيدٌ كلُّه ، ثم تعود الصَّنعةُ إلى الثاني والثالث في طريقه الهزج بالوسطى .

وقد أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، عن السكّريّ عن محمد بن حبيب ، أنّ من النّاس مَن يروي هذه القصيدة للصَّلتان العبديّ . وهذا قولٌ شاذّ ، والصحيح أنّها لزياد قد دوّنها الرواةُ ، غيرَ مدفوعٍ عنها .

[مثل آخر من أمثلة لكنته]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ قال : حدَّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : رَثى زياد الأعجم المُغيرة بن المهلّب فقال : [من الكامل]

إنّ الشَّجاعةَ والسَّماحةَ ضُمِّنا ... قبراً بمَرْوَ على الطَّريق الواضحِ
فإذا مررتَ بقبرِهِ فاعقِرْ به ... كُومَ الهجان وكلَّ طِرفٍ سابحِ

فقال له يزيد بن المهلّب : يا أبا أمامة ، أفعَقَرتَ أنتَ عنده ؟ قال : كنتُ على بِنت الهمار . يريد الحِمار .

أخبرني مالك بن محمد الشيباني قال : كنت حاضراً في مجلس أبي العبّاس ، فقلت وقد قرىء عليه شعرُ زيادِ الأعجم ، فقرئت عليه قصيدته : [من الكامل]

قل للقوافِلِ والغزيِّ إذا غَزَوا ... والباكرين وللمجدِّ الرائحِ

قال : فقلت إنّها من مختار الشعر ، ولقد أُنشِدت لبعض المحدَثين في نحوِ هذا المعنى أبياتاً حسنة . ثمّ أنشدَنا[2] : [من الخفيف]

أيُّها الناعيانِ مَن تنعيانِ ... وعلى مَنْ أراكما تبكيانِ

---

1 هذا هو البيت الأوّل في الديوان وروايته :
يا مَن بمغدى الشمس أو بمراحها ... أو مَن يكون بقرنها المتنازح

2 الأبيات لأحمد بن محمد الخثعمي (انظر وفيات الأعيان 5 : 356) .

اندُبـا الماجِدَ الكريمَ أَبا إسـ ـحاق ربَّ المعروفِ والإحسانِ
واذهبا بِي إنْ لَم يكنْ لكما عَقْـ ـرٌ إلى جنب قَبرِهِ فاعقِراني
وانضَحا من دَمِي عليه فقد كا ن دَمِي مِن نَداهُ لو تَعْلَمانِ

[دية الحمامة ألف دينار]

أُخبرني وكيع قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة عن أبيه قال : كان المهلّب بن أبي صُفرة بخُراسان ، فخرج إليه زيادٌ الأعجم فمدحَه ، فأمر له بجائزةٍ فأقام عندهُ أيّاماً . قال : فإنّا لَبعشيَّةٍ نَشرب مع حبيب بن المهلَّب في دارٍ له ، وفيها حمامةٌ ، إذْ سجعت الحمامةُ فقال زياد[1] : [من الوافر]

تَغَنَّيْ أنتِ في ذِمَمِي وعَهدِي وذمّـةِ والـدي ألا تُطارِي
وبيتُك فاصلِحِيهِ ولا تَخافِي على صُفْرٍ مزغَّبـة صِغارِ
فإنّـكِ كلَّما غنَّيتِ صوتاً ذكرتُ أَحبّتي وذكرتُ داري
فإمّا يَقتلوكِ طلبتُ ثأراً لـه نبأ لأنّك في جِواري

فقال حبيبٌ : يا غلام ، هاتِ القوس . فقال له زياد : وما تصنعُ بها ؟ قال : أَرمِي جارتَك هذه . قال : والله لئنْ رميتَها لاستعدِينَّ عليك الأمير . فأتى بالقوس فنزع لها سهماً فقتلَها ، فوثب زيادٌ فدخل على المهلَّب فحدَّثه الحديثَ وأنشده الشعر ، فقال المهلَّب : عليَّ بأَبِي بِسطام ، فأُتِيَ بحبيب فقال له : أَعطِ أبا أُمامَةَ ديةَ جارته أَلفَ دينار . فقال : أطال اللهُ بقاءَ الأمير ، إنّما كنتُ أَلعب . قال : أَعطِهِ كما آمرُك . فأنشأ زيادٌ يقول[2] : [من الطويل]

فللّـه عينا مَـنْ رأى كقَضيّةٍ قَضى لِي بها قَرْمُ العِراقِ المهلَّبُ
رماها حبيبُ بن المهلَّب رميةً فأثبتَها بالسَّهم والسّهمُ يغربُ
فألزمَه عَقْلَ القتيـل ابنُ حُرّةٍ وقال حبيبٌ : إنّما كنت أَلعبُ
فقال : زيـادٌ لا يروّعُ جـارُه وجارة جاري مثل جاري وأَقربُ

[نصر المهلّب له على ولده]

قال : فحَمَل حبيبٌ إليه أَلفَ دينار على كرهٍ منه ، فإنّه ليشرب مع حبيبٍ يوماً إذ عربدَ عليه حبيبٌ ، وقد كان حبيب ضَغِن عليه ممّا جرى ، فأمر بشقّ قَباء ديباجٍ كانَ عليه ، فقام

1 ديوانه : 75—76 .
2 ديوانه : 44—45 .

فقال[1] : [من الطويل]

لعمرك ما الدِّيباجَ خرّقتَ وحدَهُ ولكنّما خرّقْتَ جلدَ المهلّبِ

فبعث المهلَّب إلى حبيب فأحضَرَه ، وقال له : صدَقَ زِياد ، ما خرّقت إلاّ جلدي ، تبعث هذا على أن يهجوَني . ثم بعث إليه فأحضره ، فاستلّ سخيمتَه من صدره وأمر له بمالٍ وصَرَفه .

وقد أُخبرني وكيع بهذا الخبر أيضاً . قال أَحمد بن الهيثم بن فراس ، قال العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : تهاجى قَتادةُ بن مُغْرب اليشكُريّ وزيادٌ الأعجمُ بخراسان ، وكان زيادٌ يخرج وعليه قَباءُ دِيباج ، تشبُّهاً بالأعاجم ، فمرَّ بِهِ يزيدُ بن المهلَّب وهو على حاله تلك ، فأمر به فقُنِّعَ أسواطاً ، ومزَّقت ثيابه وقال له : أَبأهل الكفرِ والشّرك تتشبّه لا أمّ لك ؟ فقال زياد : [من الطويل]

لعمركَ ما الدِّيباجَ خَرَّقْتَ وحدَه ولكنّما خرّقتَ جلدَ المهلَّبِ

وذكر باقيَ الخبر مثله وقال فيه : فدَعا به المهلَّب فقال له : يا أَبا أُمامة ، قلتَ شيئاً آخر ؟ قال : لا والله أيُّها الأمير . قال : فلا تقُلْ . وأَعتبَه[2] وكساه وحَمَله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له : اعذِرْ ابنَ أخيك يا أبا أمامة ، فإنّه لم يَعرفْك .

وهذه الأبياتُ التي فيها الغناءُ يقولها زيادٌ الأعجم في عُمَر بن عبيد الله بن معمر التَّيميّ .

[عراك الفقيه]

أُخبرني بخبره في ذلك أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : أَتى زيادٌ الأَعجم عمرَ بن عَبيد الله بن مَعمرٍ بفارس ، وقَدِم عليه عِراك بن محمّد الفقيهُ من مِصر ، فكان عِراكٌ يحدِّثه بحديث الفقهاء ، فقال زياد[3] : [من الطويل]

يحدِّثنا أنَّ القيامَةَ قد أَتَتْ وجاءَ عِراكٌ يبتغِي المالَ من مِصرِ
فكَم بينَ بابِ النُّوبِ إنْ كنتَ صادِقاً وإِيوان كسرى من فَلاةٍ ومِن قصرِ

وقال يمدح عُمر بن عُبيد الله : [من الوافر]

سأَلناه الجزيلَ فما تأَبَّى وأَعطى فوقَ مُنْيتِنا وزادا

وذكر الأَبياتَ الثلاثة .

نسخت من كتاب ابن أَبي الدُّنيا : أَخبرني محمد بن زياد ، عن ابن عائشة .

---

1 ديوانه : 48 .
2 أعتبه : أزال عتبه وأرضاه .
3 ديوانه : 76–77 .

[استنجازه وعدا لابن معمر]

وأخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثني عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة ، وخبرُ ابنِ أبي الدُّنيا أتمّ . قال : كان زيادٌ الأعجم صديقاً لعمر بن عُبيد الله بن معمر قبل أن يَلي ، فقال له عمر : يا أبا أمامة ، لو قَد وَليت لتركتُك لا تحتاجُ إلى أحدٍ أبداً . فلمّا وَلِيَ فارِسَ قصدهُ ، فلمّا لقيَه أنشأ يقول[1] : [من الطويل]

أبلــغْ أبــا حفصٍ رسالةَ ناصحٍ ... أتَتْ من زيــادٍ مستبيناً كلامُها

فإنّكَ مثــلُ الشَّمس لا سِترَ دونَها ... فكيــف أبــا حفص عليَّ ظَلامُها

فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامُها أبداً . فقال زياد :

لقد كنتُ أدعو الله في السّرِّ أن أرى ... أُمــورَ معــدٍّ في يديــك نظامُها

فقال له : قد رأيتَ ذلك . فقال :

فلمّا أتانِــي مــا أُردتُ تباشَرَتْ ... بناتِي وقلــنَ العامَ لا شكَّ عامُها

قال : فهو عامهنَّ إن شاء الله تعالى . فقال :

فإنّي وأرضاً أنت فيهــا ابنَ معمرٍ ... كمكّةَ لم يَطربْ لأرضٍ حَمامها[2]

قال : فهي كذلك يا زياد . فقال :

إذا اخترتَ أرضاً للمقامِ رضيتُها ... لنفسي ولَـم يثقُــلْ عــليَّ مُقامُها

وكنتُ أمنّي النَّفسَ منك ابنَ معمر ... أمــانيَّ أرجــو أن يتــمَّ تمامُها

قال : قد أتمَّها الله عليك . فقال :

فــلا أكُ كالمُجْرِي إلى رأسِ غايــةٍ ... يُرجِّــي سَمــاءً لم يُصِبْه غَمامُها

[مديحه لعبد الله بن الحشرج]

قال : لستَ كذلك فسَلْ حاجتَك . قال : نَجيبةٌ ورحالتها[3] ، وفرسٌ رائع وسائسُه ، وبَدْرةٌ وحاملها ، وجاريةٌ وخادِمُها ، وتَختُ ثيابٍ ووصيفٌ يَحمِله . فقال : قد أمرنا لك بجميع ما سألتَ ، وهو لكَ علينا في كلِّ عام . فخرج مِنْ عنده حتّى قدِم على عبد الله بن الحَشْرَج وهو بسابور ، فأنزلَه وألطَفَه ، فقال في ذلك[4] : [من الكامل]

---

1 ديوانه : 94 .

2 الطرب : الشوق .

3 الرحالة : الرحل .

4 ديوانه : 49 .

إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبت على ابن الحَشْرَجِ
مَلكٌ أغـرُّ متـوَّجٌ ذو نائـلٍ ... للمُعْتَفِـين يمينُه لم تَشنـجِ
يـا خيرَ من صعدِ المنابرِ بالتُّقى ... بعد النبيِّ المصطفى المتحرِّجِ
لمـا أتيتُكَ راجِياً لنوالكمْ ... أُلفيتُ بابَ نوالكم لم يُرتَجِ

فأمر له بعشرةِ آلاف درهم .

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع ، عن عبد الله بن محمد ، عن عبيد بن الحسن بن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه : «أتى زيادُ عبدَ الله بن عامر بن كريز» . والخبر الأوّلُ أصحُّ . وزاد في الشعر : [من الوافر]

أخٌ لَـكَ لا تَـراه الدَّهرَ إلاَّ ... على العِـلاَّتِ بَسّامـاً جَوادا

فقال له عمر : أحسنتَ يا أبا أمامة ، ولَكَ لكلِّ بيتٍ ألف . قال : دَعْني أتمَّها مائة . قال : أمَا إنَّك لو كنت فعلتَ لفعلتُ ، ولكن لك ما رُزِقتَ .

[رثاء عمر بن عبيد الله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدَّثنا ابن عائشة قال : حدَّثني أبي قال : لمّا خرج ابنُ الأشعث أرسلَ عبدُ الملك إلى عُمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ليَقْدَمَ عليه ، فلمّا كان بضُمَيرٍ ، وهي من الشام ، ماتَ بالطّاعون ، فقام عبدُ الملك على قبرِهِ وقال : أمَا والله لقد علمَتْ قريشٌ أن قد فَقَدتِ اليومَ ناباً من أنيابها . وقال جدّ خَلاّد بن أبي عمرو الأعمى ، وكانوا مواليَ أبي وَجْرةَ بنِ أبي عمرو بن أُميّة : أهو اليوم نابٌ لمّا ماتَ ، وكان أمس ضِرساً كَلِيلة ؟! أمَا والله لَوَدِدْتُ أنّ السماءَ وَقَعَتْ على الأرض فلَم يَعِش بينهما أحدٌ بعده ! وسمعها عبد الملك فتغافَلَ عنها .

قال : وقال الفرزدق يرثيه[1] : [من البسيط]

يا أيُّها النّاس لا تَبكُوا على أحَـدٍ ... بعـد الذي بضُمَيرٍ وافَـقَ القَدَرا
كانت يـداه لَنا سَيفـاً نَصُول بِهِ ... على العـدُوِّ وغيثـاً ينبت الشَّجَرا
أمّا قريشٌ أبـا حفصٍ فقد رُزِئت ... بالشّام إذ فارقتكَ الباسَ والظفَرا
مَن يقتلُ الجوعَ من بعد الشهيدِ ومَنْ ... بالسيف يقتل كَبْشَ القوم إذ عَكَرا[2]
إنّ النوائح لَم يَعـدُدْنَ في عُمرٍ ... مـا كان فيـه إذا المولى بِهِ افتخَرا

1 ديوان الفرزدق 1 : 235–236 .
2 عكرا في ل : غدرا .

إذا عدَدنَ فعــالاً أو لَـهُ حسباً ... ويـومَ هيجاءَ يُعْشي بأسُه البصرا

كَم مِن جبانٍ إلى الهيجا دنوتَ له ... يومَ اللِّقاء ولـولا أنتَ ما صَبَرا

أخبرنا أحمد حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا عفّان بن مسلم ، قال : حدّثنا حمّاد بن سلمة قال : أخبرنا حميد عن سليمان بن قَتّة قال : بعث عُمر بن عُبيد الله بن مَعمَر إلى ابن عُمر ، والقاسم بن محمد ، بألفِ دينار ، فأتيتُ عبد الله بن عُمر وهو يغتسل في مُستَحمٍّ له ، فأخرج يدَه فصببتها في يده ، فقال : وصَلتَ رحِماً ، وقد جاءتنا على حاجة . وأتيتُ القاسمَ فأبى أن يَقْبَلها ، فقالت لي امرأته : إنْ كان القاسِمُ ابنَ عمِّه فأنا لابنةُ عمِّه . فأعطيتُها . قال : فكان عمرُ يبعث بهذه الثِّياب العمريّـة يقسِّمهـا بين أهل المدينة ، فقال ابن عُمر : جَزى الله مَن اقتنى هذه الثيابَ بالمدينة خيراً . وقال لِي عمر : لقد بلغني عن صاحبك شيءٌ كرهتُه . قلت : وما ذاك ؟ قال : يُعطِي المهاجرين ألفاً ألفاً ، ويُعطي الأنصار سَبعمائة سبعَمائة . فأخبرته فسوَّى بينهم .

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا أبو زيد قال : كانت لرجل جاريةٌ يهواها ، فاحتاج إلى بيعها ، فابتاعها منه عُمر بن عُبيد الله بن معمر ، فلمّا قبضَ ثمنَها أنشأتْ تقول : [من الطويل]

هنيئاً لك المال الذي قد قبضتَه ... ولم يبـقَ في كَفَّيّ غير التحسُّرِ

فإنِّي لِحُزْنٍ مـن فِراقكَ مُوجَعٌ ... أُناجِي بِـهِ قلباً طويلَ التفكُّرِ

فقال : لا ترحلِي . ثم قال : [من الطويل]

ولَولا قُعود الدَّهرِ بِي عنكِ لَم يكن ... يفرّقنا شيءٌ سوى الموتِ فاعذرِي

عليــكِ سلامٌ لا زيــارةَ بيننـــا ... ولا وَصلَ إلاّ أنْ يشاء ابنُ معمرِ

فقال : قد شئتُ ، خذِ الجارية وثمنَها . فأخذَها وانصرف .

[زياد يستبطىء عمر بن عبيد الله]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن زياد قال : حدَّثني ابن عائشة قال : استبطأ زيادٌ الأعجم عُمر بن عبيد الله بن مَعمر في زيارته إيّاه فقال[1] : [من الطويل]

أصابت علينا جودَكَ العينُ يا عُمرْ ... فنحنُ لها نبغِـي التمائم والنُّشَرْ[2]

أصابتك عـينٌ في سماحِـك صلبةٌ ... ويـا رُبَّ عينٍ صُلبةٍ تَفْلِقُ الحَجَرْ

سنَرقيكَ بـالأشعارِ حتّـى تَملَّها ... فإنْ لم تُفِـقْ يوماً رقَيناكَ بالسُّوَرْ

فبلغته الأبياتُ فأرضاه وسرَّحه .

---

1 ديوانه : 77 .

2 النشر : جمع نُشرة ، وهي الرقية .

[هجاء عبّاد بن الحصين]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثني العمريّ قال : حدَّثني مَن سمع حمّاداً الرّاوية يقول : امتدح زيادٌ الأعجم عبّاد بن الحُصين الحَبَطيّ ، وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له «القُباع» ، وطلب حاجة فلَم يَقضِها فقال زياد[1] : [من المتقارب]

سألتُ أبــا جَهضَمٍ حاجــةً   وكنــتُ أُراه قريبـاً يسيرا
فلو أنّنِــي خِفت منــه الخِلا   فَ والمنعَ لِي لَم أَسَلْهُ نَقِيرا
وكيــف الرَّجــاءُ لِما عنــدَه   وقد خالط البخلُ منه الضَّميرا
أَقِلْنِــي أَبــا جَهضَمٍ حاجَتِــي   فإنِّي امــرؤٌ كان ظَنّي غُرُورا

[هجاء يزيد بن حبناء]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكُرانيّ عن العُمَريّ ، عن عَطاء بن مُصعب ، عن عاصم بن الحَدَثان قال : مَرَّ يزيد بن حَبْناء الضّبّيّ بزيادِ الأعجم وهو ينشِد شعراً قد هجا به قَتادةَ بن مغْرِب ، فأفحَشَ فيه ، فقال له يزيدُ بن حبناء : أَلَم يأنِ لك أن تَرعَوِيَ وتتركَ تمزيقَ أعراضِ قومِك ، وَيْحك ! حتّى متى تتمادى في الضّلالِ ، كأنَّكَ بالموتِ قد صَبَّحك أو مَسَّاك ! فقال زياد فيه[2] : [من الطويل]

يحذِّرني المــوتَ ابنُ حبناءَ والفتى   إلى المــوتِ يَغدو جاهــداً ويَرُوحُ
وكلُّ امرىءٍ لا بدّ للموتِ صائرٌ   وإن عاشَ دهــراً في البِلادِ يسيحُ
فقلْ ليزيدٍ يــا ابنَ حَبْناء لا تَعِظْ   أخاكَ وعِظْ نفساً فأنتَ جَنوحُ
تركتَ التُّقى والدِّينُ دِينُ محمّدٍ   لأهــلِ التُّقــى والمسلمين يلوحُ
وتابَعْتَ مُــرّاقَ العِراقَــينِ سادراً   وأنتَ غليظ القُصْرَيَيْنِ صحيحُ[3]

فقال له يزيد بن عاصم الشّنّيّ : قَبَحَكَ الله ، أَتهجو رجلاً وعَظَك وأَمَرَك بمعروف بمِثلِ هذا الهجاء ، هلاّ كففتَ إذ لم تقبل ، أراه والله سيأتي على نفسك ثم لا تَحبِقُ فيك عَنْزان[4] ، اذهبْ ويحك فأْتِهِ واعتذر إليه لعلَّه يَقبلُ عذرَك . فمَشى إليه بجماعةٍ من عبد القيس فشَفَعوا إليه فيه ، فقال : لا تثريبَ ، لستُ واجداً عليه بعد يومِي هذا .

---

1 ديوانه : 69 .
2 ديوانه : 50 .
3 القصريان : مثنى القصرى ، وهي آخر ضلع الجنب أسفل الأضلاع .
4 مثل .

[مدحه للمهلّب ببيت جائزته ثلاثون ألف درهم]

أخبرني أحمد بن عليّ قال : سمعت جدّي عليّ بن يحيى يحدّث عن أبي الحَسَن عن رجل من جُعفيٍّ قال : كنتُ جالِساً عند المهلَّب إذْ أقبلَ رجلٌ طويلٌ مضطرب ، فلمّا رآه المهلَّب قال : اللهمَّ إنّي أعوذُ بِكَ من شرّه ! فجاء فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، إنّي قد مدحتك ببيتٍ صَفَدُه مائة ألف درهم . فسكت المهلَّب ، فأعاد القول فقال له : أنشدْه . فأنشدَه : [من الطويل]

فتًى زادَهُ السُّلطانُ في الخيرِ رغبةً إذا غَيَّـرَ السُّلطـانُ كلَّ خليـلِ

فقال له المهلّب : يا أبا أُمامة ، مائة ألف ! فواللهِ ما هي عندنا ولكنْ ثلاثون ألفاً فيها عُروضٌ . وأمر له بها ، فإذا هو زياد الأعجم .

[هجاؤه للفرزدق وفزع الفرزدق منه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكرانيّ وأبو العيناء عن القَحذميّ قال : لقي الفرزدقُ زياداً الأعجمَ فقال له الفرزدق : لقد هممتُ أن أهجوَ عبد القيس ، وأصفَ من فَسْوِهم شيئاً . قال له زياد : كما أنتَ حتّى أسمِعَك شيئاً . ثم قال : قُل إن شئتَ أو أمسِك . قال : هات . قال : [من الطويل]

ومـا تَرَكَ الهاجون لِي إن هجوتُه مَصَحّـاً أراه في أديـم الفرزدقِ

فإنّا ومـا تُهدِي لنـا إنْ هجوتَنا لكالبحرِ مَهما يُلقَ في البحرِ يَغرقِ

فقال له الفرزدق : حَسبك هَلُمَّ نَتَتارك . قال : ذاك إليك . وما عاودَه بشيء .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا العتبيّ عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال : حدَّثني خِراش ، وكان عالِماً راوية لأبي ، ولمؤرِّج ، ولجابر بن كلثوم ، قال : أقبل الفرزدقُ وزيادٌ ينشد الناسَ في المربَد وقد اجتمعوا حولَه ، فقال : مَن هذا ؟ قيل : الأعجم . فأقبل نحوه فقيل له : هذا الفرزدقُ قد أقبل عليك . فقام فتلقّاه وحيّا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه ، فقال له الفرزدق : ما زالت تنازعُني نفسي إلى هجاءِ عبد القيس منذُ دهْر . قال زياد : وما يدعوك إلى ذلك ؟ قال : لأنّي رأيتُ الأشقريَّ هجاكم فلم يصنَعْ شيئاً ، وأنا أشعرُ منه ، وقد عرفتُ الذي هيّج بينك وبينه . قال : وما هو ؟ إنّكم اجتمعتم في قُبّة عبد الله بن الحَشرج بخُراسان ، فقلتَ له قد قلت شيئاً فمَن قال مثلَه فهو أشعر منّي ، ومَن لَم يَقُلْ مثلَه ومَدَّ إليَّ عنقَه فإنّي أشعَر منه . فقال لك : وما قلتَ ؟ فقلتَ : قلتُ : [من الطويل]

وقافيــةٍ حَــذّاءَ بــتُّ أحُوكُهـا إذا مـا سُهيلٌ في السّماء تَـلالا

فقال لك الأشقريّ : [من الطويل]

وأقلف صلّى بعـد مـا ناكَ أُمَّه يرى ذاك في دِينِ المجوسِ حَلالا

فأقبلْتَ على مَن حضَرَ فقلت : يا لأُمٍّ كعبٍ أخزاها الله تعالى ، ما أنمَّها حين تُخبر ابنها بقُلْفتي ! فضحك النّاسُ وغلبت عليه في المجلس .

فقال له زياد : يا أبا فراس ، هَبْ لِي نفسك ساعةً ولا تعجَلْ حتّى يأتيك رسولِي بهديّتِي ثم ترى رأيَك . وظنّ الفرزدقُ أنّه سيُهدي إليه شيئاً يستكِفّه به ، فكتب إليه : [من الطويل]

وما تَرك الهاجُون لِي إن أردته ... مَصَحّاً أراهُ في أديمِ الفرزدقِ

وما تركوا لحماً بدا فوق عَظْمَه ... لآكِلِه ألقَوْه للمتعرِّقِ

سَأَحْطِمُ ما أبقَوْا لـه من عِظامِهِ ... فأَنكتُ عظمَ السّاقِ منـه وأنتقِي

فإنّا وما تُهدي لنا إنْ هجوتَنا ... لكالبحر مَهما يُلْقَ في البحرِ يَغرَقِ

فبعث إليه الفرزدق : لا أهجو قوماً أنتَ منهم أبداً .

[زياد أهجى من كعب الأشقريّ]

قال أبو المنذر : زيادٌ أهجى من كعبٍ الأشقريّ ، وقد أبرَّ عليه في عدّة قصائد . منها التي يقول فيها : [من المتقارب]

قُبَيِّلـةٌ خيرُها شرُّها ... وأصدقُها الكاذب الآثِمُ

وضَيفهمُ وَسْطَ أبياتِهِمْ ... وإن لَم يكن صائِماً صائِمُ

وفيه يقول : [من الطويل]

إذا عـذَّبَ الله الرِّجالَ بشِعرِهِم ... أمِنْتُ لكعبٍ أنْ يعذَّبَ بالشِّعرِ

وفيه يقول : [من الوافر]

أتَتْـكَ الأزدُ مُصْفَرّاً لِحاها ... تَساقَطُ من مناخرها الجُوافُ

أخبرني وكيعٌ قال : حدَّثني أحمد بن عمر بن بكير قال حدَّثنا الهيثم عن ابن عيّاش قال : دخل أبو قِلابةَ الجَرْمِيّ مسجدَ البصرة وإذا زيادٌ الأعجم ، فقال زياد : مَن هذا ؟ قال : أبو قِلابة الجَرميّ ، فقام على رأسه فقال : [من الطويل]

قُمْ صاغـراً يا كهلَ جَرمٍ فإنّما ... يقال لكَهل الصِّدق قُمْ غيرَ صاغرِ

فإنّـك شَيخٌ ميّـت ومـورَّثٌ ... قُضاعـة ميراثَ البَسوسِ وقاشِرِ

قضى الله خَلْـقَ النّاسِ ثم خُلِقْتمُ ... بقيّـةَ خَلْـق اللهِ آخِـرَ آخِـرِ

فلم تسمعوا إلاّ بِمـا كان قبلَكم ... ولَم تُدرِكوا إلاّ بـدقَّ الحوافِرِ

فلو ردَّ أهلُ الحَقِّ مَن مات منكمُ ... إلى حقِّهِ لَـم تُدفَنوا في المَقابِرِ

فقيل له : فأين كانوا يدفنون يا أبا أمامة ؟ قال : في النّواويسِ .

* * * *

الفهرس